

مَجَلَّةُ الرَّسَائِلِ

الْوَجِيزُ

فِي فَنِّهَا وَاللُّغَةِ



# مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

رابطہ بدیل  
lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقى

www.lisanarb.com



## مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ، فلعل بيان الغاية من تأليف كل كتاب ، يكون فيه الجواب عن كثير مما قد يثار من الاسئلة حول منهجه وموضوعاته ، لهذا أسارع الى القول :

كانت الغاية من تأليف هذا الكتاب أن يكون نافذة ضيقة يطل منها طلبة الدراسات العربية في الجامعات على أهم الجوانب لنشاط جديد في الدراسات اللغوية يدعى فقه اللغة .

ولما كان هذا العلم جديداً عليهم ، وكانت أكثر مباحثه تختلط بما عرفوه من المباحث النحوية والصرفية - وهو أمر كثيراً ما أوقمهم في الحيرة والتساؤل عن كنه هذا العلم وحدوده وموضوعه - ، ولما كانت الغاية من دراستهم له أن يفهموا ، عن طريقه ، عريتهم غير الفهم النحوي الصرفي القديم - حرصنا على الامور الآتية :

- ١ - أن نعرف الطلبة بهذا العلم وتاريخه وفروعه .
  - ٢ - أن نحدد ميادينه ونين مناهجه حتى لا يختلط ، في أذهانهم ،  
بغيره من أنواع الدراسات القوية الاخرى .
  - ٣ - أن نتوسع في كل ما له صلة وثيقة بالربية ، أو ما يعالج  
خصيصة من خصائصها .
- واعتقد ، بعد هذا أنه سيكون واضحاً للقارىء سبب إيجازنا في  
بعض الابواب والفصول ، وإسهابنا في بعضها الآخر ، وإثباتنا لبعض  
موضوعات هذا العلم ، وإغفالنا ما سواها .
- فإن كنا قد بلغنا الغاية التي رجونا ، فهذا بفضل الله ومنه ، وإن  
كانت الاخرى ، فمدرنا أننا حاولنا ونحن مخلصون .
- والحمد لله أولاً وآخراً .

حلب أول رجب ١٣٨٩

محمد الانطاكي

١٢ أيلول ١٩٦٩



باب اللؤلؤ

فتحة العترة



نحن لا نصور الكتب وإنما نعيد إتاحتها وتجميعها على شكل أرشيف

## ألفبائية أم علم؟

تسلك الباحث اللغوية عند الغربيين تحت أسماءٍ متعددة ، فنجدها مرة تحت اسم « Philologie » وأخرى تحت اسم « Linguistique » ، وثالثة تحت اسم « Grammaire » . فما حكاية هذه الاسماء ، وما مضامينها ؟ .

أما « الغرامير » ، فهي كلمة أخذها الغربيون عن الاغريق الذين كانوا يسمون النحو بالگراماطيقا « Grammatiké » ، أي فن أو علم استخدام الحروف « Grammata » (١) . ويطلقها الغربيون اليوم على كثير من الباحث اللغوية ، ولا سيما الوصفية والتاريخية والمقارنة والعامية .

وأما « اللانغويستيك » ، فهي كلمة تؤرخ أغلب الكتب ظمورها لأول مرة بعام ١٨٣٣ ، وإن كان بعضهم يؤكد انها استعملت قبل ذلك بمدة ، وانها ذكرت في بعض الكتب عام ١٨٢٦ (٢) . ومهما يكن فان الكلمة تطلق اليوم على العلم الذي يجعل من الالفة موضوعاً للدراسة ، من

---

Perrot : La linguistique , PP . 13 - 14 — ١

Ibid . P . 14 . — ٢

حيث الاصوات والمفردات والتراكيب ، وما يمتري اللغة من انحطاط وورقي ،  
وأسباب ذلك وعمله ، وما الى ذلك مما سيأتي تفصيله بمد قليل .

وأما « الفيلولوجيا » فهي « كلمة مركبة من لفظين اغريقيين :  
أحدهما Philos بمعنى الصديق ، والثاني Logos بمعنى الخطبة أو الكلام (١) » ،  
ومدلول هذه الكلمة قد اختلف كثيراً باختلاف العصور وباختلاف الامم ،  
ولا يزال العلماء يختلفون في فهمها واطلاقها .

« فأحياناً تطلق ويراد بها ما يشمل معظم بحوث الأنفوسيتيك ،  
ويكاد يتمين هذا المعنى اذا وصفت بما يدل على عموم بحوثها فقول مثلاً :  
« فيلولوجيا مقارنة Philologie comparée .

« وأحياناً تطلق ويراد بها دراسة لغة أو لغات من حيث قواعدها  
وتاريخ أديها ونقد نصوصها . وكانت اذا اطلقت في عصر احياء العلوم  
لا تنصرف إلا الى دراسة اللتين الاغريقية واللاتينية دراسة قواعد  
وأدب . ولكنها الآن لا تفيد هذا المعنى الا اذا قيدت بقول « فيلولوجيا  
كلاسيكية » ، « Philologie classique » .

« وأحياناً تطلق ويراد بها دراسة الحياة العقلية ومنتجاتها على  
المعوم في امة ما أو في طائفة من الامم .

« وهي بمعنىها الأخيرين ترادف ما نسميه أدب اللغة وتاريخ أديها » (٢)

وبعد . فهل تعني هذه الاسماء شيئاً واحداً ، أم تعني أشياء  
متعددة ؟ واذا كانت بينها فروق فما هي ؟ .

١ - صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة . ص ٢٠

٢ - الوافي : علم اللغة ، ص ١٢ مع شيء يسير من التصرف .

الواقع أن لا خلاف بين الفرامير واللانفويستيك سوى أن الاول  
أخص والثاني أعم . بل إن بعض العلماء يحرص على الاسمين ويستخدمهما  
مما (١) . أما الفيلولوجيا فيبينها وبين اللانفويستيك فروق دقيقة يعسر في  
كثير من الاحيان تبيينها ، « وجل مباحثها متداخل لدى طائفة من  
العلماء » (٢) . وهذا التداخل يسمح باطلاق كل من الاسمين على مباحث  
الاسم الآخر « ولا سيما في التعليم ، وان كان العلماء يميلون - بحق - الى  
تخصيص تسمية الفيلولوجيا بدراسة النصوص ، وتسمية اللانفويستيك  
بدراسة اللغة والالسن » (٣) .

ولعل خير من حدد معنى الفيلولوجيا وميزها عن اللانفويستيك  
ماروزو في كتابه « علم اللغة » حيث يقول (٤) :

« إن الصعوبة الأساسية التي يلقاها اللغوي في أبحاثه هي أن اللغة ،  
وهي موضوع دراسته ، تند في أكثر الاحيان عن الملاحظة المباشرة :  
فاللسان الحاضر ، في اللحظة الحاضرة ، شيء زهيد بالنسبة إليه ، فاذا  
رغب في معرفة شيء عن الماضي لم يجد أمامه غير وثائق قد شوهتها  
الكتابة والأدب (٥) . وقبل أن يستخدم هذه الوثائق عليه أن يستوثق  
من قيمتها ، عليه أن ينقدها ويحدد قيمة شهادتها . وهكذا ، فان دراسة

---

١ - انظر على سبيل المثال عناوين كتاب ماروزو La linguistique

٢ - صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ص ١٩ .

٣ - Perrot : La linguistique , PP . 14 - 15 .

٤ - PP . 104 - 105

٥ - من رأي ماروزو ان الادب حامل مهم في افاقة الكلمات عن ان تأخذ  
مجراها الطبيعي في التطور . انظر رأيه هذا في الكتاب نفسه ص 67 .  
وانظر ايضاً ص 7 فيما يتعلق بالكتابة وعدم اماتها في تصوير النطق .

النصوص هي على وجه التدقيق موضوع الفيلولوجيا . ولما كانت دراسة النصوص غير ممكنة بغير دراسة الرجال . ودراسة الأفكار ، والعادات ، والتاريخ ، والفن ، والحضارة ، فقد يحدث أن يسمى علم ما فيلولوجيا بالمعنى الواسع للكلمة ، إذا باشر في جانب من الجوانب علم الاثریات .

هذا هو الشأن عند أهل الغرب ، أما عندنا فالقوضى لا تزال تضرب أطنابها ، والعلماء لا يزالون يختلفون في أمر التسمية الصالحة للمباحث اللغوية التي يسميها الغربيون باللانغويستيك : فجرجي زيدان أطلق عليها اسم « الفلسفة اللغوية » (١) ، وعيب هذه التسمية أنها تلتصق بالفلسفة مباحث قد تخلصت نهائياً من أوهام الفلسفة ، واتخذت منهاج علم الحديث وأساليبه . أما الاب مرمرجي الدومينيكي فيطلق عليها اسم « الألسنية » (٢) وسميها عبد الرحمن أبو صالح باللسانيات (٣) . لكن أشهر التسميات وأكثرها شيوعاً اثنتان : علم اللغة ، وفقه اللغة . ولكل منها متعصبون لا يرضون عن تسميتهم بديلاً :

فأما أصحاب « علم اللغة » فبرزهم محمود السمران (٤) . وحجة هؤلاء أن اللانغويستيك تحدد في الكتب الغربية بأنها : علم اللغة ، بل إن بعضها قد عنوان بهذه العبارة : La linguistique ou science du langage (٥) ، أي اللانغويستيك أو علم اللغة . ويرفضون اسم فقه

---

١ - انظر كتابه : الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية .

٢ - انظر كتابه : المعجمية العربية على ضوء الثنائية والالسنية السامية .

٣ - وذلك في محاضرة بعنوان « اللسانيات » ألقاها في جامعة حلب سنة ١٩٦٩ .

٤ - انظر كتابه : علم اللغة ، مقدمته لفقاري . العربي .

٥ - ذلك هو عنوان كتاب ماروزو .

اللغة لأنه اطلق في القديم والحديث على مباحث ليست من علم اللغة الحديث في شيء (١) .

وأما أصحاب « فقه اللغة » فيرون أن تسميتهم أصلح لأنها التسمية التي شاعت « عند العرب حين ألفوا في هذه الموضوعات ... ولأن كل علم لشيء فهو فقه ، فما اجدر هذه الدراسات جميعاً أن تسمى فقها ، (٢)

وهناك باحثون آخرون لا يجدون فرقاً بين التسميتين ، منهم محمد المبارك (٣) ، وعلي عبد الواحد وافي الذي ألف كتابين سمي أولهما ( علم اللغة ) ، والآخر ( فقه اللغة ) ، وخصص الاول بدراسة اللغة عامة ، والثاني بدراسة اللغة العربية وحدها .

## فروع فقه اللغة

لما كانت اللغة تتألف من عناصر عديدة ، ولما كانت طرق تناول كل عنصر منها مختلفة ، ولما كانت أغراض الدراسة متنوعة - لهذا كله اتقسم فقه اللغة اقساماً كثيرة بما بعضها وازدهر حتى استقل او كاد بنفسه .

ولإليك الكلام على كل قسم :

- ١ - انظر السمران : علم اللغة ص ٢٢ .
- ٢ - صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ص ٢٠ .
- ٣ - انظر كتابه : فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٩ .

ويسميه المحدثون من العرب بلسم علم الاصوات اللغوية ، كما سماه القدماء باسماء مختلفة أشهرها اسم علم التجويد .

وهو علم لا يتناول من اللغة إلا عنصر الصوت فقط ، فيحدد مخارج الأصوات ، وصفاتها ، والطرق المختلفة في احداثها ، ويصنفها ، ويدرس ما يتصل بها من اعضاء النطق ، وأثر بعضها في بعض ، وما يمرض لها من تبدلات خلال الزمان ، وسبب ذلك وعمله ، وما الى هذا من مباحث سيرد تفصيلها في مكان آخر من الكتاب .

ويتفرع هذا العلم الى فروع عديدة :

أ - فاذا أقبل باحث على لسان ما في فترة معينة من الزمان ، فوصف ما في هذا اللسان من الحقائق الصوتية على ما بيناه آنفاً ، وكان غرضه الوقوف على هذه الحقائق فقط ، اندرج عمله تحت ما يسمى « بـ علم الاصوات الوصفي » ، La Phonétique descriptive .

ب - وإذا أقبل باحث على لسان ما فتتبع أصواته خلال فترة طويلة من الزمان ، وكان غرضه الوقوف على ما أصاب هذه الاصوات من تطور وتبدل ، والكشف عن القوانين التي خضعت لها في تطورها ، اندرج عمله تحت ما يسمى « بـ علم الاصوات التاريخي » ، La Phonétique Historique .

ج - وإذا أقبل الباحث على لسانيين أو أكثر فدرس أصواتها ، وكان غرضه الوقوف على ما بين اللسانين من وجوه الشبه والاتفاق في الاصوات ، والكشف عما بينها من صلات



القربى الصوتية ، اندرج عمله تحت ما يسمى « بهلم  
الاصوات المقارن ، « La Phonétique comparée » .

د - وإذا أقبل الباحث على الالسنه جميعاً فدرس أصواتها ،  
وكان غرضه من الدراسة الوقوف على حقائق الاصوات  
اللغوية ، والكشف عن القوانين العامة التي تتحكم في  
تطورها ، اندرج عمله تحت ما يسمى « بهلم الاصوات  
العالم ، « La Phonétique générale » .

## ٢ - الفونولوجيا : La Phonologie

هذا العلم حديث نسبياً ، لم يظهر إلا منذ بضعة عقود ، وهو  
مثل الفوناتيک لا يتناول من عناصر اللغة إلا الصوت وحده . والفرق  
بينه وبين قسيمه الفوناتيک هو أن الفوناتيک يدرس الاصوات في ذاتها  
ولفاتها ، دون الاهتمام بالوظائف التي تقوم بها هذه الاصوات في اللغة ،  
على حين أن الفونولوجيا يصب جل اهتمامه على وظيفة الصوت في اللغة ،  
وكل عنصر صوتي لا وظيفة له في التمييز فهو خارج نطاق اهتمام هذا  
العلم . ولبیان ذلك لا بأس من ضرب الأمثلة : إذا عرضنا على علم  
الفوناتيک الكلمات العربية ( انقتل - إنتبذ - انجزم - انقلب ) وطلبنا  
منه أن يدرس لنا صوت النون فيها فانه يقرر بمد الفحص أن في اللسان  
العربي أربعة أنواع من النون . اولها مخرجه الشفة مع الاسنان العليا ،  
وثانيها مخرجه باطن الاسنان ، وثالثها مخرجه الشجر في الفم ، ورابعها  
مخرجه اللهاة . أما اذا عرضنا الكلمات السالفة على علم الفونولوجيا فانه  
يسألنا : هل لاختلاف مخرج النون في اللسان العربي وظيفة تمييزية ؟  
وبمسألة أوضح : ان نون ( انقتل ) شفوية ، ولو قسرنا أفواهنا على  
نطقها لهوية ، فهل يتغير معنى كلمة ( انقتل ) ؟ فاذا قلنا له : لا ، قرر  
أن اللسان العربي لا يشتمل إلا على نون واحدة .

وهكذا يمضي علم الفونولوجيا منتبهاً وظائفاً الاصوات في اللغة ،  
كاشفاً عن التقابلات التي يقيمها كل لسان بين أصواته . كالتقابل الذي  
تقيمه العربية بين الحركة القصيرة والحركة الطويلة كما في ( عم - عام ،  
عد - عود ، عد - عيد ) . والتقابل الذي تقيمه العربية بين الترتيق  
والتفخيم كما في ( سال - صال ، ثم - ظم ، ترب - طرب ، درب -  
ضرب ) . والتقابل الذي تقيمه بعض اللسان بين الامالة الحادة والامالة  
المنفرجة .. الخ

هذا ، ومباحث الفوناتيک والفونولوجيا شديدة التداخل بحيث يسر  
في بعض الاحيان فصلها وتمييز بعضها من بعض ، ولا يزال بعض العلماء  
يرفض هذا التفرع الجديد ويدرج مباحث الفونولوجيا تحت اسم الفوناتيک .

ويتفرع علم الفونولوجيا الى الفروع الاربعة التي تفرع إليها علم  
الفوناتيک ، فمنه الفونولوجيا الوصفية ، والفونولوجيا التاريخية ، والفونولوجيا  
المقارنة ، والفونولوجيا العامة .

### ٣ - الاكسيكوغرافيا : Lexicographie

ويسميه العلماء عندنا باسماء متعددة ، فهو مرة من اللغة ، وهو  
أخرى المعجمية ، وهو قائمة علم المفردات .. الخ .

وينصب اهتمام هذا العلم على الكلمات فقط ، فيحدد معنى « الكلمة »  
ويسمى الى تصنيف الكلمات في فصائل ( الفعل - الاسم - الظرف - الصفة  
.. الخ ) ، ويبحث عن العلاقة بين الفكرة والكلمة ، وما الى ذلك مما  
سيأتي تفصيله في حينه .

ويتفرع عن هذا العلم فرعان : أحدهما لا يهتم إلا بشكل الكلمة  
وصيغتها ، ويسمى علم المورفولوجيا ، والآخر لا يهتم إلا بمعناها ، ويسمى  
علم السيمانتيك .

ويسميه بعضهم بالصرف ، وذلك لان أغلب الباحث الصرفية عندنا تدخل في نطاق هذا العلم . كما يسميه آخرون بعلم الصيغة أو البنية ، وذلك لان اهتمام هذا العلم لا ينصب إلا على صيغة الكلمة وبنيتها .

وبالعلاج هذا العلم شكل الكلمة في حالي السكون والتصريف : ففي الحالة السكونية ينظر أي مجردة أم مزيدة ؟ وإذا كانت مزيدة فما هي حروف الزيادة ؟ وهل هذه الكلمة جامدة أم مشتقة ؟ وإذا كانت مشتقة فمم ؟ ... الخ . وأما في حالة التصريف فيدرس ما يطرأ عليها من تغيرات . فان كانت من نوع ( الاسم ) درس ما يطرأ عليها من تغيرات عند تثنيها وجمعها وتذكيرها وتأنينها ... الخ ( معلم - معلمات - معلمون - معلقة - معلقتان - معلقات ) وإن كانت من نوع ( الفعل ) درس ما يطرأ عليها من تغيرات في حالة تصريفها مع الضائر والازمنة ( وعد - يعد - عدت - وعدت ... الخ ) .

فاذا درس هذا العلم شكل الكلمة في حالة سكونها وبحث عناصر بنائها سمي بعلم الصيغة البنائي « Morphologie structurelle » ، وإذا درس شكلها في حالة تصرفها في الكلام سمي بعلم الصيغة التصريفية « Morphologie flexionnelle » .

ومن ابرز مباحثه مبحث الطرق التي تخلق بها اللفظة صيغاً جديدة فيها « Procédés de formation » . فمنذما يجمع أحدنا كلمة ( مدير ) على ( مدراء ) قائساً إياها على ( علم - علماء ) يكون قد أوجد في العربية صيغة جمع ل ( مدير ) لم تكن فيها . وتسمى هذه الطريقة في خلق الصيغ الجديدة بالقياس « Analogie » ، وعندما يقول أحدنا : ( لم يعد البرد شديداً ) فإنه يفرغ فعل ( عاد ) من معناه المعروف له في

المرية ويجوله الى فعل ناقص ، أي الى اداة نحوية . ويكون بذلك قد خلق اداة نحوية جديدة . وهذه طريقة أخرى تسمى بطريقة التقييد « Grammaticalisation » .

هذا وتقسّم المورفولوجيا الى الأقسام الأربعة التي انقسم إليها الفوناتيک ، فهناك مورفولوجيا وصفية ، وأخرى تاريخية ، وثالثة مقارنة ، ورابعة عامة .

### ٥ - السيمانیک : Sémantique

ويسمى عندنا بعلم الدلالة . وبرز المشكلات التي يعنى بها هذا العلم مشكلة تحديد معنى الكلمة ، وتمدد المعاني للكلمة الواحدة ، والترادف على المعنى الواحد ، والملاقة بين الكلمة والمعنى ، وتبدل المعنى وطرقه وقوانينه وأسبابه ، وحياة الكلمات والمراحل التي تمر بها من ولادة ونشأة وشباب وشيخوخة وموت ... الخ .

### ٦ - السنكس : Syntaxe

ويسمى بعلم النظم . وجل مباحته يشبه مباحث علم النحو عندنا . فهو يهتم ببناء الجملة ، والأنماط التي تتخذها العبارة في اللغة ، كما يبحث في حروف المعاني التي تربط أجزاء الكلام بعضها ببعض ، وفي أشكال الجمل ( الجملة الابتدائية ، الجملة الممولة ، الجملة الاخبارية ، الجملة الشرطية ، الجملة الاستفهامية ، الجملة الموجبة ، الجملة المنفية ، الجملة التمجيدية .. الخ ) .

ويقسم هذا العلم أيضاً الى أربعة أقسام : وصفي ، وتاريخي ، ومقارن ، وعام .

### ٧ - الستيليستيك : Stylistique

أو علم الاساليب ، وهو علم يبحث في أساليب اللغة ، واختلافها باختلاف فنونها ( الشعر ، النثر ، الخطابة ، المحادثة ، الكتابة ، المسرح .. الخ ) وباختلاف العصور والامم الناطقة بها ، والطرق التي تسلكها الاساليب في تطورها ، والقوانين الخاضعة لها ، وما يتصل بذلك . ويقسم هذا العلم أيضاً الى اربعة أقسام : وصفي ، وتاريخي ، ومقارن ، وعام .

#### ٨ - فقه اللغة الوصفي : Linguistique descriptive

هو مجموع ما مر معنا من فروع فقه اللغة الوصفية : فاذا أقبل باحث على لسان ما فدرس أصواته ومفرداته وتراكيبه دراسة وصفية هدفها مجرد الكشف عن الحقائق اللغوية في هذا اللسان ، وبيان خصائصه في فترة محددة من الزمان ، سمي عمله هذا بفقه اللغة الوصفي .

#### ٩ - فقه اللغة التاريخي : Linguistique historipue

هو مجموع ما مر معنا من فروع فقه اللغة التاريخية : فاذا أقبل باحث على لسان ما فدرس عناصره الثلاثة ( الاصوات ، والمفردات ، والتراكيب ) متتبهاً اياها خلال فترة طويلة من الزمان للكشف عما طرأ على هذه العناصر من التبدل والتغير ، فعمله هذا يسمى بفقه اللغة التاريخي . وقد فال عنصر المفردات من علماء هذا العلم حظوه لم ينلها العنصران الآخران ، حتى غدت بمض مباحث هذا العنصر علماً قائماً بذاته ، ونعني بذلك علم ( ( الايتيمولوجيا ) ) ، وهو العلم الذي يبحث في تاريخ الكلمات والاصول التي انفردت منها ، وان كان البحث في تاريخ الكلمة يقتضي بالضرورة البحث في تاريخ أصواتها (١) .

ومن أبرز مباحث المفردات في هذا العلم مبحث الطرق التي بها تولد الكلمات الجديدة ، وهي : الابداع « Création » ، والاستعارة ، او ما نسميه في العربية بالتمريب « Emprunt » ومحاكاة الأصوات « Onomatopées » ، والاشتقاق « Dérivation » .

#### ١٠ - فقه اللغة المقارن : Linguistique comparée

هو مجموع ما مر معنا من فروع فقه اللغة المقارنة : فاذا أقبل باحث على لسانين أو أكثر فقارن بين عناصر هذا اللسان وعناصر ذلك ، وكان غرضه الكشف عما بين اللسانين من أوجه الشبه وصلات القربى ، فان عمله هذا يسمى بفقه اللغة المقارن .

ومن أم النتائج التي توصل إليها هذا العلم الكشف عن وحدة الأصل للغات السامية ( العربية ، والآرامية ، والأكدية ... الخ ) وللغات الهندية الأوروبية ( السنسكريتية ، والفارسية ، والارمنية ، والسلافية ، والاغريقية ... الخ ) .

#### ١١ - فقه اللغة العام : Linguistique générale

هو مجموع ما مر معنا من فروع فقه اللغة العامة : فاذا أقبل باحث على مجموعة كبيرة من اللسان فقارن بين عناصرها ، وكان غرضه الكشف عن وجوه الاتفاق بينها ، والوصول الى القوانين العامة التي تحكم اللغة ، كان عمله يدخل فيما يسمى بفقه اللغة العام . وبالإضافة الى ذلك ، فان هذا العلم يتناول مشكلات عامة لم ترد في سائر فروع اللغة السابقة : كصراع اللسان ، وانشعابها الى لهجات ، وعوامل انحطاط اللغة وترقيتها .. وما الى ذلك من المسائل العامة التي تنطبق على كل لسان .

أما مشكلة أصل اللغة ونشأتها فقد اختلف العلماء المحدثون في أمر  
بحثها : فمنهم من أخرجها نهائياً من دائرة اختصاص علم اللغة لعدم توفر  
الوثائق التي تساعد على حلها (١) ، ومنهم من أرجأ البحث فيها الى أن يتم  
جلاء ما يكتنفها من غموض بمساعدة علم الاجناس البشرية (٢) .

وهناك علوم تاريخية وفيلولوجية تعد في فقه اللغة علوماً مساعدة .  
وأهمها : الفيلولوجيا ، وقواعد الرسم ( الاملاء ) ، والابجدية وتاريخها ،  
وتاريخ الكتاب ، وتاريخ الاملاء ( Paléographie ) ، ونقد النصوص ،  
وتاريخ الأدب والمعرض ... الخ .

## فقه اللغة والعلوم الأخرى

إن فقه اللغة كسائر العلوم الانسانية لا يملك الاستقلال التام عن  
بقية العلوم كما هو الشأن في الرياضيات مثلاً ، بل هو في حاجة الى نتائج  
طائفة كبيرة من العلوم يستخدمها حسب مناهجه الخاصة للوصول الى اغراضه :

١ - فاللغة ظاهرة اجتماعية ، لا ترى إلا حيث ترى المجتمعات  
الانسانية ، لهذا اهتم بها علم الاجتماع اهتماماً بالغاً ، بل لقد أفرد لها  
فرعاً خاصاً من فروعها لدراستها هو علم الاجتماع اللغوي . وفقه اللغة لا

---

١ - Ibid , P . 10

وانظر كذلك قنديس : اللغة ، ص ٢٩ - ٣١ مع الحاشية .

٢ - انظر محمود السران : علم اللغة ، ص ٥٥ - ٥٧ .

وكذلك الفصل المتعلق بنشأة اللغة الذي سيرد بعد قليل في هذا الكتاب .

غنى له عن الاستعانة بالنتائج التي وصل إليها علم الاجتماع اللغوي هذا ، بل ان كثيراً من منجزاته هو مدين بها لهذا الفرع من علم الاجتماع .

٢ - ثم ان كثيراً من المعلومات المتعلقة بنشأة اللغة الانسانية ، وبتطورها ، وبصلة ذلك بالخط الانساني لا يمكن أن يكون حكم الفقيه اللغوي فيها صحيحاً إذا لم يستعن بعلم الأجناس البشرية ( الاثروبولوجيا ) ، وبعلم الوراثة ، وبعلم الحياة العام .

٣ - كذلك فان اللغة المنطوقة تتألف من أصوات ، ولما كانت دراسة الصوت فرعاً من فروع علم الطبيعية ( الفيزياء ) كان على اللغوي أن يستعين بمعطيات هذا العلم في مجال الصوت .

٤ - كذلك فان هذه الأصوات اللغوية لا تصدر إلا بمساعدة طائفة من أعضاء الجسم ، كالرئتين ، والحنجرة ، واللسان ، والفم ، والانف ، والشفيتين ، والاسنان . وعلى هذا فان اللغوي مضطر الى النظر في علمي التشريح ووظائف الأعضاء ( الفسيولوجيا ) ليرى رأي المعلمين في هذا الموضوع .

٥ - ومن موضوعات فقه اللغة التوزع الجغرافي لكل لغة في العالم ولا شك أن هذا يقتضي اللغوي أن يلم بشيء كثير من الجغرافية البشرية .

٦ - ثم إن فقه اللغة يدرس الصراع بين الألسن ، ذلك الصراع الذي ينشأ عن المهجرات أو الغزوات ، وعلى هذا فان فقه اللغة محتاج الى علم التاريخ في هذا الشأن .

٧ - وأخيراً ، فان العملية اللغوية تقتضي جهوداً عقلية من المتكلم والسامع على حد سواء ، ومعنى هذا أن اللغة في بعض جوانبها حادثة



نفسية ، وعلى اللغوي أن يستعين بعلم النفس لفهم هذا الجانب من جوانبها (١) .

## قوانين فقه اللغة

أشرنا منذ قليل الى أن فقه اللغة العام يسمى الى الكشف عن القوانين العامة التي تحكم اللغة . فهل معنى ذلك أن فقه اللغة يملك من القوانين مثل الذي تملكه العلوم الطبيعية ؟

الواقع أن فقه اللغة كشف - ولا سيما في مجال الصوتيات - بعض العلاقات الثابتة التي لها صفة الحتمية والضرورة ، فأمكن اطلاق اسم القانون على العبارة عن هذه العلاقات . من ذلك مثلاً أنه وجد أن الحروف الثلاثة P. T. K. تؤلف منظومة صوتية ، بحيث إذا أصاب تغيير ما أحد أفرادها فلا بد أن يصيب هذا التغيير نفسه بقية الأفراد . فإذا حدث أن لساناً ما جهر الحرف P فصيره B فلا بد أن يجهر الـ T. K ليصبحا . D. G

وإن ما نراه من الشذوذ في بعض تطبيقات القانون الصوتي يرجع الى ان قانوناً صوتياً آخر عمل عمله . ولتوضيح ذلك إليك المثال الآتي :

هناك قانون صوتي في العربية يقرر ان كل ث في الفصحى تحوّل الى ت في اللهجة السورية : ثوب < توب ، ثعلب < تبلب ، ثوم <

١ - قرن : محمود السمران : علم اللغة ، ص ٧٣ - ٧٨

وكذلك : Perrot : Linguistique. PP. 11 - 12

والوافي : علم اللغة ، ص ٢٧ - ٣٠

توم .. فاذا مضينا في التطبيق فسنعثر على كلمات لا تخضع لهذا القانون ،  
سنجد ان الاء تحولت في بعض الكلمات الى سين : ثقافة < سقافة ،  
ولا يعلل هذا بأنه شذوذ ، بل بأن قانوناً آخر أصاب هذه الكلمة فمنع  
القانون الأول من اخضاعها لحكمه ، هذا القانون الآخر يقول : كل  
الكلمات الحديثة التي استعارتها العامية السورية من الفصحى واشتملت على  
حرف الاء تحولت فأؤها الى سين . فاذا مضينا في التطبيق فسنجد كلمات  
قديمة تحولت فأؤها الى سين وليس الى ثاء : ثواب < سواب . وهذا  
يفسره قانون ثالث يقول : كل الكلمات القديمة الشتملة على ثاء والتي يكثر  
ورودها في نصوص دينية كآيات القرآن الكريم ، أو مما يستعمل كثيراً في  
الخطب على منابر الجمعة تحولت فيه الاء الى سين .

وهكذا ترى أنه لا شذوذ في اللغة ، وأن القانون اللغوي له  
من الحتمية والضرورة مثل ما لقانون الجاذبية في الفيزياء ، ولقانون  
المرض والطلب في الاقتصاد . لكن وجود قانون ما لا يمنع وجود قانون  
آخر يمارسه في العمل : فقانون الجاذبية يقضي بأن الاجسام كلها تسقط  
نحو مركز الأرض في خط شاقولي « لكن هذا لا يمنع أن نرى صفحة  
من الورق تنزلق في خط متمرج ، وأن نرى البالون يرتفع نحو الأعلى .  
ان القانون في اللغة ، كالقانون في الطبيعة ، لا يمضي دون أن يصطدم  
بقوانين أخرى ، والشذوذ في قانون صوتي ليس شذوذاً إلا عندما لا  
نكون قد اكتشفنا القانون الجديد الذي يفسره (١) .

Marouzeau : Linguistique, P. 93 - ١

واظر : الوافي : علم اللغة ، ص ١٨ - ٢١

والسرمان : علم اللغة : ص ٨ - ١٠

وفندريس : اللغة ، ص ٧١ - ٧٥

## منهج البحث في فقه اللغة

يراد بمناهج البحث الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل ، والتي يصلون بفضلها الى ما يرمون إليه من أغراض . وافقه اللغة مناهج يشترك فيها مع سائر العلوم ، ومناهج خاصة به اقتضتها طبيعة مسأله . وأهم هذه المناهج ما يلي :

### ١ - منهج الملاحظة :

وذلك بأن يقبل الباحث على ظاهرة لغوية ما فيراقبها في الظروف الطبيعية للغة أثناء قيامها على وظيفتها ، لا يملك في مراقبته غير حواسه وقواه العقلية .

وفي هذا المنهج يشترك فقه اللغة مع عدد كبير من العلوم الأخرى ، ولا سيما العلوم الطبيعية ، وإليه يرجع الفضل في معظم ما وصلوا إليه .

ولكي تكون الملاحظة صحيحة النتائج يجب أن تكون شديدة التنوع ، كثيرة التعميد ، بالغة الدقة ما أمكن ، فنحاة العرب الأوائل لم يقرروا أن العربية ترفع الفاعل وتنصب المفعول لمجرد سماعهم جملة واحدة من عربي واحد ، بل انهم استقرؤوا معظم الكلام العربي ، فلما رأوا اطراد هذه الظاهرة وضعوا قاعدتهم .

ويتسع مجال الاستقراء اتساعاً بالغا عندما تنتقل من مستوى فقه اللغة الوصفي للسان من الألسن الى مستوى فقه اللغة العام لاستنباط القوانين العامة للغة ، فمعد ذلك لا تكفي ملاحظة لسان واحد - وهو الخطأ الذي وقع فيه علماء العرب والاعريق من قبل - بل لا بد من

ملاحظة كل الألسن في العالم ، ما كان منها حياً لا يزال في أفواه البشر ،  
وما اندثر منها فلم نعرفه إلا في النصوص والآثار .

ومن أبرز ما يؤخذ على منهج الملاحظة أن آلتها الوحيدة التي  
يستعين بها هي الأذن ، وهذا العضو لا يملك من الدقة ما تملكه أجهزة  
القياس الحديثة . هذا إلى أنه من السهل خداع الأذن في كثير من  
الأحيان ، كما أنها شديدة التأثر بالحالة النفسية للملاحظ ، ويكثر أن  
ان تخدعه فتسممه ما يريد أن يسمع ، لا ما هو حادث في واقع الأمر .

## ٢ - المنهج الآلي :

وهو أن يستعين الباحث بالآلة على تسجيل الظواهر اللغوية وقياسها .  
ومن الواضح أن هذا المنهج لا يستخدم إلا في مجال الصوتيات ، لأن  
الصوت هو العنصر الفيزيائي الوحيد في اللغة الذي يمكن للآلة أن تتدخل  
فيه تسجيلاً وقياساً . والذي حمل علماء اللغة على استخدام هذا المنهج في  
الصوتيات هو عدم وثوقهم من دقة الأذن الإنسانية في تمييز أنواع الصوت  
وخصائصه ، وإدراك نبراته ، وقياس شدته ومدته ، والعوامل الكثيرة  
المحيطة بها والتي تجعل مدركاتها عرضة للزلل ، ثم التقدم التقني الهائل  
الذي وضع بين أيدي علماء اللغة آلات شديدة الحساسية ، مأمونة النتائج ،  
صحيحة الأحكام .

وتنقسم الآلات التي تستخدم في هذا المنهج إلى نوعين : نوع يراد  
منه أن يقفنا على الاعضاء التي تشترك في أحداث صوت لغوي ما ، وعلى  
هيئة هذه الاعضاء أثناء النطق ، ثم على مخرج الصوت الملفوظ ، ونوع  
يراد منه أن يقفنا على صفات الصوت من حيث المدة والشدة والحدة .

فمن النوع الأول آلة التصوير الشعاعي باشعة رونتجن ، والصور

التي تعطىها هذه الآلة تقفنا على هيئة الفكين والاسان أثناء نطق أحد الأصوات . ولكن عيب هذه الصور أنها غير واضحة بما فيه الكفاية .

ومن هذا النوع أيضاً الحنك الاصطناعي ، وهو آلة شديدة البساطة يستطيع كل طبيب أسنان أن يصنعها محلياً من مادة بلاستيكية ، وبعد صباها في الشكل المناسب لحنك الانسان الأعلى تخطط خطوطاً طولانية وأخرى عرضانية . وحين استخدامها ينثر فوقها قليل من الحنك المطحون الناعم ، ثم تجمل في فم الانسان ملتصقة بمكنه الأعلى ، فاذا لفظ الانسان صوتاً ما كالجيم مثلاً التصق لسانه في نقطة معينة بهذا الحنك الاصطناعي ، فأزال من هذه النقطة ما كان علق به من الحنك المنثور . فاذا اخرجنا الحنك من فم الانسان ، ونظرنا الى الأثر الذي تركه اللسان فيه أثناء النطق بالجيم ، وقفنا بدقة على مخرج هذا الصوت اللغوي .

ولا شك أن هذا الحنك الاصطناعي قاصر عن تحديد مخارج الحروف كلها ، إذ ليست كل الأصوات اللغوية مما يخرج من الحنك ، فبعضها يخرج من الشفتين ، وبعضها يخرج من الحلق ، وبعضها يخرج من الحنجرة نفسها ، وبعضها ليس له مخرج أبداً كالواو والياء والالف .

وأما النوع الثاني فآلاته كثيرة متنوعة ، ولكنها جميعاً تتألف من ثلاثة أجزاء أساسية : بوق يتلقى الهواء المنبعث من فم المتكلم ويوصله الى طبلية تتأثر بضغط الهواء وذبذبه ، ثم قلم متصل بهذه الطبلية يتحرك بحركتها ، ثم اسطوانة مغلقة بورق تدور أثناء العمل يرسم عليها القلم الذبذبات المنتقلة إليه من الطبلية .

وعلى الرغم من دقة النتائج التي امكن الوصول إليها بفضل هذا المنهج الآلي ، فان لاعلماء عليه مأخذاً مهماً هو أنه عاجز عن فحص الظواهر اللغوية في حالتها الطبيعية ، فالناس لا يتكلمون وفي أفواههم أحلكة

اصطناعية ، ولا يتفاهون وهم يضمون أفواههم في أبواق او تحت آلات تصوير . وهذا الوضع غير الطبيعي في المنهج الآلي حمل كثيراً من العلماء على الشك في قيمة النتائج التي أدى إليها .

### ٣ - المنهج التجريبي :

يقوم هذا المنهج على تغيير الظروف المادية المحيطة بظاهرة لغوية ما ، أو على خلق هذه الظاهرة خلقاً بديل انتظارها حتى تحدث تلقائياً ، وهذا هو شأن العالم الطبيعي الذي يجمع الاوكسيجين الى الهيدروجين ويمطيها شرارة كهربائية ليصنع منها ماءً ، يفعل ذلك في معملة متى شاء ولا ينتظر الطبيعة لتصنع له الماء على هذه الطريقة ليدرس هذه الظاهرة الطبيعية . هذا المنهج الذي أدى للعلوم الطبيعية أجل الخدمات لم يتباً له أن ينتشر في العلوم الانسانية انتشاراً كبيراً ، إما لصعوبة تطبيقه في بعض الأحيان ، واما لتعذر هذا التطبيق في أحيان اخرى ، اذ يتعذر على عالم التاريخ مثلاً ان يصنع في شعب ما ثورة من أجل ان يدرسها ويعرف نتائجها .

ولما كان فقه اللغة من العلوم الانسانية كانت دائرة المنهج التجريبي فيه شديدة الضيق ، والنتائج التي امكن الوصول إليها عن طريقه قليلة جداً ، فمن ذلك ما قام به الاستاذ فيرث من تجربة رمى من ورائها الى معرفة ما إذا كان هناك صلة بين الصوت والشكل ، اذ رسم هذا العالم رسمين ، احدهما يتألف من خط مفلق يجري في تحديات كثيرة ، والثاني يتألف من خط مفلق منكسر في شكل نجمي ، ووضع الى جانب هذين الرسمين كلمتي ( اومبوي وكيكيريكي ) ، وهما كلمتان لا تدلان على معنى معين في أية لغة ، ثم طلب من طلبة مختلفي القوميات واللغات أن ينسبوا الى كل رسم واحدة من الكلمتين ، فلاحظ ان الطلبة من جميع الامم

ينسبون كلمة ( ارمبوبو ) الى الرسم المحذب ، وكلمة كيكيريكي الى الرسم النجمي (١) .

« هذا ، ولم يتح للطريقة التجريبية من ظروف النجاح والانتشار في علم اللغة ما اتيح لغيرها . فهي لا تزال تسير فيه بخطى بطيئة ، بل لا يزال بعض علمائه ينظرون إليها بعين الريبة ، ولا يتقون كل الثقة بما تصل إليه من نتائج وذلك انهم يرون أن تغير الظروف المادية المحيطة بظاهرة لغوية قد يخرج بها عن طبيعتها ، ويصورها في غير صورتها الحقيقية ، فيتمرض الباحث للخطأ في الحكم إذ يلتبس عليه الطبيعي بالمتصنع (٢) .

#### ٤ - المنهج المقارن :

ويقوم هذا المنهج على الموازنة بين الظواهر اللغوية في طائفة من الألسن ، إما للكشف عما بين هذه الألسن من أواصر القربي والرحم ، وهو ما يجري في فقه اللغة المقارن ، وأما للكشف عما بين الألسن جميعاً من خصائص مشتركة تؤدي الى الكشف عن القوانين العامة للغة ، وهذا ما يجري في فقه اللغة العام .

ومع أهمية هذا المنهج لعالم اللغة ، ومع لزومه له في كل الميادين اللغوية التي يخوضها ، فإنه كثيراً ما أدى الى نتائج غير صحيحة . ولم

---

١ - محاضرات الاستاذ فيرث في العام الدراسي ١٩٤٨ - ٤٩ ، عن كتاب مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان ، ص ٢١٧ . انظر فيه الرصين المذكورين .

هذا ويمكن عد المسألة الزنبورية في النحو العربي وما دار فيها بين سيويه والكسائي في مجلس البرامكة مجتاً لغوياً يجري على المنهج التجريبي .

٢ - الوافي : علم اللغة ، ص ٤٣ - ٤٤ .

يكن ذلك عن عيب فيه ، بل كان عن سوء تطبيق له ، ولا سيما عن نقص الاستقرار والتسرع في صوغ القوانين العامة .

## تاريخ الدراسات اللغوية

منذ متى ظهرت المشكلة اللغوية ؟

تبدو الاجابة عن هذا السؤال عسيرة بعض الشيء ، لأن هذه المشكلة « قديمة قدم العالم ، فمنذ أن وجد بشر يتكلمون ويكتبون اهتم الناس بأمر التعبير عن الفكر بكل شكل من الاشكال ...

« وكما جرت العادة دائماً ، بديء بالمشكلات اللغوية الأصعب ، تلك التي تتعلق بأصل الالفة وانشعاب اللسان ، فأما التوراة فنقول لنا إن آدم هو الذي وضع للحوانات اسماءها ، واما قصة برج بابل فتدعي انها تفسر سبب تلبيل الألسن واختلافها ، واما الاغريق فقد تخيلوا مبدعاً أبعد الالفة والكتابة (١) .

لكن الانسان لم يكتب بالأسطورة في معالجة مشكلة اللغة ، بل لقد سبق ذلك بمعالجتها عملياً في الكتابة . ذلك أن عملية الكتابة في حد ذاتها هي بوجه من الوجوه بحث لغوي حقيقي ، لانها في جميع أشكالها واطوارها ( التصويرية ، والمقطعية ، والمهجائية ) تقتضي الكاتب أن يقوم بتحليل من نوع ما للسان الذي يكتبه ، فالكتابة التصويرية ، وهي التي



رمز لكل كلمة من كلمات اللغة برمز خاص ، تقتضي الكاتب أن يقوم بعملية عزل لكلمات اللسان الذي يكتبه ، وهذا في الواقع نوع من التحليل اللفوي ، اما الكتابة المقطعية فتقتضي الكاتب تحليلاً لغوياً أبعد إذ تتطلب منه أن يحل كلمات اللسان الذي يكتبه الى مجموعات من الاصوات ( مقاطع صوتية ) ليرمز الى كل مجموعة برمزها الخاص . واما الكتابة الهجائية فيذهب فيها التحليل الى أبعد من ذلك ، الى الاصوات المفردة الاساسية .

ومع ذلك ، ظل البحث اللفوي بمعناه المعروف امراً مجهولاً لدى الانسان حتى جد في حياته ما حمله على القيام به ، وقد حدث ذلك في جنوبي العراق ، فهناك ، وحول ٣٥٠٠ قبل الميلاد كان يسكن شعب مجهول الاصل يسمى الشعب الشومري ، وكان لهذا الشعب لسان عرفناه عن طريق النصوص السامرية . ثم جاء شعب من الشعوب السامية يسمى بالأكديين فغلب الشومريين على ما بأيديهم من الأرض ، واتخذ من لسان المفلويين لسان أدب ودين له . ولما كان هذا اللسان غريباً عن الأكديين اضطروا لوضع قواعد له تسهل تحصيله على طالبه ، فكانت الشذرات التي وصلتنا من هذه النصوص النحوية أقدم ما نعرف من البحوث والدراسات اللفوية في العالم (١) .

زى مما سبق أن الحاجة التعليمية كانت أحد البواعث المهمة للدراسات اللفوية . وهناك باعث آخر لا يقل عنه شأنًا إن لم يكن أعظم منه خطراً . ونعني به الكتابة : فبالكتابة قيد الناس من قديم الزمان صلواتهم ونصوص قوانينهم ، فاكتسبت الاشكال الأولى لهذه الكتابة قداسة استمدتها من مضمون ما كتب بها ، وهذه القداسة حملت الكتابة الذين أتوا بعد ذلك على الاحتفاظ بتلك الأشكال على الرغم من أنها أصبحت

---

١ - انظر . Perrot : La Linguistique , P . 12 .

غير دقيقة في تمثيل النطق بعد أن تطور اللسان في أفواه أبنائه وبمسد فترة من الزمان شعر الناس بالفرق الواضح بين لسانهم الحاضر الذي يتكلمونه ولسانهم الماضي المثبت في الكتابة ، فكان ذلك دافعاً لبعض علماءهم الى شرح هذه النصوص المقدسة شرحاً نحويّاً ، والى وضع القواعد التي تسهل على الناس فهم تلك النصوص . هكذا ، وفي زمن مبكر جداً ، حلل الهندوس بدقة الاشكال والاصوات لسانهم السنسكريتي المقدس ، وكان بانيني الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد أبرز فحاتهم على الاطلاق ، وذلك للدقة المدهشة التي صاغ بها القواعد النحوية والصوتية للسنسكريتية .

أما في اليونان فقد كان لفلاسفة الاغريق مشاغل أخرى لا تتعلق بالنصوص الدينية ، كانوا يهتمون على نوع من ميتافيزيكية اللغة : ما اللغة ؟ أين يجب التفطيش عن أصلها ؟ ما الكلمة ؟ هل بين الكلمة والشيء علاقة طبيعية ولازمة ؟ هل العلاقة بين الكلمة ومعناها علاقة طبيعية أم هي علاقة اصطلاح وتواطؤ ؟ بروديكوس وسفسطاثيو القرن الخامس قبل الميلاد قالوا بالنظرية الأولى ، فقادهم ذلك الى الاهتمام بالترادف ، لان الكلمة إذا كانت تساوي الشيء بالضبط فلا وجود للترادفات في مذهبهم ، كما قادهم ذلك الى الاشتغال بالايتمولوجيا ( أصول الكلمات ) ، إذ لما كان هناك تلازم بين الشيء والكلمة ، كانت طبيعة الشيء قادرة على تفسير أصل الكلمة . والرواقيون أيضاً اشتغلوا في فقه اللغة الفلسفي . ولما كان هؤلاء يرجعون كل شيء الى منطقتهم ، ارجعوا النحو نفسه أيضاً . فالتقولات النحوية يجب عندهم أن توافق المقولات العقلية ، كانوا مثلاً يقولون : هناك تطابق بين علامة الجمع وفكرة الجمع . لكن أصحاب مذهب الشذوذ في اللغة كانوا يردون على أصحاب مذهب القياس هؤلاء بأن في اللسان كلمات هي في صيغة الجمع ولا تعني إلا الفرد ، وبأن الجنس النحوي ( التذكير والتأنيث ) لا يتطابق مع الجنس الطبيعي ، فما أكثر الكلمات المؤنثة الدالة

على ذكور ، وما أكثر الكلمات المذكرة الدالة على إناث . وإذن ، فليس هناك تطابق لازم بين اللسان والواقع .

هذا هو نوع المجادلات التي ضل في متاهاتها فلاسفة الاغريق واللاتين الذين جاءوا بدمهم .

وحدث في الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد ما كان حدث من قبل في الهند . فأشعار هوميروس والشعراء القنائين الاول أضحت غير مفهومة بسبب التطور الذي أصاب اللسان من زمن هوميروس الذي عاش في القرن التاسع قبل الميلاد الى زمن الفترة التي تتحدث عنها . فنشأ من ذلك تخصص لدى نخبة الاسكندرية في الشرح ، بل لقد ترجوا الى اللسان الاغريقي المشترك للسان الأيوني القديم الذي كتبت به القصائد الملحمية ، أو اللسان الهوري الذي كتب به الشعر الكورالي . وكان من كل ذلك حركة فيلولوجية نشيطة جداً ، فكثرت الشراح الذين شرخوا النصوص ، والمجربون الذين درسوا المفردات ، والمفسرون الذين اهتموا بشرح الكلمات الغريبة .

غير أن هذه الفيلولوجيا النشيطة لم تؤد الى دراسة منظمة للغة ، وكل الذي فعلته أنها أثارت في مدارس آسيا الصغرى ( في برغام ، طرسوس ثم في بيزنطية ) حركة ثقافية حفظت المؤلفات القديمة من الضياع .

وقد أسهمت روما في هذا المجال منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، لكن نجاحها انشغلوا بحشر لسانهم في الأطر التي تصورها النخبة الاغريق ، لقد وصفوا لسانهم الخاص بشيء كثير من النقص وعدم الضبط جعلنا لا نعرف شيئاً عن نطقهم ونبرهم وعروضهم إلا في صعوبة كبيرة .

وفي المصور الوسطى خمدت الدراسات اللغوية في الغرب خموداً كبيراً ، واقتصرت على تعلم اللسان اللاتيني . وكان أهم مؤلف له بعض

القيمة العلمية عبارة عن قواعد لائنية نظمت شعراً في القرن الثالث عشر  
الميلادي على طريقة ابن مالك في قواعد العربية .

أما في الشرق حيث ظهر الاسلام فقد قامت حركة لغوية نشيطة  
تقدمت بالدراسة اللغوية اشواطاً بعيدة الى الامام .

بدأ ذلك في أواخر القرن الهجري الأول حين ظهر اللحن على  
السنة الناس في تلاوة القرآن ، وكما كانت النصوص الدينية الهندوسية  
والحرص على ضبطها وفهمها سبباً في ولادة النحو السنسكريتي ، كان  
القرآن الكريم والحرص على ضبط تلاوته وفهم نصوصه سبباً في ولادة  
النحو العربي .

لكن علماء العربية لم يقفوا جهودهم على النحو فقط ، بل وسعوا  
نطاق بحوثهم حتى شملت أكثر جوانب اللغة . وسنوجز فيما يلي تاريخ كل  
فرع من فروع دراساتهم .

## ١ - النحو والصرف :

أما النحو فكان الغرض الاساسي منه في مبدأ الأمر وضع القواعد  
التي يجري عليها الكلام العربي ليسهل تعلمه وتعليمه ، وليعصم الناس من  
اللحن الذي أخذ يتفشى منذ صدر الاسلام من جراء اختلاط العرب  
بالمجم . ثم أخذ نطاق هذا العلم يتسع قليلاً قليلاً ، وأخذ علماءه يعرضون  
لكثير من الموضوعات المتصلة باجزاء الجملة وترتيبها وأثر كل جزء منها في  
الآخر حتى شملت بحوثهم جميع البحوث التي يطلق عليها الفرع اسم  
( السنكس ) . وأما الصرف فموضوعه الكلمة المفردة من حيث الزيادة  
والتجرد ، والجمود والاشتقاق ، والافراد والتثنية والجمع ، وما الى ذلك  
عما يسمى عند الغربيين بعلم ( المورفولوجيا ) .

كان الاهتمام أول الأمر منصباً على البحوث النحوية ، وظل الأمر

كذلك حتى أواخر القرن الهجري الأول ، ثم أخذ العلماء يمالجون بمض مسائل الصرف استطراداً وفي خلال دراستهم لمسائل النحو ، ثم أخذت مسائل الصرف تفصل شيئاً فشيئاً عن مسائل النحو ، وتدرس على حدة ، حتى تكون منها علم متميز . غير أن هذا العلم لم يستقل تمام الاستقلال عن النحو ، فلا تزال طائفة كبيرة من مسأله ممتزجة بمسائل النحو ، ولم ينفك الباحثون الى عهد قريب ينظرون الى الشميتين نظرهم الى علم واحد ، ويمالجون مسائلها في مؤلفات واحدة .

ولا بد من الإشارة هنا الى أن علماء العربية كانوا أول من هجروا صوامع الدراسة ورحلوا الى أبناء اللسان من الاعراب يشافهونهم ويأخذون عنهم لسانهم . بهذه الطريقة الاستقرائية الشاملة قدموا لسان العربي وصفاً شديداً الدقة لم يقدمه قوم لسانهم من قبل .

ومن اشتهر بالنحو والصرف أبو الاسود الدؤلي الذي تكاد الروايات تجمع على أنه أول من وضع النحو بإرشاد الامام علي بن أبي طالب . ثم عتبسة القيل ، وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وميمون الاقرن ، وعبد الله بن اسحق الحضرمي ، والاخفش الأكبر ، وأبو عمرو بن الملاء ، وعيسى بن عمر الثقفي ، وأبو جعفر الرؤاسي ، وأبو مسلم معاذ الهراء ، والخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يرجع الى عبقريته الفادرة أكبر قسط من الفضل في النهوض بعلوم العربية كلها ، ثم تلميذه سيويوه أمام النحو العربي وصاحب ( الكتاب ) الذي ظل حتى اليوم أهم مرجع لثقافة العرب ، ثم الاخفش الأوسط شارح كتاب سيويوه ، ثم أبو علي الفارسي ، وأبو القاسم الزجاج ، والمازني والسجستاني والمبرد ، والكسائي ، والفراء ، وابن السكيت ، وابن سلام ، وثلج ، وابن خالويه ، وابن جنبي ، والزنجشيري ، وابن الحاجب ، وابن

معطي ، وابن مالك ، وأبو حيان ، والزنجاني ، والسكاكي ، وابن هشام ، وغيرهم وغيرهم .

وقد انقسم هؤلاء الى مدارس كان أشهرها مدرستا البصرة والكوفة ، وقد عني التأخرون منهم بالخلاف بين المدرستين فألفوا في مسأله كتباً كثيرة من أهمها كتاب الانصاف لابن الانباري .

## ٢ - علوم البلاغة :

وتشمل ثلاثة بحوث : المعاني ، وموضوعه بيان ما ينبغي ان يكون عليه الاسلوب العربي ليطابق مقتضى الحال ، وليمبر عن المراد ابلغ تعبير ، ثم البيان ، وموضوعه شرح المناهج التي يسلكها الاسلوب العربي في استخدام التشبيه والمجاز والكناية ، ثم البديع ، وموضوعه دراسة المحسنات المعنوية واللفظية التي يحتملها الاسلوب العربي . فموضوعات البحوث الثلاثة ترجع الى ما يسميه المحدثون من علماء الفرونية ( الستيلستيك ) اي علم الاساليب .

ومن اشهر من الف في هذه الشعبة ابو عبيدة ، والملاحظ ، وابن الممتز ، وقدامة بن جعفر ، وابو هلال المسكري والسكاكي والخطيب القزويني .

## ٣ - علوم القراءات :

وموضوعها بيان الوجوه التي قرئت بها آي الذكر الحكيم . وقد شملت هذه الشعبة نوعين من الدراسات اللغوية : ففيها مسائل كثيرة تتعلق بالاهجات العربية ، كما ان اغلب مسائلها عالجت عنصر الصوت في اللسان العربي . وتمتبر الدراسات الصوتية في علم النجويد العربي ، وتلك التي وردت في كتاب سيويه والمفصل للزنجشيري ، وسر الصناعة لابن جني

أكمل وادق دراسات صوتية عرفها تاريخ الدراسات اللغوية حتى ذلك  
المهد .

#### ٤ - الأدب وتاريخه والنقد الأدبي :

نهضت هذه الفروع نهضة كبيرة في العصر العباسي ، ولم تنفك ،  
منذ ذلك العهد الى الآن ، موضع عناية الباحثين من العرب وغيرهم ، حتى  
أصبحت المكتبة العربية من أغنى مكتبات العالم في هذه الناحية .

#### ٥ - متن اللغة :

وتنقسم مؤلفاته الى ثلاثة أقسام : معاجم الالفاظ ، وأشهرها كتاب  
( العين ) ثم ( الجهرة ) لابن دريد ، و ( التهذيب ) لابي منصور ،  
و ( المحيط ) لصاحب ابن عباد ، و ( الجمل ) و ( مقاييس اللغة )  
لابن فارس ، و ( الصحاح ) للجوهري ، و ( القاموس المحيط ) للفيروز  
آبادي ، و ( اساس البلاغة ) للزمخشري ، و ( لسان العرب ) لابن  
منظور المصري . ثم معاجم المعاني منها كتاب ( الالفاظ ) لابن السكيت  
و ( الالفاظ الكتابية ) لهمذاني ، و ( مبادئ اللغة ) للاسكافي ، و ( فقه  
اللغة ) للشمالي ، والمخصص لابن سيده . والآخر منها يقع في سبعة عشر  
جزءاً ، وهو أدقها دراسة ، وأحسنها تنسيقاً ، وأكثرها استيعاباً لمسائل  
البحث . وأخيراً رسائل في طوائف خاصة من الالفاظ او المعاني منها  
كتاب ابي حنيفة في الانواء والنبات ، وكتب يعقوب في النبات والاصوات  
والفرق ، وكتب ابي حاتم في الازمنة والحشرات والطيور ، وكتب الاصمعي  
في السلاح والابل والخيل ، وكتب ابي زيد في المطر واللبأ والابن  
والغرائز (١) ، وشرح غريب الحديث للجزري ، وكتاب الاضداد في اللغة

---

١ - ذكر هذه الكتب صاحب المخصص من بين الكتب التي رجع إليها في  
مؤلفه ، انظر الجزء الاول من المخصص ص ١١ - ١٢

للإبنازي . ومن هذا النوع المعجمات الفلسفية والملمية وما إليها ، ككتشاف اصطلاحات الفنون للتهاوني ، والتعريفات للجرجاني ، والكليات لابن البقاء .. وهلم جرا .

## ٦ - فقه اللغة :

لم يحظ فقه اللغة بالناية التي حظيت بها بقية العلوم ، ومع ذلك ، كان للملاء العربية نظرات مبكرة فيه ، فكثيرا ما يذكر ابن جني في كتابه ( الخصائص ) آراء عميقة في هذا العلم يمزوها الى أصحابها المتقدمين ، مثل الخليل وسيبويه وغيرهما .

هذا ، وبحوث فقه اللغة موزعة في الكتب الكثيرة ، نجد بعضها في دراسة الاصمعي للاشتقاق في العربية ، كما نجد بعضاً منها في كتاب ( الصاحبي : في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ) لابن فارس ، وفي معجم ( مقاييس اللغة ) آراء في فقه اللغة ، بل إن صاحبه ابن فارس يناه على اساس نظرية ثنائية في الالفاظ العربية .

ومن ابرز كتب هذا الباب كتاب ( الخصائص ) لابن جني ، و ( العرب من الكلام الاعجمي ) لابن منصور الجواليقي ، و ( الزهر في علوم اللغة ) للسيوطي و ( شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ) لشهاب الدين الخفاجي .

وقد نشطت الدراسات الفقهية اللغوية في العصر الحديث نشاطاً ملحوظات بسبب من تأثرنا بالغرب ، وامتاز أكثر المؤلفات الحديثة بالمنهجية والروح العلمي . ومن أشهر رجال فقه اللغة في العصر الحاضر محمد المبارك ، وعلي عبد الواحد وافي ، ومحمود السمران ، وغمام حسان ، وابراهيم مصطفى ، وابراهيم انيس ، وصبحي الصالح ، وابراهيم السمرائي .. وغيرهم وغيرهم ..



وإذا عدنا إلى الغرب لتبين تطور الدراسات اللغوية هناك وجدنا أن القرن الثامن عشر الميلادي كان مبدأ لحركة لغوية نشيطة كان من أبرز نتائجها ظهور المنهج التاريخي والمقارن في الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر .

والواقع أن فرصة المقارنة بين اللغات كانت مهيأة للقراء منذ زمن مبكر : فقد استطاع الاغريق أن يلاحظوا وجوه التطابق في لهجاتهم المختلفة ، كما أن القرابة بين اللسان اللاتيني واللسان الاغريقي كانت أمراً معروفاً . لكن القوم كانوا يمتدنون أنه من الطبيعي وجود تشابه بين اللسان الاقوام المتحضرة . أما السنة الاقوام المتبررة فلم يهتم بها أحد .

بعد ذلك أدت الدعوة المسيحية إلى أن يتعلم الدعاة ألسن الأقباط التي دخلها البشرية : ترجم الكتاب المقدس إلى اللسان القوطي في القرن الرابع ، وإلى الارمنية في القرن الخامس ، ثم كان علماء اللاهوت في عصر النهضة الأوروبية يتعلمون العبرية ، وكان كتابهم المقدس يعلمهم أن لسان البشر كان واحداً . ومع كل هذا لم يفتن أحد إلى وجود القرابة بين كل هذه الالسن ، ولم يظهر المنهج المقارن إلا بعد الثور على اللسان السنسكريتي .

في القرن السادس عشر ادعى الايطالي ( ساسيتي ) أنه وجد في الهند لساناً يشبه اللسان الايطالي . وفي القرن الثامن عشر درست بعض الارساليات ، وبعض ممثلي الشركة الانجليزية ، وبعض الهنود الشرقيين - درسوا هذا اللسان فاطلمتهم دراستهم له على حضارة قديمة مجهولة ، وقد وجد الحاكم الانجليزي للبنغال ( وليام جوز ) شهاً عجيباً بين هذا اللسان السنسكريتي وبين كل من اللسانين الاغريقي واللاتيني ، وتساءل عما إذا كان لهذه الالسن الثلاثة أصل واحد مشترك .

كان لهذا الكشف خطر كبير في الدراسات اللغوية ، فقد كشف الستار عما بين اللسان الهندية والارانية من جهة ، واللسان الاغريقية واللاتينية والجرمانية من جهة أخرى من تشابه وصلات قرابة وروابط وثيقة ، ومهد السبيل لانشاء علوم القواعد التاريخية والمقارنة ، ووسع بذلك نطاق الدراسات اللغوية .

وكان من أشهر من افتتح هذه السبيل العلامة الالماني شليغل Schlegel ، فقد نبه أذهان العلماء الى صلوات التشابه الكثيرة التي تربط اللسان الأوروبية والهندية والآرية بعضها ببعض ، تلك اللسان التي رجمها العلماء من بعده الى فصيلة واحدة سموها الفصيلة الهندية - الأوروبية كما سيأتي بيان ذلك .

ومن ذلك الحين أخذ العلماء يدرسون هذه الفصيلة دراسة علمية عميقة ، فبلغوا ( بفتح اللغة المقارن ) شأواً راقياً ، وكان من انبه علماء هذا الفرع من الدراسة الالمانيان بوب Bopp ، وغريم Grimm .

وقد مهدت بحوث ( فقه اللغة المقارن ) السبيل الى بحوث ( فقه اللغة التاريخي ) فانتقل العلماء من الموازنة بين اللسان الهندية الأوروبية الى الموازنة بين مظاهر كل لسان منها في مراحلها المختلفة . وكان من أشهر من افتتح هذه السبيل ( غريم ) السابق ذكره و ( ديز ) وبراشيه .

ثم انتقل البحث من هذه الدائرة الخاصة المقصورة على اللسان الهندية الأوروبية الى دائرة عامة ترمي الى كشف القوانين التي يخضع لها كل لسان في تطوره وارتقائه ، فولد بذلك فقه اللغة العام ، وكان من أبرز رجاله العلامة الالماني ماكس مولر ، والعلامة الانجليزي سيس .

ثم كثرت الدراسات وتشعبت فروع العلم وظهرت مدارس واتجاهات كثيرة منها المدرسة الالمانية ، والمدرسة الايطالية ، والمدرسة الانجليزية ، والمدرسة الاميركية وغيرها (١) .

## أوهام حول فقه اللغة

إن فقه اللغة علم حديث ، بل لا يزال حتى الآن في عنفوان تطوره . ولهذا السبب يجهل الناس أمره ، حتى المثقفون منهم . والقلة التي تسمع به تدور في رؤوسها أوهام كثيرة عنه . ونحب في هذا الفصل أن نزيل ما علق بالرؤوس من تلك الأوهام :

١ - فأولها ما يظنه بعضهم من أن فقه اللغة هو إتقان عدد كبير من اللسان في الكتابة والخطاب ، وأن فقيه اللغة هو ذلك الرجل الذي يتكلم بلسان غير لسانه القومي .

إن فقه اللغة ليس معرفة لعدد من اللسان ، كما أن كثيراً من فقهائ اللغة الأجلاء لا يتقنون غير لسانهم القومي . ومعرفة اللسان الكثيرة لا تجعل من الانسان فقيهاً لغوياً ، كما أن قيادة عدد كبير من السيارات لا تجعل من الرجل ميكانيكياً بارعاً .

---

١ - معظم فقرات هذا الفصل نقل عن كتب الوافي وماروزو وبيرو . وليس للمؤلف منها غير التنسيق والتعديل اليسير في بعضها بالاختصار أو بالاضافة لزيادة الايضاح . ولم يلجأ المؤلف الى الطريقة العلمية القاضية بذكر المرجع والصفحة لكل اقتباس خشية تضخم الحاشية وكثرة الاقواس بين الكلام ، ومن اجل الامانة العلمية احب ان يشير ههنا الى ما فعل .

إن فقه اللغة هو النظر في اللغة واستنباط قوانينها العامة ، والكشف عن النواميس الخاصة لها في مختلف أطوارها .

قد يقال : فكيف يتسنى لفقيه اللغة الذي لا يتقن غير لسانه القومي أن ينظر في مختلف الألسن ليصل الى ما يريد من الكشف عن القوانين والנוاميس ؟

والجواب : انه يقرأ بلسانه القومي ما كتب من دراسات وصفية لتلك الألسن .

على أن هذا لا يمنع من أن يحصل الفقيه اللغوي عدداً من الألسن ، فان تحصيله لها يساعده أعظم المساعدة في عمله العلمي .

٢ - وثانياً ما يظنه بعضهم من أن فقه اللغة هو التبحر في لسان ما ومعرفة كل ما يتعلق بقواعده وغريبه وشوارده .. الخ

إن التبحر في الألسن مما يساعد اللغوي في عمله ، ويوسع من دائرة استقراءه . ولكن التبحر في اللسان شيء ، ومعرفة قوانين هذا اللسان شيء آخر . وفقه اللغة هو الكشف عن القوانين وليس التبحر والاحاطة . إن معرفتك بكل ركن من أركان منزلتك ، واحاطتك علماً بكل حجر فيه ، لا تجعلان منك مهندساً يعرف قوانين الهندسة والبناء .

٣ - وقالتها اعتقاد بعضهم أن فقه اللغة هو العلم بالاساليب الصحيحة ، والطرق الناجمة في تعليم الألسن .

إن فقه اللغة لا يأتي أن يقدم نتائجها الى القائمين على أمور التعليم ليستفيدوا منها في عملهم ، لكن هذه ليست وظيفته الاساسية ، إنه علم لا يرمي إلا الى كشف الحقائق بعيداً عن كل غاية نفعية .

٤ - وأخيراً ، فإن بعضهم يعتقد أن فقه اللغة هو العلم بصحيح الكلام وجيده ، وتمييزه من فاسده وسقيمه .

إن فقه اللغة ينظر الى كلا النوعين من الكلام نظرة واحدة ، ويعاملها معاملة واحدة ، وليس عنده كلام يسمى فصيحاً شريفاً ، وآخر يسمى عامياً مردولاً . ينظر فقه اللغة الى العامية والفصحى على أنها مظهران طبيعيان متساويان لهذه الظاهرة الانسانية التي تسمى باللغة (١) .

---

١ - قارن Perrot : La Linguistique , P. 5

ومقدمة الطيبة الاولى من Marouzeau : La Linguistique



# البرق السابقي

البعثة والإسبوع





## أنواع التعبير اللفظي

يعبر الانسان عن خواجه وانفعالاته بأسلوبين : أحدهما فطري غريزي لا يبدله فيه ولا إرادة ، مثل الصراخ والضحك والبكاء والاقشمرار وما الى ذلك من الظواهر الفطرية التي تصحب الحالات النفسانية المختلفة كالفرح والسرور والحزن والام وما إليها . وهذا الاسلوب من التعبير قد تكفل علم النفس بدراسته ، وقايتها ارادي مقصود ، مثل الاشارة والكلام وما إليها من الوسائل التي يستخدمها الناس في التفاهم فيما بينهم . وهذا الاسلوب الأخير قد تكفل بدراسته علم حديث النشأة اسمه علم ( السيميولوجيا ) أي علم الملامات . أما فقه اللغة فقد حصر اختصاصه في نوع واحد من أنواع التعبير الارادي ، هو التعبير بالكلام .

إن كل نظام من أنظمة التعبير الارادي يسمى لغة ، ولهذا عرف بعضهم اللغة تعريفاً عاماً بقوله : إنها نظام من الملامات (١) .

ولما كانت الملامات تختلف من حيث الحاسة التي تدركها ، ومن حيث رمزها لفكرة مباشرة أو بالواسطة ، فقد انقسمت اللغة الى ما يأتي :

### ١ - لغات بصرية :

وهي التي تدرك علاماتها بالعين . ولها عدة أنواع ، فمنها الحركات

---

١ - فندريس : اللغة ، ص ٣١

التي تصاحب كلامنا ونستمع بها على إيضاح ما لا تقدر على إيضاحه  
بالكلام ، ومنها اشارات المرور ، ومنها اشارات الصم البكم ، ومنها ما  
نأتيه من حركات واشارات عندما نتخاطب مع من لا يفهم لساننا .. الخ

هذا النوع من اللغة له مزاياه الخاصة ، إذ يمكن استعماله على بعد  
بين مكانين لا يقدر الصوت على أن يصل بينها ، كما أنه وسيلة سهلة  
للتفاهم بين أفراد ينتسبون الى ألسن مختلفة ، فهو من هذه الناحية لسان  
عالمي . بل إن قبائل الهنود الحمر في امريكا ، وكذلك بعض القبائل في  
استراليا وأواسط افريقيا ، قد اخترعت لها لغة من الاشارات تفاهم بها  
عند اختلاف القبائل في الألسن .

« وقرر تيلور ، بصدد هذه اللغة ، ان لها قواعد اشارية لربط  
أجزاء العبارة بعضها ببعض وترتيب عناصرها ، وأنها في مجموعها تكاد  
تكون متحدة عند جميع الشعوب التي تستخدمها ، فهي من هذه الناحية  
أشبه بلغة دولية ، وأنه يمكن أحياناً التعبير بها عن حقائق دقيقة كمفاهيم  
وضرب أمثال وقص حكايات ... فقد جمع الكولونيل مولري بين رجل  
أصم - أبكم وطائفة من الهنود الحمر المتكلمين بلغة الاشارات ، فأخذ  
الاصم - الأبكم يقص عليهم بالاشارات قصة طويلة تتعلق بمحادث سرقة ،  
وعقب على هذه القصة بتعليقات من عنده ، فلم يفهم فهم أي حركة من  
حركاته ، لاتباعها مع حركاتهم اللغوية (١) . »

ويذهب بعض العلماء الى أن هذه اللغة قابلة للإصلاح والتعديل ،  
وأنه لو طال استخدام الشعوب الانسانية لها لسارت في سبيل الارتقاء  
والكمال . والواقع يشهد بغير هذا ، إذ أن ترك الشعوب المتحضرة لها ،  
واستغنائهم عنها بلغة الكلام دليل عجزها عن التطور ومسايرة التقدم

١ - عن الوافي : علم اللغة ، ص ٧٨ .

البشري ، فهي باستثنائها بالأيدي وسائر الاعضاء تمنع الجسم من الاتيان  
بأي نشاط حين التعبير ، ثم إنها غير قادرة على التمييز إلا عن الأشياء  
المحسوسة فقط ، أما المعاني المجردة ، والاحاسيس الدقيقة ، ففيها عجز  
طبيعي عن التعبير عنها ، هذا الى ما تقتضيه من اسراف كبير في الوقت  
والمجهود .

## ٢ - لغات سمعية :

وهي التي تدرك علاماتها بالاذن . ولها أشكال كثيرة ، فمنها قرعات  
النواقيس والاجراس ، ومنها صفرات القطر والبواخر ، ومنها لغة الكلام  
الملفوظ . وهذه الأخيرة هي أجل اللغات شأناً ، وأعظمها خطراً ، لما  
امتازت به من السهولة والدقة والثراء في التعبير عن مختلف المعاني والمشاعر  
والاغراض ، وهي وحدها التي اتخذ منها فقه اللغة موضوعاً للدراسة  
والبحث ، واليها وحدها تنصرف كلمة ( اللغة ) عند إطلاقها .

## ٣ - لغات مشتقة :

وهي التي لا ترمز علاماتها للفكرة مباشرة ، بل ترمز للاصوات  
اللفظية المنطوقة التي هي بدورها رموز للفكرة . فبين هذا النوع من اللغات  
وبين الفكر تتوسط لغة الكلام . ولهذا النوع أشكال ، فمنها لغة الكتابة ،  
ولغة الاشارات البحرية ، ولغة الاشارات البرقية ، ولغة اشارات الاعلام  
عند الكشافة .

ولايضاح الفرق بين اللغات المشتقة وبعض اللغات السمعية أو البصرية  
فورد المثال الآتي :

تنتشر المجلات أحياناً قصصاً فكاهية قصيرة على شكل صور متتابعة  
ليس تحتمل كتابة أو تعليق . فاذا نظرنا الى هذه الصور بالتتابع فهمنا

المراد مباشرة ، فهذه اذن لغة بصرية ، أما إذا نظرنا الى أحد مقالات  
المجلة في بقية الصفحات فالتنا نرى حروفاً مطبوعة ، هذه الحروف ليست  
رموزاً للافكار ، فهي غير قادرة على اثارها بصورة مباشرة ، بل هي  
رموز لأصوات لغوية تثيرها فينا فينطقها لساننا سراً او علانية ، ثم تقوم  
هذه الاصوات بالرمز للافكار المقصودة . وبهذا تكون الكتابة لغة مشتقة  
من لغة الكلام لانها رموز لهذه اللغة .

واللغات المشتقة لغات اصطناعية لا طبيعية ، اخترعها الانسان ليتغلب  
بها على عوائق زمانية ( كما في حالة الكتابة ) او مكانية ( كحالاتي  
الاشارات البرقية والكتابة ) او على عوائق ناشئة من اختلاف اللسان  
بين الأقسام ( كحالة الاشارات البحرية ) .

## لغة الحيوان

هل عند الحيوان لغة كما عند الانسان ؟

إذا أردنا من اللغة مجرد الوسيلة للاتصال بالآخرين كان الجواب  
بالاجاب . فقد كشف العلماء عن وسائل كثيرة يتوصل بها الحيوان للاتصال  
بأفراد جنسه لتلبية حاجات غريزية متنوعة ، ولا سيما الحيوانات التي تعيش  
جماعات كالنحل والنمل والقردة والوعول وغيرها . فمن ذلك مثلاً ما تفعله  
النحلة العاملة إذا رأت مادة سكرية في مكان ما ، إذ تعود الى الخلية  
مسرعة حيث تقوم برقصة تشبه رقصة البطن ، فيفهم عنها سائر النحل  
الرسالة التي تحملها ، وقد لاحظ العلماء أن هزة البطن الواحدة تعني أن  
مكان المادة السكرية على بعد ستين متراً من الخلية ، وأن الهزتين تعنيان

بمبدأ مقداره مائة وعشرون متراً .. وهكذا ، كما أن رأس النحلة عند  
هز بطنها يشير الى الجهة التي بها المادة (١) .

أما إذا أردنا من اللفظة معناها الصحيح وهو التعبير الارادي عن  
الفكر فليس عند الحيوانات لغة من أي شكل من الاشكال ، فهذا النوع  
من التعبير شيء اخص به الانسان من بين كل المخلوقات ، أما ما نراه  
من الحركات والصرخات التي تصدر عن الحيوان بما نعتقد أنه لغة فليس  
إلا نوعاً من الاستجابات الغريزية لمؤثرات خارجية ، يأتيها الحيوان عن  
عدم وعي لمناها ، وهي هي منذ أقدم الأزمنة لم تتغير ولم تتطور ، خلقت  
معه كما خلقت غرائزه المختلفة . وليس الا وهما ما ذهب إليه بعضهم من  
أن الفصائل العليا من القرود تملك لغة حقيقية ، وكذلك ما ادعوه من  
أن هذه اللفظة تتألف من اثنتين وثلاثين كلمة (٢) .

## أصل اللفظة

يصر أكثر علماء اللفظة اليوم على إبعاد مسألة أصل اللفظة من مجال  
البحث اللغوي . ومع ذلك تجددهم ، وهم مشغولون ببيان عقم البحث في  
هذه المسألة ، تجددهم ينساقون بغير شعور منهم الى البحث فيها ، والى طرح  
نظرياتهم الخاصة (٣) .

- ١ - من برنامج تلفزيوني علمي بثته محطة دمشق في ١٩٦٩/٧/٦  
وانظر أيضاً : الرافي : علم اللفظة ص ٧٩ - ٨٨ ، فقد جمع طائفة  
كبيرة من ملاحظات العلماء في هذه المسألة .
- ٢ - انظر : الرافي : علم اللفظة ، ص ٨٥ .
- ٣ - انظر على سبيل المثال فندريس : اللفظة ، ص ٢٩ - ٤٢

والظاهر أنها مسألة لا تقبل إبعاداً ، كما لا تقبل إرجاء ، إنها إحدى المعضلات ( النقاقة ) - كما يقول كمال يوسف الحاج (١) - التي تريد منا جواباً سريعاً .

وفيما يلي سنعرض لتاريخ هذه المشكلة ولأهم ما قيل فيها :

#### ١ - عند الاغريق :

بدأت مشكلة أصل اللغة عند فلاسفة الاغريق من هذا السؤال :

« هل يعبر الاسم عن حقيقة الشيء المسمى به بالطبيعة أم بالتواطؤ ؟ »  
وبعبارة أخرى : إذا لفظنا كلمة ( شمس ) فهل يستطيع كل سامع لها ،  
مها يكن اللسان الذي يتكلمه ، ان يفهم منها ما يفهمه العربي ؟

اجاب هرقليطس عن هذا السؤال بالاجاب مقرر ان الاسماء تدل  
على مسمياتها بالطبيعة لا بالتواطؤ والاصطلاح ، وان هذه الاسماء قد اعطيت  
من لدن قوة إلهية لتكون اسما لمسمياتها .

وسميت هذه النظرية بالنظرية التوقيفية في اللغة .

اما ديمقريطس فقد اجاب بالنفي ، واعتبر منشأ اللغة عملية تواطؤية  
لان الاسم الواحد ذاته كثيراً ما يقبل عدة مسميات . ولأن الشيء الواحد  
كثيراً ما يقبل عدة اسماء . او قد يتبدل اسمه ولا يتبدل هو . وتوسماً  
بهذا البدأ انتهى ديمقريطس الى القول بان الاسماء تعطى للاشياء من لدن  
الانسان . لا من لدن قوة إلهية .

وسميت هذه النظرية بالنظرية التواطؤية في اللغة .

ظلت هاتان النظريتان تتجاذبان الفلسفة اللغوية عند الاغريق طوال تاريخهم . و افلاطون نفسه لم يأت بشيء جديد - حول المشكلة في كتابه « قراطيلس » سوى أنه حاول التوفيق بينها (١) .

## ٢ - عند القرب المسيحي في العصور الوسطى :

سيطرت النظرية التوقيفية في اللغة على التفكير المسيحي في القرون الوسطى سيطرة تامة . لكن برهانها لم يمد مستمداً من العقل ، بل من النقل . وكانت حجة القائلين بها ما جاء في الاصحاح الثاني من سفر التكوين :

« وقال الرب الاله لا يحسن أن يكون الانسان وحده فاصنع له عوناً بآرائه . وجعل الرب الاله من الارض جميع حيوانات البرية ، وجميع طير السماء ، واتى بها آدم ايرى ماذا يسميها ، فكل ما سماه به آدم من نفس حية فهو اسمه . فدعا آدم جميع البهائم وطير السماء وجميع وحش الصحراء باسماء (٢) .

غير ان هذه الآيات لا تنهض دليلاً قاطعاً على التوقيفية ، بل قد يكون فيها ما يدل على ضدها ، فظاهر الآية المثبتين أن آدم هو الذي أعطى الحيوانات اسماءها ، ولم يوح الله بها له .

ومع سيطرة التوقيفية لم نعد أن نجد في هذه الفترة من حاول التوفيق بينها وبين التواطؤية كما فعل افلاطون من قبل . نفي بذلك القديس غريغوريوس حيث يقول :

---

١ - انظر المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢١

٢ - الايات ١٨ - ٢٠

د أن يكون الله قد وضع في الطبيعة البشرية كل ملكاتها المألوفة ،  
فهذا لا يعني أنه علة كل الافعال المباشرة التي تقوم بها . أجل ، لقد  
وضع فينا ملكة بناء البيت ، كما وضع فينا الملكات المحققة للافعال الأخرى .  
لكننا نحن البانون لا هو . وهكذا قل عن اللغة . فهي ، قوة ، عمل  
الذي جبل طبيعتنا . إلا ان خلق الاسماء الاشياء يعود الى الانسان  
وحده (١) .

### ٣ - عند العرب :

تراوحت آراء العرب في هذه المسئلة بين التوقيفية والتواطؤية .  
والتوفيق بينها .

فبن فارس يعقد أول باب من أبواب كتابه ( الصحاحي ) على القول  
على لغة العرب أنوقيف ام اصطلاح ، فيقول (٢) : « إن لغة العرب توقيف .  
ودليل ذلك قوله جل ثناؤه « وعلم آدم الاسماء كلها » .

إلا أنه لا يكتفي بالدليل النقلي ، بل يحاول ، في سذاجة ، ان  
يجد لدعواه دليلاً عقلياً يستمد من طريقة قياس القار على الحاضر ، فيقول  
في معرض رده على من قال بالتواطؤ (٣) : « وخلة أخرى أنه لم يبلغنا  
أن قوماً من العرب في زمان يقار زماننا أجمعوا على تسمية شيء من  
الاشياء مصطلحين عليه ، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم .

« وقد كان في الصحابة ، رضي الله عنهم ، وهم البلغاء والفضحاء ،  
من النظر في العلوم الشريفة ما لا يخفاء به ، وما علمناهم اصطلاحوا على  
اختراع لغة أو احداث لفظة لم تقدمهم .

١ - عن كتاب فلسفة اللغة لكيال يوسف الحاج . ص ٢١

٢ - ص ٥

٣ - المرجع نفسه ، ص ٦ - ٧



« ومعلوم أن حوادث العالم لا تنقضي إلا بانقضائه ، ولا تزول إلا بزواله ، وفي ذلك دليل على صحة ما ذهبنا إليه من هذا الباب » .

وقد ذهبت طائفة كبيرة من علماء العربية الى أن اللغة اصطلاح لا الهام . نعلم ذلك مما جاء في ( الخصائص ) بهذا الشأن حيث يقول (١) :  
« واكثر أهل النظر على أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي وتوقيف .....  
وذلك بأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا الى الابانة عن الاشياء المعلومات ، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً إذا ذكر عرف به ما سماه ليمتاز من غيره ويغني بذكره عن إحضاره الى مرآة العين ، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره بلوغ الغرض في ابانة حاله » .

وحاول آخرون - منهم القاضي أبو بكر - التوفيق بين المذهبين ذاهبين الى أن كليهما ممكن وقوعه . فقوله تعالى « وعلم آدم الاسماء كلها » يعني أن التلميم قد حصل بالالهام ، أي بالقوة . لقد وضع الله في الانسان ملكة الخلق ، ثم تركه يخلق على هواه . وإذا سلمنا أن الاسماء قد اعطيت لآدم بالتوقيف ، فإن الذين جاءوا بعده لم يوقفوا عليها . لقد اصطلاح اولاده من بعده على لغاتهم . والدليل على ذلك قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه (٢) » .

والى جانب هؤلاء واولئك نجد طائفة تقول بنظرية جديدة لم نسمع بها من قبل ، لكن كلام ابن جني يشعر بقدمها وبكثرة القائلين بها .

١ - ج ١ ص ٤٠ - ٤٤

٢ - راجع كتاب ( الاحكام في اصول الاحكام ) لسيف الدين الامدي ، الجزء الاول ، القسم الثاني ، مصر ١٩١٤ .

ملخص هذه النظرية ان اللغة نشأت عن محاكاة الانسان للاصوات الطبيعية التي حوله . يقول ابن جني (١) : « وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو الاصوات المسموعة ، كدوي الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء وشحيج الحمار ، ونميق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، ثم تولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل » .

#### ٤ - عند الغروب في العصر الحديث :

تناول المشكلة في العصر الحديث طائفتان من الرجال : فلاسفة راحوا يبحثون عن اصل اللغة في علاقة الكلمة بالوجدان والفكر ، لا في علاقتها بالشيء المسمى كما فعل فلاسفة الاغريق من قبل ، ولنويون راحوا يبحثون عن اصل اللغة في مجالات لغوية صرفة .

فأما الفلاسفة فقد انقسموا الى ثلاث فئات :

١ - فئة انتهت الى التواطؤية . ويمثلها الفيلسوف الانكليزي ( لوك ) . وملخص نظريته ما يأتي :

الكلمات لا تعني ( اشياء ) بقدر ما تعني ( افكاراً ) . علاقتها بالباطن لا بالخارج . ولكن من اقام هذه العلاقة بين الكلمات والأفكار؟ أهو الله؟ ام هي طبيعة قضت ان يكون لكل فكرة كلمة تدل بجرس حروفها عليها؟ لا هذا ولا ذلك ، ولو كان شيء منها صحيحاً لتكلم الناس جميعاً لساناً واحداً .. ولأثارت الكلمات عينا ، في اذهان الجميع ، المعاني ذاتها . إذن من اقام هذه العلاقة؟ إنه الانسان . ولماذا؟ لأنه

---

١ - الخصائص ج ١ ، ص ٤٦ - ٤٧

أراد ان يروح عن نفسه . إنه اعطى افكاره وعواطفه اسماءها لكي ينقلها الى الآخرين فيخفف بذلك من لوايح نفسه .

وهكذا انتهى ( لوك ) الى امرين : الى ان اللغة تواطو ، ثم الى انها وسيلة لنقل الأفكار لا غاية .

٢ - وفئة انتهت الى التوقيفية . وهذه يمثلها المفكر الفرنسي ( دي بونالد ) . وملخص نظريته ما يأتي :

اللغة هي الفكر نفسه وليست شيئاً آخر غيره . اللغة ليست مجموعة كلمات ترمز الى افكار ، بل الكلمات هي الأفكار نفسها . إذا قلنا : نحن نفكر ، فكأننا قلنا : نحن نلنو . ولو ان كائناً سئلب اللغة لسلب القدرة على التفكير ايضاً . وبناء على هذا يستحيل ان يكون الانسان خالقاً للغة . لماذا ؟ لسبب بسيط ، هو انه لكي يخلق الانسان اللغة يجب ان يكون لديه فكرة واضحة عنها ، فلا يمثل ان يخلق خالق شيئاً لا يملك عنه اية فكرة ، ولكي توجد هذه الفكرة عن اللغة عند الانسان يجب ان يكون مفكراً ، اي ان يكون لاغياً ، ومعنى هذا انه لكي يخلق الانسان اللغة يجب أن يكون مالكاً للغة ، وبعبارة أخرى : إن وجود اللغة شرط لخلق اللغة ، أو : ان اللغة واجب وجود لمنشأ اللغة ذاتها . ولما كان هذا مستحيلاً على الانسان فقد وجب أن تكون اللغة هبة من لدن الله .

وهكذا انتهى دي بونالد الى امرين : الى أن اللغة توقيفية ، ثم الى أنها غاية لا واسطة .

٣ - وفئة ثالثة ارجأت الجواب عن هذه المسألة الى المستقبل . وزعيمها الفيلسوف ( لينتز ) الذي رفض التواطوية والتوقيفية على حد سواء ، ودعا الى القيام باستقراء شامل للالسن قبل الاجابة عن أي سؤال . فهو يقول :

إنّ اللسان بمثابة كتاب ، علينا أن نحسن القراءة فيه ، ولكي نحسن هذه القراءة ينبغي لنا أن نقرأ أولاً . إن اللسان أقدم تركه خلفها لنا التاريخي الانساني . هي أقدم شاهد على حقيقة البشر . لهذا يحسن بنا أن نعيد الاستماع الى هذا الشاهد الناطق . وكيف ذلك ؟ انه يكون بأن نحصي ، قبل كل شيء ، عدد اللسان في العالم ، وبأن نقابل ، بمد ذلك ، بعضها ببعض ، بالنسبة الى الماضي ، والى الحاضر ، لكي نعرف المستقبل . إن اللسان كائنات حية تتطور وفق نواميس مخصوصة . هذه النواميس لا يمكن معرفتها قليلاً . معرفتنا لها يجب أن تكون بديهية ، على غرار معرفتنا للأمور الطبيعية . متى أحصينا اللسان في العالم ، ودرسنا كل لسان على حدة ، ثم درسناه بالنسبة الى غيره من اللسان ، استطعنا أن نصل الى نتيجة حاسمة في معرفة نشأة اللغة وعلاقتها بالفكر فهذه الاسئلة لا يجاب عنها في اول الطريق ، أجوبتها بديهية . عملنا اليوم يجب أن ينحصر في الاستقراء .. استقراء الوقائع اللغوية واحدة واحدة قبل التسرع في اعطاء جواب تعسفي (١) .

وأما اللغويون فقد انقسموا هم أيضاً الى طوائف :

١ - طائفة ذهبت تبحث عن أصل اللغة في ألسن الأقاليم البدائية ، وحجة هؤلاء ، ومنهم العلامة وتي ، أن هذه الألسن التي لم يصبها التطور بتغيرات كبيرة تمثل شكلاً قريباً من لغة الانسان الاول ، وتستطيع أن تعطينا فكرة عن أصل اللغة ونشأتها . وإذ لاحظ هؤلاء العلماء أن لغات الأمم البدائية تشتمل على مفردات كثيرة تشبه أصواتها أصوات ما تبدل عليه ، قرروا أن اللغة نشأت عن طريق محاكاة الانسان للأصوات الطبيعية التي كان يسمعها حوله .

---

١ - راجع فيما يتعلق بآراء العالمة في اللغة كتاب الفلسفة اللغوية لكيمال يوسف الحاج ص ٢٤ - ٢٩

وهذه النظرية تدعية ، وقد ذكرها ابن جني قبل الف عام ، لكن القائلين بها اليوم يحاولون إقامة الدليل عليها من بحثهم في ألسن الأمم البدائية . ومع ذلك فقد تعرضت لقد شديد من فندريس الذي يقول (١) :  
« المتوحشون ليسوا بدائيين ، رغم الاسراف في تسميتهم بهذا الاسم في غالب الأحيان . فهم يتكلمون أحياناً لغات على درجة من التعقيد لا تقل عما في أكثر لغاتنا تعقيداً ، ولكن منهم من يتكلم لغات على درجة من البساطة تستخدم عليها أكثر لغاتنا بساطة . فهذه وتلك ليست إلا نتيجة تغيرات تقيب عنا نقطة البدء التي صدرت عنها . وإذا كان هناك من فرق بين لغات الشعوب التي تسمى منحضرة ولغات المتوحشين ، فهو في الأفكار التي تعبر عنها أكثر مما هو في العبارة نفسها . فلغات المتوحشين في وسعها أن تقيدها في معرفة ما بين الكلام والفكر من روابط ، وليس في معرفة ما كانت عليه الصورة البدائية للكلام » .

٢ - وطائفة راحت تبحث عن أصل اللغة بالنظر في اللسان القديمة ، أو بمقارنة الألسن الماصرة ، الوصول عن طريق المقارنة الى الكشف عن الالفاظ المشتركة بينها ، ذاهبين الى أن هذه الالفاظ المشتركة تمثل الرطانة الأولى التي نطق بها الانسان القديم .

ويأتي على رأس هذه الطائفة العلامة الالماني ( مكس مولر ) الذي بحث في أصول الكلمات في اللسان الهندية - الأوروبية . وظهر له بعد البحث أن مفردات هذه اللسان جميعها ترجع الى خمائة أصل مشترك ، وان هذه الأصول تمثل الرطانة الأولى التي انشعبت منها ألسن هذه الفصيلة ، فهي لذلك تمثل اللغة الانسانية في أقدم عهدها . وتبين له من تحليل هذه الأصول أنها تدل على معانٍ كلية ، وان لا تشابه مطلقاً بين اصواتها واصوات ما تدل عليه من فعل او حالة .

كان لما وصل إليه مولر من تحليله عدة نتائج : اولها ان اللغة الانسانية الأولى لم تكن تقليداً لأصوات الطبيعة ، خلافاً لما ذهب إليه أصحاب نظرية المحاكاة . إذ لو كان الأمر كما يقول هؤلاء ، لوجب أن يكون بين هذه الأصول الهندية - الأوروبية وبين ما تدل عليه تشابه في الأصوات . فلما لم يكن هذا التشابه حاصلًا بطلت دعوى نظرية المحاكاة . ثانياً أن اللغة الانسانية الأولى لم تكن نتيجة تواضع واتفق ، خلافاً لما ذهب إليه أصحاب النظرية التوافقية ، إذ لو كان الأمر كذلك ، وهو ما تأباه طبيعة النظم الاجتماعية ، لوجب أن يكون في أيدي المتواضعين وسيلة للتفاهم فيما بينهم ، ولا يمكن أن تكون هذه الوسيلة اللغة الصوتية ، لأن المفروض أن اللغة الصوتية هي موضوع التواضع وأول ما نطق به الانسان ، كما لا يمكن ان تكون لغة الاشارة ، لأن هذه الاصول الهندية - الأوروبية ، التي يدعى أن التواضع حاصل عليها ، تدل على ممان كلية ، أي على امور معنوية يتمدر استخدام الاشارة الحسية للدلالة عليها . ثالثاً ، وهو اهم ، أنه إذا بطل أن اللغة الانسانية كانت نتيجة تواضع واتفق ، وبطل كذلك انها نشأت عن محاكاة الانسان لأصواته الطبيعية وأصوات الحيوانات والاشياء ، لم يبق إذن إلا تفسير واحد معقول لهذه الظاهرة ، وهو أن الفضل في نشأة اللغة يرجع الى غريزة زود بها الانسان في الاصل للتعبير عن مدركاته ، وأن هذه الغريزة كانت متحدة عند جميع الأفراد في طبيعتها ووظائفها وما يصدر عنها ، وأنه بفضل ذلك اتحدت المفردات وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الانسانية الاولى ، فاستطاع الافراد التفاهم فيما بينهم ، وأنه بعد نشأة اللغة الانسانية الاولى لم يستخدم الانسان هذه الغريزة ، فأخذت تنقرض شيئاً فشيئاً حتى تلاشت ، كما انقرض لهذا السبب كثير من الغرائز الانسانية القديمة .

وعلى الرغم مما في نظرية الغريزة هذه من دقة وطرافة وعمق في البحث ، فقد تعرضت لهجوم عنيف يمكن تلخيصه فيما يأتي :

آ - إن هذه النظرية لا تحل شيئاً من المشكلة التي نحن بصدد حلها ، بل تكثف بأن تضع مكانها مشكلة أخرى أكثر منها غموضاً ، وهي مشكلة ( الغريزة الكلامية ) .

ب - إن ما تقوله يعتبر من قبيل تفسير الشيء بنفسه . فكل ما تقوله يمكن تلخيصه في العبارة الآتية « إن الإنسان الأول نطق اللغة لأنه كانت عنده غريزة النطق باللغة » وهذا مجرد تقرير للمشكلة في صيغة أخرى وليس حلاً لها .

ج - إن اللغويين مها اوغلووا في تاريخ الألسن ، فانهم لا يصلون إلا الى السن قد تطورت وتركت خلفها تاريخاً ضخماً لا نعرف عنه شيئاً . وإن فكرة الوصول الى إعادة بناء رطانة بدائية بمقارنة السن موجودة بالفعل سراب خادع . إن أقدم الألسن المعروفة ، حتى تلك التي تسمى ( بالأمهات ) لا شيء فيها من البدائية . ومما اختلفت عن السننا الحديثة ، فانها لا تفيدنا علماً إلا بالتغيرات التي طرأت على اللغة ، ولا تدلنا على شيء من كيفية نشأتها (١) .

٣ - وطائفة راحت تبحث عن اصل اللغة بدراسة اللغة عند الاطفال وطرق اكتسابهم لألسن والديه ، او بدراسة حالة الافراد الذين خلقوا صماً بكماً عمياً ، وظلوا صدرأ من حيواتهم منقطعاً عن العالم الخارجي الى ان تعلموا لغة المس (٢) .

---

١ - انظر فندرس : اللغة ، ص ٢٩ - ٣٠ . والوافي : علم اللغة ، ص ٩١ - ٩٤ .

٢ - من أشهر هؤلاء الفتاة الاميركية هيلين كيلر . فقد ولدت وايس معها غير حاسة المس للاتصال بالعالم الخارجي . ومع ذلك فقد تعلمت عدة ألسن وكتبت بها .

غير ان جهود هذه الطائفة لم تسفر عن نتيجة حاسمة ، لأن الأطفال لا يثيرون الانسان الاول في شيء ، فالانسان الاول ( خلق ) اللغة مدفوعاً بضرورات اجتماعية ، اما الاطفال فلا يخلقون اللغة في ادوار حياتهم الاولى ، لانهم يكتسبون لسان الوالدين فقط ، وهو لسان تام متكامل قد مضت عليه قرون من التطور والترقي . وحالة الاطفال تربينا كيف يكتسب اللسان ، ولا تمطينا أي فكرة عن كيفية نشأة اللغة الاولى . أما الصم البكم العمي فهم يشكون حالة شاذة ، ولا يمكن للحالة الشاذة أن تكون مقياساً لميلاد اللغة الاولى ميلاداً طبيعياً .

وأخيراً ، كيف السبيل الى معرفة أصل اللغة وكيفية نشأتها الاولى ؟

هناك تجربة مضمونة النتائج حاسمة الجواب في هذه المشكلة . يقترح علينا فندريس إجراؤها وان كان يحكم بسخف التفكير فيها ، يقول (١) : « في أحضان المجتمع تكونت اللغة . ولدت اللغة يوم أحس الناس بالحاجة الى التفاهم فيما بينهم ، وتنشأ من احتكاك بعض الاشخاص الذين يملكون اعضاء الحواس ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهم : الاشارة إذا اعوزتهم الكلمة ، والنظرة إذا لم تكف الاشارة . فالاختبار الذي يمكن اجراؤه ... هو أن يوضع طفلان او عدة اطفال بعضهم مع بعض يجهلون جهلاً تاماً كل شيء عن اللغة بمد إقصائهم إقصاء تاماً عن كل مؤثر تعليمي . عندئذ ، إذا غضضنا النظر عما قد يكون عندهم من استعدادات موروثية ، فليس من شك ، مهما كانت جنسيتهم ، في أن يخلقوا بغيرتهم لغة لحسابهم الخاص . وهذه اللغة لن تكون [ الفرنسية او الانكليزية او غيرها ] . ذلك بأن الحاجة توجه المصنوع حتماً الى العمل . ولا بد أن الاشياء عند البدء وقمت على هذا النحو . »



## الألسنة في العالم

كم يبلغ عدد الألسن في العالم ؟

الإجابة الدقيقة عن هذا السؤال عسيرة جداً إذ لم تكن متعذرة .  
وسبب ذلك عدة أمور أهمها :

١ - إن مفهوم ( اللسان ) مفهوم غير محدد ، فما يعبده بعض العلماء لساناً واحداً يعبده آخرون مجموعة ألسن ، وهذا هو حال العربية ولهجاتها العاميات . إن رسم حدود لسان ما مشكلة إن يقدر لها أن تحمل حلاً مرضياً . وقد صور ماروزو هذه المشكلة وحاول حلها بما يلي (١) :

« إن مشكلة حدود اللسان هي كمشكلة كتلة الرمل تقريباً : فحبتان من الرمل لا تصنعان كتلة ، وكذلك الثلاث من الحبات والمشر والمائة ، غير أن عشرة آلاف حبة تصنع كتلة ، فمعد أي عدد من الحبات تبدأ الكتلة ؟ ليس هناك من جواب غير القول : في لحظة ما من لحظات تزايد عدد الحبات نحس أن ما أمامنا هو كتلة . وكذلك ، هناك أوجه مختلفة من التعبير تجعل الأشخاص المتكلمين يقولون : نحن لا نتكلم ( الفرنسية ذاتها ) وهناك حد عنده يقول بعض الأشخاص المتكلمين عن بعضهم الآخر : إنهم لا يتكلمون ( الفرنسية ) . إنها النقطة التي ينقطع عندها التفاهم تقريباً بين المتخاطبين .

لكن المشكلة لم تحل ، لأن التفاهم لا ينقطع فجأة عند نقطة قابلة للتحديد ، فشان التفاهم كشأن كتلة الرمال تماماً . إذا تخاطبت مع أحد أصدقائي كان التفاهم بيننا تاماً ، أما إذا تخاطبت مع رجل من الأسكيمو فسيكون التفاهم بيننا معدوماً . وبين حالي التفاهم ، هاتين درجات غير متناهية . فمعد أي هذه الدرجات يمكننا القول : ههنا حد بين لسانين ؟

٢ - يضاف الى ذلك ان كثيراً من السن شعوب افريقيا والسكان الاصليين للأمريكتين لم يدرس بعد . وهاتان القارتان ، مع بعض الجزر في اوقيانوسيا ، من اكثر المناطق تعقيداً من الناحية اللغوية .

لهذا وذاك لم يبق امامنا إلا ان نقبل الاحصاء التخميني الذي يقدمه العلماء في هذا الصدد ، والذي يحصر عدد الألسن المتكلمة في العالم بين رقمي ٢٥٠٠ - ٣٥٠٠ لسان .

ويدخل في هذا الرقم السن شديدة التفاوت من حيث الأهمية وعدد الناطقين ، فملى حين يتكلم الصينية ثمانمائة مليون نسمة ، لا نجد للكشدايية ، وهي لسان بعض سكان جزيرة كمشانكا ، غير ألفين فقط من الناطقين . وقد ظهر من الاحصاء الذي نشره تسنير عام ١٩٢٨ أن تسمة وعشرين لساناً فقط كان لكل منها ما يزيد على عشرة ملايين ناطق ، أما عدد الألسن التي لها ثقافة من نوع ما فهو لا يزيد عن سابقه إلا قليلاً ، إذ ليس في العالم إلا خمسون لساناً فقط لها أدب مكتوب . وينخفض هذا العدد الى نصفه إذا كنا بصدد الألسن ذات الأهمية من حيث اتساع رقعة الأرض التي تنتشر فيها ، او من حيث الانتاج الأدبي العالمي الذي يكتب بها (١) .

## تصنيف الألسن

في تصنيف ألسن العالم نظريات كثيرة ، لكن أشهرها على الاطلاق اثنتان : نظرية شليفيل ، ونظرية مكس مولر .

١ - انظر 26 - 27 . P.P . op . cit . Perrot .

## ١ - نظرية شليغل :

نظر هذا العالم الى الألسن من حيث الطرق المختلفة التي تسلكها للتعبير عن الافكار فوجدما على ثلاثة أنواع :

### آ - ألسن متصرفة أو تحليلية : Flexiomelles, ou Analytiques

وتمتاز هذه الطائفة بان الكلمات فيها متصرفة ، أي تتغير ابتداءً ، فتتغير معانيها ، وبوجود أدوات نحوية تقوم بوظيفة الربط بين أجزاء الجملة ، وتحدد عمل كل جزء فيها ، ونسبته الى الأجزاء الأخرى ، فأما التصرف فمثاله من العربية ( كتب - يكتب - أكتب - كتاب - مكتوب - كتابة كَتَبَ - كَتَّبَ - كَاتَبَ ) ، وأما أدوات الربط فمثالها الواو والباء في قولنا ( كتب زيد وخاله كتاباً بالقلم ) .

### ب - ألسن لصيقة أو وصلبة أو تركيبية :

#### Agglutinantes, ou, Agglomerrantes, ou, Synthétique

وتمتاز هذه الطائفة بان تغير معاني الكلمات فيها لا يتأني عن طريق تغير الصيغة ، بل عن طريق لصق أحرف بأول الكلمة أو بنهايتها ، فما لصق بالأول سمي صدرأ Prefixe ، وما لصق بالآخر سمي عجزأ Suffixe . وبهذه الصدور والاعجاز تتوصل هذه الطائفة من الألسن الى ربط أجزاء الجملة وبيان علاقة كل جزء منها بالآخر .

### ح - ألسن هازلة : Isolantes

وتمتاز هذه الطائفة بان كلماتها غير قابلة للتصرف لا عن طريق تغير البنية والصيغة ولا عن طريق لصق حروف زائدة . فكل كلمة من كلماتها تنظم صورة واحدة لا تتغير ، وتدل على معنى ثابت لا يتبدل . كما ان هذه الألسن محرومة من الادوات النحوية التي تربط أجزاء الجملة وتدل

على علاقة كل جزء منها بما عداه ، وهي تضع كلماتها في الجملة بعضها الى جانب بعض ، أما وظائف الكلمات وعلاقتها فتفهم من ترتيبها او من السياق .

فمن الطائفة الاولى العربية وجميع الساميات والهنديات - الاورويات ، ومن الثانية اليابانية والتركية ، ومن الثالثة الصينية وكثير من السن الشعوب البدائية .

وتدعي هذه النظرية ان اللغة الانسانية كانت في اول نشأتها من النوع العازل ، ثم ارتقت فاصبحت من النوع اللاصق ، ثم اوغلت في الرقي حتى صارت من النوع المنصرف ، وان اللسان التي لا تزال حتى اليوم عازلة او لاصقة هي السن ووقفت في نموها عند مرحلة من مراحل التطور فلم تتجاوزها .

هذه النظرية لم تلق التأييد الكامل من علماء اللغة ، بل ان اكثرهم يرفضها لكثرة الشواهد الدالة على فسادها ، إذ ظهر لهؤلاء ان التصريف والاصق والعزل طرق ترى في كل لسان ، ولا يختص باحداها لسان دون آخر ، فالعربية ، وهي اكثر اللسان اعتمادا على التصريف ، تلجأ في بعض الاحيان الى الاصق للتعبير عن المعاني الجديدة ، ونظرة واحدة الى الفلمين ( جاوز - تجاوز ) ترى انه لا فرق بينها إلا في التاء التي الصقت بالفعل الثاني لتعدل بعض التعديل في معناه . كذلك تلجأ في بعض الاحيان الى طريقة العزل مستغنية عن الادوات النحوية بالترتيب لافادة المعنى وبيان العلاقات بين اجزاء الجملة ، فقولنا : ( ضرب موسى عيسى ) ليس فيه ما يفيد فاعلية موسى ومفعولية عيسى سوى الترتيب الذي جاءت عليه الكلمتان .

وما قيل عن العربية يقال مثله عن سائر اللسان . فكما تستعمل التصريف والاصق والعزل ولكن بنسب مختلفة .

لهذا السبب لا يمكن قبول هذا التصنيف ، كما لا يمكن التسليم بان اللغة الانسانية سلكت في تطورها هذا الطريق الذي ذكر .

## ٢ - نظرية مكس مولر :

نظر هذا العالم الى الالسن من حيث وجوه الاتفاق والاختلاف في فواحي المفردات وقواعد الصرف والنحو ، فبين له ان بعض هذه الالسن يشبه بعضها الآخر شهاً قوياً كالشبه الذي يكون بين الاخوة في الاسرة الواحدة ، فقرر تصنيفها الى اسر يجمع بين افراد كل اسرة منها وجوه من الشبه توحى بوحدة الاصل لافراد هذه الاسرة .

وكان ان قسم الالسن العالم الى اسر ثلاث :

## ١ - أسرة الالسن الهندية - الاوروية :

وهي اكثر الاسر اللغوية عدد السن وناطقين ، كما انها حظيت باهتمام خاص من علماء اللغة الغربيين لانتها السنتهم القومية إليها .

واشهر السنتها : الاغريقي ، واللاتيني ، والايطالي ، والفرنسي ، والاسباني ، والبرتغالي ، والروماني ، والارلندي ، والالمانني ، والهولندي ، والروسي ، والفارسي ، والسنسكريتي ، والارمني ، والالباني ، والحثي ، والطوخاري .. الخ (١) .

وبعض الشعوب الناطقة بهذه الاسرة هي ارقى الشعوب مدنية في العصر الحاضر ، واعظمها نشاطاً ، واكبرها شأناً ، واكثرها انتاجاً في مختلف فروع الحياة ، واجلها اثرا في الحضارة الانسانية الحديثة .

---

١ - انظر جدول الالسن الهندية - الاوروية .

وهذه الاسرة اللغوية هي اكثر الاسر انتشاراً ، إذ يتكلم بها الآن جميع سكان أوروبا وأمريكا وأستراليا وجنوب افريقيا ما عدا بعض جماعات قليلة من سكان هذه المناطق ، كما يتكلم بها قسم كبير من سكان آسيا كالفنود والفرس والافغانيين والاكراد والارمن .. الخ

ويرجع الفضل في انتشار هذه الاسرة الى عوامل كثيرة أهمها الغزو والاستعمار ، فعلى أثر غزو الآريين للهند انتشرت السنهم في هذه البلاد وقضت على السن السكان الاصليين فيها ، وعلى أثر استعمار الاوروبيين لأمريكا واستراليا وجنوب افريقيا انتقلت الى هذه المناطق الالسن الانكليزية والاسبانية والفرنسية .

أما الموطن الاول لهذه الاسرة فلا يعرف شيء يقيني عنه ، وقد ذهب العلماء بصدده مذاهب كثيرة تعتمد في معظم نواحيها على الحدس والتخمين ، وفي نواح أخرى على حجج ضعيفة لا يطمئن الي مثلها التحقيق العلمي : فمن قائل إنها نشأت باوروبا الشرقية بالمناطق الروسية ، ومن قائل إنها نشأت بمناطق بحر البلطيق .

وتمتاز هذه الاسرة بكثرة شعبها ، واتساع هوة الخلاف بين أفرادها ، وقد سلك كل لسان من ألسنها سبيلاً يختلف عن سبيل غيره ، فكثرت وجوه الخلاف بينها ، وتضادات وجوه الشبه ، حتى إن بعضها ل يبدو غريباً عن بعض ، ولا تظهر صلة قرابته به إلا بعد تأمل عميق . ويرجع السبب في ذلك الى عوامل كثيرة أهمها اختلاف البيئات التي انتشرت فيها هذه الاسرة ، واختلاف الشؤون الاجتماعية التي اكتنفت الناطقين بكل شعبة منها . وقد ترتب على هذه العوامل ان اختلف كل لسان منها عما عداه في درجة رقيه ومبلغ بعده عن أصوله الاولى . فمنها ما لا يزال جامداً على خصائصه القديمة كاللسان اللبثواني ، ومنها ما قطع في طريق

الارتقاء أشواطاً بعيدة كالأسن الأوروية الحديثة ( الألماني ، والفرنسي ،  
والانكليزي ) (١) .

## ٢ - الاسرة الحامية - السامية :

وتتألف هذه الاسرة من مجموعتين من الأسن : المجموعة السامية ،  
والمجموعة الحامية .

أما المجموعة الأولى فأشهر أسنها العربي ، والآرامي ، والمبري ،  
والكنعاني ، والأكدّي ، واليميني ، والحيتي . وستتكم على هذه المجموعة  
بشيء من التفصيل فيما بعد ، لأنها المجموعة التي ينتمي لساننا العربي إليها .

وأما المجموعة الثانية فأشهر أسنها المصري القديم ، والقبطي ،  
والبربري ، والكوشيتي وغيرها .

ومن هذا يظهر أن المنطقة التي تشغلها الاسرة الحامية - السامية  
أصغر كثيراً من المنطقة التي تشغلها الاسرة الهندية - الأوروية . كما أن  
الناطقين بهذه الاسرة لا يتجاوز عددهم اليوم أكثر من مائة وثلاثين مليوناً  
من البشر . ولكنها تمتاز بأن منطقتها متناسكة الاجزاء لا يتخللها أي  
عنصر أجنبي ، ويتألف من الناطقين بها مجموعة شديدة التجانس تتلاقى  
شعوبها في أصول واحدة قريبة ، وتتفق في أساليب الحياة ، ونوع الحضارة  
والنظم الاجتماعية (١) .

## ٣ - الاسرة الطورانية :

١ - انظر الرافي : علم اللغة ، ص ٨٣ - ٨٤

٢ - انظر المرجع نفسه ص ١٨٦

وتضم ما بقي من السن آسيا وأروبا بما لا يدخل في الأسرة الهندية - الأوروبية أو في الأسرة الحامية - السامية .

وأشهر أفرادها اللسان الصيني ، والياباني ، والستري ، والمغولي ، وهلم جرأ .

وليس بين أفراد هذه الأسرة وجوه شبه في المفردات ولا في القواعد . وإنما جعلت أسرة من قبيل الاصطلاح وتسهيل الدراسة فقط .

هذا التصنيف الثلاثي لم يلق الرضى التام من علماء اللغة ، لأنه ضم في الأسرة الحامية - السامية مجموعتين من الألسن دلت الدراسات الحديثة على أنه لا نسب يربط بينها أبداً ، ولأنه ضم في الأسرة الطورانية ألسناً شديدة التباعد ليس بينها وجه واحد من وجوه الشبه . ولأنه أهمل كثيراً من ألسن العالم فلم تدخل فيه ، مثل السن كثير من الشعوب الأفريقية ، والاسترالية ، والأمريكية .

لهذه الأسباب أدخل المحدثون من علماء اللغة تمديلاً طفيفاً على هذا التصنيف ، ثم أتموه بإضافة ما بقي من السن العالم فأصبح على الشكل التالي :

١ - الأسرة الهندية - الأوروبية .

٢ - السامية .

٣ - الحامية .

٤ - اليابانية .

٥ - الكورية .

٦ - لسان الاينو .

٧ - الأسرة الصينية - التبتية .



لهنري - اوريبي

<p><b>أفريقي</b> الأفريقي القديم</p>		<p><b>إيطالي - كافي</b> إيطالي</p>	<p>وعد من اللسان الذي كسبت به أنتل مودروس ، وبنية في المس الحادي أربع مجموعات من الهيكلية ، والاربية : والاربية - الكعبيسية ، والعربية الغربية ( والاربية ) المدرية ) الأفريقي الوسط ومن اللسان اللتانيك الحاد اليزيطي حن القرن السادس عشر - رننه انفتحت اليجات القلبية . الأفريقي القديم</p>	<p><b>إيطالي - كافي</b> إيطالي</p>	<p>وتقتله ثلاث مجموعات من اليجات وقد عدت من عدد من اليجات الاربية ، الاربية ، الخ ) وقد عدت اليجات التي تبت لسان أدريا في القرن الثاني قبل الميلاد وقد وجد مرتبها بأفريقي وي سالت أهل البرزة البريطانية الكبرى وقد تبت في اللسان القاري فلندن اللسان البريتانيك القديم (٥) ولسان البريتانيك القديم (٥) . من جانب عظم من الارجية . والبريتانيك القديم (٥) واللاربي القديم لا من الألفبتي ، الذي فاصده منه اللان الرومانية تحت الإسكندرية القديمة : الإيطالي ، اللاربي ، الاربية ، اللاربي ، الخ (٥) والاربية ، الخ (٥) والاربية ، الخ (٥) والاربية ، الخ (٥) والاربية ، الخ (٥) والاربية ، الخ (٥)</p>	<p><b>إيطالي - كافي</b> إيطالي</p>	<p>وتعد من اللسان الذي كسبت به أنتل مودروس ، وبنية في المس الحادي أربع مجموعات من الهيكلية ، والاربية : والاربية - الكعبيسية ، والعربية الغربية ( والاربية ) المدرية ) الأفريقي الوسط ومن اللسان اللتانيك الحاد اليزيطي حن القرن السادس عشر - رننه انفتحت اليجات القلبية . الأفريقي القديم</p>	<p><b>إيطالي - كافي</b> إيطالي</p>	<p>وتعد من اللسان الذي كسبت به أنتل مودروس ، وبنية في المس الحادي أربع مجموعات من الهيكلية ، والاربية : والاربية - الكعبيسية ، والعربية الغربية ( والاربية ) المدرية ) الأفريقي الوسط ومن اللسان اللتانيك الحاد اليزيطي حن القرن السادس عشر - رننه انفتحت اليجات القلبية . الأفريقي القديم</p>	<p><b>إيطالي - كافي</b> إيطالي</p>	<p>وتعد من اللسان الذي كسبت به أنتل مودروس ، وبنية في المس الحادي أربع مجموعات من الهيكلية ، والاربية : والاربية - الكعبيسية ، والعربية الغربية ( والاربية ) المدرية ) الأفريقي الوسط ومن اللسان اللتانيك الحاد اليزيطي حن القرن السادس عشر - رننه انفتحت اليجات القلبية . الأفريقي القديم</p>
<p><b>أفريقي</b> الأفريقي القديم</p>	<p>وعد من اللسان الذي كسبت به أنتل مودروس ، وبنية في المس الحادي أربع مجموعات من الهيكلية ، والاربية : والاربية - الكعبيسية ، والعربية الغربية ( والاربية ) المدرية ) الأفريقي الوسط ومن اللسان اللتانيك الحاد اليزيطي حن القرن السادس عشر - رننه انفتحت اليجات القلبية . الأفريقي القديم</p>	<p><b>إيطالي - كافي</b> إيطالي</p>	<p>وتعد من اللسان الذي كسبت به أنتل مودروس ، وبنية في المس الحادي أربع مجموعات من الهيكلية ، والاربية : والاربية - الكعبيسية ، والعربية الغربية ( والاربية ) المدرية ) الأفريقي الوسط ومن اللسان اللتانيك الحاد اليزيطي حن القرن السادس عشر - رننه انفتحت اليجات القلبية . الأفريقي القديم</p>	<p><b>إيطالي - كافي</b> إيطالي</p>	<p>وتعد من اللسان الذي كسبت به أنتل مودروس ، وبنية في المس الحادي أربع مجموعات من الهيكلية ، والاربية : والاربية - الكعبيسية ، والعربية الغربية ( والاربية ) المدرية ) الأفريقي الوسط ومن اللسان اللتانيك الحاد اليزيطي حن القرن السادس عشر - رننه انفتحت اليجات القلبية . الأفريقي القديم</p>	<p><b>إيطالي - كافي</b> إيطالي</p>	<p>وتعد من اللسان الذي كسبت به أنتل مودروس ، وبنية في المس الحادي أربع مجموعات من الهيكلية ، والاربية : والاربية - الكعبيسية ، والعربية الغربية ( والاربية ) المدرية ) الأفريقي الوسط ومن اللسان اللتانيك الحاد اليزيطي حن القرن السادس عشر - رننه انفتحت اليجات القلبية . الأفريقي القديم</p>	<p><b>إيطالي - كافي</b> إيطالي</p>	<p>وتعد من اللسان الذي كسبت به أنتل مودروس ، وبنية في المس الحادي أربع مجموعات من الهيكلية ، والاربية : والاربية - الكعبيسية ، والعربية الغربية ( والاربية ) المدرية ) الأفريقي الوسط ومن اللسان اللتانيك الحاد اليزيطي حن القرن السادس عشر - رننه انفتحت اليجات القلبية . الأفريقي القديم</p>		

Marrouzeau: La Linguistique: ٣٠٠



- ٨ - الأسرة الاسترالية - الآسيوية .
- ٩ - / الدرافيدية .
- ١٠ - / القوقازية الشمالية .
- ١١ - / القوقازية الوسطى .
- ١٢ - / الآسيوية القديمة ( منها اللسان السومري ) .
- ١٣ - / التركية والمنغولية والنشورية .
- ١٤ - / الفينية .
- ١٥ - لسان الباسك .
- ١٦ - الأسرة الهيبوربية .
- ١٧ - / الملاوية - البولينية .
- ١٨ - السن سكان استراليا الأصليين .
- ١٩ - السن سكان أمريكا الأصليين .
- ٢٠ - السن السودان وغانة .
- ٢١ - الأسرة البنطوية .
- ٢٢ - السن البوشيان والهونتوت والنيجرين (١) .

---

١ - انظر تفصيل ذلك في كتاب علم اللغة للوافي ، ص ١٨٠ - ١٩٧

## الساميون والالسن السامير

قبل الدخول في البحث عن الساميين وألسنتهم يجب ان ننبه الى ما يأتي : في نظرية تصنيف الالسن الى أسر افتراضان او دعويان : اولها أن الالسن التي من أسرة واحدة قد انحدرت عن لسان واحد هو أب لها جميعاً ، أو هو سلف أعلى لها ، والثانية ان الشعوب الناطقة بألسن أسرة واحدة شعوب يجمع بينها وحدة عنصرية دموية .

وإذا كانت الدعوى الاولى مما لا يمكن إقامة الحجة له او عليه ، لبعد العهد بأصول هذه الالسن وايضاها في الزمن الى ما قبل التاريخ ، فان الدعوى الثانية قد ظهر فسادها بشواهد من التاريخ كثيرة . فما أكثر الشعوب التي تنطق اليوم بالاسبانية في امريكا اللاتينية وليس بين هذه الشعوب وبين الاسبان صلة من دم او عرق . وما يقال عن الناطقين بالاسبانية في امريكا يقال مثله عن الناطقين بالفرنسية في إفريقيا وعن الناطقين بالانكليزية في أقطار متفرقة من العالم . بل ان الشعب الفرنسي نفسه اوضح مثال على فساد هذه الدعوى : فهذا الشعب ، كما هو ثابت تاريخياً ، ينحدر عن مجموعتين من القبائل ، هما قبائل الفرنك ، وقبائل الكلت ، ويسكن أرضاً لم تكن لاسلافه ، وهي بلاد الغال ، ثم يتكلم بلسان مشتق من اللسان اللاتيني الذي لا علاقة له ببلاد الغال ولا بقبائل الفرنك .

إن إقامة علاقة ضرورية بين الاصل العنصري لشعب ما وبين اللسان الذي يتكلم به لم تمد من الامور المسلمة لدى علماء اللغة اليوم ، فقد ثبت لهم بشواهد كثيرة لا ترد انه يحدث ان يترك شعب لسانه القومي ويتخذ لنفسه لساناً آخر لاسباب سياسية او اجتماعية او غير ذلك .

كانت هذه المقدمة ضرورية لكيلا يفهم القاريء من كلمة الساميين اننا نتحدث عن أقوام تجمع بينهم وحدة النسب . بل يزيد على ذلك فنقول : إن بعض المؤرخين اليوم يشكك في سامية العبريين ، ويعتقد أنهم طرأوا على المنطقة من مكان مجهول ، ثم اختلطوا باهلها وهجروا لسانهم الذي كان لهم من قبل ، وتكلموا بلسان جيرانهم من الكنعانيين ، ثم تطور هذا اللسان الكنعاني في أفواههم فكان منه ما سمي باللسان العبري .

ونحن - وإن كنا لا نميل الى الاخذ بهذا الرأي قبل قيام الحجج الكافية والبراهين القاطعة على صحته - فاننا نعرضه ههنا لتأكيد أنه لا صلة لازمة بين الأصل المنصري لشعب من الشعوب وبين اللسان الذي يتكلم به هذا الشعب .



وبعد ، فمن الساميون ؟ وما أسنتهم ؟

تطلق كلمة الساميين على مجموعة من الأمم سكنت منذ غابر الأزمان أجزاء من غرب آسيا وشرق إفريقيا ، هي ، على سبيل الحصر ، الجزيرة العربية ، والشام ، والعراق ، وسيناء ، وبلاد الحبشة .

وأول من اطلق هذه التسمية هو العلامة شلوتسر في إبحاثه وتحقيقاته في تاريخ الأمم العابرة سنة ١٨٧١ . وقد أخذها من الجدول الخاص بأنساب نوح عليه السلام الوارد في التوراة (١) ، هذا الجدول الذي ينص

---

١ - سفر التكوين ، الاصحاح العاشر .

على ان سام بن فوح هو اب لكل من الأشوريين والآراميين والعرب والكنعانيين ... الخ . ثم تابعه في ذلك من جاء بعده من علماء اللغة والتاريخ . وعلى الرغم من ما أخذ بعضهم على هذه التسمية ، فإنها دأصلح وأوفق ما اهتدى إليه العلماء لتسمية كتلة الامم التي كانت تقطن في بلاد آسيا الدنيا ، والتي كوت وحدة دموية ولفوية مستقلة (١) .

اما الألسن السامية فهي جملة الألسن التي تكلمت بها الأمم السامية ، سواء منها ما عبر واندر كالأكدية والسبئية وغيرها ، وما لا يزال باقياً حتى اليوم كالعربية والعبرية والسريانية . وهي السن تجمع بينها وجوه كثيرة من الشبه توحى بوحدة الأصل لها جميعاً ، وبأنها كانت في غابر الأزمان لساناً واحداً ، او لهجات متعددة للسان واحد . هذا اللسان السامي الاول المفروض لا نعلم عنه شيئاً ، وكل الجهود التي بذلها العلماء لمعرفة شيء يقيني عنه ذهبت ادراج الرياح ، واقتنعوا أخيراً د ان من العبث إطالة البحث في امر غامض مجهول نشأ ونما في عصور سبقت العصور التاريخية (٢) .

ولما كانت نظرية الاسر اللغوية تفترض وحدة الاصل العرقي للأمم الناطقة بألسن من اسرة واحدة تساءل العلماء عن الموطن الاصلي لهذا الشعب السامي الاول الذي تفرعت عنه الشعوب السامية . وقد ذهب العلماء في الجواب عن هذا السؤال مذاهب شتى :

فبعضهم يزعم ان المهد الاصلي للساميين انما هو ارض ارمينية بالقرب من حدود كردستان . بل يذهب ( نولدكه ) الى القول ان هذه المنطقة هي المهد الاصلي للأمم السامية والامم الهندية الاوروبية جميعاً .

١ - ولفسون : تاريخ اللغات السامية ، ص ٣ .

٢ - المرجع نفسه ص ٤

اما العلامة ( غويدي ) فيذهب الى ان جنوب العراق على نهر  
الفرات كان المهدي الاول للساميين ، ويبرهن على صحة دعواه بسرد طائفة  
من الكلمات وجدت في كل اللسان السامية وهي ذات علاقة قوية بطبيعة  
تلك المنطقة . إلا ان نولدكه يعارضه في هذه النظرية معارضة شديدة  
ويقول إن من العبث ان نعتمد في اثبات حقيقة كهذه على جملة كلمات ليس  
ما يثبت لنا ان جميع الساميين أخذوها عن أهل العراق ، ثم يذهب في  
تأييد معارضته الى سرد بعض كلمات عن الحيوان وال عمران كانت ولا شك  
عند جميع الأمم السامية من أقدم الازمنة مثل جبل وصبي وخيمة وشبيخ  
واسود وضرب ، فهذه المعاني تختلف تسميتها ، فكل لسان سامي منها  
يسميا باسم يفاير الاسم الذي يطلقه عليه اللسان الآخر ، مع انها أجدر  
المعاني بان يكون لها لفظ مشترك في كل اللسان السامية لأنها كانت  
موجودة عند الجميع حين كانوا أمة واحدة وحين تفرقوا أما شتى (١) .

ويزعم بعضهم ان بلاد الحبشة هي الموطن الاول للساميين ، كما يزعم  
غيرهم ان هذا الموطن كان بلاد اليمن او القسم الجنوبي الغربي من جزيرة  
العرب .

غير ان أرجح الأقوال ، والذي يكاد الاجماع ينمقد عليه من أكثر  
المحققين هو ان جزيرة العرب - من غير تحديد لمنطقة من مناطقها - كانت  
الموطن الأصلي لكل الشعوب السامية . ويستدلون على ذلك بأمر منها  
ان التاريخ القديم قد صرح بخروج كثير من الامم السامية من هذه  
الجزيرة مثل الأكديين والآراميين والكنعانيين وغيرهم ، ومنها ان جميع  
الامم السامية تغلب عليها صفات البداوة ، والأخلاق والطبائع الصحراوية ،  
ولا تفسير لذلك إلا أن تكون هذه الامم قد عاشت ادوار حياتها الاولى  
في منطقة صحراوية ، وهذه المنطقة هي جزيرة العرب لا غيرها . ويذهب

بعض أصحاب هذا الرأي الى ان جميع الامم السامية هم من العرب ،  
وانهم خرجوا من جزيرتهم الى ما يجاورهم من البلاد في شكل موجات  
بشرية بين كل واحدة وواحدة ما يقرب من ألف سنة ، وان أول هذه  
الموجات كانت موجة الأكديين ، وان آخرها كانت موجة العرب المسلمين .

وإليك الآن موجزاً لتاريخ الأمم السامية وألستها :

### ١ - الأكديون ولسانهم :

هكذا يسميهم علماء اللغة ناسين إياهم الى المنطقة التي سكنوها في  
جنوب العراق والتي عرفت باسم ( أكّد ) ، او الى لسانهم السامي الذي  
كانوا يتكلمونه والذي سمّوه هم باللسان الأكدي كما تظهر ذلك بعض  
النقوش السامرية . ويسميهم آخرون بالبابليين نسبة الى بابل التي بنوها  
وجعلوها عاصمة لهم . كما يسميهم آخرون بالكلدانيين نسبة الى إحدى الاسر  
التي حكمت بابل خلال تاريخها الطويل . وهناك من يطلق عليهم اسم  
البابليين - الاشوريين جامعين تحت هذا الاسم كل القبائل السامية التي  
سكنت العراق اثر الموجة السامية الاولى . فأما البابليون فهم سكان بابل  
والجنوب ، وأما الآشوريون فهم سكان آشور في الشمال .

هؤلاء القوم ، على اختلاف الاسماء التي ذكرناها لهم ، هم قبائل  
سامية خرجت من الجزيرة العربية ، أو من ناحية سورية - على خلاف  
في ذلك - الى العراق فأقامت فيه . وكان ذلك حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل  
الميلاد .

فأما الجنويون منهم فقد أسسوا مملكتهم في جنوبي العراق ، وفي  
أشهر ملوكهم ، وهو سركون الاول ( حوالي ٢٨٠٠ قبل الميلاد ) عاصمة  
بابل ( بابل ) أي باب الله التي غدت أشهر مدينة في العالم القديم .



وامتد نفوذ هذه الدولة حتى شمل كل العراق وسورية وفلسطين ، ووصل الى البحر الابيض المتوسط ، وانتقل الى جزيرة قبرص .

ولم تكن منطقة جنوب العراق خالية من السكان قبل مجيء الساميين اليها ، بل كان فيها شعب يسمى الشعب الشومري نسبة الى شومر ، وهي المنطقة الجنوبية من العراق المسماة بالخليج العربي . وهذا الشعب الشومري المهور لا يعرف عنه العلماء شيئاً : فهو ليس سامياً ولا هندياً - اوروبياً وتاريخ هجرته الى هذه المنطقة مجهول ، كما ان لسانه لا يدخل في احدي الاسر اللغوية المعروفة ، لذلك ضمه علماء اللغة الى اسرة اللسان الاسيوية القديمة ، كما ذكرنا سابقاً .

غير ان العلماء عرفوا جوانب اخرى من حياة هذا الشعب الغامض ، فقد ظهر لهم من النقوش المسارية التي بقيت لنا منه أنه كان ذا حضارة راقية في الحساب والفلك والتشريع لا تقل عن حضارة قدماء المصريين المعاصرين له ، وان هذه الحضارة كانت الاساس الذي بنى عليه الساميون الوافدون حضارتهم الخاصة .

لم ينقرض الشومريون بمجيء الساميين الى العراق ، بل ترك لهم البابليون الفاتحون منطقة شومر سكناً لهم ، وهي منطقة تمتد من جنوب مدينة بابل الى الخليج العربي ، وفي فترات ضعف البابليين كان نفوذ هؤلاء الشومريين يقوى ، بل انهم استولوا على بابل نفسها في بعض الاحيان ومدوا نفوذهم حتى الشاهل .

هذا ماجرى للساميين في الجنوب ، اما في الشاهل فقد استت قبائلهم مملكة كانت عاصمتها آشور ، وهي بلدة صغيرة تقع في المنطقة المسماة باسمها ، والمحصورة بين نهري الزاب الصغير والزاب الكبير ، ثم انتقلت

العاصمة الى مدينة كالاح حوالي سنة ١٢٩٠ قبل الميلاد الى ان جاء الملك  
سركون الآشوري فجعل العاصمة مدينة نينوى التي صارت ذات مكانة  
عظيمة وشهرة كبيرة .

كانت آشور أول عهدا خاضعة لحكم بابل أو لفوذها الديني  
والفكري على الاقل ، وفي عهد ملكها شلمنأسر الاول ( حوالي ١٣٠٠  
ق . م ) استقلت ثم اصبحت المنافس الخطير لبابل ، بل لقد نشبت  
حروب طاحنة بين الملكين الاختين دامت مدة الف سنة وانتهت بنصر  
بابل وخراب مدينة نينوى العظيمة .



معلوماتنا عن اللسان الاكدي قليلة جداً اذا ما قورنت بما نعرفه  
عن السن سامية اخري كالعربي مثلاً . وذلك لأن المادة اللغوية التي  
وصلتنا لهذا اللسان عن طريق النقوش المسارية قليلة جداً ، فهذه النقوش  
على كثرة ما اكتشف منها حتى الآن ، ضئيلة المادة بسبب تشابه  
الموضوعات التي طرقها . يضاف الى ذلك ان الخط المساري الذي استعير  
من اللسان الشومري لكتابة اللسان الاكدي قد اخفى كثيراً من المعالم  
الصوتية لهذا اللسان الاخير . ومع ذلك يمكننا أن نوجز ما نعرفه عن  
اللسان الاكدي فيما يأتي :

آ - ظل اللسان الاكدي بمبدأ عن ميادين الثقافة زمنياً طويلاً  
بمد توغل الاكديين في العراق . وفي اثناء ذلك كان اللسان الشومري  
هو لسان الثقافة والدين والعلم للشومريين والاكديين على السواء .

ب - بعد ان رسخت اقدام الاكديين في العراق ، وشعروا  
بالعزة في كل ما يتعلق بأمورهم بدأوا يكتبون لسانهم السامي البابلي

بالخط الشومري المسباري . وقد مر هذا الخط في مرحلتين : مرحلة تصويرية كانت فيها اللمامة تعني فكرة ، ومرحلة صوتية كانت فيها اللمامة تعني مقطعاً صوتياً من مقاطع الكلمة . وعلى الرغم من صعوبة هذا الخط وشدة تعقيدته كتب له من الذبوع والانتشار في المصور القديمة ما لم يكتب مثله الا للخط اللاتيني والعربي في المصور الحديثة . فقد ظل مستعملاً آلاف السنين عند امم مختلفة منها قبائل عيلم والفرس وارمنيا وفلسطين ، حتى ان فرعون مصر آمون حوطف الرابع كان يرسل امراء فلسطين بهذا الخط ، كما ان اللسان الاكدي ظل يكتب به نحو ثلاثة آلاف سنة على اقل تقدير ، أي الى نحو قرن واحد قبل الميلاد حين اخذ هذا الخط يتوارى عن العيون (١) .

ج - تبين من فحص الخط المسباري ان ابجديته لا تحتوي الا على ثمانية عشر حرفاً فقط وهي : ا - ب - ج - د - ز - ح - ط - ك - ل - م - ن - س - ب - ص - ق - ر - ش - ت .

أما حروف التضخيم كالطاء والظاء والضاد ، وحروف الحلق كالحاء والعين والغين والهاء ، وهي الحروف التي تعتبر من ابرز خصائص اللسان السامية فلا أثر لها في الابجدية المسبارية .

وهنا يبرز سؤال خطير : هل فقد الاكديون هذه الاصوات السامية بسبب اختلاطهم بالشومريين والتواء الستمهم برطانتهم ؟ أم ان الخط المسباري الذي صنع اول امره ليعبر عن اصوات اللسان الشومري كان اضيق من أن يتسع لأصوات اللسان الاكدي ، فظل الاكديون محافظين

على اصوات لسانهم وان كان الخط يضيق عن تمثيل هذه الاصوات ؟  
أكثر العلماء يميلون الى ترجيح الامر الثاني (٢)

د - ظل اللسان الاكدي في صراع عنيف مع اللسان الشومري  
مدة طويلة من الزمن . وكان لذلك اثر واضح في انحرافه بصورة محسوسة  
عن أصله السامي ، ومع ذلك ظل محتفظاً بألفاظ سامية قديمة كثيرة لم  
يحتفظ بها اللسان العربي . مثل alpo ( = بقرة ) و pamati  
( = مكان مرتفع ) و quaqudu ( = جمجمة ) .. وغير ذلك .

هـ - ظل اللسان الاكدي محتفظاً ببعض مظاهر الاعراب الذي  
يتمتد انه كان من خصائص اللسان السامي الاول ، والذي تخلصت منه  
اللسن السامية ما عدا العربية الفصحى . وحركات الاعراب في الاكدي  
اثنتان فقط هي الضمة والكسرة .

و - يكتب الخط السامري باتجاه مخالف لبقية الخطوط السامية ،  
أي من الشمال الى اليمين .

هـ - أبرز آثار اللسان الاكدي في اللسن السامية الاخرى هـو  
احياء اشهر السفة الاثني عشر :

نيسان	نيسانو	Nissanu
أيار	ايرو	Iyaru
حزيران	سيانو	Simanu
تموز	دوزو	Duzu
آب	آبو	Abu

٢ - انظر المرجع نفسه ص ٢٩

ابول	أولولو	Ululu
تشرين الاول	تشرينو	Tisritu
تشرين الثاني	أرح سمنا	Arah samna
كانون الاول	كيسليمو	Kislimu
كانون الثاني	طبتو	Tebtu
شباط	شباطو	Sabatu
آذار (١)	أذارو	Addaru

## ٢ - الكنعانيون ولسانهم

هم قبائل سامية ينساب الاعتقاد انها خرجت من الجزيرة العربية نحو سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد واستوطنت بلاد الشام التي لايشير التاريخ الى انها كانت مسكونة بأحد قبل وصول الكنعانيين اليها . ومع ذلك فان المؤرخين يميلون الي الظن بأن اقواماً مجهولين كانوا يسكنون هذه المنطقة، لانه لا يعقل ان تكون الشام خالية من السكان قبل الكنعانيين وهي الطريق التجارية الوحيده بين العراق وشرقاً ومصر غرباً والاضول شمالاً . ومهما يكن فليس هناك ما يؤكد ان البلاد الشامية المشهورة مثل صيدا وصور وحيفا والقدس كانت موجودة قبل الغزو الكنعاني .

أسس الكنعانيون مجموعتين من الممالك في الشام : مجموعة داخلية انقرضت سريعاً بوصول العنصر الآرامي والاسرائيلي ، ومجموعة ساحلية ظلت تقاوم حتى القرن الاول الميلادي ، كما أسسوا مستعمرات لهم في الخارج كان من اشهرها : مملكة قرط حداث ( قرطاجنة )

١ - راجع الباب الثاني من كتاب تاريخ اللغات السامية لولفتسون حيث ترى تفاصيل أخرى عن اللسان الاكدي ، ونماذج من النقوش المسارية .

( = القرية الحديثة ) في شمال افريقيا .

تميز الكنعانيون عن ساثر اخوتهم من الساميين بروحهم العملي ،  
وبمدهم عن التفكير الطويل بغير المحسوس . وانصب جـل اهتمامهم على  
الزراعة والتجارة ، بل ان ( ارواد ، وجبال ، وصيدا ، وصور ) كانت  
في واقعها ممالك تجارية بالدرجة الاولى ، شديدة الشبه بالجمهوريات التجارية  
الايطالية التي تأسست بمد ذلك بمدة طويلة في مدن جنوى والبندقية  
وغيرهما .



معلوماتنا عن اللسان الكنعاني قليلة جداً . وذلك بسبب قلة  
النصوص التي خلفها الكنعانيون . اذ كان هذا الشعب قليل الاهتمام  
بتدوين حضارته على عكس اشقائه من الساميين . وعلى الرغم من ان  
قرت حدش ( بالقرب من تونس الحالية ) تعد أغنى المناطق بالآثار الكنعانية ، فان اقدم  
نقش عثر عليه فيها لا يعود الى ما قبل القرن الرابع قبل الميلاد . أما  
اقدم نقش كنعاني كشف في شمال سورية فيعود الى القرن التاسع  
قبل الميلاد .

على ان كل آثار اللسان الكنعاني ، سواء ما وجد منها في وطنهم ،  
وما وجد في مستعمراتهم ، تدل على عظم قرب هذا اللسان من اللسان  
المبري ، وهذا ما ساق بمض العلماء الى الاعتقاد بان المبري ليس إلا  
لهجة من لهجات الكنعاني ، او ان المبري والكنعاني لسان واحد  
لا اثنين .

وعلى كل حال ، فان اعظم ما قدمه الكنعانيون الى العالم هي ابجديتهم  
الصوتية المهجائية التي مثلت كل صوت من اصوات الالفة بعلامة خاصة ،  
والتي عدت اساساً لجميع ابجديات العالم المتمدن في الشرق والغرب . واقدم

شكل لهذه الابدجية عثر عليه حتى الآن، هو ما كشف في سنة ١٩٢٦ في رأس شمراء على بعد بضعة كيلو مترات شمال مدينة اللاذقية على الساحل السوري .

ويرتد تاريخ هذه الابدجية الاوغاريتية ( نسبة الى المدينة الكنعانية القديمة التي جرى التنقيب في خرائبها ) الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد (١) .

### ٣ - العبريون ولسانهم :

يراد بالعبريين جملة الشعوب التي ترقى بأنسائها الى ابراهيم الخليل عليه السلام وهي : بنو يعقوب ، وبنو اسماعيل ، وبنو مدين ، والمباقة ، وآل آدوم ، واهل موآب وعمون . أما اذا أطلقت كلمة العبريين فلا تنصرف الا الى ابناء يعقوب وحدهم ، أي بني اسرائيل .

وقد اختلف العلماء في معنى كلمة عبري : فمن ذاهب الى انها لقب كان لابراهيم الخليل بعد ان عبر النهر ، ومن قائل انها نسبة ابراهيم الى أحد اجداده الذي عرف باسم عبر (٢) . لكن الاقرب الى المعقول ما ذهب اليه اسرائيل ولفنسون (٣) من ان الكلمة كما يدل عليها اشتقاقها في اللسانين العبري والعربي تدل على الرحلة والتنقل ، وانها اطلقت على العبريين لانهم كانوا بدواً لا يستقرون في مكان ، وانهم لما استوطنوا ارض كنعان ( فلسطين ) ، وعرفوا المدينة والحضارة صاروا ينفرون من كلمة

١ - لتوسم انظر الباب الثالث من المرجع السابق

٢ - سفر التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٥

٣ - تاريخ اللغات السامية ص ٧٧ - ٧٨

عبري التي تذكرهم بحياتهم الاولى ، حياة البداوة والخشونة ، واصبحوا  
يؤثرون أن يعرفوا باسم بني اسرائيل فقط .

كانت القبائل العبرية تتجول في صحراء سيناء وشمال الحجاز ،  
ومن هذه القبائل نجم بنو اسرائيل ، ثم استولوا على فلسطين حوالي  
نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

ويقسم تاريخ بني اسرائيل الى طورين : طور ما قبل السبي ، وطور  
ما بعده . ويتألف الطور الاول من عشرين : عصر القضاة ، وعصر  
الملوك . فأما الاول فكان فيه بنو اسرائيل بداءة ، وكانت السلطة في أيدي  
زعماء القبائل ، وقد انتهى هذا العصر في سنة ١٠٤٠ ق . م . واما  
الثاني ففيه وحد بنو اسرائيل قبائلهم في دولة واحدة كان أول ملوكها  
شاؤل ، كما اشتهر منهم داود وابنه سليمان . وينتهي هذا العصر بسنة  
٥٨٦ ق . م ، وهي السنة التي هاجم فيها بختنصر البابلي فلسطين وخربها  
وسبى من بقي من بني اسرائيل حياً واجلاهم الى بابل . وفي هذا  
العصر دونت أغلب اسفار الكتاب القدس .

وفي طور ما بعد السبي حاول بنو اسرائيل استعادة ملكهم في  
فلسطين فاختفوا أول الامر ، ثم نجحوا بتأسيس دولة النكابين التي حكمت  
من سنة ١٤٠ - ٣٦ ق . م حين جاء الفتح الروماني . وفي هذا الطور  
كملت اسفار العهد القديم ، واعتبر مالف بعده تأليفاً عادياً لاعلاقة له  
باللهام الديني .

وبعد هذا التاريخ لم يعد يسمع عن بني اسرائيل شيء باعتبارهم  
شعباً ذا قومية وسمات خاصة ، والظاهر انهم انقرضوا كما انقرض ابناء  
عمومتهم من العماليق والموآبيين والمديين وغيرهم ، إما بسبب الحروب الطاحنة  
التي كانت تجري في أراضيهم بين دول الشرق والغرب ، واما بسبب



امتزاجهم وذوبانهم في الشعوب المجاورة ، ولا سيما الآراميين وهذا هو الأرجح .

أما اليهود في العالم اليوم فليسوا بني اسرائيل الذين تفرقوا في البلاد بعد الفتح الروماني كما تدعي النظرية الصهيونية ، وإنما هم امتزاج من امم شتى تهودت في أزمان مختلفة من التاريخ .

★ ★ ★

اللسان العبري - كما تقدم القول - شديد الشبه باللسان الكنعاني ، بل انه في الازمنة القديمة لم يكن يعرف بهذا الاسم ، فصحف العهد القديم تسميه مرة باللسان اليهودي (١) واخرى باللسان الكنعاني (٢) ، ولم يعرف باللسان العبري أو اللسان المقدس الا بعد السبي البابلي في كتاب حكم بن سيرا ، وفي مصنفات المؤرخ اليهودي يوسف ، وفي المشنا والنموذ (٣) .

هذا ، ووجوه الشبه بين العبري والعربي اكثر منها بين هذا الاخير وبين أي لسان سامي آخر . فكثير من قواعد النحو والصرف ومن المفردات هي هي في كلا اللسانين .

مر اللسان العبري في أطوار كثيرة بدلت كثيراً من سماته وخصائصه: ففي الفترة التي سبقت السبي البابلي تميز بالنقاء التام تقريباً من كل المؤثرات الآرامية ، أما بعد السبي واحتكاك العبريين بالفرس والبابليين والآراميين واليونان والرومان فقد خضع لتطورات عنيفة ، واحتشد بطائفة كبيرة من الالفاظ التي دخلته من السن تلك الامم ، وزاد الطين بلة ان العبريين

١ - ملوك ج ٢ إصحاح ٨ آية ٢٦ . واشعيا ، إصحاح ٣٦ آية ١١

٢ - أشعيا إصحاح ١٩ آية ٢٠

٣ - ولفنسون : المرجع السابق ، ص ٧٨

بعد سراحهم من السبي اختلطوا بالأراميين واتخذوا من اللسان الآرامي لسان مخاطبة لهم بدلاً من لسانهم الخاص ، فكان لهذا الواقع اللغوي أثر بارز في اللسان العبري .

وفي العصور الإسلامية تمتع اليهود في مصر والاندلس بجزية لم تكن لهم تحت الحكم المسيحي ، فبما الأدب العبري وازدهر متأثراً بالأدب العربي شعراً ونثراً ، وكان لهذا أثر بالغ في اللسان العبري .

أما عبرية اليهود الآن في أوروبا فتختلف اختلافاً بيناً عن العبرية القديمة ، سواء في ذلك القواعد والمفردات والاصوات . وذلك بسبب من تأثيرات لغوية محلية .



كتبت العبرية بخطين : خط قديم مشتق من الخط الكنعاني ، كان يسمى بالخط العبري ، وظل مستعملاً حتى السبي البابلي ، ثم خط حديث يشبه الخط الآرامي اتخذه العبريون بعد السبي . وعرف عندهم بعد ان ارتقى بالخط المربع ، أو الخط الآشوري . وهو المستعمل حتى اليوم .

د وكان اليهود قديماً - كجميع الأمم السابقة - لا يكتبون الحركات المروفة الآن ، بل كانت لديهم حروف مجردة من الحركات ، ثم أخذوا يستعملون بمض الحروف كعلامات للحركات تساعدهم على ضبط النطق وحفظ الكلمات من التحريف . وكانت الالف والماء والواو والياء هي التي تقوم بهذه الوظيفة . فجرى ذلك الى حدوث تغيير في هجاء الكلمات وزيادة في حروفها باعدت بينها وبين اصل اشتقاقها .

د ... ثم أصبحت هذه الحروف لا تكفي لضبط النطق في كل

الكلمات ، وخشي اليهود ان تنقرض لغتهم بسبب ذلك فاخترعوا نظام الحركات .

د وقد كان في القرن الخامس والسادس بعد الميلاد جملة نظم كاملة لهذه الحركات ، ولكن الذي اشتهر منها نظامان اثنان ، عرف الأول منها بالنظام المراقبي ، وعرف الثاني بالنظام الطبري ، نسبة الى مدينة طبرية بفلسطين . وهو المؤلف الى الآن ، ( ١ )

#### ٤ - الأراميون ولسانهم :

م قبائل سامية هاجرت من الجزيرة العربية الى نواحي بلاد الشام حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد . أي بعد الف سنة من هجرة الكنعانيين الذين سبقوهم .

د وكما ان اسباب هجرة الارهاط الآشورية والبابلية والكنعانية من بلاد الجزيرة العربية لا تزال مجهولة الى الآن ، كذلك لانعلم شيئاً من تلك الاسباب التي حملت القبائل الآرامية المتوحشة على الخروج من بلادهم المقفرة ، ( ٢ ) .

ولم يكن الفتح الآرامي اجتياحاً بقدر ما كان تسلاً بطيئاً جداً استمر في مدى قرون طويلة . ولكنه استطاع آخر الامر ، ورغم المقاومة العنيفة التي اقيها من الآشوريين والكنعانيين وبني اسرائيل - استطاع ان يسيطر سيطرة تامة على كل المنطقة ، وان يطعمها بطابمه الخاص ، سواء من الناحية اللغوية ، أو من الناحية المنصرية ، وغدا اللسان الآرامي

١ - ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٠٣

٢ - المرجع نفسه ، ص ١١٥

لسان الادب والفكر لكل سكان المراق والشام وجزء من الاناضول  
لمدة قرون .



كان لانتشار الآراميين في بقعة شاسعة من الارض أثر في انقسام  
اللسان الآرامي الى عدد من اللهجات قسمها المستشرقون الى كتلتين :  
تشتمل اولاهما على لهجات بلاد المراق الجنوبية والشامية ، وتعرف بالآرامية  
الشرقية ، وتشتمل ثانيتهما على اللهجات الآرامية في الشام وسيناء ، وتعرف  
بالآرامية الغربية :

#### أ - التدمرية :

التمدريون بطون من القبائل الآرامية تميزت بقوة الشكيمة واستطاعت  
أن تؤسس لنفسها في تدمر دولة قوية ذات نظام جمهوري شبيه بنظام  
الجمهوريات الاغريقية . وقد بلغت هذه الدولة اوج مجدها بين سنتي  
١٣٠ - ٢٧٣ بعد الميلاد . حتى صارت بعد ذلك في ايام اذينة وزوجته  
زنوبيا ذات شهرة وقوة كبيرة اشاعت القلق في نفس روما .

كان التمدريون يلهجون بلهجة آرامية فيها تأثيرات عربية كثيرة تتمثل  
في الاعلام خاصة ، اذ كثيراً ما نجد في نقوشهم اعلاماً عربية مثل : زييد،  
ومقيم ، واذينة ، ووهب الالة .. الخ .

#### ب - النبطية :

اختلف العلماء في نسب النبط ، أعربي هو أم آرامي ؟

قال بعضهم : هم آراميون ، بدليل اتخاذهم الآرامية لغة لهم في نقوشهم .

وقال آخرون : هم عرب بدليل أعلام رجالهم وأصنامهم ، مثل : العزى ، وشيع القوم ، واللات ، وأمة اللات ، وأذينة ، واسد ، وأوس ، وعبد ، وأوس الله ، ويرغوث ، وبكر ، وحنظل ، ورجب وعمرو ، وعمر ، وعميرة ، وعدي ، ولطم ، وكعب ، وممن ، وجذيمة ، ووهب .. وهلم جرا . أما آرامية نقوشهم فتفسيرها أنهم اتخذوا الآرامية لسان كتابة وأدب على حين كانت العربية لسانهم القومي المستعمل في الخطاب .

ويؤيد هؤلاء رأيهم بدليل آخر ، وهو ان النبط ( ويسمىهم العرب بالانباط والنبيط ايضاً ) انتشروا في بلاد عربية حتى عرفت ملكتهم في سيناء باسم بتر العربية ( Arabia petraea )

ويحاولون التوفيق بين الرأيين فيقول : ( ١ )

د نحن لا نطمئن الى هذين الرأيين ، لأننا لا نستطيع ان نمتدح أو نزحج أن جميع النبط كانوا عرباً خالصاً أو آراميين صرفاً .

د فلا شك ان هناك عناصر نبطية آرامية اصلية ، كما أن هناك عناصر نبطية عربية . ويظهر ان ارهاط النبط الفاتحين كانوا من الآراميين ، ثم بعد استقرارهم في طور سيناء اختلفوا بالعرب ، فظهرت هناك طبقتان : واحدة آرامية اصلية ، واخرى عربية كثرت عناصرها الى ان تغلبت بالتدرج على العناصر الآرامية ومحتها محوياً تماماً ، وبقيت لغة الحضارة هي اللغة الآرامية التي كانت في تلك العصور لغة العمران عند جميع امم الشرق الأدنى .

وإذا رجعنا الى العرب لنعلم رأيهم في الموضوع لم نظفر بشيء حاسم قاطع . فكل الاخبار تشير بان العرب كانوا ينظرون الى النبط على أنهم أعاجم لا عرب . وبيت أبي العلاء واضح الدلالة على ذلك :

أين امرؤ القيس والندارى      اذ مال من تحتته الغبيط  
استتبط المرء في الموامي (١)      بمدك واستعرب النسيط

غير أن هذه الاخبار نفسها توضح ان اختلاف لهجة النبط عن العربية الفصحى لم يكن اكثر من اختلاف أي لهجة عربية اخرى عنها، فالجاحظ يحدثنا ان النبطي « يجعل الزاي سيناً ، فاذا اراد ان يقول : زورق ، قال : سوزوق ، ويجعل العين همزة ، فاذا اراد ان يقول : مشمعل ، قال مشمئل .. وقيل للنبطي : لِمَ اثبتت هذه الاتان ؟ قال : اركبها وتلد لي . فقد جاء بالمعنى بعينه ، ولم يبدل الحروف بغيرها ، ولا زاد فيها ولا نقص ، ولكنه فتح المكسور حين قال : تلد لي ، ولم يقل : تلدي (٢) .. »

مهما يكن من أمر جنس النبط فالذي لا شك فيه ان النقوش النبطية التي كشفت في ناحية العلى بالحجاز ، وفي بئرا بسيناء ، وفي منطقة بصرى بالشام والتي يرتد اقدمها الى سنة ٣٣ ق. م ، واحداثها الى ما بعد زوال الدولة النبطية في سنة ١٠٦ ب . م - تقول ان كل هذه النقوش قد كتبت بلسان آرامي لا تمت الى العربية بصلة .

\* \* \*

كانت التدمرية والنبطية من اللهجات الآرامية الغربية . أما اللهجات

١ - الموامي : جمع مومة ، وهي الفلاة .

٢ - البيان والتبيين ج ١ ، ص ٦٧ . ط مصر

الآرامية الشرقية في ثلاث :

أ - اللهجة الآرامية اليهودية :

وكان يستعملها اليهود في جنوب العراق ، في بابل ونواحيها .

ب - اللهجة الآرامية في شمال العراق :

ومركزها مدينة حران . وقد أخذت هذه اللهجة تتدهور وتنهزم امام العربية الى أن انقرضت في القرن التاسع بعد الميلاد .

د - اللهجة السريانية :

وكان مركزها في مدينة أودسا ( واسمها بالسريانية أورهي ، وعرفت عند العرب باسم الرهاء ، واسمها اليوم أورفا ) . والسريانية اسم أطلقه الاغريق على الآراميين ، وقدرحُب الآراميون المسيحيون بهذا الاسم ، وفضلوا ان يعرفوا به بدلاً من اسمهم الاول الذي كان يذكرهم بأيام وثنتهم .

هذا ولا تزال السريانية حية حتى اليوم على شفاة عدد قليل من سكان سوريا ولا سيما في قرية معلولا القريبة من دمشق .

ه - الجمزبون ولسانهم :

منذ أزمان بعيدة لا يمكن تحديدها نزحت قبائل سامية من بلاد اليمن الى الحبشة واستت لها ملكاً عاصمته مدينة أقسوم التاريخية دام حتى سنة ١٢٧٠ بعد الميلاد .

كانت هذه القبائل تسمى بالجمزية - ومعنى اسمهم الاحرار - وكانت تتكلم بلسان سامي شديد الشبه باللسان السبئي ، حتى إن بمض المستشرقين عد اللسانين لساناً واحداً .



اللسان الجمزي إذن لسان سامي . وقد لاحظ المستشرقون أنه حافظ على عناصر سامية قديمة لم يبق لها أثر في جميع اللسان السامية الأخرى ، ولا سيما في الاساليب ، فانها في اللسان الجمزي قديمة في تراكيبها ونظامها . كذلك هناك اشياء اخرى تدل على ان الجمزية حافظت على اقدم الصور السامية في حين قد اضعافها غيرها فمن ذلك عدم وجود تمييز بين المذكر والمؤنث في الاسماء .. كما تنقص الجمزية اداة التعريف (١).

### ٦ - الامحاريون ولسانهم :

في حوالي القرن الحادي عشر للميلاد ظهر في الحبشة عنصر جديد امكنه أن يتغلب على دولة أقسوم الجمزية في سنة ١٢٧٠ ، وكون نفسه مملكة جديدة على انقاض الحكم الفابر تحت اسرة تدعى نسبة يرقى الى الملك سليمان ومملكة سبأ .

كانت هذه الأمة الجديدة تسمى بالامحارية ، وعرفت اسرتها الحاكمة بالسليمانية ، وهي الاسرة التي لا تزال تحكم الحبشة حتى اليوم .



اللسان الامحاري من اللسان السامية ، لكن الصيغة الحامية فيه قوية جداً . وقد بقي هذا اللسان بعيداً عن ميدان الثقافة والفكر الذي ظل اللسان الجمزي يحتله مدة طويلة بمد حكم الامحاريين ، ثم استطاع ان يتغلب على هذا الاخير ويحتل مكانه حتى بات هو اللسان الغالب اليوم في الحبشة ، وبه تحرر اليوم صحفها ، وهو اللسان الرسمي

---

١ - ولفسون : المرجع السابق . ص ٢٦٢



للدولة . اما الجزية فقد ثارت وانهمزت وغدت مجهولة حتى بين رجال  
وعلماء الحبشان .

★ ★ ★

وفي الحبشة اليوم ، الى جانب الاحمارية ، لهجات بعضها مشتق من  
الجزية القديمة ، وبعضها لهجات من الاحمارية نفسها .

فمن لهجات الجزية اثنتان تسمى اولاهما باللسان التيجري ، وتسمى  
الثانية باللسان التجرائي . واهالي هذين اللسانين من المسلمين وكان انتشار  
الاسلام بين اهالي هذين اللسانين سبباً في مقاومتها لسان الاحماري المسيحي  
مقاومة شديدة . وقد سادت الاحمارية ، او كادت ، جميع مناطق الحبشة  
إلا منطقة أقسوم ، موطن التيجري والتجرائي ، فلا تزال فيه عاجزة  
كل العجز .

ومن لهجات الاحمارية لهجة أهل مدينة هرر التي يبدو فيها  
التأثير العربي واضحاً بسبب اسلام اهله ، ثم لهجة اهل جافات ، وقبائل  
ارجوبا .

#### ٧ - العرب ولسانهم :

العرب هم سكان شبه الجزيرة المروف باسمهم . ولانعلم الزمن الذي  
سكن فيه العرب شبه الجزيرة هذا ، والظاهر انهم كانوا سكانه الاصليين  
منذ عصور ما قبل التاريخ .

وتطلق كلمة ( عرب ) على جميع سكان الجزيرة ، سواء الحاضر  
منهم والبادي ، خلافاً لولفنسون الذي يرى ان الكلمة لم تكن تطلق  
إلا على البادين وحدهم ، وان أهل الحضر كانوا ينسبون الى قبائلهم أو

أمصارهم ، أو مناطقهم. (١) والذي حمل هذا المستشرق اليهودي على هذا الظن وجود شبه بين كلمة (عرب) وكلمة (عبر) التي تدل على التنقل في العربية والعبرية مما . ودليلنا على ما ذهبنا إليه أن العرب كلهم لم يكونوا يحنون كلمة (عرب) بقوم منهم دون قوم ، فاذا أرادوا التفريق بين ساكن البادية وساكن الحاضرة قالوا : اعرابي وعربي ، وفوق هذا ، نجد اقدم المؤرخين من الاجانب لا يعرفون سكان أمصار الجزيرة العربية إلا بأنهم عرب ، فشيخ المؤرخين هيرودوت الذي عاش فيما بين ٤٩٠ - ٤٢٤ ق.م يسمى اليمن ببلاد العرب ، فيقول : وبلاد العرب في نهاية المعمورة الجنوبية . وفيها وحدها يوجد اللبان والمر والدارسيني واللاذن . ويكابد العرب الشدائد في جني هذه النباتات ... ويقول -ترابو الروماني : وفي الجنوب تبتدىء بلاد العرب السميدة ... (٢)

فلو كان الأمر على ما ذهب اليه ولفنسون لما سمي هذان المؤرخان أهل اليمن بالعرب ، وهم كما نعرف ، سكان مدن وامصار ، واهل زراعة وصناعة ، لا بدو رعاة متنقلون .



ينقسم اللسان العربي الى عدد من اللهجات ، بعضها عاش في الجنوب وبعضها الآخر عاش في الشمال ، وبعضها باد واندر ، وبعضها لا يزال حياً حتى اليوم .

وقد اختلف المستشرقون في أمر قسمة هذه اللهجات ، فأكثرهم يعتمد القسمة الجغرافية الى شمالية وجنوبية ، وبعضهم يفضل القسمة

١ - تاريخ اللغات السامية ص ١٦٤ - ١٦٦ .

٢ - المرجع نفسه ص ٢٢٢ - ٢٢٦

التاريخية الى بائدة وباقية . والذي زاه ان كلنا القسمين سالحة ، فكل هذه لهجات عربية لسان عربي واحد . ولا داعي لخلاف حول ترتيبها لا طائل تحته .

واليك عرضاً لأهم هذه اللهجات مع تاريخ موجز للناطقين بها :

### أ - اللهجة التمودية :

تمود قوم من العرب ذكروهم القرآن الكريم ، وذكر مساكنهم التي حل بها الدمار بسبب كفرهم وعنادهم .

والمعلومات التاريخية عن هؤلاء القوم قليلة جداً ، وهي على قلتها شديدة الغموض كثيرة التضارب ، فروايات المؤرخين من العرب تشير أن تمود بادت قبل ظهور الاسلام بأحزاب طويلة ، بينما يقرر آخرون أن جموعاً من التموديين وجدوا في نواحي العملى الى عهد غير بعيد من ظهور الاسلام (١) . وبينما يقرر بطليموس ان مساكن تمود هي مدينة (أمن) والاراضي الواقعة في جنوب العقبة الى نواحي شمال ينبع بالقرب من المويبع ، زى الجنزاني بليئوس الذي سبق بطليموس بنحو ( ٢٥٠ ) سنة يقرر ان مساكن تمود هي في جنوب مكة الى تهامة العسير .

ولا يخرج من هذا التضارب إلا بالقول : إن تمود كانت في عهد بليئوس تسكن في جنوب الحجاز ، ثم هاجرت الى شمال الحجاز في عهد بطليموس .

وعلى كل حال فان الاخبار تجمع على أن التموديين كانوا أولي بأس شديد . فقد ذكرت مصادر موثوق بها حروباً طاحنة كانت بينهم وبين

سركون ملك آشور ، كما تنص كتابات مسبارية على أن هذا الطاغية الآشوري أجلى البطون الثمودية الثائرة من بلاد العرب الى مدينة غزة بفلسطين (١) ، ويذكر بعضهم ان الثموديين كانوا يمتازون بالقوة والمظلمة ، حتى كان الرومان يستأجرون منهم الجنود والمساكر في حروبهم (٢).

واللهجة الثمودية ، كما تظهر من خلال النقوش الثمودية المكتشفة في مواطن ثمود ( شمال الحجاز ) وفي نجد وشبه جزيرة سيناء ، لهجة عربية صميمة لا تختلف عن لهجة قريش الفصحى إلا في أمور بسيرة جداً . واليك كلمات نقش وجد على قبر ، ويعود تاريخه الى القرن الرابع الميلادي :

ذن - لقص - بنت - عبد - منت

أي هذا ( القبر ) لاقبض بنت عبد مناة .

ب - اللهجة اللحيانية :

بنو لحيان بطون من العرب كانت تسكن في عهد بليانوس - أي في القرن الاول بعد الميلاد - في شمال الحجاز بين ينبع وإيلة الى فواحي الملي وهضبات خيبر. ويقول هذا الجغرافي : إن مدينة الملي كانت عاصمة لهم . وقد عثر جلازر ودوتي على نقوش لحيانية كثيرة في هذه المنطقة (٣)

١ - Homel : Die Babylonische Assyrische Geschichte, p.702

عن تاريخ اللغات السامية ص ١٧٤

٢ - Geographie Arabiens . Sprenger, p . 8 عن تاريخ اللغات

السامية ، ص ١٧٥

٣ - ولغنون : المرجع السابق . ص ١٧٢

ويرى بعضهم ان بطون لحيان كانت منقسمة الى جملة دويلات صغيرة : بعضها في شال الحجاز، وكان مستقلاً ، وبعضها في مشارف الشام والمراق ، وكان تحت النفوذين الفارسي والرومي . ويحتمل أن هذه الدويلات كانت انواة الصالحة التي نبتت منها هاتان الدويلتان المريتسان في القرن الخامس والسادس بعد الميلاد في الحيرة على شاطئ الفرات ، وفي نواحي دمشق في سلطان الناذرة والنساسنة (١) .

وقد باد الاحيانيون قبل ائمودين بزمن طويل .

ومعلوماتنا عن اللهجة الاحيانية قليلة جداً، لأن النقوش التي كتبت بها لا تزال عسية على التفسير ، فبلى الرغم من الجهود المضنية التي بذلها المستشرقون لحل رموز النقوش الاحيانية وتفسيرها ، ظلت هذه النقوش غامضة في كثير من كلماتها ومصطلحاتها، لأنها اجزاء من نقوش لا نقوش كاملة ، واكثرها لا تتجاوز كلماته الثلاث أو الأربع .

على انه مما لا ريب فيه ان اللهجة الاحيانية عربية بحتة، ففيها حروف الذال والطاء والنين والضاد ، مما لا يرى إلا في اللسان العربي من بين كل اللسن السامية ، كما عثر فيها على أفضل التفضيل وعلامة التنبيه التي هي من الخصائص البارزة للسان العربي (٢)

### ج - اللهجة الصفوية :

لا نعلم ان هناك قوماً من العرب يسمون بالصفويين ، ولكنها تسمية اصطلاحية من المستشرقين أطلقوها على جملة النقوش العربية التي

١ - المرجع نفسه ، ص ١٧٣

٢ - المرجع نفسه ، ص ١٧٧

لا يعرف شيء عن القوم الذين كتبوها ، والتي كشفت في الحرة الواقعة بين جبل الدرروز وتلول أرض الصفاة .

ويعتقد الاستاذ ليمان ان الكتابات الصفوية ترجع الى القرون الثلاثة الاولى بمد الميلاد ، ويستدل على ذلك باستعمال الصفويين اسم ( أذينة ) زوج الزباء الذي عاش في القرن الثالث بمد الميلاد ، ولم يكن العرب يستعملون هذا الاسم من قبل .

واللهجة الصفوية لهجة عربية خالصة ، بدليل استعمالها كلمات عربية مثل أسد ، وات ( ليث ) ، ولبأة ( لبؤة ) ، وعزالي ( غزال ) ، وابيل ، ووجل ، وبكر ، ومهر ، ومهرة ، وحمار ، وضأن ، وماعز ، وبقر ، ووعل ، وضبع ، وضب ، وقنفذ ، وورل ، واللآة ، وشيع القوم ... الخ . لكن نعت فيها على شوائب بظلية وآرامية بسبب اختلاط أهلها بالانباط والآرام . ويظهر ذلك من النقش الصفوي التالي :

لبرد - بن - أصلح - أبجر - وشقى - هدر - وذبيح - فهلت - سلم .  
أي : لبرد بن اصلح بن أبجر ، وشقى ( في ) هدار ( = هذه الدار ، أي هذا المكان ) وذبيح ( ذبيحة ) فهلآة ( = فيا ابتها اللآة )  
سـلام .

#### د - اللهجة الجاهلية :

وهذه تسمية اصطلاحية ايضاً نطلقها على لهجة اربعة نقوش عربية كشفتها المستشرقون في منطقة غير بعيدة عن منطقة الصفاة ، ويرتد تاريخ اقدمها الى سنة ٣٢٨ ب . م ويرتد احدها الى سنة ٥٦٨ ب . م أي الى قرن واحد فقط قبل ظهور الاسلام .

وأَم هذه النقوش وأقدمها هو نقش النجارة الذي كشف في مدفن امرئ القيس بن عمرو بن ملك العرب . وقد دون هذا النقش في سنة ثلاثمائة وثمان وعشرين بعد الميلاد كما ذكرنا آنفاً . فأما النجارة فكانت قصراً للروم في الحرة الشرقية من جبل الدروز، وأما امرؤ القيس فكان واحداً من ملوك الحيرة انتشر نفوذه على بادية الشام :

- وفيما يلي كلمات النقش مع ترجمتها الى الفصحى
- ( ١ ) تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب ذو أسر التاج
  - ( ٢ ) وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجا
  - ( ٣ ) بزجي في حبيح نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
  - ( ٤ ) الشعوب ووكلهم فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
  - ( ٥ ) عكدي . هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ كسلول . بلسمد ذو ولده .

أي :

( ١ ) هذه نفس ( قـبر ) امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلها ذو ( ذو الطائفة بمعنى الذي ) أسر ( = حاز ) التاج .

( ٢ ) وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم وهرب ( = هزم ) مذحجاً عكدي ( هذه الكلمة غامضة ويقول العلامة لیتسبرسكي إنها تدل على القوة . فيكون المعنى : انه هزم مذحجاً بقوته . أقول : وفي لهجة حلب العامية كلمة تشبهها هي كلمة عكيد . بالكاف المشددة المجهورة ، ومضاهها البطل الشجاع ) وجاء

( ٣ ) ( الى ) بزجي في حبيح نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل ( انزل ) بنيه

( ٤ ) الشعوب ( نزل بنيه الشعوب أي انزل كل ولد من بنيه ملكاً في شعب ) . ووكله الفرس والروم . فلم يبلغ ملك مبلغه .

(٥) عكدي (اي في الحول والقوة) . هلك سنة ٢٢٣ (١) يوم ٧ من كسلول (= كانون الاول) ليسعد الذي ولده . (أي والده أو الذين خلفهم) . ولغة النقش كما ترى عربية خالصة سوى انها تحتوي على بعض الكلمات الآرامية مثل ( نفس ) بمعنى قبر ، وانها تشير على الطريقة الآرامية باضافة الواو الى نهايات الاعلام مثل نزر و مذججو وممدو ( نزار ، مذحج ، ممد ) . وهذا وذاك كان من تقاليد الكتابة لذلك العهد بسبب سيطرة الثقافة الآرامية على المنطقة كلها يومذاك . ولا يزال اثر من هذه التقاليد باقياً في قواعد الرسم عندنا ، وذلك في كتابة كلمة ( عمرو ) التي نضيف اليها واواً نكتب ولا تلفظ .

#### ٥ - اللهجات العربية الجنوبية :

وهي المينية والسبئية والقبتانية والاوزانية والحضرية وغيرها .. واشتهر منها اثنتان : اولاهما المينية ، وهي أقدم من سائرهما ، وهي لسان مملكة معين التي من مدنها المشهورة قرناو ويشيل ، والثانية السبئية ، وهي لسان مملكة سبأ التي عاصمتها مدينة مأرب الشهيرة (٢) .

وتاريخ هذه الاقوام القحطانية شديد الغموض ، وبين في اكثر الاحيان تمييزاً تقريبياً ، كما يختلف المستشرقون حول أمور كثيرة منه . ومع ذلك ، اتفق جملة من فحول هؤلاء المستشرقين على ان معين هي اقدم دولة في اليمن ، ويعتقد هومل ان سقوط هذه الدولة كان في الفترة التي بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد . وكان يعاصر هذه

١ - مبدأ هذا التاريخ هو دمار مملكة النبط سنة ١٠٦ ميلادية . فيكون

هلاك امرى القيس سنة ٣٢٩ ب . م

٢ - انظر مقدمة كتاب المختصر في عام اللغة العربية الجنوبية القديمة .

تأليف العلامة اغناطيوس غويدي .



الدولة دول كل من سبأ وحضرموت وقتبان ، الا أن سبأ استطاعت ان تقضي على كل الدول الاخرى ، وظلت السيادة لها في اليمن زمناً طويلاً استغرق عهود بابل وآشور والفرس واليونان والرومان الى ان قوضها الاحباش سنة ٣٧٥ ب . م . لكن سبأ ما عثمت ان اتحدت مع جميع العناصر القومية في اليمن وطردت الاحباش من ديارها تحت قيادة الملك ( كرب ) . وكان قد تهودت ذريته حوالي سنة ٤٠٠ بعد الميلاد وسميت بالخميرية ، ثم استمر حكم هذه الاسرة الخميرية اليهودية الى عهد ذي نواس الذي انهزم أمام الحبشة سنة ٥٢٥ ب . م

وحكم الاحباش بلاد اليمن من سنة ٥٢٥ الى سنة ٥٧٠ ب . م حين دخلتها الجيوش الفارسية التي بقيت فيها الى حين حررها الاسلام من الحكم الاجنبي .

واللهجات العربية الجنوبية شديدة التشابه ، حتى ليتمكن القول انها جميعاً لهجة واحدة ، والفروق بين اكبر اثنتين منها وهما المينية والسبئية لا تمتدى بمض الالفاظ والضمائر والحقاق النون بالفعل ، فعلى حين تجعل السبئية ضمير المفرد النائب هاء كما في الفصحى ، تجعله المينية سيناً . ( كتابه - كتابس ) ، وتمدى السبئية فعلها الثلاثي بزيادة الهاء مثل هراق ( أراق ) بينما تجعل المينية ، ومثلها القتبانية والحضرمية ، تجعل التمدية بزيادة السين ، فبدلاً من ( هراق ) تقول ( سراق ) .. وهكذا (١)

وعلى كل فاللهجات العربية اليمنية جميعها لهجات عربية صحيحة لا تختلف عن اللهجة الفصحى باكثر مما تختلف فيه لهجتا تيم وقريش أو أسد وهذيل . وسترى جانباً من مفردات هذه اللهجات وقواعدها في الفصل القادم .

١ - انظر غويدي : المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة .

## و - اللهجة الفصحى :

وتسمى أحياناً بالقرشية لغلبة خصائص لهجة قريش عليها ، كما تسمى أحياناً أخرى بالحجازية ، وذلك لأن عامة القبائل الحجازية لم تكن تختلف لهجتها عن لهجة قريش في شيء .

ومهما يكن من أمر التسمية فإن مانئيه بالفصحى هو هذه اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم ، والتي بها جاء الحديث الشريف ، والشعر الجاهلي ، والتي لا تزال حتى اليوم تتخذ منها لسان ادب وعلم ودين .

وهذه الفصحى ليست لهجة قبيلة عربية معينة وان سميت في بعض الاحيان بالقرشية ، بل هي مزيج لطيف من اختيار اتيق لخصائص لهجات عربية كثيرة أهمها القرشية والتميمية .

وفيا يلي جدول لأهم الاختلافات بين هاتين اللهجتين الكبيرتين وما اختارته الفصحى منهما :

الفصحى	التميمية	الحجازية (القرشية)
ح (٢)	تعلم (بكسر حرف المضارعة) <sup>(١)</sup>	تعلم (بفتح حرف المضارعة)
ح	ما هذا بشر <sup>٢</sup> (باهمال ما)	ما هذا بشرأ (بأعمال ما)
ح	ليس الطيب إلا المسك <sup>٣</sup> (بالا بطل)	ليس الطيب إلا المسك (بالاعمال)
ح	كم بلدأ زرت <sup>٤</sup> !!	كم بلدك زرت <sup>٤</sup> !!
ت	كأس ، بؤس ، بشر (بالنبر)	كاس ، بوس ، بير (بالتسهيل)
ح	غض من صوتك (بالادغام)	أغضض من صوتك (بفك الادغام)
ح	ولا تمنن تستكثر ( = )	ولا تمنن تستكثر ( = = )
ح	زهيد ، حقد... (بكسر العين)	زهيد ، حقد... (بفتح العين)

١ - وهي لغة عامة العرب ما عدا الحجاز

٢ - حرف الحاء رمز لمواقفة الفصحى للهجة الحجاز ، كما ان التاء رمز لمواقفتها

لهجة تميم .

الفصحى	التسمية	الحجازية (القرشية)
ح	تقى ، تصل .. ( بطرحها ) <sup>(١)</sup>	إتقى ، إتصل .. (بهمزة الوصل)
ح - ت	يفرغ فراغاً .. (بفتحها)	يفرغ فراغاً ... (بضم العين)
ح - ت	برأت فأنا بري	برأت فأنا براء
ت	قلبت البرء أقلبه قلياً (بالياء)	قلوت البرء أقلوه قلوأ (بالواو)
ح - ت	ألات الشيء يلبته <sup>(٢)</sup> (بالزيادة)	لات الشيء يلبته (بالتجريد)
ت	إتخذت	تخذت ووخذت
ح	أصدت الباب (بالاعلال)	اوصدت الباب (بالتصحيح)
ح - ت	أكده تأكيدا	وكئد توكيدا
ح - ت	حصاد قطاف ... (بالفتح)	حصاد قطاف ... (بالكسر)
ح - ت	حج البيت (بالفتح)	حج البيت (بالكسر)
ح	مربة (بالضم)	مربة (بالكسر)
ح - ت	كراهية	كراهة بالتخفيف
ح	الهدى (بالتشديد)	الهدى
ح	الشفع والوتر	الشفع والوتر (بكسر الواو)
ت	أسوة وفدوة (بالضم)	إسوة وفدوة ... (بالكسر)
ح	مبيوع ، مديون ..	مبيع ، مدين ...
ح - ت	ذاك ، تآك	ذلك ، تلك
ح - ت	أولى (بالقصر)	أولاء (بالمد)
ح - ت	مذ	متذ
ح - ت	لثام ، ثوم (بالثاء)	لغام ، فوم (بالفاء)
ح	عن عن (بالمعين)	إن ، أن .. (بهمزة)

١ - وفي هذا توافق التسمية للهجات السبئية والمصينية وغيرها كما سترى في الفصل القادم  
٢ - معنى لات الشيء وألانه قصة حقه . قال تعالى : لا يلتكم من أعمالكم شيئاً (الحجرات ١٤) وقال أيضاً : وما ألتناهم من عملهم من شيء (الطور ٢١) .

الفصحى	التميمية	الحجازية القرشية
ت	فاضت نفسه (بالضاد) (١)	فاظت نفسه ... (بالظاء)
ح	فحصط برجلي (بالطاء)	فحصت برجلي (بالتاء)
ح	صاق (بالصاد) (٢)	ساق (بالسين)
ح	قشطت السماء	كشطت السماء
ح	الهدون	الدين
ح	حوث (٣)	حيث

١ - يستنتج من الروايات ان الظاء هي لنة الحجاز مطلقاً ، وان الضاد هي لنة تميم مطلقاً ، إلا ان الفصحى اختارت الظاء في بعض الالفاظ واختارت الضاد في بعضها الآخر .

٢ - يلاحظ ان تيمماً تميل الى تفخيم الاصوات وتضعيفها على حين تميل قريش الى ترفيقها ، وهذا الاختلاف فائر من اختلاف البيئتين البدوية والحضرية .

٣ - التوسم في هذا الموضوع راجع المخصص لابن سيده ، والزهر السبوطى ، والخصائص لابن جنى ، والمهجات العربية لابراهيم انيس ، ودراسات في لغة القفة لصبحي الصالح ، والصحاحي لابن فارس ، كما نجد اطرافاً منه في كتب النحو والقراءات ، ولا سيما كتاب سيبويه .

يتبين لنا من الجدول السابق ان الفصحى اخذت من لهجة تميم  
كما اخذت من لهجة قريش ، الا ان ما اخذته من لهجة قريش كان  
اكثر . وهي في كل الاحوال كانت تؤثر من كلتا اللهجتين ما هو اكثر  
رقياً وصقلاً وقرباً من الرقة والاطافة .

### ز - لهجات عربية اخرى :

وهناك لهجات عربية اخرى ، بعضها قديم مثل لهجات قبائل أسد  
وطيء وذهل وهذيل وغيرها ، وبعضها حديث كلهجات الشام والمراق  
ومصر والمغرب وغيرها . وان نتحدث عن هذه اللهجات بشيء ، لأن ذلك  
يخرج بنا عن موضوع كتابنا أولاً ، ولأن أغلب هذه اللهجات لم يدرس  
حتى اليوم دراسة علمية صحيحة .

### شبهات لهجات العرب

حين يتحدث المستشرقون عن اللهجات الجنوبية ( المينية والسبئية  
وغيرها ) وعن بعض اللهجات الشمالية ( التمودية والاحمانية والصفوية )  
يوهمون القارئ - عن قصد أو عن غير قصد - ان هذه اللهجات ليست  
من اللسان العربي في شيء ، وانها ألسن سامية مستقلة ليس بينها وبين  
اللسان العربي المعروف من وجوه الشبه أكثر مما يوجد مثله بين الألسن  
السامية كلها (١) . بل ان بعضهم يصرح بهذه الدعوى الباطلة التي لا سند

١ - وقع في هذا الوهم كثير من الادباء ابرزهم طه حسين ، انظر كتابه ( في الشعر  
الجاهلي ) في ممرض نفيه لشعر امرئ القيس وكل الشعراء المنتسبين الى قبائل جنوبية  
الاصل . بل لقد وقع فيه بعض علماء اللغة ، ومنهم الدكتور صبحي الصالح . انظر  
كتابه ( دراسات في لغة اللغة ، ص ٤٥ حيث يصف الفرق بين لهجات الجنوب واللسان  
العربي الشمالي بأنه فرق (عظيم)

لها من الوقائع اللغوية المعروفة ، والتي تتضارب مع البسط مبادئ علم اللغة ومسلّماته .

ويقيم هؤلاء المستشرقون دعواهم على أسس ، منها أن لغة النقوش الثمودية والاحميانية والصفوية فيها تأثيرات آرامية كثيرة ، فهي إلى الآرامية أقرب منها إلى العربية ، ومنها أن لغة النقوش المينية والسبئية تختلف عن اللسان العربي في أمور كثيرة تتعلق بالانفاظ والتراكيب ، وقواعد التصريف .

أما نحن فنقول عكس ما يقولون ، ونزعم أن لغات كل هذه النقوش هي لهجات لسان واحد ، وليست ألسناً مستقلة بعضها عن بعض . وسنحاول فيما يلي إيراد الأدلة الكافية على فساد رأي المستشرقين ثم نعلقها بإيراد البراهين القاطعة بصحة ما نذهب إليه .

### أ - أدلة نفهي :

١ - إن النقوش المكتشفة قليلة جداً ، إذ لم يتجاوز ما اكتشفه منها ليمان ١٤٠٠ نقش صفوي . ونقوش الثمودية والاحميانية أقل من ذلك بكثير . أما نقوش العربية الجنوبية فلم تتجاوز ٣٥٠٠ نقش . وإلى جانب ذلك فهي قليلة المادة اللغوية إذ لم يتجاوز عدد كلمات أكثرها الأربيع أو الخمس من الكلمات . وكل هذا وذاك يجعل هذه النصوص قليلة الجدوى في معرفة خصائص اللسان الذي كتبت به ، ويمنع الباحث المحقق من إطلاق حكم نهائي في موضوعه .

٢ - موضوع كل هذه النقوش واحد ، أو قل أن موضوعاتها شديدة التقارب ، فهي إما إعلان بوفاء نذر ، وإما تمجيد لصاحب ضريح وإما تحليد لعمان عمراني كبير . وهذا مما يضيّق دائرة المادة اللغوية في هذه النقوش ويجعل كل حكم يطلق على اللسان الذي كتبت به ناقصاً إن لم يحمله فاسداً .

٣ - ان كثيراً من هذه النقوش لم تحمل رموزه حتى الآن ، ويصرح  
ولفنسون بذلك فيقول : « أما الكتابات الاحيائية فقد جهد في تفسيرها  
علماء اوروبا ، ولكنهم لم يفلحوا في حل كثير منها ، لانها أجزاء من نقوش  
لا نقوش كاملة . وجل كلماتها ومصطلحاتها في غاية الابهام . » ويقول عن  
النقوش الثمودية : (١) « والنقوش الثمودية بصفة عامة موجزة جداً حتى  
ليكاد المعنى يخفى على القارئ ، خفاء تاماً أو يصبح عرضة لتفسيرات وأويلات  
شقي . » وكل هذا يزيد من فقر هذه النقوش بالمادة اللغوية ، وبفرض على  
الباحث ألا يرى فيها صورة كاملة للسان المكتوبة به ، وبالتالي ، ألا  
يطلق الاحكام الجازمة النهائية على لسانها .

٤ - ان وحدة موضوع النقوش فرضت على لغتها ووحدة في  
الاسلوب . وهذا بالتالي ، جعلها محدودة التعابير . فمن ذلك مثلاً ان العلماء  
لم يجدوا في النقوش الامينية والسبئية غير صيغة الغائب من الفعل في احواله  
المختلفة . فهل يجوز لنا ان نستنتج من ذلك ان اللهجتين المذكورتين  
كانتا خاليتين من صيغ التكلم والمخاطب ؟! (٢)

٥ - لم تكن الكتابة في يوم من الايام تمثيلاً أميناً دقيقاً للفظ ،  
يصدق هذا على السبئية والامينية ، كما يصدق على العربية والفرنسية

١ - المرجع نفسه ، ص ١٨١

٢ - بل ان بعض المستشرقين قال بذلك فعلاً . وقد كفانا ولفنسون مؤونة الرد على  
اسباب هذا الرأي اللاحق حين قال : « أما الاعتقاد بعدم وجود هذه الصيغ  
فهو امر لا يقبله العقل السليم . فان اكثر ما يدل عليه ان هاتين اللهجتين كانتا في غاية  
الانحطاط ، وان اهلها كانوا همجيين . وقد علمنا ان اهل جنوب الجزيرة العربية  
كانوا من ارقم الشعوب السامية واعرقهم في الحضارة القديمة ( المرجع نفسه ،  
ص ٢٤٨ )

والانكليزية . وليس هناك قوم يكتبون ما يلفظون ، أو يلفظون ما يكتبون ،  
ألا ترى اننا نكتب ألفاً بعد واو الجماعة لا نلفظها ، ونلفظ ألفاً بعد  
هاء التنبيه من غير ان نكتبها ، ولا بد ان شيئاً من هذا موجود في  
الكتابات السبئية والمينية كما هو موجود في كل كتابات العالم قديماً  
وحديثاً . وما دمنا لا نعرف الصورة اليقينية للفظ السبئية والمينية لعدم  
المشافة واقطاع الرواية ، فان قراءتنا لكتابتها يوقننا في اخطاء جسيمة  
تشبه اخطاء من يقرأ عبارة فرنسية أو انكليزية محققاً باللفظ كل  
الاحرف المكتوبة .

بل ان خطأ من هذا القبيل زجح وقوع المستشرقين فيه ، وهو  
قراءتهم لهذا العلم العربي ( عليو ) الذي وجد كثيراً في الكتابات السبئية،  
بشكل ( علياو ) ، ونحن لا نعلم ان انساناً عربياً ، جنوبياً كان ام شمالياً،  
قديماً كان أم حديثاً تسمى بمثل هذا الاسم الغريب الشائه . والذي زاه  
ان القراءة الصحيحة لهذا العلم ( عليو ) هي ( علي ) كما يلفظها الشماليون  
تماماً ، أما اثبات السبئيين للواو في ( علي ) فهو للاشارة الى الاصل  
الاشتقائي للكلمة . وليس لتحقيقها في اللفظ ، تماماً كما نفعل نحن عندما  
نلفظ ( رمى ) بالالف ونكتبها بالياء اشارة الى الاصل الاشتقائي لها .  
وعلى هذا يجب ان تقرأ الطرف السبئي ( متي ) ( متى ) بالالف  
لا ( متاي ) كما يفعل المستشرقون ، و ( بـ علي ) ( بعلي ) لا  
( بعلاي ) (١) ... الخ .

١ - قال سيبويه في معرض كلامه عن ابدال الواو : وتبدل مكان الالف في الوقف .  
وذلك قول بعضهم : ( أمو ) و ( حلو ) . كما جعل بعضهم مكانها الياء .  
وبعض العرب يحيل الواو والياء ثابتين في اوصل والوقف . ا هـ . الكتاب

ج ٢ ص ٣١٤

اقول : وفي هذا نظر . ثم انه اذا دل على خلاف ما نذهب اليه من امر  
الكتابة واللفظ فانه ينهض من جهة اخرى دليلاً على ان اللهجات الشمالية  
لم تكن تختلف عن اللهجات الجنوبية حتى في هذا النوع الغريب من اللفظ .



هذا الذي نقوله ليس نوعاً من الرجم بالنيب ، أو الظن الذي لا يقوم على اساس ، فقواعد الرسم في كل لسان مبنية على قواعد الصرف والاشتقاق لهذا اللسان . واذا كان الشماليون في جاهليتهم ، وهم اهل البداوة ، قد احووا بالفارق الاشتقائي بين (علا) و (رمى) فكتبوا الاولى وكل دوات الواو بالالف . وكتبوا الثانية وكل ذوات الياء بالياء ، فلأن يحس الجنوبيون ، وهم اهل الحضارة والتقدم ، بذلك أولى . بل انا اتميل الى القول ان هذا التحليل اللغوي الذي هدى الشماليين الى التفريق بين الالفات التي اصلها الواو وتلك التي اصلها الياء ليس من عندهم ، بل هو مما أخذه الشماليون عن الجنوبيين في جملة ما أخذوه من مظاهر الحضارة والثقافة . وكلنا يعلم مقدار اثر الحضارة اليمنية في اهل الشمال ، واذا كانت الخطوط الثمودية والصفوية والحيمانية ، وكلها شمالي ، مشتقة من الخط المسند السبئي فليس يبعد ان تكون قواعد الرسم لكل الشماليين مشتقة ايضاً من قواعد رسم السبئي الجنوبي .

٦ - ان عدم وجود رموز للحركات الطويلة ( الالف ، والواو ، والياء ) والحركات القصيرة ( المفتحة ، والضمة ، والكسرة ) في هذه النقوش يزيد من قصور كتابتها عن تمثيل النطق الصحيح لها . ويجعلنا ، ونحن لا نقرأ إلا ما كتب فيها من الحروف فقط ، نقوم بعملية مسح وتشويه ، ونلفظ لساناً لا صلة له لسان هذه النقوش . تماماً كما لو كتبنا بيت ابي العلاء :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل      عفاً وإقدام وحزم وفائل

بهذه الصورة :

أل ف سبل المجد م أن فاعل      عفف وإقدم وحزم ونفل

ثم لم تلفظ إلا ما زاه اماننا من الحروف مثبتاً .

ولو عرضنا هذا البيت بصورته الكتابية المختزلة على ألف من العرب لا علم لهم بقصيدة ابي الملاء - حتى لا يكون هذا العلم مساعداً لهم على قراءته الصحيحة - فقرروا جميعاً انهم لا يقرؤن لساناً عربياً ابداً ، مع أن ما أمامهم ليس إلا بيتاً لواحد من فحول شعراء العربية لكنه كتب بطريقة مختزلة هي نفسها طريقة كتابة النقوش الميمنية والسبئية والثمودية وغيرها من اللهجات العربية .

٧ - وما يزيد في ايماننا بوجود فروق كبيرة بين اللهجات الجنوبية والشمالية أن قواعد الرسم في تلك تثبت التنوين ( والتثوين في العربية الجنوبية هو ميم ساكنة تلحق آخر الاسم لا فون كما في العربية الشمالية ) بينما لا تثبت الكتابة الشمالية ، وكذا تفعل مع الضمة في ميم الجماعة وتثبتها واوا . فاذا اردنا ان نكتب عبارة ( كتابهم كتاب جميل ) بالقواعد السبئية كانت كتابتها على الشكل الآتي : كتبهمو كتبم جمل . وكل هذا . واشياء اخرى يطول شرحها ، نجعلنا نتوهم ان الجنوبية لسان ، وان الشمالية لسان آخر ، مع انها لسان واحد هو اللسان العربي .

٨ - بعد ان يحل المستشرق رموز نقش ما يقوم بترجمته إلى لسانه القومي ( الفرنسي او الالماني او الانكليزي ) ليفهم قراؤه ماجاء في النقش ، ثم يأتي الباحث العربي أو أي باحث يكتب بالعربية ( ١ ) فينقل عن المستشرق ترجمته للنقش مترجماً ايها الى العربية من غير ان يكلف نفسه مشقة النظر في النص الاصلي للنقش . وطبيعي في مثل

١ - مثل ولفسنون الذي كتب كتابه ( تاريخ اللغات السامية ) بالعربية ، واغناطيوس غوبدي الذي كتب ( المختصر ) بالعربية واللاتينية .

هذه الحال ان يحدث فارق بين الترجمة العربية والنص الاصلى ، لانها ترجمة لترجمة . يضاف الى ذلك ان المترجم العربي يختار من الفاظ العربية اكثرها ألفة وشيوعاً لاداء الممانى الترجمة ، حين يكون الغريب في بعض الاحيان أولى من المأنوس لأنه يطابق الفاظ النص الاصلى معنى ولفظاً . فمن ذلك كلمة ( مقتوي ) ، فهذه الكلمة التي وجدت في النقوش السبئية والمينية ترجمت الى السن المستشرقين بالفاظ تدل على معناها في تلك الاسن ، ثم لما نقلها الباحثون الى العربية ترجموا ترجمتها باللفظ العربي المأنوس فكانت الترجمة كلمة (مساعد) . وهكذا حصل الخلاف في اللفظ بين تلك النقوش اليمنية ، وبين ما يساويها من لسان العرب الشماليين ، ولو ان المترجم تذكر شطر بيت الشاعر الشمالي عمرو بن كلثوم وهو يتوعد عمرو بن هند بقوله ( متى كنا لأمك مقتوبنا ) ثم ترجم ( مقتوي ) السبئية بـ ( مقتوي ) الشمالية لزال قسم كبير من الوهم المسيطر على العقول حول الخلاف ( العظيم ) بين لسان أهل الجنوب ولسان أهل الشمال .

وما قلناه عن كلمة (مقتوي) يصدق على عشرات ومئات من الكلمات الاخرى .

٩ - يحدث كثيراً أن ينمض معنى بعض كلمات النقش على المستشرق ، أو ان لا يفهم معنى تركيب شديد الإيجاز ورد في النقش ، وفي هذه الحالة يلجأ إلى استلهاهم السياق معنى ما غمض عليه من المفردات والتراكيب ، ثم يزيد في الترجمة أو ينقص لئتم له اداء المعنى الذي ظنه هو المقصود . ومن كل ذلك ينشأ خلاف كبير بين ترجمة النقش وصورة حل رموزه . وسترى مثلاً على ذلك بعد قليل .

١٠ - إن كلمة ( مستشرق ) لا تعني دائماً ذلك العالم الحق المدقق

الذي لا يتأزر كبيرة ولا صغيرة إلا احصاها ، والذي لا يأتيه الخطأ من بين يديه ولا من خلفه . فكثيراً ما يخطيء هؤلاء للمستشرقون حتى في ابسط القضايا وأكثرها وضوحاً . وكثيراً ما يطلقون الاحكام المسامة الخطيرة ولا سند لهم إلا حالة شاذة عثروا عليها هنا أو هناك ففرحوا بها وغلبوها على مئات الأدلة التي تناقضها ، بل كثيراً ما يحدث أن لا يكون لهم من دليل في احكامهم غير الوم والظن والهوى .

واغرب من ذلك أن يقوموا فيما لا يجوز للمبتدئ ان يقع فيه من الاخطاء وإليك مثالا على ذلك :

نقل ولفنسون عن ليتسبرسكي النقش السبثي التالي ، ثم ارقعه بحل لرموزه ، وترجمة له الى العربية . وها نحن أولاء موردون كل ذلك بالحرف الواحد :

النقش الاول

Ephemeris ٩٣ ص ١ مجلد ٣ >

- 1 [ ... ]
- 2 [ ... ]
- 3 [ ... ]
- 4 [ ... ]
- 5 [ ... ]
- 6 [ ... ]

### حل رموز النفس

- ( ١ ) ب ... وهق ... جنا وصوابت وعفدت وهجر هو
- ( ٢ ) مبرام حسسم وا ... م ... م ووسفو وريو كل جناهو  
وصوبت
- ( ٣ ) .. جناهو وصوبتو وعفدتو بن مريهو عدى ثرتو وهديهو  
وهقبين
- ( ٤ ) خدعو وهمقبو نللفهو مصرعتم مبرا ومقيدح كل صدقم بن  
موثرم عدى ت
- ( ٥ ) .. ن بقم مراهيمو عتتر شرقن واتشمهو والال تهمو  
وباخيل ومقيمت خميس
- ( ٦ ) حن يورخن ذقيصن ذبخرف ذلششت وتسعي وثلت ماتم  
بن خرف مبخص بن ابخص

### ترجمة النقش

- ( ١ ) ... ( وأصلحو مرة اخرى ) السور و ... ابراج مدينتهم
- ( ٢ ) بأدوات البناء ووسموا كل سور و ...
- ( ٣ ) وسورها و ... و ابراجها من أعلى إلى أسفل مكان وزينوها  
ب ... و ابراجها للحراسة .
- ( ٤ ) وعمروا الخلف ( ؟ ) على هيئة باب حصن بأحسن ادوات  
البناء وفن التعمير من أسفل إلى أعلى ...
- ( ٥ ) بمجد سيدم عنتر المشرق وآلهة الشمس وسائر الآلهة  
وبجول وقوة الخميس ( الجيش )
- ( ٦ ) في شهر ذي قيصن من سنة ثلاثمائة سنة بعد مبخص بن ابخص

هنا اخطاء كثيرة ، بعضها في النص بحروفه السبئية ، وبعضها في حل الرموز ، وبعضها في الترجمة .

فأما في النص السبئي فقد وردت في السطر السادس كلمة ( نجت ) وصوابها ( نلت ) كما وردت في حل الرموز . ومن المؤسف أن صورة النقش الاصلية ليست أمامنا . ولو كانت كذلك وعارضناها على النص لكان من غير المستبعد ان نمثر على اخطاء أخرى غير هذا الخطأ الذي هدانا اليه السياق ( ١ )

اما في قسم حل الرموز فالاطاء كثيرة . ففي السطر الاول سقطت واو بعد الباء المفردة ، كما زيدت الف في كلمة ( صواب ) ليست موجودة في النص السبئي . كما زيدت واو قبل كلمة ( هجرهمو ) وفي السطر الثاني وردت كلمة ( حسسم ) خطأ ، وصوابها ( حززم ) ، وفي السطر الخامس كتب ( مراهيمو ) والصواب ( مراهمو ) بغير ياء ، وكتب ( عتتر ) بباءين ، وصوابها ( عتتر ) بباء وناه ، وكتب ( شرقرن ) والصواب ( شرقرن ) ، وفصل ( الال ) عن ( تهمو ) كأنها كلمتان ، والصواب وصلها هكذا ( الاتهمو ) لأنها كلمة واحدة . وفي السطر السادس كتب ( يورخن ) بالياء ، والصواب ( بورخن ) بالباء .

واما في الترجمة فهناك اخطاء أخرى ، ففي السطر الاول قال ( السور ) وصوابها ( سور ) بغير تعريف ، واهمل كلمة ( صوبت ) فلم يترجمها ، وقال في السطر الثاني ( ووسموا كل سور ) وصوابه ( ووسموا

---

١ - من المهم التنبيه الى ان شكل النص السبئي ليس صورة فوتوغرافية للنقش الاصلى كما قد يتوهم القارى . بل هي حروف مطبوعة كسائر الحروف المطبوعة الاخرى . ومعنى ذلك ان الخطأ في كلمة ( نجت ) إما ان يكون حاصلًا من ليترسكي وهو يكتب بالحروف السبئية ، واما ان يكون من المطبعة . والواقع ان حرفي الجيم واللام شديدا التشابه في السبئية . مما يسهل معه وقوع مثل هذا الخطأ .

كل سورها ) ، كما أهمل كلمتي ( ريمو ) و ( صوبت ) فلم يترجمها ، وفي السطر الثالث أهمل مرة ثالثة كلمة ( صوبت ) ، وقال ( من أعلى الى أسفل مكان ) وصوابه ( من اعلاه الى اسفله ) ، وزاد كلمتي ( وارجها للحراسة ) ولا مقابل لهما في الاصل ، وكان عليه ان يضعهما بين قوسين ، كما ترك كلمة ( همقبن ) بغير ترجمة . وفي السطر الرابع عاد فاهمسل كلمة ( وهمقبو ) وتجاوزها ، ثم قال ( الحلف ) وصوابه ( خلفه ) ، وزاد من عنده كلمتي ( على هيئة ) مما لا وجود له في الاصل ، وكلمات اخرى ايضاً منها ( أعلى ) الواردة في نهاية السطر . وفي السطر الخامس قال ( المشرق ) وصوابه ( الشارق ) (١) . وقال ( وآلهة الشمس وسائر الآلهة ) وصوابه ( وشموسهم وآلهتهم ) ، وقال في السطر السادس ( ذي قيصن ) وصوابه ( ذو القيص ) أو ( ذا القيص ) (٢) ، وزاد كلمة ( بعد ) التي احدثت اضطراباً في العبارة . وقال ( مبحص بن أبحص ) والصواب ( مبحص بن أبحص )

وقد اطلع الاستاذ ( إنو ليتان ) على كتاب ولفنسون واورد عليه جملة ملاحظات وتحقيقات طبعت والحققت به . ومن العجيب ان هذا المستشرق الكبير لم ينتبه في تحقيقاته هذه إلا الى بعض الاخطاء التي ذكرناها ، وسها عن سائرها . بل إنه صحح بعض الاخطاء باخطاء اخرى من عنده (٣)

١ - انظر غويدي : المختصر ، ص ٣٦ . ويذكر الغاموس ان الشارق اسم صنم ومعناه الطائر في الافق .

٢ - انظر المرجع نفسه ص ٦

٣ - انظر النقش وحل رموزه في كتاب ولفنسون ( تاريخ اللغات السامية ) ص ٢٤٨ - ٢٥٠ وانظر ملاحظات الاستاذ ليتان عليه في نهاية الكتاب ص ٢٨٠

فأعجب بمد هذا لدقة المستشرقين وشدة تحريمهم !!

قد يقال : ان بعض هذه الاخطاء تقع مسئوليته على منضد الحروف في المطبعة لا على المؤلف ، وان بعضها الآخر - حيث الاضافة والنقصان - كان بداعي أداء معنى النقش . وهذا صحيح الى حد ما ، ولكننا لسنا في معرض البحث عن المسؤولية وعلى عاتق من تقع ، وانما نحن بصدد البرهنة على ان هذه الاخطاء - مها يكن مصدرها - مسؤولة الى حد كبير عما زاء من الفروق بين لسان النقوش السبئية ولساننا العربي الشمالي .

وقد يقال أيضاً : ولكن كل التصحيحات التي ادخلت على النص وحل رموزه وترجمته لم تساعد على تقرب لسان الجنوب من لسان الشمال ، فلا يزال الفرق بينهما ( عظيماً ) كما يقول الدكتور صبحي الصالح .

وهنا لا بد من التذكير بأن قواعد الرسم السبئية تختلف عن قواعد الرسم الحالية ، فهي لا تثبت الالفات والواوات والياءات ، وعلى عكس ذلك تثبت الضمة بمد ميم الجماعة وتجملها واواً . ولو أننا كتبنا نص النقش بحسب قواعد رسمنا الحالية لتغيرت الصورة ، ولبدأ التقارب بين لهجتي الشمال والجنوب واضحاً .

وانحاول ذلك في السطر الخامس من النقش :

سبئي : بمقام امرئهم عشر شارقن وأشمسهم وإلاتهم وبأخيل ومقيمة خميس .

شمالى : بمقام ( بجلال ) امرئهم ( سيدهم ) عشر الشارق وأشمسهم وإلاهم وبحول ومقامة الخميس .



## ملاحظة حول كلمة (مرا):

اقترح ان تكون قراءة كلمة ( مرا ) الواردة في النقوش السبئية ( امرأ ) ، أي بالهمز لا بالألف اللينة ، لأن السبئية لم تكن ترسم الألف إلا اذا ارادت منها صوت الهمزة ، إلا ان يكون ذلك في الضمائر أو أسماء الاشارة ( راجع كتاب المختصر ) ، والمستشرقون يصرون على قراءتها بالألف اللينة ، ولا ارى لذلك وجهاً إلا أن يكونوا قد استأنسوا بكلمة ( مرا ) النبطية التي تعني السيد ، أو بكلمة ( مار ) السريانية التي تعني السيد أو القديس . وأرى ان الاستئناس بكلمة ( امرىء ) العربية الشمالية أولى على الرغم مما بين الكلمتين من اختلاف يسير في المعنى ، اذ كثيراً ما يقع للهجات ان تستعمل الكلمة الواحدة بعمان مختلفة ، فمن ذلك ان قريشا كانت تستعمل كلمة ( وعد ) بمعنى ( هدد ) وهو ضد المعنى المعروف لها عند عامة العرب ، وبهذا المعنى استعملها عمر بن ابي ربيعة في قوله :

ليت هنداً انجزت ما تعدد      وشففت انفسنا بما تجدد

ومع ذلك لست اصر على هذا الاقتراح ، لاني - من جهة أخرى - أميل الى الظن بان الهمز في كلمة ( امرىء ) امرطاريء ، وان الاصل فيها كان التسميل ، وانهم كانوا يلفظونها ( مرا ، مرو ، مري ) بحسب الحالات الاعرابية المختلفة قياساً لها على ( ذا ، ذو ، ذي ) ثم همزوا الألف والواو والياء فيها بمقتضى الحركات المناسبة لهذه الاحرف على الرأء قبلها . وهذا يفسر لنا سبب ظهور الحركة الاعرابية على حرفين اثنين بدل حرف واحد كما في سائر كلمات العربية ، وما قلناه في كلمة ( امرىء ) يقال مثله في كلمة ( ابنم ) ايضاً التي تظهر الحركة الاعرابية فيها على النون والميم معاً . ومن المعروف ان الميم في نهاية الكلمة هي علامة التنكير في السبئية .

وعلى كل حال فالامر يحتاج الى تحقيق اكثر لا يتسع له المقام هنا .

والآن قل لي هل تجد فرقاً (عظيماً) بين اللهجتين (١) ؟

١١ - ان وجود الفاظ في السبئية والمعينية لوجود لها في الشمالية لا ينهض دليلاً على ان الشمالية والجنوبية لسانان مستقلان . فهذه الألفاظ ليست معدومة تماماً من الشمالية ، بل هي موجودة فيها إما على انها من غريب اللغة ، واما بشكل بقايا لمادة لغوية مهجورة . خذ مثلاً على ذلك كلمة (هجر) السبئية التي تعني ( المدينة ) . فهذه الكلمة وان لم توجد في الشمالية بهذا المعنى ، الا ان في مادة ( هجر ) كلمات كثيرة قريبة المعنى منها ، فقد قال صاحب القاموس : « والهجر كفلز المهاجرة الى القرى ... والمهاجري البشاء او من لزم الحصر » انتهى . ومن هذا الباب قول الراجز :

قد لفها الليل بمصلي  
أروع خراج من الدوي  
مهاجر ليس بأعرابي

١ - نقل الدكتور صبحي الصالح حل رموز السطر الخامس مع ترجمته الى كتابه ( دراسات في فقه اللغة ص ٥٤ ) مستشهداً به على وجود فرق عظيم بين لساني الشمال والجنوب . ومن المؤلف ان الاستاذ الصالح احتفظ بكل اخطاء ولقنسون ولتان دون ان يحشم نفسه مشقة قراءة النص بحروفه السبئية . بل لقد أضاف على اخطائهما خطأين آخرين . أما الاول فهو خطأ مطبعي على ما نعتقد ، وهو سقوط ميم الجماعة من كلمة ( أشمسمو ) ، واما الثاني فواضح ان الاستاذ قد قصد إليه قصداً ، وهو انه ترجم ( عنتر ) بـ ( عشترت ) . ولا نرى سبباً لذلك الا ان يكون الاستاذ قد اراد توسيم الفرق للقوية لشاهده على صحة ما ذهب اليه ، او انه ظن ان ( عشترت ) هي الترجمة الصحيحة لكلمة ( عنتر ) من ان الفرق بينهما واضح : فعنتر إله يمني مذكر ، وعشترت آلهة آرامية مؤنثة .

وسواء أكان عنتر الهاني هو نفسه عشتر او عشترت الآرامية ام لم يكن احدهما ، فانه من الواجب علينا ان نحفظ للاعلام باللفظ الذي هو لها في السنة اصحابها ، والا فيصبح لنا الاستاذ الصالح ان نسمي صاحب ابي حنيفة بـ ( ابي هوسيب ) لا لشيء إلا لانه الارمنية تلفظ اسم ( يوسف ) هكذا .

فالمهاجر هو من سكن المهجر أي البلد . أما مايقال من انه اراد بالمهاجر المتمرس بالشدائد فقول لامعنى له ولايفسر شيئاً من كلام الراجز ، فالراجز أراد المطابقة بين الاعرابي والمهاجر كما هو واضح من عبارته ، ولا يطابق الاعرابي ، وهو ساكن البادية ، إلا ساكن المدينة أي المهاجر .

والذي يبدو لنا أن كلمة ( هجر ) - وهذه الكلمة نتخذها مثلاً لكل الكلمات التي تشبهها في حالتها - كانت موجودة في اللسان العربي القديم بمعنى ( المدينة ) ، سواء في ذلك اللهجات الشمالية والجنوبية ، ثم حدث لهذه الكلمة أن خصصت لبعض المدن واقرى<sup>(١)</sup> علماء لها كما حدث لكلمة ( مدينة ) التي خصصت فأطلقت علماً على مدينة الرسول (ص) ، فلما جرى لها هذا التخصيص أهملت بمعناها العام حتى نسيت ، وان بقيت آثار لمعناها في كلمات أخرى من المادة نفسها كما مر آنفاً .

وعلى هذا الاساس لانكون امام لسانين متمايزين اختلفا في الفاظها ، وانما نكون امام حالتين للسان واحد في فترتين متباعدتين من الزمان ، أي أمام طورين من اطوار لسان واحد .

ومها يمكن فان اختلف لهجات اللسان الواحد في بعض المفردات أمر معروف في كل لسان ، ولم يقل أحد بأن هذا الاختلاف حد فاصل بين الألسن ، وإلا لكان رجز رؤبة والمجاج من لسان غير اللسان العربي المعروف . ولا نظن أن أحداً قال بهذا في يوم من الايام .



كان القصد مما ذكرناه حتى الآن اقامة الدليل على بطلان مازعمه بعضهم من وجود فوارق كبيرة بين لهجات الجنوب والريفية الشمالية ، ولكن

١ - انظر معجم البلدان لياقوت والقاموس الفيروز آبادي

كل ذلك قد لا يكفي، وقد يطالبنا القارئ بأدلة تثبت صحة مانديه من ان عربية الشمال وعربية الجنوب ليستا غير لهجتين من لسان واحد . وهذا مانحن فاعلوه باذن الله .

ب - أدلة اثبات :

١ - تتفق الجنوبية مع الشمالية في عدد الأصوات اللغوية وصفاتها، فكلاهما تتألف ابجديتها من ثمانية وعشرين صوتاً لا أكثر ولا أقل<sup>(١)</sup> هي : ابجد هوز حطي كلمن سمفص قرشت ثخذ ضظغ . وهذا الاتفاق التام في الأصوات ، عدداً وصفات ، لايتأتى إلا للهجات شديدة التقارب . أما الألسن المتباعدة فيتعذر ان تتفق في أصواتها، بل ان اللهجات نفسها كثيراً ماختلفت في أصواتها . انظر مثلاً الى لهجات العربية الشمالية قديماً وحديثاً لترى بنفسك مقدار ماينها من اختلاف في الاصوات . فاذا اتحدت الجنوبية والشمالية في عدد الاصوات وصفاتها فعلام يدل ذلك ان لم يدل على ان الاثنين لهجتان من لسان واحد ؟

٢ - كل ماكشف من قواعد الصرف في الجنوبية يتفق تمام الاتفاق مع مثيله من قواعد صرف الشمالية . وإليك جدولاً يبين ذلك<sup>(٢)</sup> :

القاعدة	في الجنوبية	في الشمالية
المجرد	فعل - فعمل	فعل - فعمل
المزيد بحرف	هفعل - فعمل - فاعل	أفعل - فعمل - فاعل
مصادر الزيدات بحرف	هفعمال - هفعله - تفعمل	إفعمال - إفعله - تفعمل
على الترتيب	تفعله - فعمل - فاعل	تفعله - فعمل - فاعل
		مفاعلة - فيعمال

١ - رموز الابجدية الجنوبية ٢٩ لا ٢٨ . لان صوت السين فيها رمزين اثنين احدهما يسمى سيناً والثاني يسمى سمكت

٢ - للتوسع راجع كتاب (المختصر) لنويدي .

القاعدة	في الجنوبية	في الشمالية
الزيد بحرفين	نَفَعَلَ (١) - فَنَعَلَ (١)	إِنْفَعَلَ - إِفْتَعَلَ
مصادر الزيدات بحرفين	نَفَعَلَ (١) - فَنَعَلَ (١)	إِنْفَعَلَ - إِفْتَعَلَ
على الترتيب	تَفَعَّلَ - تَفَاعَلَ	تَفَعَّلَ - تَفَاعَلَ
الزيد بثلاثة أحرف	سَتَفَعَّلَ (١)	إِسْتَفَعَّلَ (٢)
مصدر الزيد بثلاثة أحرف	سَتَفَعَّلَ (١)	إِسْتَفَعَّلَ
اسم الفاعل من الثلاثي	فَاعِلٌ	فَاعِلٌ
اسم المفعول من الثلاثي	مَفْعُولٌ	مَفْعُولٌ
اسم الفاعل من غير الثلاثي	بإبدال حرف المضارعة	بإبدال حرف المضارعة
	ميماً مضمومة مع كسر	ميماً مضمومة مع
	ما قبل الآخر	كسر ما قبل الآخر
	بإبدال حرف المضارعة	بإبدال حرف المضارعة
	ميماً مضمومة مع فتح	ميماً مضمومة مع فتح
	ما قبل الآخر	ما قبل الآخر
أداة التعريف	نون في آخر الاسم	( ال ) في أول الاسم
أداة التنكير	ميم ساكنة في آخر الاسم	نون ساكنة في آخر الاسم
المضاعف	لا يدغم التماثلان (هجدد)	يدغم التماثلان (أجدد)

- ١ - العربية الجنوبية لا تثبت همزة الوصل في الكتابة  
٢ - هذا الوزن غير مؤكد وجوده في الجنوبية، وإن كان ذلك محتملاً،  
وسبب الشك فيه أنه والمجرد الثلاثي يكتبان في الخط المسند على صورة  
واحدة، لأن هذا الخط يتلوه من همزة الوصل والشدة كما علمت .

في الشمالية	في الجنوبية	القاعدة
تسقط واوه في المضارع ( يعد )	تسقط واوه في المضارع (يعد) <sup>(١)</sup>	المثال
تسقط واوه في المصدر وتموض بتاء في الآخر ( وعد - عدة )	تسقط واوه في المصدر وتموض بتاء في الآخر (وعد - عدة)	المثال
تبدل واوه تاء وتدغم في تاء الافتعال (وثق - أتثق)	تبدل واوه تاء وتدغم في تاء الافتعال (وثق - تثق)	المثال في باب افتعل
ترد ألفه الى اصلها في المضارع (ثاب - يشوب، شام - يشيم) أثاب - يثيب ثوب - شيثم	ترد ألفه الى اصلها في المضارع (ثاب - يشوب، شام - يشيم) هثاب - يهثيب ثوب - شيثم	الأجوف
كل هذه الاوزان موجودة في الشمالية كما هو معروف .	قَمَل (فرس) فَعَل (ملك) قَمَل (رجل) فَعَل (عنب) فَعَل (إبل) فَعَل (برق) فَعَل (رجل) فَعَل (ثمن) فَعَال (ثواب) فَعَال (حمار) فَعَال (غلام) فَعَال (حادث) فَعِيل (قتيل) فَعَال (إصبع) على وزن فَعِيل (سَلِم) على وزن أَفَعَل (أصنع) على وزن مَفَعَل (مطعم) بزيادة ياء مشددة على آخر الاسم (مشرقي)	الاجوف في باب افعل الاجوف في باب فَعَل بعض اوزان الاسم الأنوسة
على وزن فَعِيل (سَلِم)	على وزن فَعِيل (سَلِم)	التصغير
على وزن أَفَعَل (أصنع)	على وزن أَفَعَل (أصنع)	التفضيل
على وزن مَفَعَل (مطعم)	م مَفَعَل (مكرب = هيكل)	اسم المكان
بزيادة ياء مشددة على آخر الاسم (مشرقي)	بزيادة ياء مشددة على آخر الاسم (مشرقي)	النسبة
بزيادة الف ونون على صورة المفرد (نمر - نمران)	بزيادة الف ونون على صورة المفرد (نمر - نمران)	التثنية

١ - صورة المثال في حالة الامر غير معروفة ، لانه لم يعثر في النقوش السبئية على صيغة الامر مطلقاً

في الشمالية	في الجنوبية	القاعدة
زيادة واو ونون في حالة الرفع وياء ونون في حالي النصب والجر	زيادة واو ونون في حالة الرفع وياء ونون في حالي النصب والجر	الجمع المذكر السالم
ان يكون علماً أو صفة المذكر عاقل خالياً من تاء التأنيث وليس على وزن أفعل فعلاء ولا فعلان فعلى ، وشذ في ( أرضون - سنون ... )	ان يكون صفة أو اسم فاعل أو مفعول . ونسدر فيما سوى ذلك	شرط المجموع جمع مذكر سالماً
زيادة الف وتاء على صورة المفرد ( بملات - بملات )	زيادة الف وتاء على صورة المفرد ( بملات - بملات )	الجمع المؤنث السالم
المفرد ( شجرة - شجرات )	فُعْمول ( أسود = جنود ) والمفرد: أسد <sup>(١)</sup> بالسكون	بعض اوزان جمع التكسير
	فُعْمَال (شراك = شركاء)	
	فعايل (خرايف = سنوات)	
	فعايلة (جرايبة) فعاولة	
	(اداومة = عييد . والمفرد أدوم = عبد) فُعْمِلاو <sup>(٢)</sup>	
	(حُورِاو = أعيان انراف)	
	أفْعَل (أحمر = حمير) أفْعَال (أثمار) أفْعِيلة (أخرقة = سنوات) مَفَاعِيل (مصانع = قصور) مَفَاعِلة (مشاعة = ولايات)	

كل هذه الاوزان موجودة في العربية الشمالية كما هو معروف.

١ - الأسد بسكون السين معناه الجندي في لهجة الجنوب ، فهل بين هذه الكلمة وبين كلمة (الأزد) علاقة ، والازد قبيلة يمنية كما نعرف . وتحول السين الى زاي امر تفرقه القوائين الصوتية ، لانه ، وهو المهموس ، جهر لمجاورته الفدال المحبورة فأصبح زايماً . والزاي هو النظير المجهور للسين . إنه تساؤل فقط على كل حال .

٢ - لانزال نصر على رأينا في ان العربية الجنوبية كانت تكتب كلماتها مراعية أصولها الاشتقاقية غير عابثة بما يطرأ عليها من اعلال في اللفظ . ونظن ان هذه الواو في فعلاو كانت تلفظ همزة .

في الشمالية	في الجنوبية	القاعدة
زيادة تاء على آخر الاسم (زوج - زوجة)	زيادة تاء على آخر الاسم (بعل - بملة)	التأنيث
لاتلحقه (ال) التمريرف.	لاتلحقه نون التمريرف	المضاف المنوع من الصرف
هذه هي قواعد المنوع من الصرف في العربية الشمالية تماماً .	يمنع من ميم التنكير كل علم على وزن الفعل وكل علم مركب تركيباً مزجياً، وكل صفة على وزن أفعل، وكل جمع على صيغة منتهى الجموع ... ضممة في حالة الرفع وفتحة في حالة النصب وكسرة في حالة الجر (١)	الاعراب
وهذا هو حال الشمالية تماماً		
يتبع ممنوعته في : الافراد والثنية والجمع والتذكير والتأنيث	يتبع ممنوعته في : الافراد والثنية والجمع والتذكير والتأنيث	الذمت

هل تشك بمد كل هذه الوجوه من الاتفاق في القواعد مما لا يوجد  
مثله حتى بين لهجات اللسان الواحد - هل تشك في ان العربية الجنوبية  
والعربية الشمالية لهجتان من لسان واحد ؟ .

٣ - تتفق الجنوبية مع الشمالية في اكثر مفرداتها . ولولا خوف  
الاطالة والاملال لمرضنا على القاريء مئات من المفردات المشتركة بين  
اللهجتين . واذا كانت مظاهر الاتفاق في المفردات اقل منها في نظام  
النحو والصرف فهذا لا ينفى ما ذهبنا اليه بل يؤكد ، لأن مظهر الاختلاف  
بين اللهجات يكون في المفردات قبل كل شيء .

١ - هنا هو رأي غويدي على الاقل . انظر كتابه (المختصر) ص ١٤ .



٤ - كل الروايات والاخبار تشير الى ان لهجات الجنوب كانت قبيل ظهور الاسلام شديدة القرب من لهجات الشمال ، فرجال قريش في رحلة الشتاء لم يكونوا في حاجة الى مترجمين للتفاهم مع اخوانهم من عرب الجنوب ، وحين قدم وفد اليمن على رسول الله ﷺ كان التفاهم بين الطرفين في غاية السهولة ، بل ان الرسول الكريم خاطبهم بلهجتهم (١) . فاذا كانت لهجتنا الشمال والجنوب شديدتي التباعد فيما مضى فكيف تهيأ لهما هذا التقارب ؟ أكان ذلك نتيجة تطور طبيعي ؟ لا . فان اول قانون من القوانين اللغوية يقول : ان اللغة في تفتت دائم ، وانقسام لا ينتهي ، يفتت اللسان الواحد الى لهجات ، ثم تتباعد اللهجات وتتباعدها حتى تصير كل منها لساناً مستقلاً يصيبه من التفتت ما اصاب الاول وهكذا ...

فاذا كانت اللهجات لا تتقارب تلقائياً فلا بد - من اجل ان يحدث التوحيد اللغوي - من ان تتغلب احدى اللهجتين على الاخرى بمامل من العوامل المروفة في مثل هذه الحالة . فأى اللهجتين ابتلمت الاخرى ؟ الشمالية أم الجنوبية ؟

يقرر المستشرقون ان الغالب كان لهجة الشمال . يقول ولفنسون (٢) - وقوله تكرير لأقوال كل المستشرقين - : « ان لهجات الشمال كانت في المصور القريبة من ظهور الاسلام ذات سلطان قوي ونفوذ واسع ، فكانت تتلغ اللهجات الجنوبية ابتلاءً ، الواحدة منها تلغ الاخرى . فاللهجات التي اصبحت سائدة في اغلب اقاليم الجزيرة العربية قبيل ظهور الاسلام انما هي الشمالية بمد ان التهمت اكثر اللهجات الجنوبية وتغذت بها » .

١ - حديث ( ليس من امر اصيام في اسفر )

٢ - تاريخ اللغات السامية ، ص ١٦٧

ولكن المستشرقين لا يقولون لنا شيئاً عن الأسباب التي جعلت لهجات الشمال تتلع لهجات الجنوب ، بل يكتفون بالقول : « انها كانت ذات سلطان قوي ونفوذ واسع ، فمن اين استمدت لهجات الشمال سلطانها هذا؟ اذا عدنا الى القوانين اللغوية في موضوع الصراع اللغوي وجدنا ما يأتي :

حتى يتغلب لسان على آخر ، او لهجة على أخرى ، يجب ان يتسلح باحدى القوى الآتية أو بها جميعاً ، وهي :

١ - القوة الحضارية

٢ - القوة السياسية

٣ - القوة البشرية

فأما في الاولى فكفة لهجة الجنوب راجحة على كفة لهجة الشمال ، فالتاريخ يمددنا ان الحضارة بجميع مظاهرها الزراعية والصناعية والعمرائية كانت لأهل الجنوب دون اهل الشمال الذين غلبت عليهم البداوة الا في بعض قرى الحجاز التي لم تخل من تأثيرات بدوية كثيرة .

واما الثانية ، فانه وان لم يكن لأحد الطرفين رجحان فيها على الطرف الآخر ، فان اهل الشمال كانوا ينظرون الى دول الجنوب نظرة الاعتزاز المشوب بالحب والاحترام ، وكانوا يجدون في تلك الدول التجسيد السياسي لشخصية العربية ، فبالاضافة الى القبائل التي تنتسب الى اليمن مثل طيء ، وثلج وجذام والأوس والخزرج وكندة تلك التي كانت ترنوا بأبصارها الى الجنوب ، نجد قريشاً ترسل وفداً الى اليمن للتهنئة بتحريره

من سلطة الاحباش ، وادا دل هذا على شيء فانما يدل على ان الشماليين كانوا ينظرون الى دول اليمن على انها دولهم م وان لم يكن لها عليهم سلطان سياسي مباشر .

ومن هذه الزاوية ترجح كفة لهجة الجنوب كفة لهجة الشمال .

واما الثالثة فهي في مصلحة لهجة الجنوب وفي صفها ايضاً ، فقد حدثنا التاريخ عن هجرات كثيرة اتجهت من الجنوب الى الشمال ، ولم يحدثنا عن هجرة واحدة اتخذت الاتجاه العاكس في سيرها . فمن اليمن لامن غيرها انطلقت القبائل الكثيرة بمد خراب سد مأرب لتملأ فجاج الحجاز وهضاب نجد ومشارف الشام والعراق ، حتى باتت هذه القبائل تؤلف نسبة محسوسة في سكان الشمال .

وهكذا ترى ان القول بابتلاع لهجات الشمال لهجات الجنوب يتعارض مع أشد القوانين صرامة واكثرها اطراداً .

ولكن ، اذا اتفقنا ان تكون لهجات الشمال قد اثرت في لهجات الجنوب ( او ابتلمها الواحدة تلو الاخرى ) فكيف نفسر هذا التقارب بينها قبيل ظهور الاسلام ؟

هل هناك معجزة ؟

لا . ان العلم لا يؤمن بالمعجزات . انه لا يرتاح إلا الى التفسيرات الطبيعية البسيطة للظواهر والاشياء . وابسط تفسير لظاهرة هذا التقارب بين لهجات الشمال والجنوب قبيل الاسلام هو ان يقال : انه لم يكن بين هذه اللهجات خلاف كبير في الماضي كما يزعم بعضهم ، بل كان بينها من

الخلاف اليسير ما يوجد دائماً بين كل اللهجات التي تنتمي الى لسان واحد ،  
وان هذا الخلاف اليسير استمر يسيراً حتى ظهور الاسلام ، ثم تلاشى  
نهائياً بغلبة لهجة القرآن التي ملكت اسباب القوة والتغلب الآنفة الذكر .

\*\*\*

ولنمد الآن الى النقوش الشمالية ، وهي : الصفوية والتمودية  
والحبيانية والجاهلية .

لقد اختلف آراء المستشرقين في امر لسان هذه النقوش :

قالت فئة منهم : ليست هذه نقوشاً عربية ، بل هي آرامية او ببطية  
فيها الفاظ وعبارات عربية .

وليس لنا مع هؤلاء حديث ، فلسنا في مقام التنازع في هذه  
النقوش ، ولا في ملكيتها الي اي الالسن تعود . وانما نترك هؤلاء ان  
يفسروا لنا سبب وجود الفاظ وعبارات عربية في نقوش آرامية او ببطية .

وقالت فئة ثانية : بل هي نقوش عربية فيها تأثيرات آرامية كثيرة ،  
بحيث يعتبر اللسان الذي كتبت به لساناً يختلف عن اللسان العربي الذي  
نعرفه في نجد والحجاز .

وعلى هؤلاء نرد بما يأتي :

١ - اذا كان لسان عرب مشارف الشام والمراق - وهم اصحاب  
هذه النقوش - مختلفاً اختلافاً كبيراً عن لسان اهل نجد والحجاز اثناء

تدوين هذه النقوش ، فيجب ان نجد تفسيراً مقبولاً لتشابه اللسانين المذكورين تشابهاً تاماً قبيل ظهور الاسلام ، هذا التشابه الذي اثبتت كل الروايات التاريخية والاخبار الادبية وجوده . فكلنا يعلم ان شعراء نجد والحجاز كانوا يقدون قبيل الاسلام على ملوك المناذرة في الحيرة وملوك الفساسنة في الشام ، وانهم كانوا ينشدونهم اشعارهم البدوية ، وان هؤلاء الملوك كانوا يتذوقون هذه الاشعار ويميزون عليها . ولا معنى لكل هذا الا ان يكون لسان الشاعر المنشد ولسان الملك المستمع شيئاً واحداً .

فاذا علم المستشرقون هذا التقارب بالابتلاع فقد وقعوا فيما وقع فيه غيرهم ممن قالوا بابتلاع لهجات الشمال لهجات الجنوب . وما قلناه في الرد على اولئك يصلح بكل تفاصيله للرد على هؤلاء ايضاً .

٢ - ان هذه النقوش تشتمل على عبارات لاشك في فصاحتها وسلامتها من كل لكنة اعجمية ، مثل : ( ونزل بنيه الشعوب ) و ( فلم يبلغ ملك مبلغه ) (١) . وهذا اكبر دليل على ان لسان كتبة هذه النقوش لم يكن يختلف في شيء عن لسان نجد والحجاز كما نعرفه قبيل ظهور الاسلام . فان قيل : فما شأن هذه العبارات الاعجمية في النقوش مثل ( تي نفس = هذا قبر ) و ( عكدي = في الحول ) وغيرها مما لا يكاد يخلو منه نقش ؟ قلنا : ان هذه العبارات وماشابهها كانت تقليداً كتابياً يتبعه الكتبة في النقوش فقط دون لسان المحادثة العادية . فكلنا يعلم ان الثقافة الآرامية كانت هي المسيطرة على تلك المنطقة لذلك العهد ، وكلنا يعلم ايضاً ان العرب الشماليين قد اخذوا خطهم عن الخط الآرامي والنبطي ، فكان طبيعياً ، والحالة هذه ، ان يتأثر الكتبة بتقاليد الكتابة الآرامية

---

٦ - انظر نقش النبارة الذي سبق ذكره .

وان يضمنوا كتاباتهم عبارات آرامية شائعة في الكتابة تظاهراً منهم بالعلم او تظرفاً . أما القول بتأثيرات آرامية في لسان المحادثة لعرب تلك المناطق فهو مما يتعارض مع ا بسط القوانين اللغوية ، فهذه القوانين تقول لنا : انه اذا أصاب التشويه لساناً ما لم يضربه في نقطة دون أخرى ، ولم يصب عبارة من عباراته لتسلم منه عبارة أخرى ، بل هو يصيبه في جميع عباراته واساليبه . انظر الى لهجتك العامية الحديثة - سواء اكنت شامياً ام مصرياً ام عراقياً - وقل لي ، هل تجد في لهجتك عبارة واحدة خالصة الفصاحة لم تشبها شائبة عامية ؟ فاذا كان جوابك بالنفي أيقنت معي ان وجود عبارات فصيحة سليمة في لغة النقوش الجاهلية اكبر دليل على فصاحة اللسان الذي كتبت به ، وانسه واللسان العربي الشمالي الذي نعرفه قبيل ظهور الاسلام نبيء واحد لاشيثان .

وقالت ففة ثالثة : ان لسان هذه النقوش هو لسان العرب الشماليين الجاهليين ، ولكنه بخصائصه التي تظهر له من خلال النقوش يختلف عن لسان القرآن اختلافاً كبيراً .

وليس لهذا القول إلا إحدى نتيجتين اثنتين لاثالته لها : فاما ان يقول هؤلاء ان اللسان القرآني بخصائصه المعروفة قد نجم من العدم او اخترع اختراعاً ، واما ان يقولوا ان اللسان الجاهلي القديم قد تطور حتى كانت له هذه الخصائص حين ظهور الاسلام .

١ - فاما القول بالاختراع<sup>(١)</sup> فهو مردود لسببين : اولهما أن التاريخ بكل رواياته الموثوقة يدحض هذا الزعم الأخرق العجيب ، ولا يشير

---

١ - قال بذلك من المستشرقين فولرز وكوهين ، ومن الباحثين العرب الدكتور ابراهيم انيس وسيكون لنا رد اوسع على هؤلاء عند الحديث عن ظاهرة الاعراب في العربية .

- حتى في أضغف أخباره ، بل حتى في خرافاته - الى ان احداً  
اخترع هذا اللسان العربي المبين . بل لو لم يكن هناك تاريخ موثوق ، ولو  
لم يكن هناك تواتر في الرواية ، لكانت المحاكمة العقلية الصحيحة وحدها  
كافية لرفض فكرة الاختراع ، اذ كيف يعقل ان يخترع فرد أو أفراد  
قلة لساناً على مثل هذا النظام والتمقيد ثم يفرضوه على معاصريهم ، ويحملونهم  
عليه حملاً ، وليس لهم سلاح من سلطان او نفوذ ؟ ان فرنسا بكل  
جيوشها ، وحضارتها وعلماها ، ومدارسها ، وارادتها المصممة ، وحماسها  
الحارة ، لم تستطع ان تفرض لسانها على الجزائريين خلال مائة وثلاثين عاماً .  
فكيف استطاع حفنة من النحاة البسطاء ان يفرضوا خصائص لغوية  
للسان لا يعرفها ثم فرضوا ما اخترعوا على ملايين من البشر في فترة محدودة  
من الزمان دون ان تبدر من هذه الملايين اية بادرة من مقاومة او احتجاج ؟  
والسبب الثاني هو ان فكرة الاختراع اللغوي مرفوضة بقوانين علم اللغة  
نفسه ، اذ تعلن هذه القوانين ان الاختراع في اللغة مستحيل ، وان كل  
المحاولات التي بذلت في هذا السبيل - كلسان الاسبرانتو مثلاً - باءت  
بالخفاق ، وماتت في مهدها ، ولم يبق منها غير ذكرى ، أو غير شاهد من  
الشواهد الكثيرة على حماقات الانسان حين يحاول ان يغير من طبائع  
الاشياء ، وان يتدخل في امر النواميس الكبرى التي تحكم الكون وحياته  
الانسان .

٢ - واما القول بالتنطور فلا نرفضه ، بل نحن ممن يقول به  
ايضاً . لكن نقطة الخلاف بيننا وبين اصحاب هذا الرأي هي في مدى  
هذا التنطور لاني وجوده . فهذه النقوش كتبت في الفترة بين القرنين  
الثالث والرابع بعد الميلاد . فاذا كان ظهور الاسلام في القرن السادس  
الميلادي ، واذا كان اللسان القرآني قد تمت له خصائصه المعروفة قبل

الاسلام بقرن واحد على الاقل - كما تشير الى ذلك الاشعار الجاهلية -  
فان الفترة التي اجتازها اللسان العربي في تطوره حتى انتقل من مرحلة  
الى مرحلة أخرى بينها هذا القدر الكبير من الاختلاف المزعوم لالتزيد  
على قرن او قرنين اثنين من الزمان . وهذه فترة قصيرة جداً ، وغير كافية  
لانضاج تطور كبير . ويؤيدنا فيما نذهب اليه أمور :

أ - أولها أنه وان كانت كل الألسن خاضعة لقانون التطور ،  
إلا ان بعضها يبدي من المقاومة لهذا القانون أكثر مما يبديه الآخر ، وقد  
اتسم تاريخ العربيه خلال كل العصور بشدة المحافظة وعدم الاستسلام  
للتطور العنيف السريع . يعترف بذلك المستشرقون انفسهم حين يقررون  
أن العربية أقرب اخواتها الساميات الى الأم ، وانها احتفظت بأشكال  
قديمة من أمها لأثر لها في اخواتها . كما يشهد على ذلك ايضاً تاريخ  
تطورها منذ ظهور الاسلام الى اليوم ، فبعد اربعة عشر قرناً من التطور  
لم ينقطع التفاهم بين المتكلم بالفصحى والسامع العامي ، هذا الانقطاع الذي  
يمده علماء اللغة الحد الفاصل بين الألسن . وهذه فترة طويلة تغيرت فيها  
السن كثيرة عدة مرات .

قد يقال : ولكن الفضل في هذه المحافظة يرجع الى القرآن الكريم  
وهو عامل لم يكن في الجاهلية . وهذا صحيح ، ولكننا نقول : إنه اذا  
كان قد تهيأ للعربية بعد الاسلام عامل امسك وكبح جماع يتمثل في  
القرآن الكريم ، فانها قد تعرضت في الاسلام الى عوامل تسريع في التطور  
لم تعرض اليها في الجاهلية ، ونعني بذلك هذا الصراع العنيف الذي  
خاضته ضد اللسان المحلية في البلاد المفتوحة ، ثم هذا الانساع الهائل في  
الرقعة بعد ان صارت لغة المحادثة لكل الاقوام الساكنة ما بين حدود



المند شرقاً وجبال البرانس غرباً . فاذا تساقط الاملان : عامل الكبح وعامل التسريع ، ظل صحيحاً ماقلناه من ان سمة المحافظة وعدم الخضوع للتطور العنيف السريع من أبرز سمات العربية .

ب - الثاني ان طبيعة البلاد التي عاشت فيها العربية الجاهلية تمنع من حدوث تطور عنيف سريع في اللغة . اذ يقرر فقه اللغة ان اللغة يتجاذبها دائماً عاملان : عامل توحيد وثبات ، وعامل تفریق وتغيير<sup>(١)</sup> ، وأن طبيعة الارض تتدخل في كثير من الاحيان فتقلب احد هذين العاملين على الآخر : ففي المناطق التي تشع فيها الطبيعة على الانسان فلا تقدم البقعة المحدودة من الارض مايكفي سكانها يضطر هؤلاء السكان الى الرحلة والنقلة لسد حاجتهم الحيوية ، فينشأ عن ذلك تمازج واختلاط مستمر بين سكان المنطقة ، وكل ذلك يؤدي الى ثبات اللغة وعدم انقسامها الى لهجات كثيرة ، لأن اي انحراف يظهر فيها على شفاه قبيلة ما سرعان مايتصحح عند انتقال هذه القبيلة واحتكاكها بالقبائل الاخرى ومشافتها لها . وعلى العكس من ذلك ، اذا كانت الطبيعة سخية ، وكانت كل بقعة من الارض قادرة على كفاية سكانها وسد حاجتهم الحيوية الضرورية ، انزل الناس في بقاعهم بعضهم عن بعض لعدم الحاجة الى التنقل ، وسلكت اللغة على شفاههم مسالك متعددة بمدد الوحدات البشرية المنزلة ، وادى ذلك كله الى تفتت اللسان الواحد الى لهجات كثيرة يزيد البعد بينها كلما تقدم الزمان . فللسبب الاول كان لسان الاسكمو واحداً وعصياً على التطور على الرغم من اتساع بقاعه حول القطب الشمالي ، وللسبب الثاني كان اللسان الفرنسي متعدد اللهجات شديد الاختلاف بينها ، حتى انك

---

١ - انظر : ابراهيم السامرائي : التطور القفوي التاريخي ، ص ٢١ ومابعدها

لتحس بالفوارق اللغوية في فرنسا كلما انتقلت من قرية الى اخرى ، بل  
كلما انتقلت من حي الى حي في القرية الواحدة .

ج - الثالث هو ان هذا التطور المزعوم للعربية في خلال  
قرنين من الزمان لم يحدث مثله - في شدته وعنفه - حتى للفرنسية  
والانكليزية اللتين ضربتا الرقم القياسي في سرعة التطور .

فاذا اتفقنا ان تكون عربية القرآن اختراعاً وتلفيقاً ، واذا بطل  
ان تكون قد استكملت خصائصها نتيجة تطور خلال قرنين فقط من  
الزمان ، لم يبق الا شيء واحد ، وهو : ان هذه العربية القرآنية قديمة  
بخصائصها وان لسان النقوش التي دوت في القرنين الثالث والرابع الميلاديين  
هو نفسه اللسان العربي الشبلي الذي كان لقريش وسكان نجد والحجاز  
بكل ما نعرف من صفاته وخصائصه .

★ ★ ★

زيد من كل ما تقدم ان نخلص الى القول :

١ - إنه لم يكن في جزيرة العرب الا لسان عربي واحد  
يتكلمه اهل الشمال واهل الجنوب على حد سواء ، وان الاختلاف بين  
لهجاته لم يكن اوسع مما تميزه وتقبله قوانين اللغة بين لهجات  
اللسان الواحد .

٢ - ان اللسان العربي الذي وصلنا عن طريق القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الجاهلي لسان طبيعي بكل معاني الكلمة ، نشأ نشأة طبيعية ، وتطور تطوراً طبيعياً ، ولا يزال حتى اليوم يسلك خطه الطبيعي في التطور .

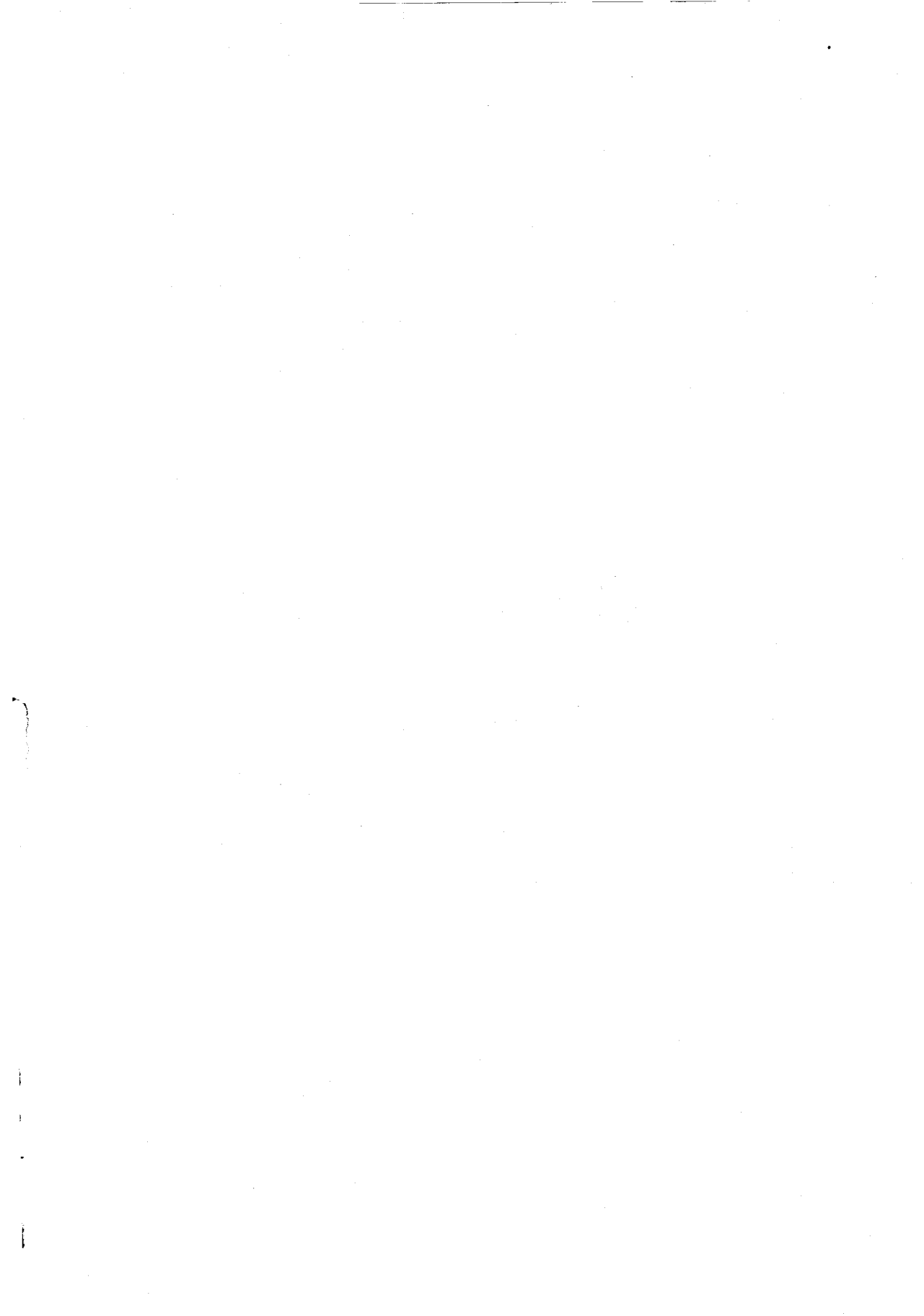
٣ - ان هذا اللسان العربي بكل خصائصه وصفاته قديم تمتد جذوره في الجاهلية قرناً عديدة اكثر مما يقدره له المستشرقون .





الْبَابُ الْوَأَخِيرُ

الْأَخِيرُ وَالْأَوَّلُ



## تحليل الأصوات اللغوية

عنصر الاصوات هو أحد العناصر الثلاثة التي تتألف منها اللغة المنطوقة ، وهي عنصر الاصوات ، وعنصر المفردات ، وعنصر التراكيب .  
والعلم الذي يدرس الاصوات اللغوية يدعى بعلم الاصوات اللغوية ( La Phonétique ) . وهو ينقسم الى اربعة اقسام :

علم الاصوات الوصفي : وهو العلم الذي يتناول بالدراسة عنصر الاصوات لسان ما في فترة ما . فاذا اقبل باحث على لسان من الالسن فدرس عنصر الاصوات فيه ، ليقفنا على مافي هذا اللسان من اصوات ، وعلى مخارجها وصفاتها وخصائصها ، وعلى مايمتري هذه الاصوات من تغير وتبدل لمجاورة بعضها لبعض ... الخ . فعمله يدخل فيما يسمى بعلم الاصوات الوصفي : ومن ذلك مباحث علم التجويد في العربية .

علم الاصوات التاريخي : وهو العلم الذي يتتبع اصوات لسان ما خلال فترة طويلة من الزمن ليقف على التغيرات التي اصابته اصوات هذا اللسان ، وعلى القوانين التي حكمت هذه التغيرات .

علم الاصوات المقارن : وهو العلم الذي يقيم الموازنة بين اصوات

لسانين او اكثر ليكشف عن وجوه الاتفاق والاختلاف بينها .

علم الاصوات العام : وهو العلم الذي يدرس عنصر الاصوات في اللغة عامة ، فيدرس الجهاز الصوتي عند الانسان ، ووظيفة كل عضو في هذا الجهاز ، ويبحث في الطرق المختلفة لانتاج الصوت ، ويصنف الاصوات ويحاول بمد استقراء كل اللسان ان يجد الاسباب التي تسبب في التبدلات الصوتية ، الى آخر ما هنالك من المباحث التي تصدق على كل لسان ولاختصاص بلسان دون آخر .

هذا . ويتفرع على علم الاصوات اللغوية علم حديث النشأة اسمه علم وظائف الاصوات<sup>(١)</sup> ( La Phonologie ) . والفرق بين العلمين ان الاول يدرس الاصوات اللغوية وكائنها مجرد حوادث فيزيائية لاعلاقة لها باللغة التي هي احد عناصرها ، فيهتم بمخارجها وصفاتها ومقادير شدتها وعدد ذبذباتها واطوالها وما الى ذلك . بينما يهتم الثاني بوظيفة كل صوت في اللغة ، فيتساءل عن كثرة ورود هذا الصوت او قلته في هذا اللسان ، وعن امكان وجوده في هذا المقطع او ذاك ، وعن قبول مجاورته لذلك الصوت او عدم ذلك . الى آخر ما هنالك من المباحث التي ترمي الى وضع القواعد الصوتية التي تجري عليها الاصوات في لسان ما ، من غير الحاح على الطبيعة الفيزيائية للأصوات ، هذا الالحاح الذي يميز علم الاصوات من علم وظائف الاصوات .

---

١ - ويسميه الدكتور تمام حسان بـعلم التشكيل الصوتي . انظر كتابه ( مناهج البحث في اللغة ) ص ١١١ وما بعدها .



هذا ، وان قولنا عن علم وظائف الاصوات انه علم حديث النشأة ليس صحيحاً كل الصحة ، فالواقع ان كثيراً من مباحث هذا العلم عرفت عند العرب قديماً ، فتولم عن النون والراء انها لا تجتمعان في صدر كلمة عربية<sup>(١)</sup> ، وملاحظاتهم الكثيرة لما يستحسن من تراكيب الحروف وما يستقبح ، كل هذا وغيره ليس الا من لب المباحث الفونولوجية . بل ان الكنعانيين الذين وضعوا اول ابجدية في العالم لم يستطيعوا ذلك إلا بعد ان اجروا تحليلاً فونولوجياً للسان الكنعاني .

فقولنا ان علم وظائف الاصوات حديث النشأة لا يقصد منه أنه خلق حديثاً من المدم ، بل المقصود أن جمع هذه المباحث النابعة من وجهة نظر لغوية الى الاصوات تحت اسم واحد هو الامر الحديث ، أما المباحث نفسها فهي قديمة ، عند العرب على الاقل .

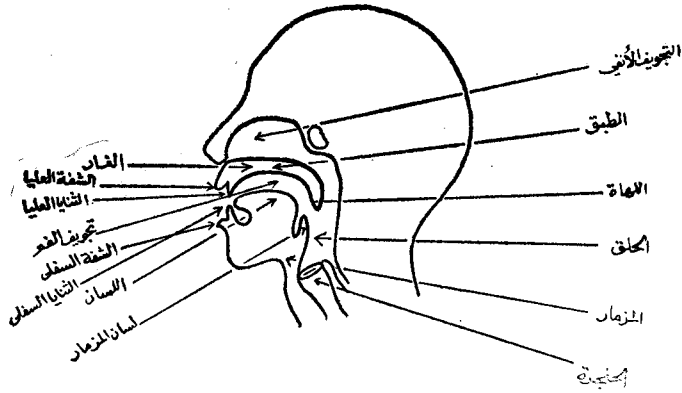
واخيراً لا بد من الاشارة الى اننا لن نفرّد لكل من هذه العلوم فصلاً خاصاً ، بل سنجمع بينها جميعاً في باب واحد وذلك لعدة اسباب ، اهمها ان مباحث هذه العلوم شديدة التشابك ، ولا سيما علم الاصوات ووظائف الاصواب ، وان حجم الكتاب المقدر له لا يسمح بذلك . والقارىء نفسه وقد عرف حدود كل علم وميدانه الخاص ، يستطيع ان يميز من الفقرات بين ماهو من هذا العلم او من ذاك .

---

١ - لذلك حكموا بجملة كلمة ( نرجس ) وماشابهها لانها آلت بين اصوات لانوث العربية بينها في كلماتها .

## الجهاز الصوتي

يتألف الجهاز الصوتي في الانسان من الاعضاء الآتية



١ - الرئتان :

ويقتصر عملها على امتداد الجهاز الصوتي بالهواء اللازم لاجداث الصوت .

٢ - القصبة الهوائية :

وتسمى بالرغامى . وهي قناة غضروفية تصل ما بين الرئتين والحنجرة .

وقد كان يظن قديماً ألا أثر لها في الصوت اللغوي ، وإنما مجرد طريق للهواء . ولكن البحوث الحديثة برهنت على أنها تستغل في بعض الاحيان فراغاً رناناً ذا اثر يبين في درجة الصوت ، ولاسيما اذا كان الصوت عميقاً .

### ٣ - الخنجرة :

وهي حجرة غضروفية متسمة بمض الانساع . ويدعى جزؤها البارز من الامام تفاحة آدم . وأم أجزائها في عملية التصويت هما الوتران الصوتيان .

### ٤ - الوتران الصوتيان :

وتسميتها بهذا الاسم مجازية ، فليسا وترين بالمعنى المعروف من كلمة وتر ، بل هما رباطان مرنان يشبهان كل الشبه الشفتين ، ويمتدان في داخل الخنجرة افقياً من الخلف الى الامام ، حيث يلتقيان عند ذلك البروز الذي نسميه بتفاحة آدم . أما الفراغ الذي بينها فيسمى بالمزمار . وفوق المزمار زائدة لحمية تدهى لسان المزمار ، وظيفتها الاصلية ان تكبرن صماماً يحمي طريق التنفس اثناء عملية البلع ، اذ تتراجع هذه الزائدة فتسد فتحة المزمار حين مرور الطعام الى المريء .

اما الوتران فلا يهتزان ادا كانا متباعدين وكانت فتحة المزمار بينها واسعة ، ولكن اذا تقاربا ولم يتركا للهواء المنفذ من الرئتين غير ممر ضيق فان الهواء يضرب بها فيهتزان ويحدثان الصوت ، ثم تقوم تجاويف

الحنجرة والخلق والفم بتضخيم الصوت المنبعث منها كما يفعل تجويف العود والآلات الموسيقية الأخرى حين تضخم اصوات مايشد عليها من أوتار .  
٥ - الخلق :

وهو الجزء الذي بين الحنجرة والفم . والى جانب كونه مخرجاً لمدد من الاصوات اللغوية يستخدم ، كما قلنا ، في تضخيم الصوت المنبعث من الوترين في الحنجرة .

٦ - اللسان :

وهو قطعة عضلية شديدة المرونة ، ويمد ام عضو في الجهاز الصوتي كله . فأوضاعه المختلفة التي يتخذها اثناء التكلم تبيان الاصوات اللغوية وتمايز . وقد قسمه علماء الاصوات الى ثلاثة اقسام : اولها أول اللسان بما في ذلك طرفه ، والثاني وسطه ، والثالث اقصاه .

٧ - الحنك الاعلى :

ويسمى بسقف الفم ايضاً . وينقسم الى قسمين : الاول امامي صلب يدعى النار ، والثاني خلفي رخو يدعى الطبق .

٨ - الهاء :

هي الزائدة اللحمية التي ينتهي بها الجزء الخلفي الرخو من الحنك

الاعلى .

٩ - الاسنان :

وهي قبان علوية وسفلية .

١٠ - أصول الاسنان .

وتسمى الالته ايضاً .

١١ - الفراغ الأنفي :

وهو الفراغ الذي يندفع خلاله النفس اثناء انفلاق طريق الفم .

١٢ - الشفتان :

وهما عضلتان مستديرتان ينتهي بهما الفم .

كَيْفَ يَمْرُقُ الْهَوَاءُ الْفَوِيَّ  
(الجَهْرُ وَالْهَمْبَسُ)

حين يندفع الهواء من الرئتين ويدخل الحنجرة يجسد نفسه أمام  
احدى حائتين : فاما ان يجسد الوترين الصوتيين مشدودين وفتحة الزمار

شديدة الضيق ، واما ان يجرد الوترين متراخين وفتحة الزمار واسعة ، ففي الحالة الاولى يحنك بالوترين بمنف فيزهما عدداً من الهزات في الثانية يكثر او يقل بحسب شدة قوتها اضعفه ، وينتج من هذا الاهتزاز صوت تقوم الحنجرة والفراغات الاخرى التي سبق ذكرها بتضخيمه . وفي الحالة الثانية ير الهواء من فتحة الزمار من غير ان يهز الوترين .

وفي كلتا الحالتين يخرج الهواء من الحنجرة ليسلك طريقه في الفم ، وهنا يجرد نفسه مرة أخرى امام احدى حالتين : فاما ان يجرد طريقه مفتوحاً لاتعرضه عقبة من الحنجرة حتى خارج الشفتين ، واما ان يجرد هذا الطريق قد انسد في نقطة منه انسداداً كلياً او جزئياً . ففي الحالة الاولى ير حتى يخرج من الشفتين من غير ان يحدث صوتاً ، وفي الحالة الثانية يحنك بأعضاء النطق عند نقطة الانسداد فيحدث صوتاً مرة اخرى .

وهكذا ترى ان كل صوت لنوي لا يخرج عن ان يكون واحداً من ثلاثة : فاما ان يتمد في التصويت على الوترين فقط ، واما على نقطة الانسداد فقط ، وإما على الامرين جميعاً .

وقد اجمع اللغويون حتى الآن على تصنيف الاصوات اللغوية الى صنفين : مجهور ، ومهموس .

فالمجهور ما تحرك معه الوتران الصوتيان ، والمهموس ما لم يتحرك معه الوتران . وفي رأينا ان هذا التصنيف ناقص ، لانه يسقط من اعتباره نقطة الانسداد الفموي ، ويركز نظره على الوترين وحدهما . ويؤدي الامر الى ان يدخل تحت اسم المجهور صنفان من الاصوات لاصنف واحد ،

صنف كل تصويته من الوترين فقط ، وصنف له الى جانب التصويت  
الوترى عنصر صوتى ناتج من احتكاك الهواء باعضاء النطق عند نقطة  
الانسداد .

لذلك نرى ان تصنف الاصوات اللغوية الى صنفين : احادية التصويت  
وثنائيتة ، ثم ان تقسم احادية التصويت الى قسمين : وترية ، صوتها من  
الوترين فقط ، وانسدادية صوتها من نقطة الانسداد فقط .

وهكذا يكون لدينا ثلاثة انواع للصوت اللغوي :

١ - احادية التصويت وترية : منها صوتا النون والميم<sup>(١)</sup> ، واصوات  
الفتحة والضمة والكسرة وما كان من فصيلتها .

٢ - احادية التصويت انسدادية : منها الفاء والسين والحاء  
والخاء ... وغيرها .

٣ - ثنائية التصويت : منها الباء والذال والذال والزاي ... وغيرها  
ومع هذا سنظل جارين على ما انعقد الاجماع عليه الى ان يعيد اللغويون

---

١ - في صوتي الميم والنون يحدث انسداد قوي كامل . ولكن ليست  
الغاية من هذا الانسداد احداث صوت في نقطته ، بل الغاية منه  
تحويل مجرى الهواء الى الانف ، فتح هذين الصوتين ينخفض حجاب  
الحنك ويمر الهواء في التجويف الانفى لافي الفم . والدليل على  
ما نقول ان الجهر لو توقف في الميم والنون لم يسمع منها شيء ، وهذا  
هو شأن اصوات الفتحة والضمة والكسرة .

النظر في تصنيفهم الذي لا يصور كل الحقيقة الصوتية للاصوات اللغوية .

## تصنيف الأصوات اللغوية

التصنيف الاساسي المتبع للاصوات اللغوية هو قسمتها الى :

١ - أصوات طليقة : voyelles

٢ - أصوات حبيسة<sup>(١)</sup> : Consonnes

١ - الطليقة والحبيسة تسميتان تقترحهما لهذين الصنفين من الاصوات لما فيهما من اشارة الى الفرق الجوهرى بين نوعي الاصوات هذين . وللفويين المحدثين من العرب تسميات مختلفة ، وكلها لا يفي بالمراد لعدم تضمنه الاشارة الى طبيعة الخلاف بين الصنفين . فالدكتور تمام حسات يسميها بالصباح والطل ( انظر كتابه : مناهج البحث ) ، والدكتور محمود السمرات يدعوها بالصوائ والصوامت ( انظر كتابه : علم اللفظة ) والاستاذان الدواخلى والقصاص مترجما كتاب فندريس يسميانها بالسواكن والحركات ، أما الدكتور ابراهيم انيس فيسميها بالسواكن واصوات الين ( انظر كتابه : الاصوات اللغوية ) .

فأما تسمية الدكتور حسان فتصلح في مقام الصرف لا في مقام الاصوات لما فيها من الاشارة الى ثبات بعض الاصوات عند التصريف واختلال بعضها الآخر بالحذف والتغيير ، وأما تسمية الدكتور السمران ففيها شيء من الغرابية والتناقض اذ كيف يسمى الصوت صامتاً ؟ ! وأما اصطلاح الدواخلى والقصاص ففيه التباس بين الساكن الذي لا يتلوه الحركة والساكن الذي بمعنى (consonne) . ومثل هذا يقال في اصطلاح الدكتور ابراهيم انيس .



والصوت الطليق هو الصوت الذي يجري مِمَّه النفس طليقاً لا يعترض طريقه عقبة حتى يخرج من الفم .

وأما الصوت الحبيس فهو الصوت الذي يحدث مِمَّه انسداد جزئي أو كلي في نقطة من نقاط القناة الصوتية .

## تصنيف الأهوار الحبيسة

في كل صوت حبيس نقطة انسداد لقناة الصوتية . هذه النقطة قد تكون في أول القناة ، أو في نهايتها ، أو فيما بين ذلك .

والانسداد على درجات : فقد يكون تاماً . وقد يكون ناقصاً ، وقد يكون شبه ممدوم .

وفي أحداث كل صوت حبيس يشترك عدد من أعضاء الفم ، ويتخذ الفم واللسان أوضاعاً مختلفة تعطي كل صوت حبيس طابعه الخاص .

فملى هذا يمكن تصنيف الحبيسات ثلاثة تصنيفات : تصنيفاً ينظر فيه الى مكان الانسداد ، وآخر ينظر فيه الى درجة الانسداد وثالثاً ينظر فيه الى الأعضاء المشتركة في عملية النطق ، والأوضاع المختلفة لهذه

الاعضاء . ويسمى ذلك اختصاراً بطريقة النطق (mode d' articulation)

٢ - التصنيف بحسب نقطة الانسداد :

تسمى النقطة التي يجري عندها الانسداد بالمحبس (١) (point d' articulation) . واليك نقاط الانسداد والاصوات الحادثة فيها :

١ - محبس الشفتين : وفيه تلتقي الشفة السفلى بالشفة العليا .  
فاما ان تلتحما فتمنع الهواء من المرور ، وهذا شأنها مع الباء والميم .  
واما ان تكنفيا بالتقارب الشديد الذي لا يمنع من نفوذ الهواء من بينها  
وهذا شأنها مع الواو .

الاصوات العربية التي تحدث في هذا المحبس هي الباء والميم والواو ،  
وبعض الالسن الاعجمية تضيف على ذلك صوت ( پ ) .

٢ - المحبس الشفوي الاسناني : وفيه يلتقي باطن الشفة السفلى  
مع اطراف الثنايا العليا التقاءً يترك بينها فرجة ضيقة جداً ينفذ منها  
الهواء . ولا تملك العربية من هذا المحبس إلا صوت الفاء . أما بعض  
الاعجميات فتحدث فيه صوتاً آخر هو صوت ( V ) .

محبس ما بين الاسنان : وفيه تتقارب الثنايا السفلى من الثنايا العليا

١ - وهذه تسمية اخرى تقترنها بدلاً من كلمة (مخرج) التي انفق عليها القدماء والمحدثون من  
اللغويين . وذلك لانه كلمة (مخرج) تدل، كما يشير الى ذلك اشتقاقها ، على المكان الذي  
يخرج منه النفس او الصوت لاعلى مكان الانقباس . واذا كانت نقطة الانسداد ونقطة  
الخروج واحدة في كثير من الاصوات ، فانها ليست كذلك مع بعضها . الا ترى  
ان نقطة الانسداد مع الميم هي الشفتان ، وان مخرج صوت الميم من الانف ؟

ثم يأتي طرف اللسان ليكون بينها . والاصوات الحادثة من هذا المحبس هي التاء والذال والظاء .

٤ - محبس الاسنان واللثة : وفيه يمتد طرف اللسان على باطن الثنايا العليا ، ومقدمه على اللثة ، فان كان هذا الاعتماد قوياً وكان الالتحام تاماً حدثت اصوات الضاد والذال والطاء والتاء ، وان كان الاعتماد ناقصاً وكانت هناك فرجة حدثت اصوات الزاي والسين والصاد .

٥ - المحبس اللثوي : وفيه يلتقي طرف اللسان بالثة . فان كان الالتحام بينها تماماً وامتنع الهواء من المرور وتحول الى مجرى الانف حدث صوت النون ، وان سمح للهواء بالانسياب على حافتي اللسان ، او على احدهما حدث صوت اللام ، وان تكرر الالتقاء على شكل ضربات من طرف اللسان على اللثة حدث صوت الراء .

٦ - المحبس الفاري : وفيه يلتقي مقدم اللسان وجزء من وسطه بمقدم الحنك الاعلى الذي سميناه الفار . فان كان الالتحام يمنع من مرور الهواء حدث صوت الجيم ، وان كان غير ذلك حدث صوتا الياء والشين .

٧ - المحبس الطبقي : وفيه يلتقي اقصى اللسان باقصى الحنك الذي سميناه الطبق . فان كان الالتحام تاماً حدث صوت الكاف ، وان كان غير ذلك حدث صوتا العين والحاء .

٨ - المحبس اللهوي : وفيه يلتحم اقصى اللسان بالهاء ، وهي

الزائدة اللحمية التي ينتهي بها الطبق . ومن هذا المحبس يحدث صوت القاف .

٩ - المحبس الحلقي : وفيه تتقارب جدران الحلق حتى لاترك بينها الا فرجة صغيرة يمر منها الهواء . ومن هذا المحبس يحدث صوت المين والهاء .

١٠ - المحبس الحنجري : وفيه يلتقي احد الوترين الصوتيين بالآخر . فان التحام فلم يسمح للهواء بالنفوذ حدث صوت الهمة ، وان اكتفيا بانتقارب حدث صوت الهاء .

ب - التصنيف بحسب درجة الانسداد :

ويمكن ان نمكس العبارة فنقول ( درجة الانفتاح = degré d' aperture ) وإليك هذه الدرجات وما ينتج عنها من اصوات :

١ - الانفتاح المدوم : وفيه تنقبض أعضاء النطق ، ويلتقي بعضها ببعض في المحبس ، في التحام تام لايسمح للهواء بالنفوذ إلا بمد ان يفصل بعضها عن بعض انفصلاً مفاجئاً . وهذه الآلية في النطق تسمى بالانفجار . وهي تتألف من ثلاث مراحل : مرحلة المحبس ، وفيها يتم التحام أعضاء النطق في المحبس ، ومرحلة الامسك ، وفيها يستمر الالتحام مدة تطول او تقصر بحسب الصوت المراد احداثه ، بينما يكون الهواء في حالة تراكم وانضغاط خلف المحبس ، ومرحلة الانفجار ، وفيها تنفصل أعضاء النطق بعضها عن بعض في حركة فجائية ، فيندفع الهواء المنضغط

المحبوس محدثاً في اندفاعه فرقة تشبه صوت الانفجار .

والاصوات العربية المحدثه بهذه الطريقة هي : الباء ، والتاء ،  
والدال ، والضاد ، والطاء ، والكاف ، والقاف ، والهمزة . وتسمى  
بالاصوات الانفجارية ، والنحاة القدمات ، وبعض اللغويين المحدثين  
يسمونها بالشديدة .

٢ - الانفتاح الضيق : وفيه تتقارب اعضاء النطق في الحبس  
تقارباً شديداً بحيث لا تترك للهواء الا منفذاً ضيقاً ير منه محدثاً باحتكاكه  
باعضاء النطق صوتاً ضعيفاً يشبه صوت الخفيف . وهذه الآلية في النطق  
تدعى بالاحتكاك والاصوات النبعثة بواسطتها هي : اثناء ، والحاء ، والخاء  
والذالك ، والزاي ، والسين ، والشين ، والصاد ، والطاء ، والمين ،  
والنين والفاء . وتسمى اصواتاً احتكاكية ، والنحاة القدمات وبعض اللغويين  
المحدثين يسمونها اصواتاً رخوة .

هذا والانفتاح الضيق درجات : فمنه الضيق ، ومنه الأضيـق .  
وكلما اشتد الضيق زاد الاحتكاك وارتفع الصوت تبعاً لذلك . وفي حالات  
التضييق الشديد جداً يتحول الصوت التبعث الى ما يشبه الصفير الحاد .  
ولهذا سميت السين والزاي والصاد بالأصوات الصفيرية .

٣ - التراخي : وهي آلية نطقية مزيج من آليتي الانفجار  
والاحتكاك . ففي مرحلتها الأولى والثانية تشبه آلية الانفجار تماماً . اي  
حبس ثم امسك . أما مرحلتها الثالثة فلا يحدث فيها ما يحدث في آلية

الانفجار من انفصال مفاجيء لاعضاء النطق ، بل يحدث هذا الانفصال بصورة تدريجية الى ان ينتهي الى احداث انفتاح ضيق يمر منه الهواء من غير فرقة محدثاً احتكاكاً كالذي رأيناه في آلية الاحتكاك . فالتراخي يبدأ انفجاراً وينتهي احتكاكاً ، او هو - كما قال فندريس (١) - مشروع انفجار فاشل .

ولا تملك العربية من الاصوات المحدثه بهذه الطريقة غير صوت واحد هو صوت الجيم .

٤ - تحويل مجرى الهواء : وهذه آلية نظمية أخرى يكون فيها الانسداد الفموي تاماً بحيث لا يسمح للهواء بالنفوذ ، ولكن الهواء لا يتراكم خلف المحبس لينفجر عند انفصال اعضاء النطق ، بل يتخذ طريقه في الانف بعد ان يكون حجاب الحنك الأعلى قد ارتخى وفتح له طريق الحفر الانفية . ولاشك ان الفراغ الأنفي مها كان ضيقاً هو ارحب للهواء من الفجوة الضيقة التي تركها له آلية الاحتكاك ، ولهذا كانت هذه الآلية بعد آلية الاحتكاك في الترتيب .

والصوتان المربيان اللذان يحدثان بهذه الطريقة هما صوتا الميم والنون ويسميان بالصوتين الانفيين .

٥ - الانفتاح الواسع : وفيه لا يحدث حيز كامل للهواء كما في

الانفجار ، ولانضيق المجرى شديد كما في الاحتكاك ، وانما يُعترض طريق الهواء في جزء من الفم مع السماح له بالانسراب في جزء آخر- منه كما هو الشأن مع اللام ، أويحجز الهواء عدة مرات ، وبين كل مرة وأخرى يسمح له بالمرور كما هو الشأن مع الراء .

والصوتان المربيان المحدثان بهذه الطريقة هما اللام والراء ، ويسمى ماينتج بهذه الطريقة من الاصوات عند الافرنج بالحبيسات المائية :

consonnes liquides

٦ - الانفتاح الاوسع : والفجوة مع هذه الآلية النطقية أوسع منها مع آلية الاحتكاك ، بل يكاد الانسداد ان يكون شبه معدوم معها . ويكاد الهواء ان يكون طليقاً لايمترض طريقه عقبة ما ، كما هو الشأن في الاصوات الطليقة . ولهذا سميت الاصوات الناتجة بهذه الطريقة اشباه الطليقات ، ومنها في العربية صوتان فقط هما الواو والياء .

٧ - الانفتاح الشديد السمة : وفيه يكون الجهاز الصوتي في حالة راحة تامة ، فلا حبس للهواء ، ولانضيق لجراه ، ولاتحويل لهذا المجرى ولااعتراض لسبيله ، الى آخر ذلك مما مر معنا سابقاً . وانما يحدث الصوت من دفقة كبيرة من النفس تحدث نوعاً ضعيفاً من الحفيف في الحنجرة . ولهذا سمى بمضمهم الماء ، وهو الصوت الوحيد الذي يحدث بهذه الطريقة ، النفخة النفسية ، ولم يشأ عده في الحبيسات ، الا ان آخرين يفضلون حسابانه في الحبيسات الاحتكاكية لان فتحة الزمار معه لا تكون في حالتها الطبيعية تماماً بل تكون اضيق ويكون الوتران الصوتيان

مقارنين اكثر .

ج - التصنيف بحسب طريقة النطق :

بعد ان حددنا محاسب الاصوات الحبيسة ودرجات الانفتاح لكل منها بقي علينا ان نذكر الطرق المختلفة للنطق التي تعطي بعض الاصوات صفاتها الخاصة .

١ - النطق والاورار تنذبذب : ويسمى تنذبذب الأوتار المصاحب لعملية النطق بالجهر ، وتسمى الأصوات الحادثة على هذه الكيفية بالاصوات المجهورة ، ومنها في العربية : الباء ، والجيم ، والدال ، والذال ، والراء والزاي ، والضاد ، والطاء ، والمين والنين ، واللام ، والميم ، والنون والواو ، والياء .

٢ - النطق والاورار ساكنة : وتسمى هذه الكيفية من النطق بالهمس ، كما تسمى الاصوات الناتجة بها الاصوات المهموسة . ومنها في العربية أصوات الهمزة ، والتاء ، والثاء ، والحاء ، والخاء ، والسين والشين ، والصاد ، والطاء ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، والهاء .

٣ - النطق بالاطباق : والاطباق هو ان يرتفع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك الأعلى في شكل مقعر على هيئة ملعقة بينما يكون طرفه ملتصقاً مع جزء آخر من اجزاء الفم مشكلاً محبساً من المحاسب الصوتية المختلفة .



هذه الكيفية الخاصة للسان اثناء عملية النطق تعطي الصوت المنطوق طابعا خاصا من الضخامة والفتخامة ، وتسمى الاصوات المنطوقة بهذه الكيفية الاصوات المطبقة ، ويسمى غيرها بالاصوات المنفتحة . والمطبقات في العربية اربعة هي :

الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء . ومساوها منفتحة .

٤ - النطق بحنجرة مفتوحة : وهي كيفية نطقية توجد عند قوم ولا توجد عند آخرين ، وتؤدي عند من توجد عندهم الى اتباع الاصوات الانفجارية بما يشبه صوت الماء ، فالـ P و t و K تبدو في افواه الالسان وكأنها على هذا الشكل  $ph - t^h - K^h$  . أما العرب فلم يمتدوا هذه الكيفية ، ولذا فليس في اصوات العربية شيء من هذا القبيل ، إلا ان بعض العاميات تحتوي على شيء منه ، فاهل دير الزور في سورية ينطقون التاء والكاف وكأنهما ( تَهْ - كَهْ ) .

ولتفسير هذه الظاهرة ، ار هذه الكيفية النطقية لا بد من العودة الى شرح آلية النطق بشيء من التفصيل :

قلنا : إنه ، لانتاج صوت انفجاري ، لابد من اجتياز ثلاث مراحل : مرحلة حبس تلتقي فيها اعضاء النطق ، ومرحلة إمساك يتجمع اثناءها الهواء خلف الحبس ، ومرحلة انفجار تفصل فيها الاعضاء انفصلاً مفاجئاً سريعاً . ولكننا لم نقل وقتئذ شيئاً عن وضع الحنجرة خلال كل هذه المراحل ، وهذا ما سنتداركه الآن : فنجد بعض الاقوام

يحدث ان يتقارب الوتران الصوتيان بمجرد البدء بعملية الحبس ، اما عند آخرين فيحدث ان يظل الوتران متباعدين خلال كل المراحل أو بعضها . ففي الحالة الاولى - وتسمى النطق بحنجرة مغلقة - تكون كمية الهواء المنسرب من الحنجرة الى الفم قليلة بسبب تقارب الوترين وضيق فتحة الزمار . ونتيجة لذلك يكون انضغاط الهواء خلف الحبس قليلاً ، فاذا حدث الانفجار سمعت فرقة نغمة لاشائبة فيها . اما في الحالة الثانية - وتسمى النطق بحنجرة مفتوحة - فان كمية الهواء المنسرب من الحنجرة الى الفم تكون اكثر بسبب تباعد الوترين واتساع فتحة الزمار ، وينتج عن ذلك ان الهواء المتدفق بكميات كبيرة ينضغط خلف الحبس انضغاطاً قوياً ، فاذا حدث الانفجار لم يخرج الهواء كله دفعة واحدة بسبب كثرتة بل بقي جزء منه يتدفق حتى بعد حدوث الفرقة . وهذا الجزء المتدفق بعد الفرقة يحدث الصوت الصغير الذي يشبه الماء .

٥ - الأباة : وهي طريقة في النطق تبدو معها بعض الاصوات وكأن جزأها الاخير ياء . فمن ذلك بعض النونات في الفرنسية كما في كلمة ( montagne ) . وليس من ذلك شيء في العربية .

٦ - اللملة : وهي طريقة أخرى تبدو معها بعض الاصوات وكأنها متبوعة بصوت لام ، وليس من هذا القبيل شيء في العربية ، الا ان وصف النجاة القداماء لصوت الضاد يشتم منه ان صوت الضاد كان يلفظ بهذه الطريقة .

٧ - الواوة : وهي طريقة أخرى تبدو معها بعض الاصوات وكأنها

متبوعة بصوت واو صغير . وليس من هذا القبيل شيء في العربية  
مطلقاً .

٨ - التشبيق : وهو طريقة في احداث الاصوات لا يتخذ معها  
الهواء اتجاهه المتعاد ، اي من الداخل الى الخارج ، بل يتخذ اتجاهاً  
معاكساً ، اي من الخارج الى الداخل .

٩ - المصمصة : واتجاه الهواء فيها كاتجاهه في التشبيق ، الا انه  
لا يصل الى الرئة كما في التشبيق بل يقف خلف الحبس فقط . وآلية  
المصمصة يمكن نرحها بما يلي :

فلاحداث صوت مصمص تلتقي اعضاء النطق في واحد من المحابس  
المعروفة ، وهذه مرحلة الحبس ، ثم في مرحلة الامساك يقوم الناطق  
بعملية مص نحو الداخل القصد منها تفرغ الهواء من المنطقة التي تقع  
خلف الحبس لاحداث تفاوت في الضغط بين المنطقة التي خلف الحبس  
والمنطقة التي امامه ، وفي المرحلة الثالثة تراخي اعضاء النطق ببطء  
فيندفع الهواء من الخارج حيث الضغط أعلى إلى الداخل حيث الضغط  
اخف ، ومن احتكاك الهواء المندفع باعضاء النطق يحدث صوت مصمص  
متراخ لأن آلية المصمصة لاتسمع الا باحداث اصوات من النوع  
المتراخي .

وكلا التشبيق والمصمصة غير معروف في العربية الفصحى ،  
أو هذا على الأقل مانعرفه عن طريق النحاة ، وبغلب علينا الاعتقاد

بان العرب كانوا يستعملون بعضاً من اصوات التشبيق والمصمصة في  
تعبيراتهم المختلفة ، ولكن النحاة اغفلوا ذكرها لعدم دخولها اصواتاً  
اساسية في تركيب المفردات . وانما يحملنا على هذا الظن ان هذا  
النوع من الاصوات شائع في جميع الألسن المنطوقة في العالم ، بل يزعم  
بعض لغويي الافرنج ان اصوات المصمصة اصوات اساسية في السن  
بعض القبائل الافريقية . يضاف الى ذلك ان هذا النوع من الاصوات  
شائع اليوم في جميع اللهجات العربية الحديثة . وفي لهجة حلب  
سلسلة منها هي كما يلي :

- ١ - ياء مشبهة تستعملها النسوة للدلالة على التعجب والاستنكار .
- ٢ - لام مصمصة يستعملها راكبو الدواب لحث دوابهم على السير .
- ٣ - ميم مصمصة تستعمل للتعبير عن استحسان جمال شخص .
- ٤ - واو وفاء مشبهتان تستعملان للتعبير عن ألم من لدغ حر او  
برد او لس جرح او ماشابه ذلك .
- ٥ - باء مصمصة تستعمل لحث طفل على تناول شرابه .
- ٦ - تاء مصمصة تستعمل للتعبير عن عدم الرضى أو عن النفي .

هذا وكل أصوات التشبيق والمصمصة مهموسة ماعدا الباء ،

فإنها في حالات الاستنكار الشديد تجهر ، ولكن جهرها يسمع ضعيفاً جداً ، لأن الهواء المجهور معها يتجه بمد خروجه من الحنجرة نحو الرئتين لانحوا الفم ، ولذلك يحرم من الفراغات الفموية التي تضخمه في حالة جريانه بالاتجاه الطبيعي (١) .

\* \* \*

- 
- ١ - قارت فيما يخص بتصنيف الاصوات بالمراجع الآتية :
  1. Cantineau : Cours de Phonétique Arabe ; P.9 - 15
  2. = : Etudes de Linguistique Arabe P.9 - 15
  3. Marouzeau : La Linguistique , P. 7 - 14
  - ٤ - فندريس : اللغة ، ص ٤٣ - ٦١
  - ٥ - ابراهيم انيس : الاصوات الفوقية .
  - ٦ - تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ص ٥٩ وما بعدها

## الجليسات في العربية

يحتاج الباحث حين يتصدى لدراسة الاصوات في لسان ما الى أحد شيئين : إما ان يشافه ابناء هذا اللسان ويستمع اليهم ، واما ان تكون عنده تسجيلات صوتية على اشرطة او اسطوانات تحتوي على نصوص كثيرة نطقها ابناء هذا اللسان .

ولما كنا ونحن بصدد دراسة أصوات العربية ، فاقدين للشيثيين مما ، لم يبق أمامنا ، للقيام بهذا العمل ، الا واحد من امرين : فاما ان نتمتع دراسات قدمات النحويين للاصوات العربية ، واما ان نتمتع قراءة المجيدين من القراء للقرآن الكريم في عصرنا هذا .

فأما دراسات قدمات النحويين للاصوات العربية فهي ، وان كانت أدق ما كتب في الموضوع لذلك العهد ، تشكو من غموض كثير كما تعاني من اضطراب وتناقض في اغلب الاحيان (١) . واما قراءة المجيدين من القراء فلا يمكن الركون اليها واعتبارها الصورة الصوتية

---

١ .. انظر الفصل الذي سنقدمه للدراسات الصوتية بعد هذا الكلام .

الدقيقة للعربية كما كانت في صدر الاسلام . وذلك لسببين : اولهما ان التبدلات الصوتية امر مطلق وأنه متى تغير صوت واستبدل به صوت آخر غدا الصوت الاول أشق الاصوات واعسرها على من يريد النطق به<sup>(١)</sup> . يؤكد ذلك مايجده القراء من عسر شديد في نطق الضاد على الصفة المعروفة له في كتب القراءات . وادا كان الامر كذلك كان من المشكوك فيه ان تكون اصوات العربية في افواه القراء اليوم هي كما كانت في افواه الصحابة رضوان الله عليهم . الثاني ان هؤلاء القراء مها حاولوا التخلص من عاداتهم النطقية العامة فهم لا يفلحون . يشهد على ذلك اننا حين نسمع احد القراء يتلو القرآن الكريم بالذبيح نستطيع ان نعرف ماذا كان هذا القارئ شامياً او عراقياً او مصرياً او حجازياً . وهذا دليل على انهم لا ينطقون العربية كما كان ينطقها الرعيل الاول من الصحابة رضي الله عنهم . اذ لو كانوا يفعلون ذلك لما امكن التمييز بينهم .

ومع كل هذا يمكن اعتبار الصورة اللفظية للعربية على شفاه القراء أقرب الصور الى الصورة اللفظية القديمة للعربية الفصحى . ولهذا ستكون هي معتمدنا في دراستنا للاصوات العربية . فان وجد بينها وبين الدراسات النحوية القديمة خلاف نهنها اليه وحاولنا تعليله وتفسيره .

★ ★ ★

---

١ - انظر فندريس : اللغة ، ص ٦٥

يتألف النظام الصوتي للحبيسات العربية من ثمانية وعشرين صوتاً هي (١) :

ب . م . و . ف . ت . ط . د . ن . ث . ظ . ذ . س .  
ص . ز . ر . ل . ض . ج . ش . ي . ك . ق . خ . غ . ح .  
ع . همزة . ه .

وقد عد النحاة القديما هذه الاصوات هي الاصول ، و اضافوا اليها ستة هي فروع منها ماخوذ بها في القرآن الكريم وكل كلام فصيح . د وهي النون الساكنة التي هي غنة في الخيشوم نحو ( عنك ) ، وتسمى النون الخفية والخفيفة ، وألفا الامالة والتفخيم نحو ( عالم ) و ( الصلاة ) ، والشين التي كالجيم ، نحو ( اشدق ) ، والصاد التي كالزاي نحو ( مصدر ) ، والهمزة بين بين (٢) .

---

١ - لا يدخل في هذا العدد اصوات الفتحة والضممة والكسرة وما كانت من قبيلها من الاصوات الطليقة التي سنفرد لدراستها فصلاً خاصاً ولاحظ اننا رتبنا الحبيسات بحسب محاسنها .  
هذا وكتب النحوي لم تفرق بين الطليقات والحبيسات فاضافت الى هذا العدد صوت الالف فصارت عدة الاصوات العربية عندهم تسعة وعشرين .

٢ - ابن يعيش : شرح المفصل للزنجشيري ، ج ١٠ ص ١٢٥ . وانظر ايضاً سيبويه : الكتاب ، ج ٢ ص ٤٠٤ ، وابن جني : سر صناعة الاعراب ، ج ١ ص ٥١ .



كما أضافوا إليها ثمانية اصوات اخرى عدوها فروعاً غير مستحسنة ، ولا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر ، ولا تكاد توجد الا في لغة ضعيفة مردولة غير متقبلة . وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي كالكاف ، والجيم التي كالشين ، والضاد الضعيفة ، والضاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ، والظاء التي كالتاء ، والباء التي كاليم (١) .

بعض هذه الاصوات الفرعية يمكن معرفة صورته اللفظية مانعرف اليوم من القوانين الصوتية ، فالضاد ( التي كالزاي في نحو مصدر ) ليست في واقعها غير ضاد مجهورة أصابها الجهر لوقوعها بين صوتين مجهورين ، هما : الفتحة قبلها ، والذال بعدها . لكن في المجموعة الفرعية اصواتاً لا يمكن معرفة شيء دقيق عن صورتها اللفظية ، فلا الوصف ، ولا القوانين الصوتية تستطيع ان تفسر لنا كيف هي ( الضاد الضعيفة ) و ( الباء التي كاليم ) . والظاهر انها عادات نطقية كانت لبعض العرب ، ولا يمكن معرفتها الا بالشافهة كما صرح بذلك قدماء النحاة .

اذا صنفنا الحبيسات الأصول في العربية بحسب محاسنها كانت على الشكل الآتي :

١ - ثلاثة اصوات شفوية ، هي : ب ، م ، و .

١ - المراجع نفسها والصفحات نفسها .

- ٢ - صوت واحد شفوي اسناني ، هو : ف .
- ٣ - ثلاثة اصوات من بين الاسنان ، هي : ث ، ذ ، ظ .
- ٤ - سبعة اصوات اسنانية لثوية ، هي : ض ، د ، ط ، ت ، ز ، ص ، س .
- ٥ - ثلاثة اصوات لثوية ، هي : ل ، ر ، ن .
- ٦ - ثلاثة اصوات غارية ، هي : ش ، ج ، ي .
- ٧ - ثلاثة اصوات طبقية ، هي : ك ، غ ، خ .
- ٨ - صوت لهوي واحد ، هو : ق .
- ٩ - صوتان حلقيان ، هما : ع ، ح .
- ١٠ - صوتان حنجريان ، هما : همزة ، هـ .

وإذا صنفناها بحسب درجة الانفتاح كانت على الشكل التالي :

- ١ - ثمانية اصوات انفجارية او شديدة هي : ب ، ض ، د ، ط ، ت ، ك ، ق ، همزة .
- ٢ - ثلاثة عشر صوتاً احتكاكياً او رخوياً ، هي : ف ، ظ ، ذ ، ث ، ز ، ص ، س ، ش ، غ ، خ ، ع ، ح ، هـ .

٣ - صوت متراخ واحد ، هو : ج .

٤ - ستة اصوات متسعة على اختلاف في درجات الاتساع ، هي :  
اللام الحسافية ، الراء التكرارية ، الميم والنون الانفيتان ، الواو  
والياء الشبهتان بالطلقات .

وإذا صنفناها بحسب طرق النطق كانت على الشكل الآتي :

١ - خمسة عشر صوتاً مجهوراً + ثلاثة عشر صوتاً مهموساً .  
فأما المجهورات فهي : ب ، م ، و ، ض ، د ، ظ ، ذ ، ز ، غ ،  
ع ، ج ، ل ، ر ، ن ، ي .  
وأما المهموسات فهي : ط ، ت ، ك ، ق ، همزة ، ف ، ث ، س ،  
ش ، خ ، ح ، ه ، ص .

٢ - اربعة اصوات مطبقة + اربع وعشرون صوتاً غير مطبق .  
فأما المطبقات فهي : ص ، ض ، ط ، ظ . وأما غير المطبقات فما  
سوى ذلك .



وإليك الكلام مفصلاً على كل واحد من الحيسات العربية :

## الباء ( ب )

صوت شفوي شديد مجهور منفتح .

حرص القدماء على جهره في جميع حالاته . وخوفاً من همسه  
إذا وقع ساكناً أضافوا إليه صوتاً طليقاً قصيراً جداً يشبه الكسرة  
وسموا تلك الظاهرة بالقلقة .

وقد مر معنا ان سيويه والزعشري وابن جني أشاروا الى  
نطق غريب للباء تصبح فيه كأنها فاء ، وليس لذلك تفسير  
إلا ان يكون الناطقون له على هذه الصورة قد اعتادوا النطق  
بمخجرة مفتوحة .

وقد ابدلت العرب من الباء ميماً لغير سبب ظاهر من اسباب  
الابدال المعروفة : فقد حكى الاصمعي قولهم ( بنات مخر ) بدلاً من  
( بنات بحر ) (١) .

---

١ - بنات البحر أو بنات البحر سحائب بيض تأتي قبل الضيف .

جدول الجيسات العربية

الصفات										
واسع الانفتاح			متراخ		احتكاكي او رخو		انفجاري او شديد			
بجور منفوح			بجور		مهموس		مهموس		بجور	
(2) شط	انفي	تك (1)	حاي	منفتح	منفتح	منفتح	منفتح	منفتح	منفتح	مطبق
و	م				ف				ب	
					ن					
					س			ن	د	ض
					ش					
ي		ر	ل	ج						
					خ			ك		
					غ			ق		
					ع					
					هـ			د		

- ١ - تك = تكرراري .  
٢ - شط = شبه تطبيق .

وحكى عن ابي عمرو بن العلاء ( مازت رانماً على هذا الامر )  
اي ( رانماً ) . وحكى يعقوب قـولهم ( رأيتـه من كـم ) اي ( من  
كـب ) . وانشد ابن الاعرابي في نوادره :

فبادرت شأنها عجلي مثابة حتى استقت دون معنى جيدها نغمها

وقال : اراد : نغمياً (١) .

وابعد من ذلك ابدالهم من الباء تاء ، كقولهم : ( الذعاليـت )  
بدلاً من ( الذعاليـب ) (٢) .

وقد اجاز القراء ادغام الباء في الميم في عدد من الآيات ، منها  
قـوله تعالى : يمـذب من يشاء — يمـذمن يشاء ( البقرة ٢٨٤ -  
العنكبوت ٢١ ) ، كما ادغمت في الفاء : قال اذهب فـمن تبعك ←  
قال اذهقـمن تبعك ( الاسراء ٦٣ ) .

احتفظ صوت الباء بمجسه وكل صفاته في اللهجات الحديثة ،  
إلا أنه في هذه اللهجات قد يأتي مهموساً في وسط الكلام ، اذا  
تلاه صوت مهموس ، وفي آخر الكلام ، اذا سبقه صوت مهموس او

---

١ - ابن عيش : ج ١٠ ص ٣٥ والنـب جم نـبة ، وهي الجرعة .  
٢ - المرجع نفسه ج ١٠ ص ٤١ . والذعاليـب مفردهما الذعالية او الذعلوب  
وهي اطراف الثوب او ما تقطع منه وظل عالقاً .

صوت ( طليق ) طويل . مثال ذلك :

أبشع - كسب - كتاب

« ويتم تفجير صوت الباء أحياناً من الانف بدلاً من الشفتين ،  
كحينما تكون الباء في نهاية الكلام ، كما في المثالين الأخيرين من الأمثلة  
السابقة . ويتم هذا التفجير الانفي بإبقاء الشفتين على اتصالهما ، ثم فصل  
الطبق عن الجدار الخلفي للحلق فجأة فيمر الهواء قوياً في المجرى  
الانفي . ويتم التفجير (١) ،

الميم ( م )

صوت شفوي متوسط (٢) مجرور انفي منفتح .

اختلف القدماء في امر ادغامه في غيره : فالأكثر على انه  
لا يدغم الا في مثله . ولكن روي عن ابي عمرو ادغام الميم في الباء  
اذا تحرك ما قبل الميم ، مثل قوله تعالى : وقولهم على مريم بهتاناً  
عظيماً ← وقولهم على مريمتها عظيماً ( النساء ١٥٦ ) ، وقوله : لكي  
لا يعلم بعد علم شيئاً ← لكي لا يعلم بعد علم شيئاً ( النحل ٧٠ ) .

١ - تمام حسان : مناهج البحث ، ص ٩١ - ٩٢

٢ - جرى القويون المحدثون من العرب على تسمية الاصوات التي تزيد درجة  
افتتاحها على درجة الافتتاح في الاحتكاكي بالمتوسطة ، وذلك لان افتتاحها وسط  
بين افتتاح الاحتكاكيات وافتتاح الطليقات . ويستعمل هذا المصطلح من الآن  
فصاعداً لحقته ووقائه بالفرض .

لكن ابن يمش يقول : واصحاب ابي عمرو لا يأتون بباء مشددة ، ولو كان فيه ادغام لصار في اللفظ باء مشددة ، لان الحرف اذا ادغم في مقاربه قلب الى لفظه ثم ادغم . قال ابن مجاهد : يترجون عنه بادغام ، وليس بادغام ، انما هو اخفاء ، والاخفاء اختلاس الحركه وتضميف الصوت (١) .

احتفظ صوت اليم بحجسه وكل صفاته في اللهجات الحديثة .

### الواو ( و )

صوت شفوي متوسط مجهور شبه طليق .

يبدل من الواو همزة اذا وقعت متطرفة بمد الف زائدة ، مثل : كساو ← كساء ، واذا وقعت عيناً في اسم الفاعل من الثلاثي ، مثل : قاول ← قائل .

واذا وقعت اولاً مشفوعة بواو أخرى لازمة ، مثل : وواصل ← أواصل (٢) . وابدالها في هذه المواقع الثلاثة مطرد واجب .

واذا وقعت الواو موقع الفاء او العين وكانت مضمومة ابدل منها همزة ايضاً مثل : وجوه ← أجوه ، أنوُر ← أنوُر . قال عمر ابن ابي ربيعة :

---

١ - ج ١٠ من ١٤٧  
٢ - أواصل جم واصله . والقياس في فاعلة ان تجم على فواعل ، مثل : قائمة قوائم .



فلما فقدت الصوت منهم واطفئت مصاييح شبت بالمشاء وانور

وابدالها في هذين الموقعين مطرد جائز .

ويمكن ابدال الهمزة من الواو اذا وقعت هذه صدراً ولم تكن مضمومة ، مثل : وشاح ← إشاح ، وناة ← أناة . وابدالها ههنا سماعي غير قياسي (١) .

احتفظ صوت الواو بحجسه وكل صفاته في اللهجات العربية الحديثة .

#### الفاء ( ف )

صوت شفوي اسفاني رخو مهموس منفتح .

اجاز الكسائي ادغامه بالباء في قوله تعالى : ان نشأ نخسف بهم الارض ← ان نشأ نخسبهم الارض ( سبأ ٩ ) .

ليس للفاء العربية نظير مجهور كالذي نراه في معظم الألسن الاوروبية والذي رمز له بالرمز ( V ) .

احتفظت الفاء في العاميات بحجسها وكل صفاتها ، إلا ان هذه العاميات يجبرنها اذا وقعت ساكنة قبل صوت مجهور مثل : يفزع - افزاعي - أفضع (٢) .

١ - ابن يعيش : ج ١٠ ص ١٤

٢ - انظر مناهج البحث ، ص ٩٨

## الطاء ( ظ )

صوت من بين الاسنان رخو مجهور مطبق .

تحول هذا الصوت في بعض الماميات الى ضاد مرة ، والى زاي مطبقة مرة اخرى : فـأما في الكلمات القديمة في عاميتها فقد انقلب الى ضاد ، مثل : ظهر ← ضهر ، أظافر ← أضافير . واما في الكلمات المستعمارة من الفصحى وفي الاعلام ، وفي التي يشيع وجودها في الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة فقد تحولت الى زاي مطبقة ، مثل : ظالم ← زالم ، ظافر ← زافر ، فظاعة ← فزاعة .

## الذال ( ذ )

صوت من بين الاسنان رخو مجهور منفتح .

الذال هو النظير المرقق للطاء المفخمة ، اي ان الطاء مطبقة والذال منفتحة . وقد تطور هذا الصوت في بعض الماميات الى صوتين اثنين مثل نظيره المطبق : فاصبح دالاً في الكلمات القديمة في المامية مثل : ذهب ← دهب ، ذئب ← ديب . وصار زاياً مرققة ( منفتحة ) في الكلمات القرآنية وفي الاعلام وفي المستعمارة من الفصحى ، مثل : ذنوب ← زنوب ، نذير ← نذير ، تذكار ← تزكار .

## الثاء ( ث )

صوت من بين الاسنان رخو مهموس منفتح .

هو النظير المهموس للذال المجهورة .

وقد تطور هذا الصوت في بعض اللهجات العامية الى صوتين اثنين مثل نظيره المجهور الذال : فقد انقلب الى تاء في الكلمات القديمة في العامية مثل : تملب ← تملب ، ثوم ← قوم . أما في الكلمات القرآنية وفي الاعلام وفي المستعارة من الفصحى فقد انقلب الى سين ، مثل : إثم ← اسم ، بشينة ← بسينة ، ثقافة ← سقافة .

### الضاد ( ض )

صوت أسناني لثوي شديد مجهور مطبق .

هكذا نطق الضاد اليوم ، وهكذا ينطقها المجيدون للقراءة ايضاً ، ولكن كتب القراءات تصفها لنا وصفاً مغايراً ، فهي عندم رخوة لاشديدة ، وهي منحرفة مثل اللام . ونفهم من كلام سيبويه أنهم كانوا ينطقونها من حافة اللسان اليمنى ، وان بعضهم كان ينطقها من الحافة اليسرى ، وان آخرين كانوا ينطقونها من الجانبين<sup>(١)</sup> . وهذا حال اللام تماماً . وعلى ذلك فالظاهر ان الضاد القديمة كانت مثل الظاء تماماً ماءداً صفة الانحراف التي تشبه فيها اللام . ولعل هذا هو السبب في اشتباه اللغويين قديماً في طائفة من الكلمات : أهي بالضاد ام بالظاء .

### الذال ( د )

صوت أسناني لثوي شديد مجهور منفتح .

---

١ - الكتاب ج ٢ ص ٤٠٤ - ٤٠٥

الدال هو النظير المنفتح للضاد الحديثة المطبقة . فليس بين الدال والضاد إلا صفة الاطباق التي تميز الضاد بالفخامة .

وقد احتفظ هذا الصوت بحجسه وصفاته كلها في العاميات الحديثة .

### الطاء ( ط )

صوت اسناني لثوي شديد مهموس مطبق .

هكذا نطقه اليوم ، وهكذا ينطقه المجيدون للقراءة ، بل كل القراء ، المجيدون منهم وغير الهيدين . لكن كتب القراءات والنحو اجمت على وصفه بالجهر هو وصوتا القاف والهمزة . وقد أدى ذلك الى اوهام كثيرة عند بعض اللغويين المحدثين حول هذه الاصوات الثلاثة ، وسنفرده لهذا الموضوع فصلاً خاصاً فيما بعد .

احتفظ هذا الصوت بحجسه وكل صفاته القديمة في اللهجات الحديثة .

### التاء ( ت )

صوت اسناني لثوي شديد مهموس منفتح .

هو النظير المنفتح للطاء المطبقة ، وهو ايضاً النظير المهموس للدال المجهورة .

احتفظ هذا الصوت بحجسه وكل صفاته القديمة في اللهجات

الزاي ( ز )

- صوت اسناني لثوي رخو مجهور منفتح .
- احتفظ هذا الصوت بكل خصائصه في اللهجات العربية الحديثة .

الصاد ( ص )

- صوت اسناني لثوي رخو مهموس مطبق .
- احتفظ هذا الصوت بكل خصائصه في اللهجات العربية الحديثة .

السين ( س )

- صوت اسناني لثوي رخو مهموس منفتح .
- هو النظير المنفتح للصاد المطبقة ، وهو ايضاً النظير المهموس للزاي المجهورة .

احتفظ هذا الصوت بكل خصائصه في اللهجات الحديثة .  
هذا وتسمى الاصوات الثلاثة الاخيرة ( الزاي والصاد والسين )  
بالاصوات الصغيرية ، ، وذلك لشدة الضيق في محاسنها الذي يؤدي الى  
ارتفاع صوت الاحتكاك وصرورته الى ما يشبه الصغير .

وقد أجاز النحاة القدماء ادغام الحبيسات الاسنانية اللثوية والتي  
من بين الاسنان بعضها في بعض ماعدا الضاد لانحرافها. قال الزنجشيري (١):  
د والطاء والهدال والتاء والطاء والذال والتاء متمها يدغم بعضها في  
بعض ، وفي الصاد والزاي والسين ، وهذه لاتدغم في تلك ، الا ان  
بعضها يدغم في بعض . والاقيس في المطبقة اذا ادغمت بقية الاطباق .

وإليك امثلة لتدغم هذه الاصوات بعضها في بعض :

ط د ← د : اضبط دلا ← اضبدللا (مع الاطباق اوعدمه )

ط ت ← ت : فرطت في جنب الله ← فرت في جنب الله ( مع  
الاطباق وهي قراءة ابي عمرو ) .

د ط ← ط : ابدط طالبا ← ابططالبا .

ت ط ← ط : انعت طالبا ← انمططالبا .

ت د ← د : انعت دلامة ← انمددلامة .

ظ ذ ← ذ : احفظ ذلك ← احفدذلك . (يحسن اذهاب الاطباق)

ذ ظ ← ذ : خذ ظالما ← خذذالما . ( - - - )

ث ظ ← ظ : ابث ظالما ← ابمظطالما .

ظ ث ← ث : ايقظ ثابتاً ← أيقظ ثابتاً .

ث ذ ← ذ : ابعث ذلك ← ابعث ذلك .

ز ص ← ص : أوجز صابراً ← أوجز صابراً .

ص ز ← ز : افحص زائداً ← افحص زائداً .

س ز ← ز : أحبس زردة ← أحبس زردة .

ز س ← س : رز سلمة ← رز سلمة (١) .

### اللام ( ل )

صوت لثوي متوسط مجهور حافي منفتح .

ومعنى قولنا ( حافي ) أنه يخرج من حافة اللسان ، ويسمى بسبب هذه الصفة منحرفاً ، كما يسميه بعضهم بالجاني ، ويسميه الأفرنج ( latéral ) .

بعض الناس اعتاد اخراج هذا الصوت من حافة اللسان اليمنى ، وبعضهم اعتاد اخراجه من الحافة اليسرى ، وآخرون يخرجونه من كلا الجانبين .

الأصل في اللام العربية الترقيق ( الانفتاح ) ، ولانقلظ ( تطبق )

---

١ - ابن يعيش : ج ١٠ ص ١٤٦

الا بشرطين : الاول ان يسبق اللام أحد اصوات الاستعلاء ، ولاسيما  
 الصاد والطاء والظاء ، ساكناً او مفتوحاً ، والثاني ان تكون اللام نفسها  
 مفتوحة . مثل : وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً ( مريم ٣١ ) ،  
 سيصلى ناراً ذات لهب ( المسد ٣ ) ، سلام هي حتى مطلع الفجر ( القدر  
 ٥ ) ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ( النساء ١١٦ ) ولا يظلمون  
 شيئاً ( النساء ٤٩ ) .

على ان جمهور القراء قد أجمعوا على تمليط اللام في اسم الجلالة  
 بعد الفتح والضم ، مثل : قال الله ويقول الله ، وعلى ترقيقها بعد  
 الكسر ، مثل : بسم الله .

واللام من حيث الادغام على نوعين : لام معرفة ، ولام عادية  
 كالتي في ( هل وبل ) . فان كانت الاولى فادغامها في مثلها وفي الطاء  
 والذال والتاء والظاء والذال والتاء والصاد والسين والزاي والشين والضاد  
 والنون والراء ادغام واجب . وان كانت غير معرفة فادغامها في هذه  
 الاصوات المذكورة جائز . الا انه حسن اذا كان في الراء ، مثل :  
 هل رأيت ← هل رأيت ، وقبيح اذا كان في النون ، كقولك :  
 هل نخرج ← هل نخرج ، اما فيما سوى هذين فليس بالحسن ولا  
 بالقبيح . وانشد سيبويه :

فذر ذا ، ولكن هتعمين متياً على ضوء برق آخر الليل ناصب؟

أراد : هل تعين؟



وانشد ايضاً :

تقول اذا اهلكت مالا للذة فكهة : هشيء بكفيك لائق ؟

اراد : هل شيء (١) ؟

احتفظت اللام بكل خصائصها في اللهجات العربية الحديثة .

الراء ( ر )

صوت لثوي متوسط مجهور تكرراري منفتح .

وسبب تسميته بالتكراري او المكرر هو ان طرف اللسان فيه يطرق اللثة طرفتين او ثلاثاً .

قلنا ان الراء منفتحة ( مرقة ) لكنها تطبق ( تفخم ) في كثير من الاحوال . وكتب القراءات تختلف في امر ترقيقها وتفخيمها اختلافاً كبيراً لا يتسع المقام لبسطه .

واما ادغامها فقد نص سيبويه على عدم جوازه الا في مثلها . ولم يخالف سيبويه احد من البصريين في ذلك الا ماروي عن يعقوب الحضرمي انه كان يدغم الراء في اللام في قوله عز وجل ( يففراسكم

---

١ - هكذا روى ابن يمش البيتين نقلاً عن سيبويه، ولكنها في الكتاب برواية اخرى: ( فذعدا ) بدلا من ( فذرذا ) في البيت الاول ، و ( استهلكت ) بدلا من ( اهلكت ) في البيت الثاني .

انظر شرح المفصل : ج ١٠ ص ١٤١ والكتاب : ج ٢ ص ٤١٧ .

← يفتلّكم ) . وحكى ابو بكر بن مجاهد عن ابي عمرو انه كان يدغم الراء في اللام ساكنة او متحركة ، فالساكنة نحو قوله تعالى : ( فاغفر لنا ، واستغفر لهم ، ويفر لکم ذنوبکم ) وما كان مثله ، والمتحركة قوله : ( وسخر لکم ، وهن اطهر لکم ) . واجاز الكسائي والقراء ادغام الراء في اللام .

حافظت الراء على خصائصها في اللهجات العربية الحديثة .

### النون ( ن )

صوت لثوي متوسط محور انفي منفتح .

وللنون الساكنة في كتب القراءات والنحو أحكام أربعة :

١ - الاظهار : وهو الاحتفاظ لها بمجسها من اللثة . ويكون ذلك اذا ولها أحد الاصوات الستة : الهمزة والماء والمين والحاء والنين والحاء .

٢ - الادغام : وهو فناؤها فناء تاماً او جزئياً مع الصوت الذي يليها . فأما مع الراء والميم واللام فتفنى فناء تاماً فتصير مع الراء راءً ومع الميم ميماً ومع اللام لاماً . واما مع الياء والواو فتفنى فناءً جزئياً ويسمع من الياء والواو شيء من غنة انفية ، وشرح ذلك ان الياء والواو المسبوقين بنون ساكنة تلفظان مشددين ويتخذ الهواء معها طريقين في جريانه : طريق الانف وطريق الفم مما . هذه الظاهرة تسمى عندنا بالادغام بغنة ، وتسمى عند الافرنج بـ ( nazalisation ) .

٣ - القلب : وهو قلبها الى ميم اذا وليتها باء . مثل : شنباء

← شنباء .

٤ - الاخفاء : ويكون ذلك مع الاصوات الآتية : القاف والكاف والجيم والشين والسين والصاد والزاي والضاد والذال والناء والطاء والذال والناء والظاء والفاء . والاخفاء هو انتقال بحسب النون من الائمة الى محبس الصوت الذي أخفيت فيه .

احتفظت النون بخصائصها في اللهجات العامية ، الا ان هذه اللهجات لاتراعي كثيراً أحكامها المختلفة وتميل في اغلب الاحيان اما الى اظهارها واما الى ادغامها بغير غنة .

### الشين ( ش )

صوت غاري رخو مهموس منفتح .

اكثر النحاة على ان الشين لاتدغم الا في مثلها ، ولكن روي عن ابي عمرو ادغامها في السين من قوله تعالى ( الى ذي العرش سبيلاً ) ← الى ذي العرش سبيلاً (١) .

احتفظت الشين بحسبها وكل صفاتها في العاميات .

### الجيم ( ج )

صوت غاري متراخ مجهور منفتح .

---

١ - المرجع نفسه : ج ١٠ ص ١٣٩

اجاز النجاة ادغامها في الشين ، مثل : أخرج شيئاً ← أخرشيئاً.  
وروى اليزيدي عن ابي عمرو ادغامها في التاء في قوله تعالى : ذي المارج  
تخرج ← ذي المارتخرج (١) .

احتفظت الجيم بتراخياها في بعض العاميات كماميات حلب والعراق  
ونجد والحجاز . . الخ . ولكنها في عاميات أخرى صارت رخوة تماماً  
( شديدة التعطيش ) كما في لبنان ودمشق ، وتعطيشها في لبنان اكثر  
منه في دمشق . وفي لهجات أخرى فقدت كل أثر للرخاوة ( التعطيش )  
وتحولت الى كاف مجهورة كشأنها في لهجة القاهرة وعدن .

### الياء ( ي )

صوت غاري متوسط مجهور شبه طليق منفتح

ولاندغم إلا في مثلها .

احتفظت الياء بكل خصائصها في اللهجات الحديثة .

### الكاف ( ك )

صوت طبقي شديد مهموس منفتح .

يقترّب مجبسه من منطقة الغار اذا وليه صوت الكسرة أو ما كان  
قريباً منها . وتدعى هذه الظاهرة بالتنوير .

---

١ - المرجع نفسه ج ١٠ ص ١٣٨

تدغم الـكاف في القاف : نحو قوله تعالى ( فاذا خرجوا من عندك قالوا ← فاذا خرجوا من عندك قالوا )<sup>(١)</sup>

احتفظت الـكاف بكل خصائصها في كثير من الامميات ، لكنها في عاميات اخرى تبدو وكأنها منفسة ( كَهْ ) اي منطوقة بمنجزة مفتوحة وهذا هو حالها في لهجة دير الزور في سورية .

### العين ( غ )

صوت طبقي رخو مجهور منفتح .

عده القدماء من اصوات الحلق خطأ ، ومن الغريب ان يتابعهم في هذا الخطأ عالم جليل كاللكتور ابراهيم انيس<sup>(٢)</sup> . وكل لغوي حديث لا يشتبه في كون محبس العين من الطبقات لامن الحلق .

تدغم العين في الخاء كقولك ( ادمغ خلفاً ← ادخلفاً<sup>(٣)</sup> ) .

حافظت العين على محبسها وكل صفاتها في الامميات .

### الحاء ( خ )

صوت طبقي رخو مهموس منفتح .

هو مثل العين في المحبس والرخاوة والانفتاح لكنه يختلف عنه في

١ - المرجع نفسه : ج ١٠ ص ١٣٨

٢ - انظر كتابه الاصوات القوية ، ص ٧٥

٣ - ابن يعيش ج ١٠ ص ١٣٧

الجر ، فالنين مجهورة وانحاء نظيرتها المهموسة .

أجاز النحاة ادغام الحاء في النين كقولك ( إسليخ غنمك ←  
اسلغتنمك ) (١) .

حافظت الحاء على مخرجها وكل صفاتها في الامميات .

### القاف ( ق )

صوت لهوي شديد مهموس منفتح .

هكذا ينطق في كثير من الامميات ، وهكذا أيضاً ينطقه القراء  
في جميع الاقطار العربية ، لكن كتب النحو والتجويد تعدده في المجهورات  
كما عدت الطاء والهزمة فيها ايضاً . وسيكون لنا على هذه الاصوات كلام  
في فصل خاص .

أجاز النحاة والقراء ادغام القاف في الكاف كقوله تعالى ( خلق  
كل دابة ← خلقت دابة ) (٢)

تطورت القاف في الامميات الى اشكال عديدة : فهي تلفظ همزة  
مرققة في دمشق ولبنان والقاهرة وبلاد أخرى ، وتلفظ همزة مفخمة  
في حلب وبمض المناطق المجاورة لها ، وتلفظ كافاً مجهورة في الجزيرة  
العربية والعراق وعند كل القبائل البدوية الضاربة في مختلف البوادي  
والصحاري في الوطن العربي . ويذكر الدكتور ابراهيم انيس ان القبائل

---

١ - المرجع نفسه ج ١٠ ص ١٣٧

٢ - = = = ص ١٣٨

المرية في السودان تنطقها من الالهة مجهورة ، وان نطقهم لها يشبه نطقهم للمين ، وان التلميذ السوداني يكثر من الخلط بين المين والقاف في نطقه واملائه .

ويظهر ان تطور القاف الى كاف مجهورة قديم جداً ، اذ يحدثنا أبو حيان في كتابه ( ارتشاف الضرب من لسان العرب )<sup>(١)</sup> ان القبائل البدوية في المغرب والجزائر كانت تلفظها على هذه الصورة في عهد يقول: « واما القاف المعقودة : وقال السيرافي : رأينا من يتكلم بالقاف بينها وبين الكاف . انتهى . وهي الآن غالبية في لسان من يوجد في البوادي والعرب ، حتى لا يكاد عربي ينطق إلا بالقاف المعقودة لا بالقاف الخالصة الموصوفة في كتب النحويين والمنقولة عن وصفها الخالص على السنة اهل الأدا من أهل القرآن ، . انتهى كلام ابي حيان

### المين ( ع )

صوت حلقي رخو مجهور منفتح .

تدغم المين في الهاء كقولك ( ارفع حاتمًا ← ارفحًا تَمًا ) .

اذا اجتمعت المين والهاء جاز قلبها الى حائين وادغامها ، نحو قولك في ( معهم ، واجبه عتبة ← محم ، واجيحْتَبَة )<sup>(٢)</sup> .

١ - مخطوط في المكتبة الاحمدية ببلد تحت رقم ٨٩٩ لغة عربية ، ورقة ٢

٢ - ابن يعيش : ج ١٠ ص ١٣٦

احتفظت العين بحسبها وكل صفاتها في العاميات .

### الحاء ( ح )

صوت حلقي رخو مهموس منفتح .

هو النظير المهموس للعين ، فلا خلاف بين العين والحاء إلا في صفة الجهر والهمس فقط .

حافظت الحاء على محسبها وكل صفاتها في العاميات .

### المهزة ( هـ )

صوت حنجري شديد مهموس منفتح .

يرى بعض اللغويين الـ"ا" يمد هذا الصوت في المهموسات ولا في الجهورات لان محسبه هو فتحة الزمار نفسها ، اي انه لتحقيقه يتلاحم الوتران الصوتيان فيسدان فتحة الزمار . ومعنى ذلك ان الوترين مشغولان بألية احداث صوت المهزة ، فلامها مهتران شأنها مع الاصوات الجهورية ، ولاهما متباعدان شأنها مع الاصوات المهموسة ، وهذه هي حجتهم في عدم حسابانه في الجهورات او المهموسات ، ولكنها حجة ضعيفة كما ترى ، لان الجهور في علم الاصوات هو ما اهتز معه الوتران ، والمهموس هو ما لم يهتز معه الوتران دون النظر الى سبب عدم الاهتزاز . وعلى



هذا تكون الهمزة من الاصوات المهموسة دون ريب (١) .

على الرغم من شيوع الهمزة صوتاً أساسياً في الالسن السامية والهندية الاوروبية فليس له رمز في ابجديات هذه الالسن كلها ، ماعدا العربية التي وضعت له رمزه المروف ( ء ) في زمن متأخر . وقد اشتقه واضعوه من رمز صوت العين ، فكان يكتب اول الامر رأس عين صغيرة ( ء ) . وانما فعلوا ذلك لما وجدوا من الشبه بين الصوتين .

ولعدم وجود رمز خاص به في الابجدية الافرنجية فان القوم هناك يسمونه بالحجسة الحنجرية ، كما كان النحاة يسمونه لهذا السبب بالالف اليابسة .

حافظت الهمزة على محبستها وكل صفاتها في العاميات .

#### الماء ( هـ )

صوت حنجري رخو مهموس منفتح .

ولكن الدكتور تمام حسان يعمده في المجهورات ، ويعمل ذلك بأن شيئاً من الذبذبة الورتية يصحبه بسبب تقارب الورتين عند احدائه (٢) ؟

اجاز النحاة ادغام الماء في الحاء اذا وقعت قبلها او بعدها كقولك

في ( اجبه حاتماً ، واذبح هذه ← اجبجتاً ، واذبحتاه ) (٣)

حافظت الماء على محبستها وصفاتها في العاميات .

١ - انظر ابراهيم انيس : الاصوات اللغوية ، ص ٧٦ - ٧٧

٢ - انظر مناهج البحث ، ص ١٠٣

٣ - ابن بيش : ج ١٠ ص ١٣٦ .

## مطابقة الأصوات الثلاثة الهمزة والطاء والقاف

مر معنا ان الهمزة والطاء والقاف حبيسات مهموسة ، بمعنى ان الأوتار الصوتية لا تهتز معها خلافاً للحبيسات المجهورة التي تهتز معها الاوتار . ولكن كتب النحو والقراءات تجمع كلها على ان هذه الحبيسات الثلاثة مجهورة . فماذا نفعل ؟

هل نصدق قراءنا الماصرين الذين أجمعوا عملياً على همس هذه الاصوات الثلاثة في قراءتهم للقرآن ونخطيء النحاة والقراء القدماء ، أم نصدق هؤلاء ونتهم قراءنا اليوم بأنهم يقرؤون القرآن على غير الصورة الصحيحة ؟ .

حول هذه النقطة دار جدال طويل بين علماء اللغة الماصرين من عرب ومستشرقين . وقبل ان نعرض لك ملخص هذا الجدل نحب ان ننقل لك عبارة النحاة في تعريفهم للمجهور والمهموس لما لذلك

من علاقة بالموضوع .

قال سيبويه في الكتاب (١) :

« فإما المجهورة ( فالهمزة ) والالف والعين و ( القاف ) والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء و ( الطاء ) والذال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو . فذلك تسعة عشر حرفاً . واما المهموسة فالهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء . فذلك عشرة أحرف . فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ، ويجري الصوت . فهذه حال المجهورة في الحلق والقم ، الا ان النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والحنانيم فتصير فيها غنة . والدليل على ذلك انك لو امسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخلَّ بهما . واما المهموس فحرف اضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه . وانت تعرف ذلك اذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس . ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه . »

وقال ابن جني في سر الصناعة (٢) :

« فمعى المجهور : انه حرف اشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ، ويجري الصوت ؛ غير ان الميم

١ - ج ٢ ص ٤٠٥

٢ - ج ١ ص ٦٩

والنون من جملة المجهورة قد يمتد لها في الفم والحنائيم فتصير فيها غنة .  
فهذه صفة المجهور .

د واما المهموس : فحرف أضعف الاعتماد في موضعه ، حتى جرى  
معه النفس . وانت تعتبر ذلك بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري  
الصوت نحو سَسَسَسَس كككك هههه ، ولو تكلفت مثل ذلك في  
المجهور لما أمكنتك .

وقال الزمخشري في المفصل (١) :

د والجهر إشباع الاعتماد في مخرج الحرف ومنع النفس ان يجري  
معه ، والمهمس بخلافه . والذي يتعرف به تباينها أنك اذا كررت القاف  
فقلت : ققق ، وجدت النفس محصوراً لانحس معها شيء منه ، وتردد  
الكاف فتجد النفس مقاوذاً لها ، ومساوقاً لصوتها .

من ذلك ترى ان تعريفاتهم للمجهور والمهموس واحدة ، بل انها  
بالانفاظ نفسها . ويمكن تلخيص ماقلوه فيما يلي :

١ - المجهور : حرف اشبع الاعتماد في موضعه فلم يجز النفس معه .

٢ - المهموس : حرف ضعف الاعتماد في موضعه فجرى النفس معه .

وإليك الآن آراء علماء اللغة المعاصرين في هذه المشكلة :

---

١ - شرح المفصل لابن يعيش : ج ١٠ ص ١٢٨

غاردنر وبرافمان<sup>(١)</sup> :

يري هذان العالمان ان الهمزة والطاء والقاف كانت مهموسة على شفاه العرب منذ أقدم الأزمنة ، وان النحاة عندما وصفوا هذه الاصوات الثلاثة بالجهر لم يكونوا يعنون منه ما نمنيه اليوم من ذبذبة الاوتار الصوتية، خلافاً لما اعتقده ( شاد )<sup>(٢)</sup> في بحثه عن سيبويه عندما ترجم الجهور بـ ( sonore ) والمهموس بـ ( sourde ) .

والدليل على ذلك من ثلاثة وجوه :

أ - ان علماء الاصوات العرب كانوا يجهلون تشريح الحنجرة ولا يعرفون شيئاً عن الوترين الصوتيين وعن دورهما في عملية التصويت . فاعتبار مصطلحهم ( مجهور ) بأنه مقابل لـ ( sonore ) و ( مهموس ) بأنه يساوي ( sourde ) خطأ .

ب - ان قول النحاة في تعريف الجهور بأنه ( الحرف الذي أشبع الاعتماد في موضعه ) ، وفي تعريف المهموس بأنه ( الحرف الذي ضعف الاعتماد في موضعه ) يمكن ان يفهم منه انهم كانوا يعنون بالجهور الحرف المنفجر او المشرق ( éclatante ) وبالمهموس الحرف الضعيف أو الخفيف ( légère ou faible ) . ولا شيء اكثر من ذلك .

---

١ - انظر كتاب اولهما : Arab Phonétians . P, 243 - 246 وكتاب الثاني :  
Materialen und Untersuchungen zu den phontischen  
Lehren der Araber , P . 27 - 25 . عن كاتينو .  
٢ - انظر كتابه Sibawaihi's Lautlehre , P. 13 عن كاتينو .

ج - ان الهمزة يستحيل ان تكون مجهورة ، لان الوترين الصوتيين يكونان عند احداثها ملتصحين مما يتمذر معه ذبذبتها . فاذا عدوا الهمزة في المجهورات فذلك دليل على انهم لم يكونوا يمتنون بالجهر مانميه نحن اليوم .

٢ - كاتينو(١) :

أما كاتينو فيعتقد ان النحاة العرب فهموا من كلتي المجهور والمهموس ما نفهمه منها اليوم بالضبط . ويرد على غاردرز وبراغان بما يأتي :

آ - صحيح ان النحاة كانوا يجهلون تشريح الخنجرة ودور الوترين ، ولكن التمييز بين الصوت المجهور والصوت المهموس لا يحتاج الى هذه المعرفة التشريحية ، بل تكفي في ذلك الأذن المرهفة الحساسة ، وهذا كان متوفراً عند النحاة القدماء .

ب - لاشك ان عبارة ( أشبع الاعتماد في موضعه ) يفهم منها ( القوي ) وأن عبارة ( أضعف الاعتماد في موضعه ) يفهم منها ( الضعيف ) ، ولكن ذلك لا يمنع من ان يفهم منها أيضاً ( المجهور والمهموس ) بالمعنى المعروف للكلمتين اليوم .

ج - صحيح ان الهمزة لا يمكن الا ان تكون مهموسة . ولكن

يمتد عن النجاة العرب عندما عدوها خطأ في المهورات بأن علاقاتها بالالف علاقات قوية وكثيرة ، ولما كانت الألف مجهورة فقد سهل على النجاة ان يخطئوا ويمدوا الهمزة مجهورة أيضاً . أما الطاء والقاف فليس ما يمنع من انها كانتا مجهورتين ، ولو عند بعض العرب القدماء على الأقل .

٣ - ابراهيم انيس (١) :

اما الدكتور ابراهيم انيس فيرى ان مفهوم القدماء من ( المجهور والمهموس ) ومفهوما منها شيء واحد . ثم يفصل القول على كل صوت من اصوات المشكلة الثلاثة : الهمزة والطاء والقاف كما يلي :

اما القاف فعنده انها كانت مجهورة . ودليله على ذلك من جهتين : الأولى ان القاف لا تزال مجهورة في لهجات القبائل العربية في السودان ، والثانية ان الصوت عندما يتطور ينتقل بحسبه اما الى الامام واما الى الخلف ، وقد انتقلت القاف كلا الانتقالين في اللهجات العربية الحديثة ، فلما انتقلت الى الخلف صارت همزة كما في لهجات الشام ومصر ، لان محبس الهمزة هو اول ما يصادف القاف اذا انتقلت من محبسها الى محبس يقع خلفه . صحيح ان محبس المين والحاء يصادف القاف في انتقالها الى الورا قبل محبس الهمزة ، لكن محبسها ، وهو الحلق ، لا يمكن احداث حرف شديد منه ، واذا ارادت القاف الاحتفاظ بصفة الشدة فيها

---

١ - انظر كتابه : الاصوات القوية ، ص ٧٢ - ٧٣ و ٥٣ - ٥٤

مع انتقالها فليس لها الا محبس الحجره حيث تتحقق على صورة همزة .

ولما انتقلت الى الامام كان اول محبس صادفها هو محبس الكاف ،  
فنطقت من هنا كافاً مجهورة كما هو الشأن في لهجات البدو المختلفة .  
وعنده ان نطقها كافاً مجهورة دليل على انها كانت من قبل مجهورة وهي  
في محبسها اللهوي الخاص بها ، وانها لو كانت مهموسة لنطقت كافاً مهموسة  
عادية .

واما الطاء فيعترف بان وصف القدماء لها بالجهر يخلق مشكلة  
معقدة ، وذلك لأنه لايجد في اللهجات الحديثة التي أجمت على همس الطاء  
مايمكن اعتباره دليلاً على جهرها في السابق . ويحاول الخروج من المشكلة  
بان كتب الاقدمين «لاتمكن الباحث المدقق من تحديد كل صفات ذلك  
الصوت ، ولا كيف كان ينطق به على وجه الدقة ، ولكنه مع ذلك  
يستنتج من وصفهم انها كانت صوتاً يشبه الضاد التي نعرفها الآن .

واما الهمزة فيسكت عنها سكوتاً تاماً متجاهلاً أنها جزء مهم من  
المشكلة . واعتقادنا ان سكوته ناتج عن انه لم يجد شيئاً يفسر به وصف  
القدماء لها بالجهر مع ان همسها شيء محقق لتعذر نطقها بمجهورة في كل  
الاسنة وكل الازمان .

٤ - تمام حسان (١) :

اما الدكتور تمام حسان فهو مع كاتينيو وانيس في ان مفهوم النحاة

---

١ - انظر مناهج البحث في اللغة ، ص ٩٤ - ٩٥



القدماء من ( مجهور ومهموس ) كفهومنا اليوم ، ولكنه يملد التناقض الواقع بين وصفهم للهمزة والطاء والقاف بالجر ، وبين التحقيق المهموس لهذه الاصوات الثلاثة على شفاه القراء اليوم تعليلاً آخر اذ يقول :

ان هذه الاصوات الثلاثة كانت مهموسة منذ القدم . لكن النحاة والقراء القدماء اخطأوا عندما عدوها مجهورة لسببين : اولها انهم وضعوا قاعدة قياسية تقول : ان كل صوت من اصوات القلقة مجهور شديد . وهذا ماجملهم يخطئون الصواب في وصف اصوات مهموسة بالجر كالطاء والهمزة والقاف .

ونحن لانعلم بوجود مثل هذه القاعدة عند النحاة والقراء . ولكن الدكتور تمام حسان يستنتجها من عبارة وردت في كتاب ابن الجزري حيث يقول<sup>(١)</sup> : « واطاف بعضهم ايها [ يقصد الى حروف القلقة ] الهمزة لانها مجهورة شديدة » .

والسبب الثاني ، وهذا خاص بصوت الطاء وحده ، ان الطاء كانت تلفظ مهموزة . ومعنى اللفظ المهموز ان يجري الانسداد اثناء نطق الصوت اللغوي في محبين : الحبس الخاص بالصوت المنطوق ، وحبس الحنجرة الذي هو للهمزة ، فيخرج الصوت وكأنه صوتان : هو وهمزة معه . ودليله على ذلك ان بعض اللهجات العامية في الصعيد تنطق الطاء على هذه الشاكلة .

ولكننا لازمى في هذا مايسهل على اللغويين القدماء الوقوع في الخطأ بوصف الطاء بالجر . فسواء الفظت الطاء القديمة صوتاً مفرداً مهموساً ام لفظت صوتاً مزدوجاً مؤلفاً من صوتين اثنين مهموسين ، فليس في الامر مايسوغ خلطهم وعدم تمييزهم بين مهموس ومجهور . هذا اذا سلمنا بان النطق القديم للطاء كان مهموزاً اعتماداً على وجوده كذلك عند قبيلة عربية واحدة قد لايتجاوز عدد افرادها الالفين او الثلاثة من بين مائة وعشرين مليون عربي لايسرفون لها إلا لفظاً بسيطاً ليس فيه همز .

هذا ملخص لما دار من جدل حول هذه الاصوات الثلاثة . وفي رأينا ان كلاً من غاردز وبراغان وكانتينو وانيس قد أخطأ عندما أقام تلازماً بين حقيقة هذه الاصوات وبين مفهوم النحاح والقراء عن المجهور والمهموس .

فالاولان وجدوا الاصوات الثلاثة مهموسة فاتهموا النحاح والقراء بعدم الادراك الصحيح لمعنى الجهر والهمس ، والآخرون اطمانوا الى حسن فهم النحاح والقراء لمعنى الجهر والهمس فانتهيا الى الحكم بان الطاء والقاف كانتا مجهورتين . ولم ينتبه جميعهم الى انه من الممكن ان يكون النحاح قد فهموا معنى الجهر كما فهمه اليوم ثم أخطأوا فوصفوا بالجهر اصواتاً مهموسة . الوحيد الذي انتبه الى عدم ضرورة التلازم بين شقي المشكلة هو الدكتور تمام حسان ، ولكنه راح يسوغ او يفسر سبب خطأ النحاح بطرق تخمينية تلفيقية تعتمد على الظن لاعلى الواقع . فزعم ، كما رأينا ، ان النطق المهموز للطاء او هم النحاح بوجود الجهر

فيها ، ولايستقيم هذا الدليل إلا اذا سلطنا بثلاثة أمور : أولها ان النحاة ادركوا دور الوترين في عملية التصويت ، وهذا ما لم يتم عليه اي دليل ، وليس في كلامهم مايشير ولو إشارة عابرة إليه ، الثاني ان يكون النطق المهموز للطاء هو النطق العام للعرب آنئذ ، وليس هذا صحيحاً ، ونطق بمض الافراد اليوم للطاء على هذه الصورة لايقوم دليلاً على ان كل العرب كانت تفعل ذلك قديماً ، الثالث ان يكون الهمسان يوقمان الاذن في توم وجود الجهر ، وهذا ما لم يثبت علمياً ايضاً .

ولتفسير خطئهم في وصف الهمزة والقاف بالجهر راح يزعم امرأ اكثر غرابة مؤداه ان النحاة والقراء كانوا يسرون على قاعدة ان كل مجهور شديد هو مقلقل ، وان كل مقلقل هو بالتالي مجهور شديد . ولايستقيم هذا الدليل الا اذا سلطنا ايضاً بامرين : أولها ان تكون هذه القاعدة المزعومة موجودة في كتبهم ، وهذا خلاف ما نعرفه من هذه الكتب ، فلا سيويه ولا الزمخشري ولا ابن جني ولا غيرهم صرح بهذه القاعدة او اشار اليها ولو من بعيد ، اما ابن الجزري فبالاضافة الى تأخره وانفراده في هذا الحكم لم يصرح بوجود مثل هذه القاعدة ، ولكن الدكتور تمام حسان هو الذي استنتجها من عبارة لم تسبك سبكاً علمياً صحيحاً . الثاني ان تكون الهمزة معدودة في حروف القلقلة بالاجماع . والذي نعرفه ان الاجماع حاصل على حسابها في المجهورات وليس حاصل على حسابها في المقلقلات .

والرأي عندنا ان تحلل المشكلة الى ثلاثة اجزاء ، وان تصور هذه

الاجزاء باسئلة ثلاثة على الشكل التالي :

١ - هل كانت الهمزة والطاء والقاف مهموسة كما هي اليوم في افواهنا ، أم كانت مجهورة ؟

٢ - هل كان النحاة والقراء يفهمون من الجهر والهمس ما نفهمه نحن اليوم ، أم كانوا يفهمون منها شيئاً آخر ؟

٣ - اذا كان فهمهم كفهمنا فلماذا وصفوا هذه الاصوات بالجهر ؟  
ألأنها كانت مجهورة حقاً ، أم لأنهم أخطئوا ؟

والجواب عن السؤال الأول هو ان هذه الاصوات الثلاثة كانت مهموسة كما نطقها اليوم تماماً . ودليلنا على ذلك من اربع جهات :

١ - ان الهمزة بحكم آلية نطقها لا يمكن الا ان تكون مهموسة ، فاذا ثبت بالدليل القطعي ان النحاة أخطأوا عندما وصفوا الهمزة بالجهر فهذا دليل على ان اشراكهم القاف والطاء في هذه الصفة ايضاً كان عن خطأ .

٢ - ان تلاوة القرآن انتقلت الينا جيلاً بعد جيل عن طريق المشافهة والتلقين الدقيق المصحوب بالمران الطويل لتصحيح ما قد يقع من البتدىء من اخطاء نطقية . ومثل هذه الطريقة الدقيقة لا يمكن ان يقع فيها خطأ فادح كجهر مهموس او همس مجهور ، ولو سلمنا بان الخطأ قد حدث ، فكيف نفسر ان يقع كل القراء في كل البلاد العربية والاسلامية

في الخطأ نفسه ؟ ان هذا شيء لا يمتل . الاترى ان الطلاب اذا اخطوا في حل مسألة حسابية تمددت اجاباتهم وتنوعت ، واذا اصابوا كانت اجابتهم واحدة ؟ فاذا ثبت ان الوحدة تعني الاصابة ، وان جميع قراءنا اليوم في كل البلاد العربية والاسلامية ينطقون الهمزة والطاء والقاف مهموسة ، فليس لذلك الا نتيجة واحدة : هي ان هذه الاصوات الثلاثة كانت مهموسة في افواه الصحابة .

٣ - ان اجماع الشعوب العربية اللاشعوري على همس هذه الاصوات الثلاثة ، ولاسيما اذا ارادوا تقليد النطق الفصح دليل على ان هذه الاصوات كانت مهموسة من قديم الزمان ، ولو كان هناك تطور كما يدعي انيس وكانتينو لما كان هذا التطور في جهة واحدة ، فالمعروف ان التطور اذا اصاب صوتاً تعددت مذاهبه واختلفت مظاهره ، ولاسيما اذا كانت رقعة البلاد واسعة وكان الاحتكاك البشري ضعيفاً بين اجزاء الأمة ، كشأن البلاد العربية والامة العربية . الاترى ان الجيم عندما تطورت اتهمت الى اشكال عدة ؟ فهي خالية من التعطيش في لهجة القاهرة وعدن ، وهي شديدة التعطيش في لهجة لبنان ، وهي على شيء غير يسير من التعطيش في لهجة دمشق ، ، وهي نصف معطشة في لهجة حلب ؟

٤ - من المعروف لغوياً ان اللسان اذا اخذ من لسان آخر كلمة حافظ على أصواتها ان كانت هذه الاصوات مما هو موجود في اللسان الآخذ . فان كان غير ذلك طرح ما فيها من اصوات غير موجودة عنده وعوضها باقرب اصواته إليها . وفي بعض الاحيان يحافظ اللسان الآخذ على اصوات الكلمة المأخوذة ولكنه يضيف الى هذه الاصوات شيئاً من

التفخيم او الترقيق على حسب خصائصه الصوتية التي ألفها .

وقد اخذ اللسان العربي من الالسن الاعجمية كثيراً من الكلمات ،  
وفخم اصوات هذه الكلمات جرياً على عادته في ايثار الفخامة في الاصوات ،  
فاذا نظرنا في الكلمات المربة التي توجد فيها الطاء والقاف ونظرنا الى  
اصواتها الاصلية التي كانت لها في السنه التي أخذت منها ، كان لنا من  
ذلك ما يرشدنا الى حقيقة هذين الصوتين في العربية قديماً .

واليك قائمة صغيرة ببعض الكلمات المربة مع الصورة اللفظية لها  
في السنه الاصلية :

اقريطش = كريت      ابقراط = ايكرات

افلاطون = بلاتون      ميخانيقا = ميخانيكا

سقراط = سكرات      طلوشة = تولوز

قسطنطين = كستننتين      قشالة = كاستيل

ارسطو = ارستو      طرابلس = تريبوليس

قيصر = كيسر      صراط = متراتا

وانت تستطيع ان تطيل هذه القائمة حتى تملأ بها عدة صفحات .  
وستجد دائماً ان العرب القدماء احلوا مكان التاء طاءً ، ومكان الكاف

قافاً ، لانه لافرق بين كل زوج من هذه الاصوات الا بالتفخيم والترقيق ، والصفات والمجاس بمد ذلك واحدة . فاذا كان من الثابت ان التاء والكاف مهموستان في الاسن المأخوذ منها فقد ثبت ان الطاء والقاف كانتا مهموستين في العربية أيضاً . اذ لو كانتا مجهورتين لما قابلتا في التعريب التاء والكاف ، بل كانتا تقابلان الدال والـ (g) .

وهنا أيضاً ، لو استعرضنا الكلمات العربية التي كانت تشتمل في السنها الاصلية على الدال والـ (g) لوجدنا العربية تبقي الدال على حالها لوجود هذا الصوت فيها ، بينما تقلب الـ (g) الى غين لانه اقرب الاصوات اليها ، فهو من محبسها اولاً ، وهو مجهور مثلها ثانياً ، ولا فرق بينها الا ان الغين رخوة ، والـ (g) شديدة .

انظر مي :

grammaika = غراماطيقا

gèographie = جغرافية

féthagoras = فيثاغورس

paradis = فراديس

ولو كانت القاف والطاء مجهورتين لكانتا أصلح واقترب الاصوات لمقابلته الدال والـ (g) لانها الصورتان التفضيمتان حينئذ لهذين

الصوتين .

ويمكن أيضاً ان نقلب الاية فننظر في الكلمات العربية الشتملة على قاف او طاء ، ثم ننظر في صورتها بعد ان اخذها الافرنج عنا . فان ابدلوا من القاف والطاء صوتين مجهورين دل ذلك على جهرها ، وان ابدلوا منها مهموسين كان ذلك دليلاً على همسها . ونحن ، خوف الاطالة ، نكتفي بكلمة واحدة فيها الصوتان موضوع المشكلة ، ويستطيع القارئ ان يكمل من ذاكرته ما اضطررنا الى اهماله هنا . واليك هذه الكلمة : انها كلمة ( قطن ) التي انتهت عند الافرنج الى صورة Coton . وانت ترى انهم حملوا مكان القاف والطاء كافاً وتاءً . فاذا عرفنا ان كلا من الكاف والتاء مهموس ، تأكد لدينا ان القاف والطاء كانتا مهموستين ايضاً .

اما الجواب عن السؤال الثاني ( هل كان النحاة والقراء القدماء يفهمون من الجهر والمهمس ما نفهمه اليوم ؟ ) فلا يمكن الادلاء به الآن ، لان ذلك يتطلب درساً وبحثاً عميقين لم يقم بها أحد حتى اليوم . وكل ما لدينا الآن من نصوص حول هذا الموضوع لا يمكن الباحث من الخروج بنتيجة حسمية . فعلى حين نجد نصوصاً تشير بوضوح تام الى حسن فهمهم للمجهور والمهموس كما نفهمها اليوم ، نجد نصوصاً اخرى فيها من الخلط والخطأ ما لا يجوز وقوعه من المبتدئ في علم الصوتيات .

فمن النوع الاول ذلك التحليل الدقيق الذي ذكره ابن جني في ستر الصناعة ( للصاد التي كالزاي ) . فهذا التحليل السارح ان دل على



شيء فأنما يدل على التقدم الكبير الذي حصله الفحاة القدماء في علم  
الصوتيات . فاستمع معي إليه وهو يقول (١) : ، واما الصاد التي كالزاي  
فهي التي يقل همسها قليلاً ، ويحدث فيها ضرب من الجهر ، لمضارعتها  
الزاي ، وذلك قولك في ( يصندر ) : يصندر ، وفي ( قصد ) :  
قصد . ومن العرب من يخلصها زايماً فيقول : يزدرد وقرذد . وقالوا في  
مثلهم : لم يحرم من قرذد له . اي فُصِّدَ له .

والى جانب هذا تجد ابن جني يقع في اخطاء يستبعد وقوعها  
حتى من المبتدئين . ففي معرض كلامه عن ( ذوق الحروف ) يقول (٢) :  
الا ان بعض الحروف اشد حصرأ للصوت من بعضها . الا تراك تقول في  
الدا والطاء واللام : إد ، إط ، إل . ولاتجد للصوت منفذاً هناك ،  
ثم تقول : إص ، إس ، إز ، إت ، إف . فتجد الصوت يتبع الحرف؟

فهنأ ادخل اللام في زمرة الاصوات الشديدة . وهي كما نعرف  
من الاصوات المتوسطة ، اي التي يتسع معها مجرى الهواء اتساعاً كبيراً ،  
وكل انسان منا يستطيع ان يلفظ اللام ليجد ان الصوت يتطلق معها  
ولا ينحبس كما يدعي ابن جني .

وقد اعتقدت لبرهة ان ( إل ) الواردة في العبارة تصحيف من  
النساخت ، وانها في الاصل ( اك ) بالكاف ، اذ لا يعقل ان يخلط ابن  
جني ، وهو الطويل الباع في اللغة ، بين حرف شديد وحرف رخو

---

١ - ج ١ ص ٥٦  
٢ - المرجع نفسه ج ١ ص ٧

بله متوسط . ولكن بعد التأمل تبين لي انه لا تصحيف في الكلمة .  
وذلك لسببين : أولهما ان كلمة ( اللام ) وردت في العبارة بتمام حروفها ،  
وإذا كان من الممكن وقوع التصحيف بين ( ال ) باللام و ( اك )  
بالكاف لتشابه الحرفين في الصورة ، فليس من المحتمل وقوع تحريف  
بين كلمة ( اللام ) وكلمة ( الكاف ) لتباعد الصورتين تباعداً كبيراً .  
والثاني ان النسخ التي اعتمدها المحققون للكتاب ، وهي تبلغ خمساً ،  
قد اجمعت على ( ال ) ولم تشذ منها واحدة فنثبت ( اك ) مكان ( ال ) .  
هذا وبعض النسخ قد روجت على نسخة المؤلف التي هي بخط يده  
وصححت عليها ، كما تضمنت تعليقات بقلم النحوي المصري الكبير العلامة  
ابن هشام الانصاري .

فاذا ثبت ألا تصحيف في ( ال ) لم يبق الا ان نقول : ان ابن  
جني خلط خطأ شائناً بين الصوت الشديد والصوت الرخو . ومن  
العجيب حقاً ألا يشير الاساتذة المحققون للكتاب الى هذا الخطأ من ابن جني ،  
وفيهم من لا يشك في تبجرهم باللغة وطول باعهم في الدراسات اللغوية مثل  
مصطفى السقا والاستاذ ابراهيم مصطفى .

وإذا رجعنا الى تعريفات النحاة للمجهور والمهموس لم نظفر بما ينير  
لنا السبيل ، بل وجدنا على العكس ابهاماً وغموضاً لا يمكن معها القول  
انهم فهموا الجهر والمهمس فهماً صحيحاً . فتعريفهم للمجهور لا يختلف كثيراً  
عن تعريفهم للشديد . وتعريفهم للمهموس هو نفسه تعريف الرخو :

آ - المجهور : ما منع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد

عليه ويجري الصوت .

ب - الشديد : مامنع الصوت ان يجري فيه .

آ - المهموس : ماجرى النفس معه .

ب - الرخو : ماجرى فيه الصوت (١) .

اما الجواب عن السؤال الثالث ( لماذا أخطأ النحاة والقراء القدماء فوصفوا بالجهر ماهو مهموس ) فليس أمراً ضرورياً فيما نفتقد . لان المهم عندنا ان نعرف حقيقة اصوات لساننا ، وليس المهم ان نعرف لماذا اخطأ المخطئون في وصفها . واذا كان لابد من قول في هذا الصدد فيجب الا يكون فيه تكلف أو تحلل ، كما يجب ان يملأ خطأ الاقدمين بما يملأ به خطأ المحدثين . وقد تبين لي من خلال تدريسي لمادة فقه اللغة ان الطلبة كثيراً ما يخطئون في تمييز المجهور من المهموس اذا كان الصوت المفحوص من الاصوات الشداد ، وذلك بسبب قصر زمن الجهر في المجهور لامتلاء الفم بالهواء المحبوس ، بينما يندر ان يخطئوا في التمييز بين المجهور والمهموس اذا كان الصوت المفحوص من الاصوات الرخوة ، وذلك بسبب طول زمن الجهر لقدرة الناطق على مد الصوت بقدر ماتسمح به رئته من الهواء . فاذا كان هؤلاء الطلبة يخطئون التمييز بين الجهر والمهموس في الاصوات الشداد بمد ماء-رفوا من امر الجهر ودور الوترين الصوتيين والطرق المختلفة للاستيثاق من امر الجهر ، فلأن يخطيء القدماء ، وهم الذين جهلوا امر الاوتار الصوتية ، في ذلك أولى .

١ - انظر سيبويه : الكتاب ، ج ٢ ص ٤٠٥ - ٤٠٦ . وعبارة ابن جني والزمخشري في تعريفاتهما للمجهور والمهموس والشديد والرخو لا تختلف في شيء عن عبارة سيبويه بل انهما في كثير من الاحيان يستعملان الفاظ سيبويه نفسها .

## نبرج الحبيسة (الجزيرة)

ان الاصوات الحبيسة لاتساوى في نسب ورودها في الكلام ،  
فبعضها يكثر وروده في هذا اللسان ، بينما يندر وروده في لسان آخر .  
يشعر بذلك الرجل المادي عندما يسمع انساناً يتكلم امامه بلسان لا يفهمه ،  
فتراه اذا ماطلب منه ان يقلد هذا الانسان في كلامه - تراه ينطق بانفاظ مرتجلة  
لامعنى لها ولكنها مشتملة على حشد من الاصوات الشائمة في لسان هذا الانسان .  
وهناك اسطورة لطيفة تقول : ان ملكاً بهت رجلاً يدرس له ألسن  
العالم ، فلما عاد الرجل العالم من بهتته راح الملك يسأله عن الألسن ،  
فكان كلما سأله عن لسان ذكر له خصائصه ومميزاته وصفاته . فلما سأله  
عن الجركسية سكنت ولم ينطق ، ثم اتى بكيس مملوء بالجوز فهزه هزاً  
عنيفاً ، فسمع من داخله قرقة عالية ، فقال العالم للملك : هذا هو  
اللسان الجركسي .

وقد علمت ذلك أيضاً شركات صنع الآلات الكاتبة ، فلا تقوم  
بصنع آلة كاتبة للسان ما قبل ان تجري احصاء لأصوات هذا اللسان .  
تطلع من خلاله على ما يكثر وروده من هذه الاصوات لتجعل ازراره  
في وسط الآلة ، وعلى ما يقل وروده منها لتجعل ازراره في الاطراف .

وقد قام الدكتور ابراهيم انيس باحصاء من هذا النوع ليكشف  
عن نسب شيوع كل صوت من اصوات العربية واليك ما انتهى اليه :

قال في كتابه ( الاصوات اللغوية ) (١) :

و لقد حصرت عدد كل منها [ اي الاصوات الحبيسة ] في  
عشرات من صفحات القرآن الكريم الذي لاشك انه يمثل اصدق  
الاساليب العربية ، وقد اتخذت هذه الصفحات كمنهج يقاس عليها . ثم  
استعنت بأهل الرياضة فأجروا لي تلك العملية الرياضية التي تستخدم في  
علم الاحصاء ، وفي كثير من العلوم الحديثة ، لتفنيينا عن استقراء جميع  
افراد الاصوات الساكنة [ اي الاصوات الحبيسة ] في القرآن الكريم  
التي تزيد على ثلاثمائة الف من الاصوات . وقد كانت النتيجة التي وصلت  
اليها ان نسبة شيوع [ الحبيسات في كل الف صوت حبيس هي  
كما يلي : ]

ل - ١٢٧	ا - ٥٦
م - ١٢٤	و - ٥٢
ن - ١١٢	ت - ٥٠
همزة - ٧٢	ي - ٤٥

١٥ - ح	٤٣ - ب
١٠ - خ	٤١ - ك
٨ - ص	٣٨ - ر
٧ - ش	٣٨ - ف
٦ - ض	٣٧ - ع
٥ - غ	٢٣ - ق
٥ - ث	٢٠ - س
٤ - ز	٢٠ - د
٤ - ط	١٨ - ذ
٣ - ظ	١٦ - ج

## أنواع النسيج الصوتي في العربية

تبلغ عدة الاصوات الحبيسة في العربية ثمانية وعشرين صوتاً كما رأينا . وقد أجرى الخليل قديماً عملية حسابية بسيطة ليعلم مقدار الكلمات التي يمكن ان تتألف من هذه الاصوات ، فتبين له ان عدد هذه الكلمات الممكنة يتجاوز اثني عشر مليوناً . ولكن المستعمل منها في الواقع لا يكاد يتجاوز الثمانين ألفاً . فما معنى ذلك ؟

معناه ان لكل لسان نظاماً خاصاً في تأليف ألفاظه ونسجها ، فما يقبله هذا اللسان من نسيج صوتية معينة ويكثر منه ، قد يرفضه لسان آخر أو يندر وجوده فيه . هذا المزج للاصوات - كما يسميه ابن جني (١) - يسمى بالنسيج الصوتي . ولكل لسان اساليبه الخاصة في نسج كلماته صوتياً .

ان الدراسة المتعمقة للنسيج الصوتية العربية لا تزال تنتظر من يقوم بها . ولكن القداماء من النحويين واللغويين لهم بعض الملاحظات في هذا الشأن ، وهي على جانب كبير من الاهمية على الرغم من قلتها .

١ - انظر سر الصناعة : ج ١ حاشية الصفحة ٧٧

ويمكن تقسيم هذه الملاحظات الى ثلاثة اقسام :

آ - نسيج تأباها العربية اباة تاماً ، سواءً اكانت في كلاتها ام كانت في كلات معربة . وتلك هي النسيج المؤلفة من اصوات من جنس واحد ، مثل : بيب ، تت ، جيج . . الخ .

ب - نسيج تأباها العربية في كلاتها ، ولا تأباها في الكلمات الاعجمية المعربة . فان وجدت هذه النسيج دل ذلك على عجمة الكلمة الموجودة فيها وهذه النسيج هي :

١ - اجتماع الجيم مع الصاد ، مثل : صولجان . جمص . صنجة . (١)

٢ - الجيم مع القاف ، مثل : منعنبيق . جوق . جرنديق . (٢)

٣ - تقدم النون على الراء ، مثل : نرجس . نرس . نورج . نرجة . (٣)

٤ - تقدم الدال على الزاي ، مثل : مهندز .

٥ - تقدم اللام على الشين ، مثل : بلشش . (٤)

٦ - اجتماع السين مع الدال ، مثل : ساذج .

٧ - اجتماع السين مع الزاي ، مثل : سوزان . (٥)

---

١ - الصنجة : كفة الميزان

٢ - الجوق : جماعة من الناس ، وجرندق علم لرحل .

٣ - النرجس زهر معروف ، والنرس علم لقرية في سواد العراق ، والنورج ، ويقال النبرج ايضاً هو ما يداس به الطعام ، حديداً كان حديداً ، والنرجة الحشبة التي تقلب بها الارض .

٤ - باش كلمة عامية بمعنى ابتداء .

٥ - سوزان : اسم زهر معروف . والعرب تنطقه : سوسان او سوسن .



- ٨ - اجتماع الصاد والطاء ، مثل : مصطول . (١)
- ٩ - اجتماع الراء مع اللام إلا في النادر ، مثل : رلى . (٢)
- ١٠ - حلو كلمة رباعية او خماسية من احد حروف الذلاقة ( الميم والنون والراء واللام والباء والفاء ) ، مثل : عفجش (٣) .
- ج - نسج تقلبها العربية ، لكنها متفاوتة في الفصاحة والخفة . وقد احصى الشيخ بهاء الدين صاحب عروس الافراح اثني عشر من هذه النسج للكلمة الثلاثية ، نظراً في ذلك الى مناطق الجواز الصوتي لا إلى الاصوات بالتفصيل .
- واليك هذه النسج وما قاله في مراتب فصاحتها وخفتها :
- ١ - الانحدار من المخرج الاعلى الى الاوسط الى الادني ، نحو : ع دب (٤)
- ٢ - الانتقال من الاعلى الى الادني الى الاوسط نحو : ع ر د .
- ٣ - من الاعلى الى الادني الى الاعلى ، نحو : ع م ه .

- 
- ١ - مصطول : عامية معناها : ذاهل .
- ٢ - رلى : علم لقيية عربية .
- ٣ - عفجش كلمة لا معنى لها مثل الجواليقي بها النوع من النسج تأباه العربية في كلماتها . قارن فيما يتعلق بهذه النسج الجواليقي : العرب ، ص ١١ - ١٢ ، والحفاجي : شفاء الغليل ، ص ٧ ، و ابراهيم انيس : دلالة الالفاظ ، ص ٧٢ - ٧٣ . هذا وقد ذكر ابن جني في سر الصناعة ( ج ١ ص ٧٧ ) انه عقد فصلاً في آخر كتابه لما حسن من تركيب الحروف وما قبح . ومن المؤسف ان الجزء الثاني من الكتاب لم ينشر حتى اليوم لعرف ما قاله ابن جني في هذا الفصل . ولكن يظهر مما نقله السيوطي عنه ( الزمر ج ١ ص ١١٧ ) انه لم يأت بشيء اكثر مما اتى به المتأخرون عنه
- ٤ - يقصد بالمخرج الاعلى المحبس الذي يقع في المنطقة الخفية من القناة الصوتية ، وبالاوسط المحبس الواقع في وسط الفم ، وبالادني المحبس الواقع في مقدم الفم .

- ٤ - من الاعلى الى الاوسط الى الاعلى ، نحو : ع ل ن . (١)
- ٥ - من الادني الى الاوسط الى الاعلى ، نحو : ب د ع .
- ٦ - من الادني الى الاعلى الى الاوسط ، نحو : ب ع د .
- ٧ - من الادني الى الاعلى الى الادني ، نحو : ف ع م .
- ٨ - من الادني الى الاوسط الى الادني ، نحو : ف د م .
- ٩ - من الاوسط الى الاعلى الى الادني ، نحو : د ع م .
- ١٠ - من الاوسط الى الادني الى الاعلى : نحو : دم ع .
- ١١ - من الاوسط الى الاعلى الى الاوسط ، نحو : ن ع م .
- ١٢ - من الاوسط الى الادني الى الاوسط ، نحو : ن م ل .

ويقول الشيخ بهاء الدين ان احسن هذه التراكيب الأول، فالعاشر،  
فالسادس . واما الحامس والتاسع فهما ميان في الاستعمال ، وان كان  
القياس يقتضي ان يكون ارجحها التاسع (٢) . وأقل الجميع استعمالاً  
هو السادس (٣) .

١ - لاحظ خلط القدماء في الاصوات . فالمرروف ان اللام والنون من محبس واحد ،  
والشيخ بهاء الدين يجعلهما من منطقتين مختلفتين في الفم . كما خلط في المثال الثاني عندما  
جعل الدال ادخل في الفم من الراء مع ان الصحيح هو العكس .

٢ - يقصد بالقياس ما نصوا عليه من انه كلما تاعدت محابس اصوات الكلمة خفت في  
اللفظ . ولا شك ان التاسع فيه بعد لا يوجد في الحامس ، وهو الانتقال من  
الاعلى الى الادني .

٣ - عن الزهر للسيوطي ، ج ١ ص ١١٩

## تصنيف الأصوات الطليقة

الطليقات خلاف الحيسات . وهي اصوات لايجد الهواء معها عقبية  
تمرض طريقه في اي نقطة من نقاط القناة الصوتية . ومنها الفتحة  
والكسرة والضمة وما كان من قبيلها .

فلاحداث صوت طليق يخرج الهواء من الرئتين فيسلك طريقه  
في القصبة الهوائية . ثم يدخل الحنجرة فيجد الوترين الصوتيين متقاربين ،  
وفتحة المزمار ضيقة ، فيحتك بالوترين الصوتيين فيهزهما . ثم يخرج من  
الحنجرة فيسلك طريقه في الحلق ، فاذا وصل الى الحفر الانفية فهو امام  
احد امرين : إما ان يجد حجاب الحنك قد ارتفع فسد هذه الحفر ،  
واما ان يجده منخفضاً وطريق الحفر مفتوح . ففي الحالة الاولى يسلك  
طريقه في الفم وحده ، وفي الحالة الثانية يتخذ طريقه في الحجرين الفم  
والانف معاً .

ويجب التنبيه هنا الى ان الاصوات الطليقات مجهورة كلها .  
وتمليل ذلك بسيط : فالطليقات ، وقد فقدت الانسداد الكامل الذي  
ينشأ عنه صوت الانفجار ، والانسداد الجزئي الذي ينشأ عنه صوت

الاحتكاك ، لم يبق لها الا الوتران الصوتيان لتعتمد عليهما في تصويتها .  
فهي لذلك اصوات احادية التصويت وترية (١) .

وقد يرد الآن السؤال التالي : اذا كان الهواء لا يجد امامه في  
الاصوات الطليقة عقبة في اي نقطة من القناة الصوتية ، فكيف يتأني  
لهذه الطليقات ان تمتاز وتنوع حتى تبلغ الحسنيين عدداً ، كما يقر  
بذلك علماء اللغة ؟

والجواب : ان اعضاء النطق ليست على صورة واحدة مع جميع  
الاصوات الطليقة ، فقد يرتفع مقدم اللسان نحو الحنك الأعلى وقد  
ينخفض ، وقد يحدث هذا الارتفاع وذلك الانخفاض من وسطه او من  
اقصاه ، وقد تكون الشفتان مضمومتين او منفرجتين ، وقد يمر الهواء  
من الفم وحده او من الفم والانف معاً . فهذه الاوضاع المختلفة لاعضاء  
النطق هي عناصر التمايز والتنوع في الاصوات الطليقة . وعلى ذلك يمكن  
تصنيف هذه الاصوات على امس ثلاثة : اساس درجة الانفتاح الحاصل  
من قرب اللسان في جزء من اجزائه من الحنك الاعلى ، ثم اساس  
الجزء المرتفع من اجزاء اللسان مع وضع الشفتين ، وأخيراً  
طريقة النطق .

#### آ - التصنيف بحسب اجزاء اللسان :

اذا ارتفع مقدم اللسان نحو الحنك الاعلى حتى بلغ أقصى ما يمكن

---

١ - انظر ماقلناه آنفاً في صدر هذا الباب حول التصنيف المقترح الى اصوات احادية  
التصويت واصوات ثنائية التصويت .

الوصول اليه دون ان يرتطم بالحنك ، او يصل الى درجة تجعل الهواء المار يحدث احتكاكاً ، اذا وصل الى هذا الارتفاع الاقصى انبعث صوت طليق يسمى الكسرة ( - ) كالكسرة بعد العين في كلمة ( عيد ) .

وإذا انخفض مقدم اللسان حتى بلغ أقصى ما يستطيعه من الانخفاض حدث صوت طليق يسمى الفتحة المرققة ( - ) ، كالفتحة الواقعة بعد الباء في قولنا ( باب ) .

وبين الارتفاع الاقصى لمقدم اللسان الذي يعطي الكسرة ، والانخفاض الاقصى لمقدمه الذي يعطي الفتحة المرققة ، توجد عدة نقاط تعطي كل واحدة منها صوتاً طليقاً يختلف عن غيره . ويمكن ان نميز من هذه النقاط الكثيرة اثنتين : واحدة قريبة من نقطة الكسرة تعطي صوتاً نسميه الامالة الحادة نحو الكسر . مثل الامالة المسموعة بعد الباء في كلمة ( بيت ) منطوقةً نطقاً عامياً ، واخرى قريبة من نقطة الفتحة المرققة تعطي صوتاً طليقاً نسميه بالامالة المنفرجة نحو الكسر ، مثل الامالة المسموعة بعد الباء في قول اللبثانيين ( شوباك = ماذا بك ) .

فهذه السلسلة من الاصوات الطليقة : الكسرة ، الامالة الكسرية الحادة ، الامالة الكسرية المنفرجة ، الفتحة المرققة ، تدعى بالاصوات الطليقة الامامية ، لانها تفتج عن تكتل اللسان في مقدم الفم تحت مقدم الحنك الاعلى ، اي الفار .

وإذا ارتفع وسط اللسان الى الاعلى ، كما فعل مقدمه ، انتج

أصواتاً طليقة عديدة ليس في العربية منها غير صوت طليق فصير يسمع بمد حروف القلقة ، وليس له رمز خاص يرمز به له . وتسمى هذه السلسلة من الاصوات بالاصوات الوسطي . ومنهم من يمد الفتحة بأنواعها المرقة والمفخمة من الاصوات الوسطي ، لان اجزاء اللسان المتحركة تقترب من نقطه الوسط في انخفاضها لانتاج الفتحة (١) .

وإذا ارتفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك ( الطبق ) ، فأقصى ما يستطيع ان يبلغه يؤدي الى احداث صوت طليق هو الضمة ( ُ ) ، كالضمة المسموعة بمد الباء في كلمة ( بؤس ) . وإذا انخفض أقصى اللسان حتى يبلغ أقصى ما يستطيعه انتج صوتاً طليقاً يسمى الفتحة المفخمة ( - ) كالفتحة الواقعة بمد الصاد في كلمة ( صالح ) .

وبين نقطتي الضمة والفتحة المفخمة توجد نقاط كثيرة تعطي كل منها صوتاً طليقاً يختلف عن غيره . ويمكن ان نميز من بين هذه النقاط الكثيرة اثنتين : احدهما قريبة من نقطة الضمة . وتعطي صوتاً طليقاً نسميه الامالة الضمية الحادة . مثل الامالة الضمية المسموعة بمد الكاف في كلمة ( الكون ) منطوقة نطقاً عامياً . والآخرى قريبة من نقطة الفتحة المفخمة ، وتعطي صوتاً طليقاً نسميه الامالة الضمية المنفرجة . ولاوجود لهذا الصوت في الفصحى ، ولا في العاميات على ما نعلم .

فهذه السلسلة من الاصوات الطليقة : الضمة ، الامالة الضمية

المصادرة ، الامالة الضمية المنفرجة ، الفتحة المفضحة ، تدعى بالطلقات الخلفية ، لانها تحدث عن ارتفاع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك (١) ، اي الطبقة .

انشغلنا حتى الآن باللسان وحده ، ولم نذكر شيئاً عن الشفتين ومايمكن ان يكون لهما من دور في تنويع الاصوات الطليقة بما تتخذانه من اوضاع مختلفة . والواقع ان للشفتين وضعين مختلفين ، ولكل منهما درجات متعددة . فأحدهما هو وضع الضم ، واقصى درجاته ان تصل الشفتان الى استدارة تامة مع بروز الى الامام ، وذلك هو وضعها اثناء نطق كلمة ( بوم ) ، والثاني هو وضع الكسر والحفص ، واقصى درجاته ان تصل الشفتان في تراجعها الى الخلف على صفحتي الوجه الى وضع يشبه وضع من غلبه الابتسام العريض . وذلك هو وضعها اثناء نطق كلمة ( كيس ) .

وانما سمي الوضع الاول - وضع الاستدارة - بوضع الضم لانه يصاحب النطق بالضممة والاصوات الخلفية ، كما سمي الوضع الثاني - وضع الانفراج والتراجع - بوضع الكسرة لانه يصاحب نطق الكسرة والاصوات الامامية . وهذا هو الشائع في الاصوات الطليقة في اغلب اللسان ، لكن هذا لا يمنع ان السناً اخرى تتضمن اصواتاً طليقة خلفية يصحبها

---

١ - يفضل كاتبنيو عبارة ( تكفل اللسان في الخلف أو في الوسط او في الامام ) على عبارة ( ارتفاع أقصى اللسان اووسطه او مقدمه ) وقد استعملنا العبارتين معاً زيادة في الايضاح ، وان كانت عبارة كاتبنيو اصدق في التعبير عن واقم آلية اللسان مع الاصوات الطليقة . انظر كاتبنيو : المرجع السابق ، الصفحة ذاتها .

انفراج الشفتين ، واخرى امامية يرافقها ضم الشفتين . وبذلك يتضاعف عدد الاصوات الطليقة الممكنة .

بعد هذا يمكن ان نصنف الاصوات الطليقة بحسب اوضاع اللسان والشفتين الى مايتي :

١ - طليقات امامية منكسرة : منها الكسرة ، والامالة الكسرية الحادة ، والامالة الكسرية المنفرجة ، والفتحة المرفقة .

٢ - طليقات امامية منضمة : منها صوت (u) الفرنسي ، والذي يسمى في العربية بالاشمام بالضم (١) .

٣ - طليقات وسطيات منكسرة (منها الفتحة بكل انواعها (٢) ، والقلقلة)

٤ - طليقات وسطيات منضمة ( - - - - )

٥ - طليقات خلفية منكسرة : منها صوت (i) التركي بغير نقطة ، والذي يسمى في العربية بالاشمام بالكسر (١) .

٦ - طليقات خلفية منضمة : منها الضمة ، والامالة الضمية الحادة ، والامالة الضمية المنفرجة ، والفتحة المنضمة (٣) .

- 
- ١ - انظر ابن جني : سر الصناعة . ج ١ ص ٥٩
  - ٢ - هذا على رأي من يعد الفتحة بانواعها من الاصوات الوسطى . انظر كاتيبنو : المرجع السابق ص ٨٩ .
  - ٣ - املك لاحظت اننا نسمي بالطليقات المنضمة ما تنضم معه الشفتان ، وبالمنكسرة ما تنفرج معه الشفتان .



## ب - التصنيف بحسب درجة الانفتاح :

رأينا فيما سبق ان ارتفاع اللسان او تكتله في جزء من اجزاء الفم يؤدي الى تضيق مجرى الهواء ، واحداث درجات ممتدة في الانفتاح القموي . فملى اساس درجات هذا الانفتاح يمكن تصنيف الاصوات الطليقة الى مايتي :

١ - طليقات حادة : وافرادها الكسرة والضمة وما قرب منها .

٢ - طليقات منفرجة : وافرادها الفتحة المفخمة والفتحة المرققة وما قرب منها .

## ج - التصنيف بحسب طويقه للنطق :

ارز طرق النطق التي تميز بها الاصوات الطليقة اثنتان :

١ - الاطالة والتقصير : فبعض الاصوات الطليقة طويلة يبلغ في طوله ضعفي مايلفه القصير . وبعض الالسن يستعمل اربع درجات من الطول . والعربية واحدة من هذه الالسن ، وان كانت لاتعترف بغير درجتين اثنتين فقط : قصيرة منها الفتحة والضمة والكسرة . وطويلة منها الفتحة الطويلة والضمة الطويلة والكسرة الطويلة<sup>(١)</sup> . غير ان ابن

---

١ - لاحظ اننا قلنا ( الفتحة الطويلة ) ولم نقل ( الالف ) وقلنا ( الكسرة الطويلة ) ولم نقل ( الباء ) وقلنا ( الضمة الطويلة ) ولم نقل ( الواو ) وذلك خشية ان يفهم من ( الواو والباء ) الصوتان الشبهان بالطليقات . هذا ، وليس هناك خلاف بين الفتحة والالف ولا في الطول ، فالاولى يتم ←

جني يتبها في سر الصناعة ( ج ١ ص ١٩ - ٢٠ ) الى وجود طول مفرط للفتحة والضمة والكسرة ادا وليتها الهمزة او الادغام . يقول : « الا ترى ان الالف والياء والواو اللواتي هن حروف توائم كوامل قد تجدهن في بعض الاحوال اطول واتم منهن في بعض . وذلك قولك يخاف ويثام ، ويسير وبطير ، ويقوم ويسوم ، فتجد فيهن امتداداً واستطالة ما ، فاذا اوقعت بدهن الهمزة او الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً ، وذلك نحو : يشاء ويداء ، ويسوء ويهوء ، ويحيى ويفيء . وتقول مع الادغام : شابة ودابة ، وبطيبة بكرة ، ويسير راشد ، وتمود الثوب ، وقد قوص زيد بما عليه . أفلا ترى الى زيادة المد فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بدهن ؟ »

والي جانب هذا الطول المفرط نجد قصراً مفرطاً فيما كانوا يسمونه بالروم . وهو الوقف على اواخر الكلمات بحركاتها الاعرابية مقصورة تقصيراً كبيراً حتى لا يكاد يدركها السمع . ومن هذه الدرجة من درجات الطول صوت القلقلة ايضاً .

قصيرة والثانية طويلة ، وكذا الامر مع الضمة والواو ، والكسرة والياء . وقد انتبه الى ذلك القدماء ، فقال ابن جني في سر الصناعة ( ج ١ ص ١٩ ) : اعلم ان الحركات اباض حروف المد واللين ، وهي الالف والياء والواو ، فكما ان هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة ، والكسرة ، والضمة ، فالفتحة بعض الالف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو . وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الالف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة . وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة .

٢ - الفنة وعدمها : فالفنة ان يفتح مجرى الانف ومجرى الفم  
 ليسلكها الهواء اثناء نطق الصوت الطليق ، وعدم الفنة ان يسد مجرى الانف  
 فلا يجد الهواء غير مجرى الفم يسلكه . فمن النوع الثاني طليقات المرية  
 كلها ، ومن النوع الاول الطليقات الفرنسية الغناء التي رمز لها بالرموز  
 ( in , un , an , on ... )

الطليقات الفرنسية

والفنة وعدمها

والفنة وعدمها

والفنة وعدمها

★ ★ ★

والفنة وعدمها

والفنة وعدمها

والفنة

والفنة وعدمها

والفنة وعدمها

والفنة وعدمها

والفنة وعدمها

والفنة وعدمها

وهي صوت طليق امامي منفرج قصير غير أغن .  
تقصر في الزوم حتى تصير الى نصفها .  
لا ترى الا بعد الاصوات الحبيسة المستقلة ، وهي : ب ، ت ، ث ،  
ج ، ح ، د ، ذ ، ز ، س ، ش ، ع ، ف ، ك ، ل ، م ، ن ،  
هـ ، و ، ي .

## الطليقات في العربية

### ١ - الفتحة المرققة القصيرة :

هي صوت طليق امامي منفرج قصير غير أغن .

تقصر في الزوم حتى تصير الى نصفها .

لا ترى الا بعد الاصوات الحبيسة المستقلة ، وهي : ب ، ت ، ث ،  
ج ، ح ، د ، ذ ، ز ، س ، ش ، ع ، ف ، ك ، ل ، م ، ن ،  
هـ ، و ، ي .

### ٢ - الفتحة المرققة الطويلة :

هي صوت طليق امامي منفرج طويل غير أغن .

تبلغ في طولها ضعف طول القصيرة . وقد يزيد طولها حتى يبلغ  
الضفين ، وذلك اذا وليها الادغام او الهمز .

ولا ترى الا بعد الاصوات المستقلة .

### ٣ - الكسرة القصيرة :

هي صوت طليق امامي منكسر حاد قصير غير أغن .

تقصر في الروم حتى تصير الى نصفها .

اذا سبقتها اصوات الاستملاء ( ص ، ض ، ط ، ظ ، خ ، غ ، ق . ) انفرجت قليلاً ، ولاسيا اذا كان الصوت السابق من الطبقات ( ص ، ط ، ض ، ظ ) . وهذا الانفراج ليس مقصوداً لذاته ، بل يجتمه انتقال اللسان من وضعه الامامي الضيق الى ماتطلبه اصوات الاطباق من صعوده نحو الحنك الاعلى متخذاً شكلاً مقعراً<sup>(١)</sup> .

### ٤ - الكسرة الطويلة :

هي صوت طليق امامي منكسر حاد طويل غير اغن .

تبلغ في طولها ضعف طول القصيرة . وقد يزيد طولها حتى يبلغ الضميين ، وذلك اذا وليها الادغام او الهمز .

يصيبها من الانفراج ما يصيب الكسرة القصيرة ، وللاسباب نفسها .

### ٥ - الامالة الكسرية الحادة القصيرة :

هي صوت طليق امامي منكسر حاد قصير غير اغن

تقصر في الروم حتى تبلغ نصفها .

---

١ - ابراهيم انيس : الاصوات اللغوية ، ص ٤٢ - ٤٣ .

لها احكام كثيرة مفصلة لا يتسع المجال لتذكرها . ويمكن الاطلاع عليها بالرجوع الى كتب النحو والقراءات . والامالة على العموم ، لغة نجد ، اما الفتح فهو لغة الحجاز .

٦ - الامالة الكسرية المنفرجة القصيرة :

احكامها كاحكام سابقتها ، ولا تختلف عنها الا في درجة انفتاحها .

٧ - الامالة الكسرية الحادة الطويلة :

احكامها كاحكام الامالة الكسرية الحادة القصيرة ، ولا تختلف عنها الا في درجة الطول الذي قد يبلغ حد الافراط اذا وقعت بعد ادغام او همز .

٨ - الامالة الكسرية المنفرجة الطويلة :

احكامها كاحكام سابقتها ، ولا تختلف عنها الا في درجة انفتاحها .

٩ - الفتحة المفخمة القصيرة :

ويسمى القدماء بالامالة نحو الضم ، وهذا صحيح ، الا اننا نفضل وصفها بالمفخمة لنحتفظ بمصطلح ( الامالة الضمية ) لطبقات أخرى هن اكثر إمالة نحو الضم من الفتحة المفخمة . وهؤلاء لا يوجدن في الفصحى ، ولكنن موجودات في العاميات وفي السن اعجمية كما رأينا سابقاً .

والفتحة المفخمة صوت طليق خلقي منضم منفرج قصير غير اغن .

لاترى هذه الفتحة الا بعد اصوات الاستعلاء ( ص ، ض ، ط ،

ظ ، غ ، خ ، ق ) ومعها الراء ايضاً .

يصيها من القصر في الروم ما يصيب كل الطليقات القصار .

١٠ - الفتحة المفخمة الطويلة :

احكامها كاحكام سابقتها ، ولا تختلف عنها الا في درجة الطول الذي يبلغ حد الافراط اذا ولها الادغام او الهمز .

١١ - الضمة القصيرة :

هي صوت طليق خلقي منضم حاد قصير غير اغن .

يصيها من القصر في الروم ما يصيب كل الطليقات القصار . ولا تنفرج بتأثير اصوات الاستملاء كما يحدث للكسرة .

١٢ - الضمة الطويلة :

احكامها كاحكام سابقتها ، ولا تختلف عنها الا في درجة الطول الذي يبلغ حد الافراط اذا ولها الادغام او الهمز .

١٣ - الاثمام بالضم القصير :

هو صوت طليق أمامي حاد منضم قصير غير أغن .

وبعبارة اخرى : هو كسرة تنضم معها الشفتان بدل ان تنفرجا .

١٤ - الاثمام بالضم الطويل :

احكامه كاحكام سابقه ، ولا يختلف عنه الا في درجة الطول .

١٥ - الاشمام بالكسر القصير :

هو صوت طليق خلقي حاد منكسر قصير غير أغن .

وبعبارة أخرى : هو ضمة تنفجر معها الشفتان بدل ان تنضما .

١٦ - الاشمام بالكسر الطويل :

احكامه كاحكام سابقه ، ولا يختلف عنه الا في درجة الطول .

\* \* \*



## الطليقتان الكبيرتان

إذا التقى في الكلام صوتان طليقتان فإن أحدهما لا يلفظ كما يلفظ الطليقتان ، أو بمباراة أخرى ، فإن أحدهما لا ينال من الاشباع في اللفظ ما يناله الطليقتان عادة ، انظر الى كلمة ( بيت ) تجد فيها صوتين طليقتين ، هما الفتحة ثم الياء ( الكسرة ) . والآن اللفظ هذه الكلمة وانتبه الى لفظك تجد انك لا تكاد تبدأ بالفتحة حتى ينزلق لسانك انزلاقاً سريعاً الى الكسرة . قد تقول : ولكن هذه السرعة في لفظ الفتحة سببها كونها فتحة قصيرة ، والياء بعدها كسرة طويلة ، وليس الامر كذلك . لأنك ، في كلمات أخرى تقوم بمثل هذا الانزلاق ولو كان الصوت الطليقتان الاول طويلاً : اللفظ معي كلمة ( يسر ) تجد انك تنتقل من الياء في حركة انزلاقية الى الفتحة ، ولو شئت الا تقوم بهذة الحركة الانزلاقية لكان عليك ان تلفظ الكلمة كما لو كانت مكتوبة هكذا ( ي - سر ) من غير ان تبدأ الطليقتان بهمزة قطع .

هذا التركيب - ولا بد انك لاحظت ذلك - يخرج أحد الطليقتين عن كونه طليقتاً ، ويدخله في زمرة الحيسات ، فالياء في كلمتا الكلمتين ( بيت - يسر ) لم تبق صوتاً طليقتاً ، بل أصبحت من الحيسات التي

سميهاها باشباه الطليقات ، وهي تقوم بوظيفة الصوت الحبيس في المقطع الذي هي فيه .  
 وللطلق المركب ( diphtongue ) نوعان : صاعد ، وهابط .  
 لكن اللغويين يختلفون في مفهومي الصاعد والهابط . فابراهيم انيس<sup>(١)</sup>  
 يطلق كلمة الصاعد على الطلق المركب الذي اصبح جزؤه الاول شبه  
 طليق ، أو قل على الذي قام جزؤه الاول مقام الحبيس في المقطع ، مثل  
 ( يسر ) ، ويطلق كلمة الهابط على ما اصبح جزؤه الثاني شبه طليق ، أو  
 قل على الذي قام جزؤه الثاني مقام الحبيس في المقطع ، مثل :  
 ( بيت ) . بينما يقول محمود السمران<sup>(٢)</sup> : « يسمى هابطاً او نازلاً ان  
 كان طرفه الاول ابرز او اشد جهازة من طرفه الثاني ( اي انه سمي بذلك باعتبار  
 ما يصير اليه ) ، ويسمى صاعداً او طالماً ، ان كان طرفه الثاني ابرز واشد جهازة  
 من طرفه الاول » .

والذي همنا هنا ان نستعرض الاشكال المختلفة للطليقات المركبة في

المرية . وهذه هي :

١ - فتحة + كسرة = بيت . ( هابط )

٢ - فتحة + ضمة = كَوْن .

٣ - كسرة + فتحة = يا . ( صاعد )

٤ - كسرة + ضمة = يوسف .

٥ - كسرة + كسرة = كائِن .

٦ - ضمة + فتحة = واحد .

٧ - ضمة + كسرة = وصال .

٨ - ضمة + ضمة = داوود .

١ - انظر كتابه : الاصوات ، ص ٨٩

٢ - علم اللغة ص ٢٠٤

وقد تخلصت اكثر العاميات من الشكلين الاول والثاني . فحولات  
الاول ( فتحة + كسرة ) الى طليق بسيط يقع بينها ، هو الامالة  
الكسرية الحادة . وحول الثاني ( فتحة + ضمة ) الى اطلاق بسيط يقع  
بينها ، هو الامالة الضمية الحادة .

★ ★ ★

يحسن . بنا وقد اتهمنا من تصنيف الاصوات العربية وصفتها ،  
ان نلقي عليها جميعاً نظرة عامة ، وان نبدي بعض الملاحظات الضرورية .

فأول مايلفت النظر ان نظام الحبيسات في العربية يمتاز بالفنى  
والثراء ، وحسن التوزع على طول القناة الصوتية كلها . فالعربية تملك  
ثمانية وعشرين حيساً ، وهو عدد يحسدها عليه كثير من السن العالم ،  
ولا يكاد يفوقها فيه الا قلة من اللسن كالارمنية مثلاً . ثم انها وزعت  
هذه الحبيسات الثمانية والعشرين توزيعاً عادلاً على طول القناة الصوتية من  
الشفيتين الى الخنجرة ، فاكسبها ذلك انسجاماً صوتياً جيداً لا يرى مثله في  
كثير من اللسن . نعم ، قد زى في السن اخرى غير العربية اصواتاً  
اكثر عدداً ، ولكنها محصورة محاسبها في نطاق ضيق ، وفي مدرج  
أقصر ، قد تجدها مجتمعة متكاثرة في جانب الشفتين ، وماوالاهما من الفم  
والخيشوم في اللسن الكثيرة الغنة ، او تجدها متزاحة في جهة الحلق ،  
وفي كلا الحالين ضيق في الافق الصوتي ، واختلال في الميزان الصوتي ،

وققدان لحسن الانسجام بسبب سوء توزيع الاصوات (١) .

والى جانب هذا التراء الذي تتمتع به العربية في نظام حيساتها ، نجد نظام الطليقات فيها يماني من قعر مدقع شديد . وتجلى مظاهر هذا الفقر فيما يلي :

١ - لاستعمل العربية غير درجتين اثنتين من درجات الانفتاح : درجة حادة تقع فيها الكسرة والضمة ، ودرجة منفرجة تقع فيها الفتحة . بينما نجد في السن اخرى ، كالتركية مثلاً ، اربع درجات : شديدة الحدة ، ( وتقابل الحادة عندنا ) ، وحادة ، ومنفرجة ، وشديدة الانفراج ( تقابل المنفرجة عندنا ) .

٢ - لاستعمل العربية من مناطق الفم لانتاج الطليقات غير منطقتين : أمامية تقع فيها الكسرة ، وخلفية تقع فيها الضمة . بينما نجد السناً اخرى تستغل منطقة الوسط استغلالاً جيداً .

٣ - لاستعمل العربية الخلفيات إلا وهي منضمة ، ولا تستعمل الاماميات الا وهي منكسرة ، على حين نجد السناً اخرى كالفرنسية والتركية ، تستعمل الخلفيات منضمة ومنكسرة ، كما تستعمل الاماميات منضمة ومنكسرة ايضاً (٢) .

---

١ - محمد البارك : نغمه اللف وخصائص العربية ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ الطبعة الثالثة ١٩٦٨ .

٢ - يرجى من القارئ ان يتذكر ان الحذف المنكسر هو مادعونه بالاشتم ، بالكسر ، ون الامامي المنضم هو مادعونه بالاشتم بلضم اي ( الضمة المشوبة بالكسرة ، والكسرة المشوبة بالضمة ) .

ع - تخلو العربية خلواً تاماً من الطليقات الفثناء .

هـ - لا تملك العربية غير درجتين من درجات الطول : القصير ، والطويل ، بينما نجد أسناً أخرى تملك ثلاث درجات او اربعا<sup>(١)</sup> .

والنتيجة انه ليس في العربية غير ستة طليقات ، ثلاثة منها قصيرة هي الفتحة والضمة والكسرة ، وثلاثة منها طويلة هي الفتحة والضمة والكسرة الطوال .

قد يقول قائل : فأين الاشمام بانواعه ، والامالة بانواعها ، والقلقلة ، والفتحة المفخمة ؟

والجواب : ان هذه الطليقات كلها ليست أساسية ، وإنما هي فروع أو انواع من الفتحة والضمة والكسرة . والفرق بين الاساسي والفرعي من الاصوات ، ان الاساسي اذا حل مكان صوت آخر غير معنى الكلمة ، والفرعي بخلافه . ألا ترى انك لو قلت في الفرنسية ( par ) ثم املت الفتحة فقلت ( père ) لتغير المعنى ، اذ معنى الاولى ( بوساطة ) ومعنى الثانية ( أب ) ؟ وليس الامر كذلك في العربية ، فاذا قلت ( الضحى ) بالفتح او بالامالة لم يتغير المعنى . وإنما يتغير اذا ابدلت صوتاً طليقاً اساسياً بآخر اساسي ايضاً ، وذلك نحو قولك ( باع وبيع ) .

١ - اذا قيست العربية و هذه الناحية بأكثر اللسن بدت غنية لا بغيره ، فكثر اللسن لا يملك الا درجة واحدة من الطول ، مثل الفرنسية والانكليزية والاطالية والاسبانية وغيرها .

## مدّة الصوت اللغوي

مما عني به المحدثون في تجاربهم معرفة مدّة الصوت اللغوي ، سواء أكان طليقاً أم حبساً . ونعني بطول الصوت الزمن الذي يستغرقه النطق بهذا الصوت مقدراً عادة بجزء من الثانية . فقد قدروا ان الدال المتطرفة في الكلمات الانكليزية تستغرق في النطق بها حوالي ٠.٠٥ من الثانية ، في حين ان صوت (a) يستغرق مدّة اطول هي حوالي ٠.٤٣ من الثانية (١) .

وطول الصوت إما ان يكون طبيعياً فيه او مكتسباً . فالطول الطبيعي هو الطول الناتج عن طبيعة الصوت وآليته النطقية الخاصة به ( طليق - حبس - شديد - رخو - شبه طليق ... الخ ) ؛ والطول المكتسب هو الطول الذي يكتسبه الصوت من مجاورته للاصوات الاخرى ، او من موقعه الذي يحتله في الكلام .

وهذه مراتب الطول الطبيعي في الحبيسات مرتبة بالاطول فالاقصر:

١ - الانقيات : وهي النون والميم .

١ - ابراهيم انيس : الاصوات القوية ص ٨٠

٢ - الجانيات : وتسمى الحافيات ايضاً كما مر معنا . ومنها اللام .

٣ - المكورة : وهي الراء .

٤ - الرخوة : ومنها الفاء والحاء والطاء والهاء ... الخ .

٥ - الشديدة : ومنها الباء والياء والذال ... الخ .

وهذه مراتب الطول الطبيعي في الطليقات :

١ - الطليقات الطويلة : مثل : عاد ، بيع ، يمود .

٢ - الفتحة : مثل : ضَرَبَ .

٣ - الضمة والكسرة : مثل : ضَرِبَ .

٤ - القلقة : وهو الطليق القصير جداً الذي يسمع بمد حروف القلقة ( ق - ط - ب - ج - د ) ، مثل : يقتل .

أما العوامل التي تكسب الصوت طولاً لم يكن له من طبيعته فأهمها :

١ - النبر : فالطليق في مقطع منبور أطول منه في مقطع غير منبور ، كما في كلمة ( قاتلات ) حيث نجد الالف التي بمد اللام أطول من الالف التي بمد القاف . وإنما اكتسبت طولها هذا من وقوعها في مقطع منبور .

٢ - اذا ولي المقطع المنبور مقاطع غير منبورة قللت من طول صوت المنبور . فالالف في كلمة ( كتاب ) وحدها أطول منها في الكلمة نفسها بمد ان تليها مقاطع غير منبورة كما في ( كتاب تلميذ ) .

٣ - اذا ولي الطليقات الطوال همزة زادت في طولها ، مثل : صحراء ، يسوء ، يحيى .

٤ - اذا ولي الطليقات الطوال ادغام زاد في طولها زيادة مفرطة ، مثل : مدهامتان ، بطيشكر ، قوص زيد .

٥ - اذا تطرفت الالف قصرت ، مثل : عسى ، رحا .

٦ - يقصر الحبيس اذا وليه طليق ، ويطول اذا وليه حبيس مثله . وبمباراة قديمة : الحرف الساكن اطول من الحرف المتحرك ، فالسين في كلمة ( اسمع ) اطول منها في كلمة ( وسيع ) .

٧ - تطول النون اذا اخفيت ، اي اذا وقعت ساكنة قبل حروف الاخفاء ، وهي ( ت - ث - ج - د - ذ - ز - س - ش - ص - ض - ط - ظ - ف - ق - ك ) كما تطول اذا وقعت ساكنة قبل الميم ( ظاهرة الانقلاب ) .

٨ - الروم : وهو الوقف على نهاية الكلمة بمركبة الاعراب مع تقصيرها . والروم كما رأينا يصل بالطليق القصير الى نصف طوله الطبيعي .



كل الذي سبق هو الطول مدروساً من وجهة نظر علم الاصوات



( phonétique ) ، اما من وجهة نظر علم وظائف الاصوات  
( phonologie ) - وهو لايهم الا بالظواهر الصوتية التي لها اثر في  
المعنى - فان العربية لاتعترف إلا بمرتبتين اثنتين من مراتب الطول :

١ - قصيرة : ويدخل ضمنها الفتحة والضمة والكسرة القصار ،  
وكل الحبيسات المخففة .

٢ - طويلة : ويدخل فيها الفتحة والضمة والكسرة الطوال ،  
وكل الحبيسات المضمفة .

### سِترة الصوت اللغوي

كما يمكن ملاحظته بالاذن المجردة ان الاصوات اللغوية لاتنطق كلها  
على درجة واحدة من الشدة والقوة ، فبعضها اشد من بعض . الاترى ان  
الساكن اشد من المنحرك ، والمضمف اشد من المخفف ؟ وانما يتدخل في  
شدة الصوت عوامل عدة ، منها درجة توتر اعضاء النطق ، ومنها كمية  
الهواء المتدفق اثناء النطق به .

ولاتزال دراسة الشدة في الاصوات العربية تنتظر من يقوم بها .

## مِرَّة (الصوت اللغوي)

من المعروف في علم الفيزياء ان الصوت ناتج عن ذبذبة لجسم ما في وسط ما ، كذبذبة وتر في وسط هوائي مثلاً . وانه كلما زاد عدد الذبذبات في الثانية الواحدة ارتفع الصوت واحتد ، والعكس بالعكس ايضاً .

فالحدة التي نعنيها هي نسبة ارتفاع الصوت وانخفاضه .

واصوات اللغة لاتنطق كلها على درجة واحدة من الحدة في اثناء الكلام . بل ترانا نرفع باصواتنا طوراً ، وننخفض بها طوراً آخر . واليك مثلاً على ذلك في كلمتي ( هذا كتابك ) منطوقتين في سياقات مختلفة :

- ١ - هذا كتابك ؟ ( في معرض الاستفهام )
- ٢ - هذا كتابك ( في معرض التقرير )
- ٣ - هذا كتابك ( في معرض الاجابة )
- ٤ - أهذا كتابك ؟ ! ( في معرض السخرية )

ففي المثال الاول ننطق الكلمة الاولى منخفضة ثم نرفع الحدة في

الثانية . اما في المثال الثاني فننطق الاثنتين منخفضتين ، واما في الثالث فننطق الاولى مرتفعة والثانية منخفضة ، واما في الرابع فننطق الكلمتين مرتفعتين .

ان الطرق المختلفة التي يسلكها لسان ما في درجات الحدة ارتفاعاً وانخفاضاً في كتابته وتميراتاه تسمى بالتنغيم ( intonation ) . ومعرفة تنغيم كل لسان أمر ضروري في تعلمه ، لأن من يتكلم لساناً أجنبياً عنه ، ولا يتبع في نكلمه اياه قواعد تنغيمه الخاصة به ، تبدو غريبته عن هذا اللسان واضحة ، كما يشعر ابناء اللسان بالنفرة من طريقتهم في الكلام . هذا اذا كان اللسان مما لا يقيم وزناً فونولوجياً للتنغيم . كالعربية مثلاً ، أما في اللسان التي تجعل للتنغيم وظيفة في تمييز المعنى فالأمر أدهى وامر . اذ قد يلفظ المتعلم كلمة بتنغيم خاص فيفهم منها ابناء اللسان معنى غير الذي اراده المتكلم . وهذا النوع من اللسان شائع في الجنوب الشرقي لآسيا والصينية واحدة من هذه اللسان التي تعتمد على التنغيم في تحديد معاني مفرداتها ، فكلمة ( فان ) في هذا اللسان تؤدي ستة معانٍ لاعلاقة بينها ، هي : ( نوم - يحرق - شجاع - واجب - يقسم - مسحوق ) ، وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة (١) .

ان قواعد التنغيم في العربية قديماً محاولة تماماً ، لان النحاة لم يشيروا الى شيء من ذلك في كتبهم ، اما التنغيم في العربية حديثاً فلا يزال ينتظر من يقوم بدراسته دراسة شمول واستقصاء . ومحاولة الدكتور تمام حسان في هذا الموضوع محاولة ابتدائية محدودة . بالإضافة الى انها تعتمد على استقراء ناقص ، بل ضيق جداً (٢) .

١ - ابراهيم انيس : الاصوات اللغوية ، ص ١٠٣ .  
٢ - انظر محاولته لوضع قواعد تنغيم العربية الحديثة : مناهج البحث في اللغة ص ١٦٤ - ١٧٠ .

## المقطع

لاحظ اللغويون - كما يمكن لكل امرئ ان يلاحظ - ان الكلام لا يمكن ان يتألف كله من اصوات طليقة فقط ، اذ لا يمكن ان تلفظ بالاصوات الآتية : ( آي° و° ي° آ° و° آي° ) ، كما لا يمكن ان يتألف الكلام كله من اصوات حبيسة فقط ، اذ من التعمد علينا جميعاً ان نلفظ هذه الاصوات : ( شَفْحَشْدُ كَرَزَفَتْ ) . الكلام اذن يتألف من حبيسات تلوها طليقات تتبعها حبيسات ... وهكذا . والفم اثناء الكلام يفتح وينغلق ، ففي انفتاحه تحدث الطليقات ، وفي انغلاقه تحدث الحبيسات ، ولا يمكنه ان يظل منفتحاً ، ولا ان يظل منغلقاً .

وقد حلل اللغويون الكلام الى وحدات صوتية اكبر من وحدات الاصوات المفردة دعوها المقاطع . فالقطع هو مجموعة من الاصوات المفردة تقع بين كل انفتاح من انفتاحات الفم اثناء الكلام وبين الانفتاح الذي يليه . وبمباراة اخرى : المقطع هي مجموعة من الاصوات المفردة تتألف من صوت طليق واحد معه صوت حبيس واحد او اكثر . ففي كلمة ( قال° ) مقطع واحد يتألف من صوت طليق واحد هو الفتحة

الطويلة ( الالف ) ، وعلى جانبه حيسان اثنان هما القاف واللام .  
وفي كلمة ( هاتي ) مقطعان : اولهما ( ها ) الذي يتألف من الفتحة  
الطويلة ( الالف ) ومعها الهاء ، والثاني ( تي ) الذي يتألف من الكسرة  
الطويلة ( الياء ) ومعها التاء . اما الكلمة ( ضَرَبَ ) فتألف من ثلاثة  
مقاطع ، كل منها مؤلف من فتحة قصيرة مع حيس واحد وهي على  
الترتيب ( ضَ - رَ - بَ ) .

حتى هنا بدا تقسيم الكلام الى مقاطع امراً مبسوراً ، لكن  
الصعوبة تنشأ في مثل كلمة ( دَحْرَجُ ) ، فهذه الكلمة تتألف من  
الاصوات الآتية : ( د ) حيس + ( - ) طليق + ( ح ) حيس  
+ ( ر ) حيس + ( - ) طليق + ( ج ) حيس . اي تتألف  
من طليقين واربع حيسات ، اي انها تتألف من مقطعين اثنين ، لان  
كل طليق واحد يعتبر محوراً لمقطع واحد . والصعوبة هي في توزيع  
الحيسات الاربع على هذين المقطعين . نعم انه لاختلاف في تبعية الحيس  
الاول ، وهو الدال ، للمقطع الاول . كما لاختلاف في تبعية الحيسين  
الثالث والرابع ، وهما الراء والحيم للمقطع الثاني . ولكن الخلاف يتركز  
في امر الحيس الثاني ، وهو الحاء . فهل نضمه الى المقطع الاول فيكون  
المقطعان على الشكل الآتي : ( دَحُ + رَجُ ) ، أم نضمه الى المقطع  
الثاني فيكون المقطعان على الشكل الآتي : ( د + حَرَجُ ) ؟ إن  
كلا الامرين جائز ، وليس هناك ما يرجح احدهما على الآخر (١) .

١ - في العربية يمكن ترجيح الامر الاول ، لان العربية ترفض البدء بحسين قبل الطليق .  
وبعبارة نحوية : لا يجوز البدء في العربية بالساكن . ولهذا فليس فيها مقطع من نوع  
( حيس + حيس + طليق ) ، كما سترى بعد قليل .

ان التمييز بين حدود المقاطع مما اختلف فيه اللغويون كثيراً ،  
ووضعوا من اجله نظريات كثيرة ، بعضها يعتمد على امور صوتية بحتة ،  
وبعضها مستمد من معطيات علم النفس . ولا يتسع المجال لذكر هذه  
النظريات وشرحها ، كما ان حدود المقاطع العربية - وهي ما بهما من  
هذا البحث - تمتاز بالوضوح خلافاً لمقاطع اللسان الاخرى .

ويحسن بنا ، قبل الدخول في بحث انواع المقاطع ، ان نشير  
الى ان التحليل الصوتي الى مقاطع ليس شيئاً اعتبارياً ناشئاً عن ترف  
لازوم له في الابحاث الصوتية ، بل هو امر موجود فعلاً في اوسط  
اشكال الحس اللغوي ، فأنت اذا سمعت كلاماً لا تفهمه ، تندر عليك ان  
تحلله الى كلماته ، ولكنك تستطيع بسهولة ان تحلله الى مقاطعه التي يتألف  
منها . والكتابة بدأت مقطعية قبل ان تكون هجائية ، فالأكديون  
كانوا يرمزون الى كل اصوات المقطع الواحد برمز واحد في كتابتهم  
المسارية ، ولم يكونوا قد اهتموا بمد الى الصوت المفرد الذي اهتدى اليه  
الكنعانيون فيما بعد بكتابتهم الهجائية . وقد عثر علماء اللغة على نقوش  
لألسن قديمة لا تقيم فواصل بين كلماتها ، بل تقيم هذه الفواصل بين  
مقاطعها . كما يحدثنا علماء النفس عن امراض نفسية اذا اصابت الانسان  
افقدته القدرة على تذكر الكلمة ، ولم تفقده القدرة على تذكر عدد المقاطع  
التي تتألف منها هذه الكلمة . - هذا الى ان موازين الشعر في كل لسان  
تعتمد التحليل المقطعي قبل اي شيء آخر (١) .

★ ★ ★

تنقسم المقاطع من حيث موضع الطليق فيها الى ثلاثة اقسام :

١ - مفتوح : وهو المقطع الذي ينتهي بالطليق ، مثل : بَ - بِ - بٍ .

٢ - مغلق : وهو ما انتهى بالحيس ، مثل : عَنِّ - مِني - قُلِّ .

٣ - مضاعف الاغلاق : وهو ما تلا الطليق فيه حيسان ، مثل : بجر - قيرد - - تُكل .

وتنقسم من حيث الطول والقصر الى ثلاثة اقسام ايضا :

١ - قصير : وهو ما تألف من طليق قصير مع حيس واحد : بِ - وَ - فَ .

٢ - متوسط : وهو ما تألف من طليق طويل مع حيس واحد ، مثل : يا - فو - في ، أو من طليق قصير مع حيسين ، مثل : عَنِّ - مِني - فُم .

٣ - طويل : وهو ما تألف من طليق طويل مع حيسين او اكثر ، مثل : باب - كيس - عود ، أو من طليق قصير مع ثلاثة حيسات ، مثل : بدر - قُرْب - عِنْد .

## أشكال المقطوع في العربية

المقطع العربي خمسة اشكال ، هي :

- ١ - حيس + طليق قصير = ب ( قصير مفتوح )
- ٢ - حيس + طليق طويل = يا ( متوسط مفتوح )
- ٣ - حيس + طليق قصير + حيس = من ( متوسط مغلق )
- ٤ - حيس + طليق طويل + حيس = باب ( طويل مغلق )
- ٥ - حيس + طليق قصير + حيس + حيس = بحر ( طويل مضاعف الاغلاق )

والاشكال الثلاثة الاولى شائعة في العربية كثيراً ، اما الشكل الرابع فقليل . ويرى غالباً في نهايات الكلمات ، ووجوده في حشوها نادر جداً ، مثل : مدهامتان ( هام ) ، والضالين ( ضال ) . اما الشكل الخامس فلا يرى الا في نهايات الكلمات عند الوقف عليها بالسكون .



## النسيج المقطعي

نمي بالنسيج المقطعي الاشكال المقطعية التي تنسج منها كل كلمة .  
والكلمة العربية يمكن ان تنسج من مقطع واحد او اثنين او ثلاثة  
او اربعة او خمسة او ستة او سبعة . وليس بعد ذلك شيء .

فأما بنات الواحد فقد يكون مقطعها قصيراً مفتوحاً ، اي من  
الشكل الاول ، مثل : ( ب - و ) ، وقد يكون متوسطاً مفتوحاً ،  
اي من الشكل الثاني ، مثل : ( يا - ذا - ذو ) ، واغلب ما يأتي على  
هذه الصورة هو ادوات نحوية ، وما كان من غير الادوات فهو قليل ،  
مثل : ( ق - ع - ف ) افعال أمر من ( وقى - وعى - وفى ) .  
وقد تكون بنات الواحد من مقطع متوسط مغلق ، اي من النوع  
الثالث ، مثل : ( يد - دم ) ، ويكثر هذا النوع في الادوات النحوية ،  
مثل : ( من - عن - بل - هل - كم - لو ... ) ، وقد تكون من  
مقطع طويل مغلق ، اي من الشكل الرابع ، مثل : ( باب - عيد -  
فول ... ) ، وقد تكون من مقطع طويل مضاعف الاغلاق ، اي من  
النوع الخامس ، مثل ( درب - عمر ... ) .

اما بنات الاثنين والثلاثة والاربعة والخمسة والستة والسبعة ، فلا  
يمكن ههنا حصر انواع نسجها ، ففكتفي بالتمثيل لكل واحدة منها :

- من بنات الاثني عشر : ( هاتوا ) = ( ها - تو )
- الاثلاثة : ( ضَرَبَ ) = ( ضَ - رَ - بَ )
- الاربعة : ( شجرة ) = ( شَ - جَ - رَ - تَ )
- الخمس : ( شجرتك ) = ( شَ - جَ - رَ - تَ - كَ )
- الستة : ( شجرتكما ) = ( شَ - جَ - رَ - تَ - كُ - مَ )
- السبعة : فسيفسكموه = ( فَ - سَ - يَ - كُ - هُ - مَ )

ان دراسة النسيج المقطعية للسان ما تقضي ان نذكر ما يقبله هذا  
اللسان من النسيج وما لا يقبله . ولما كان ما يقبله العربية كثيراً يضيق  
المقام عن استيفائه ، كان الاكتفاء بما لا يقبله ضرورياً .

فما لا يقبله العربية في نسيج كلماتها ما يأتي :

- ١ - كلمة مؤلفة من ثمانية مقاطع او اكثر .
- ٢ - كلمة في صدرها او حشوها مقطع من النوع الخامس .
- ٣ - كلمة مجردة من اللواحق مؤلفة من اربعة مقاطع من النوع  
الاول ، اما المؤلفة من ثلاثة مقاطع من هذا النوع فكثيرة ، مثل :  
( ضَرَبَ - أكلَ - شَرَبَ ... الخ ) . واذا لحق الكلمة شيء من  
الضائر جاز ان تشمل على اكثر من ثلاثة من هذا النوع . ولكن ذلك  
قليل ومكروه ، مثل ( شجرتك ) .
- ٤ - كلمة مجردة من اللواحق مؤلفة من ثلاثة مقاطع من النوع  
الثاني ، فاذا وجدت كلمة منسوجة على هذا المنوال فهي لاشك اعجمية ،  
مثل ( قاديشا - عامودا ) . اما الكلمات العربية ذات اللواحق فلا تأتي  
ثلاثة من هذا النوع ، مثل ( باعوها ) .

٥ - كلمة مؤلفة من مقطعين : اولها من النوع الثاني ، وثانيها من النوع الخامس . فان وجدت كلمة على هذا النسيج كانت ولاشك اعجمية ، مثل : ( جومَرنَ ) (١) .

٦ - كلمة مؤلفة من ثلاثة مقاطع : اولها من النوع الثالث ، والثاني والثالث من النوع الثاني ، فان وجدت كلمة من هذا النسيج فهي اعجمية ، مثل ( سرغايا ) (٢) ، الا ان بعض الكلمات اذا وقف عليها بالالف بدل التنوين المنصوب غدت من هذا النسيج ، وذلك مثل ( قنطاراً ) .

٧ - كلمة مؤلفة من ثلاثة مقاطع : اولها من النوع الثاني ، والثاني والثالث من النوع الثالث . فان وجدت كلمة من هذا النسيج فهي اعجمية ، مثل : ( شابتندر ) (٣) .

والواقع ان مالاتقبله العربية من انواع النسيج كثير ايضاً ، فنكتفي بما ذكرناه منها .



---

١ - يقال في لهجة حلب : رجل جومرت ، اي كيس . والسكاة اعجمية . واولها فارسية او تركية .

٢ - سرغايا : علم اقرية في سورية . واصل اللفظ سرياني .

٣ - شابتندر او شاهبندر التجار : لقب التجار . واصل الكلمة فارسي .

## النبر

النبر هو نشاط فجائي يمتري أعضاء النطق اثناء التلفظ بمقطع من مقاطع الكلمة . ويؤدي هذا النشاط الى زيادة في واحد او أكثر من العناصر الآتية : مدة المقطع ، او شدته ، او وحدته . فيسمى نبر مدة ان ادى الى زيادة طول المقطع المنبور بالنسبة لما يجاوره من المقاطع ، ويدهى نبر شدة اذا ادى الى زيادة شدة المقطع المنبور بالنسبة لما يجاوره من المقاطع .

ويتجلى هذا النشاط في امور عدة : منها ان الحجاب الحاجز ينشط حين النبر نشاطاً كبيراً ، كما تقوي حركات الوترين الصوتيين ، ويقترّب احدهما من الآخر حتى لا يسمحا الا بتسرب اقل مقدار من الهواء ، فتمظم لتوترهما الذبذبات ، ويترتب على ذلك زيادة في حدة الصوت المنطوق . هذا في حالة الاصوات المجهورة ، اما مع الاصوات المهموسة فيتمتع الوتران الصوتيان احدهما عن الآخر اكثر من ابتعادهما في حالة الصوت غير المنبور فيتسرب مقدار اكبر من الهواء يحمل الاحتكاك او الانفجار اقوى ، واوضح في السمع .

كذلك يلاحظ مع المقطع المنبور نشاط في اعضاء النطق الاخرى ،  
كاقصى الحنك ( الطبق ) ، والاسان ، والشفتين . والامر على العكس  
من ذلك كله مع المقطع غير المنبور .

وتختلف الالسن من حيث مواقع النبر ، فمنها ما يخضع نبره لقواعد  
صارمة لا يحد عنها ، كالعربية مثلاً ، وكالفرنسية التي يقع النبر فيها على  
نهايات كلماتها دائماً ، ومنها ما لا يخضع النبر فيها لأية قاعدة ، بل يحفظ  
موقع النبر لكل كلمة على حدة ، وهذا هو حال الانكليزية .

ثم ان الالسن تختلف من حيث قيمة النبر المعنوية ، فمنها ما لا  
يقيم للنبر اي وزن او أثر في المعنى ، فسواء أوقع النبر موقعه الصحيح  
ام وقع غير ذلك ، لم يتغير معنى الكلمة ، ومنها ما يجعل لموقع النبر أثراً  
في تحديد معنى الكلمة ، فاذا نبرت في اولها دلت على شيء ، واذا نبرت  
في مكان آخر دلت على معنى آخر . فمن النوع الاول العربية ، ومن  
النوع الثاني الانكليزية .

★ ★ ★

## النبر في العربية

لم يذكر لنا النحاة القدماء شيئاً عن النبر في العربية ، على الرغم من حرصهم الشديد على دراسة كل جوانبها ما عظم منها وما دق . ويظهر ان اغفالهم لهذا الجانب ناتىء عن عدم شعورهم بأي أثر للنبر في تحديد معاني الكلمات العربية . لذلك نجعل اليوم كل شيء عن النبر كما كان على شفاه العرب الاوائل . واذ اعتبرنا نطق قراء القرآن اليوم مثلاً اميناً للنطق العربي كما كان في صدر الاسلام ، جاز لنا القول : ان قواعد النبر في العربية هي على الشكل الآتي :

١ - اذا كانت الكلمة مؤلفة من مقطع واحد فالنبر عليه اطلاقاً ، اياً كان شكل هذا المقطع . وهذا طبيعي ما دام لا يوجد في الكلمة مقطع غيره .

٢ - اذا كانت الكلمة مؤلفة من مقطعين فالنبر على ثانيها اطلاقاً ، ( ويجري المد بصورة عكسية أى من الشمال الى اليمين ) لان الاول لا ينبر في العربية مطلقاً اياً كان شكله .

٣ - اذا كانت الكلمة مؤلفة من ثلاثة مقاطع فأكثر ، نظر الى المقطع الثاني ، فان كان من الانواع المتوسطة أو الطويلة فالنبر عليه ، والا

كان النبر على الثالث اطلاقاً . ولا يعتمدى النبر المقطع الثالث في حال من الاحوال .

وإليك امثلة على ذلك :

١ - كلمات احادية المقطع ، النبر فيها على مقطعها الوحيد : صه° - مه° - قم° - عد° - لا - لم... الخ .

٢ - كلمات ثنائية المقطع ، النبر فيها على المقطع الثاني لان الاول لا ينبر اطلاقاً : قام<sup>(١)</sup> - عودا - بها - لكم°... الخ .

٣ - كلمات كثيرة المقاطع ، النبر فيها على المقطع الثاني لانه متوسط أو طويل : فداكم - يستهدي... الخ .

٤ - كلمات كثيرة المقاطع ، النبر فيها على المقطع الثالث لان الثاني قصير : استغفر - يتعلم - مقاتل - ضرب - شرب... الخ .

٥ - كلمات فيها نبران أحدهما رئيسي والآخر ثانوي :  
فسيكفيكم<sup>مو</sup> - متعلمتان<sup>(٢)</sup> .

هذا ، ويجب الانتباه الى ثلاثة اشياء :

- ١ - لا تحسب ( ال ) التعريف في مقاطع الكلمة .
- ٢ - كل ما يلحق الكلمة من ضمائر متصلة ، او ما يسبقها من حروف المضارعة داخلة فيها اثناء عد المقاطع .

---

١ - اشرنا الى المقطم المذبور بخط انقي تحته .

٢ - اشرنا الى النبر الرئيسي بخطين ، والى النبر الثانوي بخط واحد .

٣ - يحدد موقع النبر على اساس ان الكلمة منطوقة كما في درج الكلام، وبعد التحديد لا يهم ان تنطقها مدروجة او موقوفاً عليها بالسكون لان النبر لا يتغير مكانه (١) .

اما نبر السياق في العربية فم يدرس حتى اليوم دراسة كافية . ومع ذلك يمكن القول ان نبر التوكيد أقوى من نبر التقرير ، وان نبر التوكيد يقع في الكلمة التي هي موضع الشك : فاذا كانت هناك عدة كتب يشك السامع في ايها هو كتابه ، قلت له : هذا كتابك . فتوقع النبر السياقي على كلمة ( هذا ) اما اذا كان هناك كتاب واحد ، ويشك السامع في نسبة هذا الكتاب له أو لغيره ، قلت له : هذا كتابك . فتوقع النبر السياقي على كلمة ( كتابك ) . وما يقال في التوكيد يقال مثله في الاستفهام أيضاً .

---

١ - بذكر كاتينيو في كتابه ( Cours de Phonétique Arabe. P, 119-120 )

قواعد تختلف عما ذكرنا اختلافاً يسيراً . ويمكن تلخيص قواعده التي أتى بها على الشكل التالي :

- ١ - لا ينبر المقطم الاول اطلاقاً اياً كان شكله .
  - ٢ - ينبر النبر على اول مقطوع غير قصير يلي المقطم الاول .
  - ٣ - اذا لم يوجد في الكلمة مقطوع غير قصير فالنبر على آخر مقاطعها ( المد يجري دائماً من الشمال الى اليمين ) . مهما يكن شكل هذا المقطم الاخير .
- وذكر الدكتور ابراهيم انيس في كتابه ( الاصوات النغوية ص ٩٩ - ١٠١ ) قواعد تختلف عما ذكرنا وذكر كاتينيو !؟ والوحيد الذي انفقت قواعده مع قواعدها هو الدكتور تمام حسان . انظر كتابه ( مناهج البحث في اللغة ص ١٦١ - ١٦٣ ) .



## الإيقاع

الإيقاع هو النظام الذي تتوالى بموجبه المقاطع المنبورة بعضها خلف بعض . فمن الألسن ما لا يسمح بأكثر من أربعة مقاطع غير منبورة بين كل مقطعين منبورين ، ومنها ما لا يسمح بأكثر من وجود ثلاثة غير منبورة بين كل نبرين ، ومنها ما يسمح بأقل من ذلك أو بأكثر منه .

والإيقاع في العربية هو من الجوانب التي لا تزال تنتظر من يقوم بدراستها دراسة جديّة معتمدة على استقراء واسع للنصوص العربية .

## التبدلات الصوتية

لاحظ العلماء ان اصوات الالف لا تثبت على حال ، بل هي في تطور مستمر ، وتبدل لا يهدأ . تغير مرة محاسبها فننتقل من نقطة الى اخرى من مناطق الفم ، أو تغير واحدة أو اكثر من صفاتها التي كانت لها .

وقد قسم اللغويون هذه التبدلات الى قسمين : تبدلات تركيبية تصيب الاصوات نتيجة تماسها واحتكاك بعضها ببعض في الكلام ، وتبدلات تاريخية تصيب الاصوات نتيجة التطور الذي تخضع له خلال الزمان .

## التبديل التركيبي

يحدث في الكلام ان تجتمع أصوات لا انسجام فيما بينها بحيث يشمر التكلم بثقلها على لسانه ، أو يجد مشقة في تحقيقها ، فـمـرب من ذلك بتغيير بعض الاصوات ببعض ، أو بتعديل بعض صفات الاصوات لتوفير الانسجام في اصوات الكلام ، ولجعلها أسهل في النطق على نفسه .

ويتم ذلك باحدى طرق ثلاث :

١ - التماثل : اذا اجتمع في الكلمة صوتان يتصف كل منها بصفة تناقض صفة الآخر ، كالجرر والهمس ، والاطباق والفتح ، وكان في تحقيق الصفتين للصوتين المتجاورين مشقة وعسر ، مال التكلم الى خلع صفة احدهما على الآخر توفيراً للجهد وتحقيقاً للانسجام . ونقول عندئذ إنه حصل تماثل بين الصوتين .

فمن ذلك مثلاً أن الطاء والظاء والصاد والضاد تتنافر مع تاء الافتمال ، لأن هذه الأصوات مطبقة مفخمة ، وتاء الافتمال منفتحة مرققة ، فيجد التكلم عسراً في الانتقال من تفخيم الى ترقيق ، فيفخم المرقق ليحدث التناسب والانسجام ، فيبدل تاء الافتمال طاء ، فيقول في ( اظلم وإظلم واضرب واضترم ) اظلم واطلم واضطرب واصطدم .

ومن ذلك ايضاً ان الدال والذال والزاي تتنافر مع تاء الافتعال ، لان هذه الاصوات جميعاً مجهورة ، وتاء الافتعال مهموسة ، ويجد التكلم مشقة في الخروج من جهر الى همس ، فيجهر المهموس ليحقق التناسب ويزيل المشقة ، فيقول في ( از تهر واذ تهر واذ تهر واذ تهر ) واذ تهر واذ تهر وادعي ، مبدلاً بالتاء دالاً ، لان الدال هي مجهور التاء نفسها .

هذا مثال واحد لهذه الظاهرة الصوتية التي دعوناها بالتأمل . وفيه رأينا ان احد الاصوات يؤثر في صوت آخر فيخلع عليه صفة واحدة من صفاته . لكن للتأمل مظاهر أخرى لا تقتصر على تبديل صفة من صفات الاصوات ، بل تتناول المحابس بالتقديم الى الامام او التأخير الى الوراء لتوفير الانسجام والتلاؤم بين اصوات الكلمة المتجاورة .

فمن ذلك مثلاً ان الكاف تتقدم بحسبها قليلاً في اتجاه الغار اذا ولها صوت الكسرة . وتفسير ذلك امر هين ، فقد عرفنا أن الكاف تحدث من التحام أقصى اللسان بالطبق ، وان الكسرة تحدث من ارتفاع مقدم اللسان نحو الغار ، ومعنى ذلك ان على اللسان اذا أراد النطق بهذين الصوتين متتابعين ان يقوم بركنتين متتاليتين احدهما باقصاه والاخرى بمقدمه . ولا شك ان هذه العملية فيها جهد ومشقة تجعل اللسان - على الرغم من مرونته الزائدة - يحاول التخلص منها بتقريب محبس الكاف من منطقة الغار ليجمع جزءاً واحداً منه يقوم باحداث الصوتين المتتابعين .

ومن ذلك ايضاً ان الباء اذا تلت نوناً ساكنة جرت بحسبها من الائمة ، فجعلته من الشفتين حيث محبس الباء . فتتحول النون بذلك الى ميم . كما في قولك ( انبعث ) = ( امبعث ) ، وهذا ما سماه علماء التجويد بالاقلاب .

على ان التماثل في بعض الأحيان يتناول المحابس والصفات معاً ،  
فيبدل صوتاً بآخر ، وليس بين الصوتين المبدل والمبدل منه أي علاقة على  
الاطلاق . فالذال اذا اجتمعت مع تاء الافتعال قلبتها الى ذال مثلها ثم  
اندغمت فيها ، فتقول بدلاً من ( اذ تكرر ) ( اذ تكرر ) ، وليس بين تاء  
الافتعال وما صارت إليه من ذال علاقة ما ، فناء الافتعال اسنانية مهموسة  
شديدة ، والذال من بين الاسنان مجهورة رخوة .

حتى هنا كانت الأمثلة التي عرضناها امثلة لتماثل جرى بين صوتين  
متلاصقين . لكن التلاصق ليس ضرورياً لانعام عملية التماثل ، فقد يحدث  
ان يؤثر صوت في صوت آخر عن بعد . فيقيم بينه وبين ذلك الصوت  
شكلاً من اشكال التماثل . مثال ذلك ان الكسرة تؤثر في ضمة ضمير  
النائب فتحوّلها الى كسرة مثلها ، فنقول ( في كتابيه ) بدلاً من ( في  
كتابه ) ، و ( في كتابيهم ) بدلاً من ( في كتابيهم ) بل قد يتعدى  
التأثير الصوت الواحد فيقع على صوتين اثنين ، كما لو قلت : ( في كتابيهم )  
بدلاً من ( في كتابيهم ) .

وفي جميع الاحوال يقسم التماثل الى قسمين :

١ - تقديمي : وفيه يجري تأثير الصوت الأول في الثاني ، كتأثير  
الصاد والضاد والطاء والظاء في تاء الافتعال ، وككل ما سبقناه من  
الامثلة السابقة .

٢ - رجعي : وفيه يجري تأثير الصوت الثاني في الاول ، ومثاله  
في العربية تأثير تاء الافتعال في الواو والياء اذا وقعتا في فاء الفعل ،  
فانها تحوّلها الى تاء مثلها ثم تندغم فيها ، فنقول : ( اتسر و اتصل )

بدلاً من ( ايتسر و اوتصل ) (١) .

٢ - التخالف : هو ضد التماثل . فنحن هنا لسنا أمام صوتين متتافرين في المحابس والصفات يجد التكلم عسراً ومشقة في تحقيقها ، بل نحن امام صوتين من جنس واحد ، ولكن التكلم يجد في تحقيقها العسر والمشقة نفسها اللذين وجدها في تحقيق الصوتين المختلفين محبباً وصفات ، فيسمى الى التخلص من هذا العسر ، وتلك المشقة ، بأن يبدل من احدهما صوتاً آخر يختلف عنه في صفاته .

والامثلة على ظاهرة التخالف قليلة في العربية ، فلا نجد منها غير ابدالهم الألف ببعض الاصوات المكررة مثل قولهم : ( تظننسى ) بدلاً من ( تظنن ) و ( تمطنسى ) بدلاً من ( تمطن ) . كما يمكن ان نجد مثلاً آخر في كلمة ( عنوان ) التي صارت في بعض العاميات ( علوان ) .

وسبب قلة الامثلة للتخالف في العربية يعود في رأينا الى امرين :

١ - أولهما ان العربية من الأصل لم تتورط في تراكييب عسيرة تحتاج الى التخالف . وقد اشار الى ذلك اللغويون العرب القدماء حين قالوا : واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة احرف من جنس واحد في كلمة واحدة ، لصعوبة ذلك على السنتهم (٢) .

٢ - الثاني أن العربية تتخلص من التقاء التماثلين بطريقتين تفضلها على طريقة التخالف : فأولاهما الادغام ، فتقول : ( شدة ومدة وقر )

---

١ - يرى بعض اللغويين ان مصطلح ( التماثل ) لا يصدق إلا على تأثير الواقع بين الاصوات المتباعدة . انظر فندريس : اللغة . ص ٩٣

٢ - السيوطي : الزهر . ج ١ ص ١١٥ .

بدلاً من ( شدد و مدد و فرر ) ، وثانيتها الحذف ، فتقول : ( تمايلُ  
الاشجار ) بدلاً من ( تمايلُ الاشجار ) .. وهكذا .

وينقسم التخالف الى ما انقسم إليه التمايل ، فمنه التقدمي ، ومنه  
الرجعي . فالتقدمي ما ثبت فيه الصوت الأول وتغير الثاني ، مثل :  
( تمطط ← تمطى ) ، والرجعي ما ثبت فيه الثاني وتغير الأول ، مثل :  
( عنوان ← علوان ) .

٣ - الانتقال المكاني : وهو ان يتبادل صوتان من كلمة واحدة  
مكانيهما من هذه الكلمة . وأمثلة ذلك اندر في العربية من أمثلة التخالف ،  
فمنه : ( جذب - جذب ) و ( انى - آن ) و ( أيس - يثس )  
و ( اضمحل - امضحل ) و ( اكفر - اكرهف ) (١) .

غير ان العاميات تستطيع ان تمدنا بأمثلة كثيرة في هذا الموضوع ،  
فمن ذلك قول العامة في حلب : ( إجا ) بدلاً من ( جاء ) و ( قعل )  
بدلاً من ( عقل ) ، ولعل في العاميات الأخرى أمثلة كثيرة من هذا  
القبيل لم تبلغنا .

ان التمايل والتخالف والانتقال ليست كل الاسباب التي تؤدي الى  
تغيير الهيئة الصوتية للكلمة ، فهناك اسباب أخرى نذكر منها واحداً اعتبر  
مبدأ عاماً تجري عليه كل اللسان في العالم . يدعى هذا المبدأ ببدا الخور  
العام . وينص على ان عجز الكلمة اضعف في النطق من صدرها ، وان  
الصوت الواقع في نهاية الكلمة يكون عرضة للحذف والالغاء في كثير من  
الأحيان إلا ان يعترض هذا المبدأ معترض من امور أخرى ، كقصر

---

١ - الخصائص : ج ١ ص ٦٤ و ج ٢ ص ٦٩ - ٨٨ . وقارن بسبويه :  
ج ٢ ص ٣٧٩ .

الكلمة او شيء آخر يمنع معه حذف نهايتها . بهذا المبدأ يمكن ان نفسر سبب ضياع الحركات الاعرابية من العاميات ، وبه ايضاً نفسر سبب سقوط الدال من كلمة ( ولد ) في بعض اللهجات المصرية التي تقول ( ياوَل ) بدلاً من ( يا ولد ) ، وبه ايضاً نفسر قصر المدود في الفصحى ، حيث يقال : ( الصحرى ) بدلاً من ( الصحراء ) ، بل ان اللغويين يمزون الى هذا المبدأ وحده سبب تكون كل الادوات النحوية في الالسن من كلمات كانت اسماء أو افعالاً فيما مضى . واذا كان التحقق من ذلك عسيراً فيما يتعلق بادوات الفصحى ، ليمد المهد بأصولها ، فان ذلك ميسور فـيما يتعلق بادوات عامية لا تزال اصولها ماثلة في ذاكرتنا ، من ذلك مثلاً كلمة ( عم ) التي تجعلها عامية حلب صدرأ في الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار في الحال . تقول : ( عم بكتب ) اي ( اني مستمر في الكتابة الآن ) . فهذه الاداة هي ولا شك بقية من كلمة ( عمال ) ، بل ان بعضهم لا يزال ينطق بالكلمة تامة من غير حذف .

وهكذا ترى ان الكلمة لا تثبت على صورة صوتية واحدة ، بل هي في تفسير دائم لا يهدأ ، تماثل بين اصواتها ان اختلفت . وتخالف بينها اذا تماثلت ، وتبديل في مواضع اصواتها ، وتخوّر نهايتها فتسقط ... وهكذا .

## التبدلات التاريخية

تختلف التبدلات التاريخية للاصوات عن التبدلات التركيبية في امرين :

١ - التبدلات التركيبية سريعة تحدث للاصوات بمجرد ان يدخل تركيباً بينه وبين احد اصواته تنافر ، فتاء الافتعال تتحول الى طاء بمجرد ان يكون فاء الفعل صاداً او ضاداً او ظاء او ظاء . اما التبدلات التاريخية فلا تحدث الا ببطء شديد ، وخلال قرون واجيال . بل انها لشدة بطئها لا يمكن لابناء الجيل الواحد ان يشعروا بها خلال كل حياتهم .

٢ - التبدلات التركيبية مشروطة بالتركيب ومحدودة به ، فما يكاد الصوت يخرج منه حتى يسترد شكله الذي كان له ، فتاء الافتعال تعود تاء بمجرد ان ينزع ما قبلها من اصوات الاطباق . كما ان بقية تاءات اللسان العربي تظل هي هي من غير تغيير . اما التبدلات التاريخية فمطلقة ، بمعنى انها اذا اصاب صوتاً ما فانها لاتصيه في تركيب دون تركيب ، بل تصيه في كل تركيب من تراكيب اللغة ، فالتاء والذال والنظاء اللواتي اصابهن التبدل في اللهجات الحديثة لم يتبدلن في تركيب وبقين في



تركيب آخر ، بل اختفياً كلياً من جميع تركيب اللغة ، وحلت محلها  
اصوات آخر هي اللدال والزاي والتاء والسين والزاي المفخمة .

ولكن كيف يتم التبدل التاريخي ، وماهي القواعد التي يسير عليها؟

ليس للتبدل التاريخي قواعد يسير عليها ، ولا يمكن التنبؤ به ،  
او بالشكل الذي سيتم عليه . ان التبدلات الصوتية التاريخية نتيجة عوامل  
عديدة شديدة التشابك ، منها الاجتماعية ، ومنها النفسية ، ومنها  
الفيسيولوجية ، ومنها غير ذلك مما لا يمكن حصره . والعالم اللغوي  
لايستطيع ان يفعل شيئاً في هذا المجال . ان عليه ان ينتظر ويلاحظ ،  
فاذا رأى تطوراً صوتياً حدث في لسان ما سجله في شكل قانون صوتي ،  
كالقانون الصوتي الذي يقول : ان التاء في الفصحى تحولت في بعض  
العاميات الى تاء او سين . لكن هذا القانون الصوتي لايفسر كيف تم  
هذا التطور ، ولا لماذا حدث ، ولايشير الى المراحل التي مر بها هذا  
الصوت في تطوره ، إنه مجرد تسجيل لنتيجة تطوّر مجهول المراحل  
والاسباب ، أو قل : هو مجرد تقرير عما حدث .

ولكن لماذا لاتسلم اصوات اللغة من شر هذا التطور الحتمي ؟

في الاجابة عن هذا السؤال نظريات كثيرة ستحاول اعطاء فكرة  
موجزة عن كل واحدة منها :

#### ١ - النظرية الجغرافية :

من المحدثين من يميلون للطبيعة الجغرافية لبيئة اللغة أثراً كبيراً في  
نوع التطور الذي قد يصيب اصواتها . وعلى رأس هؤلاء المحدثين (كوليتس)  
الذي عزا تطور الاصوات الشداد في الالمانية الى نظائرها الرخوة - عزا

ذلك الى الطبيعة الجغرافية في بعض جهات المانيا . وقد اكد في مقالاته ان الجهات الجبلية تميل الى التخلص من أمثال الاصوات . b . d . g . قهmsها اولاً ، فتصير P . T . K ، ثم تقلب هذه الى نظائرها الرخوة ، وهي الفاء والفاء والخاء على الترتيب . وعلل ذلك بأن البيئة الجبلية تتطلب نشاطاً كبيراً في عملية التنفس ، ويتبع هذا ميل بالاصوات من الشدة الى الرخوة (١) .

وقد تصدى لهذا العالم علماء آخرون فندوا دعواه ، وبينوا ان هذا التطور الذي اشار اليه قد حدث مثله في البيئات السهلية ، وان سببه ليس الجبال وما تتطلبه من متسلقها من نشاط تنفسي كبير ، وانما سببه ينحصر في الخنجرة وحدها : « فاذا اعتاد شعب على النطق مع فتح الخنجرة كما يفعل الجرمانيون ، تعرضت الانفجاريات المجهورة والمهموسة لسلسلة من التغيرات ناجمة عن التأخر في وضع الذبذبات الخنجرية في حالة الحركة . فمن جهة ، لما كان تذبذب الاوتار الصوتية لا يبدأ بعد الحبس مباشرة في مجموعة مثل با ba أو دا da ، صار جزء من الحبس مهموساً ، سواء اكان هذا الجزء صغيراً او كبيراً . واخيراً ينتهي هذا الميل بتحويل المجهور كله الى مهموس . ومن جهة اخرى ، في مجموعة مثل تا ta با pa ، يوجد بين انفجار الانفجاري وانتاج الفتحة التي تليه وقت ، طويلاً كان أم قصيراً ، ولكن الانفجار يترك للهواء حرية المرور ، ومن هنا يجمي الميل الطبيعي نحو تحول الانفجاري الى تنفسي او حتى الى متراخ اذا كان الانفجار على درجة شديدة من الحدة ولم تستطع الاعضاء ان ترجع مباشرة الى وضعها في حالة الاستراحة رغم اندفاع الهواء المفاجيء باحثاً عن سبيل للخروج . وعندئذ يتحول النطق الى تا tha ،

---

١ - ابراهيم انيس : الاصوات . س ١٦٤ .

بها pha أو الى تسا tsa ، pfa ، والمآل الطبيعي للتنفسية والمترامية  
أن تصير الى الاحتكاكية ( فا ، ثا ) اذا كان دفع الهواء يجعل الانفجار  
غير تام ، (١) .

### ٢ - النظرية النفسية :

بعض العلماء يمزون تطوّر الاصوات من شدة الى رخاوة ،  
او العكس ، الى الحالة النفسية التي يكون عليها الشعب ، فاذا مال  
الشعب الى الدعة والاستقرار مالت اصوات لسانه الى الرخاوة ، واذا اعتر  
بجبروته وقوته مالت اصوات لسانه الى الشدة . واصحاب هذا الرأي  
يتلمسون ادلتهم من التطور التاريخي الذي مر به الشعب الالماني ، ومارافق  
ذلك من تطور في اصوات لسانه . غير ان هذه النظرية متهافة لا تجرد  
ما يؤيدها من تواريخ الشعوب الاخرى ، بل ان في هذه التواريخ  
ما يناقضها على طول الخط .

### ٣ - النظرية العضوية : (٢)

يزعم اصحاب هذه النظرية ان تبدل الاصوات من جيل الى جيل ،  
ليس الا نتيجة تطور عضلي في اعضاء النطق . لكن هؤلاء لم يجدوا  
من علم التشريح تأييداً لهم ، بل وجدوا العكس ، فقد برهن علماء  
التشريح ان اعضاء النطق عند الانسان متحدة في جميع تفاصيلها ، وان  
حنجرة اشهر المنين لا تتنازع عن حنجرة الرجل المادي في شيء . والفرق

١ - فندريس : الافة ، ص ٦٦ - ٦٧

٢ - صاحب هذه النظرية روسلو

بين المفتي صاحب الصوت الذهبي او الفضي وبين غيره ، ان الاول يملك زمام نفسه ، ويسيطر على ما يندفع من الرئتين من هواء سيطرة تامة . ومثله في ذلك مثل صاحب الخط الجميل ، لافرق بين عضلات يديه من الناحية التشريحية وبين عضلات اي رجل عادي ، سوى ان صاحب الخط الجميل مسيطر على حركات أصابعه سيطرة تامة هي مصدر جمال خطه .

ومن النتائج غير المعقولة لهذه النظرية أن كل انسان غير قادر الا على نطق أصوات لسانه القومي ، لانها الاصوات الوحيدة التي تلائم تطور اعضاء نطقه ، مع انه ثبت بما لا يدع مجالاً للشك ان كل انسان قادر على نطق اي صوت من اصوات اللغة اذا ما مرن عليه وتدرّب . وما هو مشاهد كثيراً ان الطفل اذا دفع الى مربيات يتكلمن ألسناً مختلفة نشأ وهو يجيد نطق كل اللسان التي كانت مربياته يكلمنه بها .

#### ع - نظرية السهولة (١)

تنادي هذه النظرية بأن الانسان في نطقه لاصوات لسانه يميل الى الاقتصاد في المجهود العضلي ، وتلمس اسهل السبل ، مع الوصول الى ما يهدف اليه من ابراز المعاني وايبصالها الى المتحدثين معه . فهو لهذا يميل الى استبدال السهل من اصوات لسانه بالصعب الشاق الذي يحتاج الى مجهود عضلي اكبر . ومثل الانسان في هذا مثله في كل الظواهر الاجتماعية ، فهو يحاول الوصول الى غرضه عن اقصر الطرق كلما أمكن ذلك .

١ - من اجز الفائلين بها مكس مولر ووتني

ويمكن الرد على هذه النظرية من عدة وجوه : أولها انه لا يمكن بالضبط معرفة ماهو سهل وماهو صعب ، ثانيها ان امر الصعوبة والسهولة أمر نسبي ، فما هو صعب عند هؤلاء القوم سهل عند غيرهم ، الا ترى ان العين والحاء من اصعب الاصوات على الأعاجم ، في حين انها من اسهل الاصوات عند ابناء العربية ؟ ثالثها ان التطور لو كان يجري في اتجاه السهولة لوجب ان تكون اصوات اللغات اليوم كلها من نوع الميم والنون والفاء فقط ، لانها اسهل الاصوات ، ولأن مئات من القرون قد مرت على اللسان الانسانية ، وهي مدة كافية للوصول باصوات هذه اللسان الى الاكتفاء بهذه الاصوات الثلاثة التي ذكرناها ، رابعها ان تاريخ اللسان المعروف يسجل في كثير من الاحيان تطوراً صوتياً جرى في الاتجاه المعاكس ، اي في اتجاه الصعوبة لا السهولة .

#### • - نظرية الشبوع :

تنادي هذه النظرية بأن الاصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال ، ويكثر ورودها في كلمات اللسان ، تكون اكثر ترضاً للتطور من غيرها .

وفساد هذه النظرية مما لا يحتاج اثباته الى جدال ونقاش طويلين . وفي العربية وحدها ما يضرب هذه النظرية في الصميم ، فقد رأينا في احصاء مضي ان اكثر الاصوات العربية شيعاً هي اللام ( ١٢٧ ) والميم ( ١٢٤ ) والنون ( ١١٢ ) والهمزة ( ٧٢ ) والهاء ( ٥٦ ) والواو ( ٥٢ ) والتاء ( ٥٠ ) ... وكلها مما هو باق على حاله منذ اربعة عشر قرناً او يزيد ، وعلى العكس من ذلك ، نجد ان الاصوات التي تعرضت

للتطور في اقل الاصوات شيوعاً ، كالكاف التي لاتزيد نسبة شيوعها عن ( ٢٣ ) مرة في الالف ، والذال ، ونسبتها ( ١٨ ) والجيم ، ونسبتها ( ١٦ ) والضاد ، ونسبتها ( ٦ ) والنهاء ، ونسبتها ( ٥ ) والظاء التي لاتزيد نسبتها عن ( ٣ ) فقط ! !

### ٦ نظرية اخطأ في التقليد :

قال بهذه النظرية كل من روسلو و ميه ، ويمكن تلخيص ماقالا فيما يلي :

يكتسب الطفل اللغة عن طريق ابويه ، وذلك بتقليده لها فـيما يسمعه منها . وبمد ان تنتهي مرحلة التقليد ويستقر النظام الصوتي الخاص به ، يكون من النادر جداً ان يماثل نظامه نظام ابويه تماماً ، بل ان من علماء الصوت من يذهب الا ان ذلك لايقع مطلقاً .

ولكن لماذا لاتتطابق اصوات الابن مع اصوات والديه ؟

يجيب فندريس<sup>(١)</sup> عن ذلك بأنه قد يحدث لأحد أعضاء الابن ان يبلغ او يقصر في أداء عمله ، ولو بقدر ضئيل ، او قد يمرض لمضلة شيء من التراخي او الابطاء في انتاج أحد الأصوات ، أو قد يمرض لها ، على العكس من ذلك ، زيادة في القوة او السرعة . ومن ثم يجيء الاختلاف في النظام الصوتي بين جيلين متتابعين . هذا الاختلاف قد يضؤل ، وقد لايشير لدى السامع اي تغير محسوس ، ومع ذلك فهو خطير النتائج ، لانه لايشير بشيء أقل من انقطاع التوازن في النظام . هذا الى

ان الاختلاف قد يلحظ بوضوح في بعض الاحيان : الطفل ينطق مختلفاً عن ابيه ، فيحلّ سلسلة جديدة من الأصوات محل السلسلة التي كان يملكها ابواه . وهكذا نرى الطفل الذي يضغظ بطرف لسانه على قمة أصول الاسنان بدلاً من الضغظ على الاسنان نفسها يصدر سلسلة الاسنانيات الانكليزية d , t بدلاً من السلسلة الفرنسية ،

وبعبارة مختصرة : ان الجيل الاول يخطيء في تقليد سلفه خطأً طفيفاً لا يشمر به ، ثم يأتي الجيل الثاني فيعمق خطأ الجيل الاول ، ثم يفعل الثالث ما فعله الثاني والاول ، وهكذا الى اجيال متمدة حتى يندو الفرق كبيراً بين ما ينطقه السلف الاول وبين ما ينطقه الجيل التآخر .

وعلى الرغم مما في هذه النظرية من جدة وطرافة ، وعلى الرغم من لهجة العلم التي تصطنعها ، فان فيها هنات كثيرة . وامم ما يمكن ان يعترض به عليها هو انها تقتضي - لكي يتم التطور في اتجاه معين - شيئين غير معقولين : ان يقع كل افراد الجيل الاول في الخطأ ذاته ، ثم ان يتابع افراد الاجيال التالية كلهم هذا الخطأ الاول ويزيدوا فيه . وليس ذلك مما يجوز عقلاً . اذ نلحظ في كل شيء ان الناس اذا أخطأوا تمددت وجوه الخطأ بتمدد ، فهل يعقل ان يقع افراد جيل برمه قد يعدون الملايين في خطأ واحد ؟ ولنفرض جدلاً ان هذا ما يحدث بالفعل ، أفلا يكون أمراً غريباً يحتاج الى تفسير ؟

وهكذا ترى ان نظرية الخطأ تخرجنا من مشكلة لتوقنا في اخرى ادهى من الاولى وامر ، وانها تحمل لنزاً بلغز آخر اعقد منه واشد غموضاً .

وبعد ، فأبي النظريات أجدر بالتصديق ؟ وما السر الحقيقي وراء  
هذا التطور الصوتي الذي لاتسلم منه اصوات اي لسان ؟

الواقع ان العوامل التي تتدخل في التبدلات الصوتية كثيرة جداً ،  
ومتشابكة جداً ايضاً ، والاكتفاء بعملة واحدة لتفسير أمر في غاية التعقيد ،  
لا يدل الا على قصر نظر ، لذلك أخفقت كل النظريات التي حاولت تفسير  
التبدلات الصوتية بمامل واحد ، إننا - لكي نملل تطور صوت واحد -  
قد نحتاج الى الاحاطة التامة بتاريخ اللسان الذي فيه هذا الصوت ، ثم  
الاحاطة بتاريخ الشعب الذي ينطق بهذا اللسان ، ثم الاحاطة بكل شيء  
عن البيئات الاجتماعية والجغرافية والنفسية والمناخية لهذا الشعب ، وقد  
نحتاج الى اشياء أخرى اكثر من ذلك . ولاشك ان هذا أمر في غاية  
الصعوبة ان لم يكن متعذراً ، ولكن ما العمل ؟ ان الامور الانسانية ،  
واللغة واحدة من أعقدها ، لا يمكن ان تفسر بمثل البساطة التي تفسر بها  
الامور والظواهر الطبيعية .

★ ★ ★



## همول نبتك الأصوات الفصحى

يرى بعض المحدثين<sup>(١)</sup> من أولي الغيرة على العربية والاعتزاز بها أن أصوات العربية الفصحى ثابتة لم ينلها التطور ، واننا ننتقلها اليوم كما كان العرب ينطقونها منذ أربعة عشر قرناً على الأقل . ويتهون من ذلك الى ان ما استنبطه علماء الغرب من قانون التطور الحتمي الذي يصيب أصوات اللثة لا ينطبق إلا على السنهم وحدها .

ونجب ان نقول لهؤلاء إن الغيرة على عربيتنا ليست مسوغاً لنا ان نخرج عن جادة العلم الصحيح ، فليست العربية شيئاً فذاً بين الألسن ، إنها لسان من السن خلق الله جميعاً ، ينطبق عليها ما ينطبق على غيرها ، وتخضع للقوانين نفسها التي تخضع لها الألسن جميعاً . أما اننا ننطق الفصحى كما كان ينطقها اجدادنا الاولون فليس برهاناً على شيء ، لان اليوقاني اليوم قادر على ان ينطق اشعار هوميروس كما خرجت من فم هوميروس ، والمهندي اليوم يستطيع ان يقرأ النصوص السنسكريتية كما كان ينطقها الهندوس من عشرات القرون ، ومع ذلك لم يقل أحد في الشرق أو الغرب ان اصوات الاغريقية والسنسكريتية ثابتة لا تخضع لقانون التطور . إن العلماء عندما استنتجوا قانون التطور لم ينظروا الى الالسن القديمة ويوازنوها

---

١ - منهم الاستاذ محمد المبارك . انظر كتابه : لغة اللثة وخصائص العربية . ص ٢٥١ وما بعدها .

بصورتها اليوم محققة على صورتها القديمة ، ولو فعلوا ذلك لانتهوا في كل  
اللسن الى ما انتهى إليه أصحابنا من نفي التطور . ولكنهم نظروا الى  
اللسن القديمة كما كانت على شفاه الناس في حياتهم المادية ، ثم نظروا  
اليها اليوم كما هي على شفاه الناس في حياتهم المادية ، ووازنوا بين الصورتين  
فتبين لهم أن التطور والتغير أمر حتمي . ولو طبقنا ذلك على الفصحى التي  
كانت لسان القوم المادي ، ثم على العاميات التي هي اليوم لساننا المادي  
لما تغيرت النتيجة . قد يقول قائل : ولكن فصحى الفرنسيين اليوم لا  
تشبه اللاتينية التي كانت فصحاءهم فيما مضى . بينا فصحاءنا اليوم هي عريضة  
العرب القدماء نفسها ، وهذا صحيح . ولكن الجواب عنه ان فصحى  
الفرنسيين اليوم كانت في يوم من الايام عامية اللاتينية ، ثم اتخذها الفرنسيون  
لسان ادب وعلم وثقافة . ولو فعلنا مثلهم فاتخذنا من عاميتنا لغة علم وادب  
لكان شأن العربية كشأن اللاتينية تماماً ، ولكننا لا نفعل ذلك لاسباب  
دينية وقومية معروفة . والفرنسيون انفسهم ، لو ظلوا متمسكين باللاتينية  
لسان ادب وعلم حتى اليوم لكان شأنهم كشأننا تماماً .

كل هذا مع التسليم جداً بأن نطقنا لاصوات الفصحى اليوم  
مطابق لنطاق العرب القدماء لها . مع ان الواقع يناقض ذلك ، فنحن ننطق  
الضاد اليوم منطلقاً يختلف كل الاختلاف عما ذكره النحاة لهذا الصوت  
من صفات : نطقها شديدة وقد اجمع النحاة على انها رخوة ، ونلفظها من  
طرف اللسان وقد ذكر النحاة أنها كانت من حافة اللسان اليعنى أو اليسرى  
أو من كلتا الحافتين .

ونحن ننطق الضمة والكسرة منفرجتين اذا وقمتا في آخر مقاطع  
الكلمة ان كان هذا المقطع منقطعاً ، مثل : كتابهم - كتابهم . أي نحول الضمة الى  
امالة ضمية حادة ، والكسرة الى امالة كسرية حادة ، والعرب لم يكونوا  
ينطقون في هاتين الحالتين إلا ضمة وكسرة صريحتين .

ومع ذلك فاننا لا نرفض دعوى هؤلاء برمتها ، فنحن معهم في ان  
المرية محافظة ، وانها تميزت خلال تاريخها الطويل بشدة المراس وعدم  
الانقياد والاستسلام للتطور العنيف ، وان ما اصابها من التغير خلال  
عمرها الطويل لا يمد شيئاً مذكوراً اذا نسب الى ما اصاب غيرها  
من الالسن . ولكن الثبات الذي يزعمونه شيء ، والمحافظة التي نقول بها  
شيء آخر مختلف عنه .





الباب الرابع

التحقيق

1912

1913

## المورفيمات

تأتي دراسة النحو في المناهج الحديثة بمد دراسة الاصوات مباشرة وما نعتيه بالنحو هنا ، هو ما كان يمتد أوائل النحاة : أي مجموعة القواعد النحوية والصرفية ، أو كما يقول أبو حيان : احكام الكلم في حالة الافراد وحالة التركيب (١) .

ويفضل المحدثون دراسة نحو كل لسان عن طريق ما يسمى بالمورفيم . فما المورفيم ؟

تمال نقرأ مما هذه العبارة :

[ ضرب الرجل حماراً بمصاه ]

وحاول معي أن تحللها ممنوياً ، فاذا فعلت فستجد فيها نوعين من المعاني :

١ - معاني هي من نوع الماهيات . وهي هنا ماهيات ( الضرب والرجل والحمار والمصاه ) .

٢ - معاني هي لواحق الماهيات أو تربط بعضها الى بعض . وهي

---

١ - انظر مقدمة الارتشاف . مخطوط بالمكتبة الاحمدية رقم ٨٩٩ لغة عربية .

هنا كون الضرب قد حدث في الزمن الماضي ، ثم كون الضرب صادراً  
عن الرجل ، ثم كون الرجل معروفاً ، ثم كون الحمار مجهولاً ، ثم كون  
الحمار الذات التي وقع عليها فعل الضرب ، ثم كون المصا أداة الضرب ،  
ثم كونها تابعة للرجل ... الخ ...

ان هذه المعاني ضرورية في العمل اللغوي ، ولولا هي لما حصل  
فهم على الاطلاق . تصور اني القيت إليك بالماهيات وحدها من غير ان  
اربط بمضها بيمض بهذه المعاني . فقلت لك : ( رجل عصا ضرب حمار ) ،  
فهل يمكنك ان تفهم منها ما فهمته من العبارة ؟

تعال الآن نحلل عبارتنا لفظياً . مستجد ان فيها نوعين من الالفاظ :

١ - الفاظاً تدل على الماهيات : رجل ، حمار ، ضرب ، عصا .

٢ - الفاظاً تدل على المعاني الرابطة بين الماهيات : الالف واللام  
اللتان دلتا على ان الرجل معروف . والتنوين في الحمار الذي دل على  
تنكيره ، والباء التي دلت على واسطة الضرب ، والهاء التي دلت على تبعية  
المصا للرجل ... الخ .

إذن ففي كل عبارة لغوية عناصر أربعة :

١ - ماهيات .

٢ - الفاظ تدل على هذه الماهيات يسمى كل منها سيمنتيم  
( Sémantème ) (١) .

٣ - معان تربط بين الماهيات تدعى الفصائل النحوية ، أو المقولات

---

١ - سماها الاستاذان الدواخلي ولقصاص في ترجمتها لكتاب قندريس بدوال الماهية .  
انظر الكتاب المذكور ص ١٠٥ .



النحوية ، أو الابواب النحوية (١) (Catégorie grammaticale) .

٤ - الفاظ تدل على المعاني الرابطة بين الماهيات تسمى بالمورفيات (٢)  
( Morphème ) .

فأما الماهيات وألفاظها الدالة عليها فستدرس في باب آخر ، هو باب  
الدلالة ، أو باب المفردات ، وأما المقولات النحوية ومورفياتها فهي موضوع  
هذا الباب .

ونحب قبل كل شيء ان ننبه الى امرين : أولهما اننا لن نقوم بدراسة  
شاملة للنحو العربي عن طريق المورفيات ، لأن هذا امر لا جدوى منه ،  
ولا سيما ان النحو العربي قد درس دراسة ليس بعدها زيادة لمستزيد ، فضلاً  
عن ان حجم كتابنا وموضوعه لا يسمحان بذلك . وثانيهما ان دراسة  
النحو عن طريق المورفيات ليست شيئاً جديداً كل الجدة في الدراسات اللغوية  
بل هو امر قد عرفه النحاة العرب من قديم ، ويمكن اعتبار كتاب المعني لابن هشام  
الانصاري من خير الامثلة واجودها على هذا النوع من الدراسة .

اذن ، كل الذي سنفعله هو استمرار سريع لاهم المورفيات  
والمقولات النحوية العربية ، محاولين في ذلك اعطاء فكرة عن هذا النمط  
من الدراسة ، ومصححين بمض ما وقع فيه نحائنا من أخطاء ، او قل  
وجهات نظر لا تتفق مع المناهج الحديثة في الدراسات اللغوية .

---

١ - هكذا دعاها الدكتور تمام حسان في كتابه : مناهج البحث ص ١٧٢ .

٢ - سماها مترجماً كتاب فندريس بدوال النسبة . انظر الكتاب المذكور  
ص ١٠٥ .

## أقسام المورفيات

يمكن ان تقسم المورفيات الى ثلاثة أقسام : مورفيات تتألف من اصوات زائدة على اصوات السيمنتيات . ومورفيات تتألف من تحوير لاصوات السيمنتيات ، ومورفيات تتألف من ترتيب الماهيات في الجملة .

وإليك الكلام على كل واحد من هذه الأقسام :

### أ - المورفيات الصوتية :

تتألف هذه المورفيات - كما قلنا - من اصوات تضاف الى العناصر الصوتية المعبرة عن الماهيات ، وهي على انواع :

١ - مورفيات تتألف من صوت واحد فقط ، مثل الضمة القصيرة في قولنا ( جاء أحمد ) التي تدل على المقولة النحوية التي نسميها الاسناد . والاسناد الذي جرى هنا هو إسناد المجرى الى أحمد .

هذا النوع من المورفيات شائع جداً في العربية ، وهي تعتمد عليه اعتماداً كبيراً في التعبير عن مقولاتها النحوية المختلفة . فمنه الضمة القصيرة المعبرة عن الاسناد كما في المثال المذكور ، ومنه الضمة الطويلة المعبرة عن

الاسناد اذا كان المسند اليه واحداً من الاسماء الخمسة ، مثل ( جاء ابوك )  
 و ( ابوك مسافر ) . ومنه الضمة الطويلة في ( ضربوا ) الدالة على وقوع  
 الحدث من جماعة الغائبين ، ومنه الكسرة الدالة على التبعية في قولك  
 ( كتاب زيد ) ، ومنه النون الساكنة التي نسميها تنويناً ، والتي تدل  
 على التنكير ، كما في قولك ( جاء رجلٌ ) ومنه التاء في قولنا ( جاءت )  
 التي تدل على وقوع الحدث من المفردة المؤنثة الغائبة .

ويستطيع القارئ - وقد عرف مانعيه بالمورفيم المؤلف من صوت  
 واحد - ان يرجع الى معلوماته النحوية والصرفية ليستخرج منها كل  
 ما يدخل في هذا الباب .

٢ - مورفيمات تتألف من مقطع واحد . وهذا النوع كثير ايضاً  
 في العربية . واليك نماذج منه :

(من) وبدل هذا المورفيم على مقولات نحوية كثيرة تجد تفصيلاً لها في كتاب المعنى .

- (عن) / / / / / / / / / / / /
- (في) / / / / / / / / / / / /
- (أو) / / / / / / / / / / / /
- (ب) / / / / / / / / / / / /
- (ك) / / / / / / / / / / / /
- (لم) / / / / / / / / / / / /
- (ما) / / / / / / / / / / / /
- (لا) / / / / / / / / / / / /

(م) الدال على التبعية كما في قولك ( كتبهم ) .  
 (إن) الدالة على المطاوعة كما في قولك ( انقسم ) .

٣ - مورفيات تتألف من عدة مقاطع . وهذا النوع كثير ايضاً في العربية . فمنه الهمزة والسين والتاء الدالة على الصيرورة ، كما في قولك ( استحجر الطين ) ، أو على الطلب ، كما في قولك ( استمفر العبدربه ) ، ومنه الهمزة والتاء اللتان على الطاوعة كما في قولك ( اجتمع القوم ) . ومنه كل الافعال الناقصة والاحرف المشبهة بالفعل . فهذه الافعال الناقصة ( كان - صار - أصبح - أضحى - ظل - امسى - بات ... الخ ) ليست في واقمها غير ادوات اومورفيات تدخل الجمل لتدل على معانٍ نحوية مختلفة . فقولنا ( زيد مسافر ) ، ثم قولنا ( كان زيد مسافراً ) لا يختلفان إلا في الزمن الذي جرت به ( كان ) الى الماضي في العبارة الثانية . أما الذي حمل النحاة القدماء على عدها أفعالاً فهو انهم رأوها تتصرف كما تتصرف الافعال . لكن التصرف هنا لايعنيها . الذي يعينها فقط هو الوظيفة التي يقوم بها اللفظ في العبارة . واذا كانت الافعال الناقصة لاتعبر الا عن مقولات نحوية فهي اذن مورفيات كسائر المورفيات الاخرى .

واخيراً فقد يكون المورفيم مؤلفاً من عناصر صوتية متباعدة . فهناك مورفيات « تنتج من كلمتين منمزلتين يجمع بينهما العقل ، وتكون لهما ، رغم انفصالهما ، وحدة لاتقبل التمزيق . ففي الفرنسية يعبر عن النفي بمنصرين لايكادان يتجاوران مطلقاً في الجملة : ومع ذلك فان ( je ne mange pas ) « لا آكل » في الفرنسية لها من الوحدة مال nitoimlim « في الارلندية ، (١) .

وهذا النوع موجود في العربية ، واكثر ما يكون في زيادات

الافعال ، ثمة الهمزة والتاء في ( اتمل ) ، والهمزة والوار وتكرير العين في ( افمعل ) ، والهمزة والنون في ( افمئل ) ... الخ .

## ب - المورفيات التحريفية :

ونفي بها المورفيات التي تتألف من تحوير او تحريف لاصوات السيمتات نفسها من غير زيادة شيء عليها . وتوضيح ذلك يمكنك النظر الى الكلمتين الآتيتين : ( حمار - حمير ) . فالكلمة الاولى تعني المفرد ، والكلمة الثانية تعني الجمع . وللحصول على معنى الجمع - وهو من المقولات النحوية - لم نحتاج الى اضافة عناصر صوتية زائدة ، بل اكتفينا بالتلاعب باصوات المفرد نفسها : فنقلنا الكسرة القصيرة التي بعد الحاء في ( حمار ) الى ما بعد الميم مع إطالتها ، ثم نقلنا الفتحة الطويلة التي بعد الميم في ( حمار ) الى ما بعد الحاء مع تقصيرها . فأصبحت الكلمة ( حمير ) التي تعني جمع ( حمار ) . بهذا التلاعب والتحوير في اصوات السيمتيم ( حمار ) عبرنا عن مقولة الجمع النحوية ، فكان تحويرنا هذا نوعاً من انواع المورفيم .

الا ان هذا القسم من المورفيات لاينحصر فيما ذكرنا فقط ، بل له انواع كثيرة . واليك الكلام على كل نوع منها :

١ - مورفيم يقوم على تغيير مكان الاصوات ، مثل ( حمار - حمير ) . ويكثر هذا النوع فيما يسمى بجمع التفسير في العربية ، مثل ( عريض - عراض ) .

٢ - مورفيم يقوم على ابدال صوت بصوت آخر ، مثل

( feet - foot ) في الانكليزية ، حيث ابدلت الضمة بكسرة للحصول على معنى الجمع ، ومثل ( أسد - أسود ) في العربية حيث ابدلت الفتحة بضمين للحصول على معنى الجمع ايضاً .

وهذا كثير ايضاً في العربية ، ولاسيما في جموع التكثير ، مثل :  
( خروف - خراف ) و ( جل - جمال ) ... الخ .

٣ - مورفيم يقوم على تغيير مكان النبر في الكلمة . وهذا النوع لاوجود له في العربية ، لان النبر في العربية ليست له وظيفة فونولوجية . اما في الانكليزية فالامر مختلف ، لان بعض الكلمات الانكليزية يختلف معناها بمجرد اختلاف موضع النبر فيها . فأمثال الكلمات الانكليزية augment , torment لافرق بينها حين تستعمل فعلاً أو إسمًا الا في اختلاف موضع النبر ،<sup>(١)</sup> .

٤ - مورفيم يقوم على اطالة صوت من اصوات السيمتيم ، مثل :  
( كذّب - كذب ) ، اذ لافرق بين الفعائين الا في ان ذال الاول قصيرة ، وذال الثاني طويلة . ومن ذلك ( رجع - راجع ) و ( عدل - عادل ) و ( رفع - رافع ) ... الخ . حيث لافرق بين كل فعائين إلا في طول الفتحة التي تلي الحرف الاول .

• - مورفيم يقوم على تقصير صوت من اصوات السيمتيم ، مثل  
( حذر - حذر ) فالولها فعل أمر ، وقائنها صفة ، ولا فرق بينها إلا في طول الفتحة التي بعد الحاء .

---

١ - ابراهيم انيس : الاصوات . ص ٩٩ .

٦ - مورفيم يقوم على درجة الحدة في الصوت ، أي على نغمته ، وهذا النوع مفقود في العربية الفصحى ، أو هذا - على الاقل - مانرفه عن طريق النحاة القدماء . اما النغم في العاميات فله وظيفة نحوية هامة . فيه وحده نعرف ماذا كانت الجملة اخبارية او استفهامية او تعجبية في هذه اللهجات . كما انه « يلعب دوراً في لغات الشرق الاقصى ، حيث العناصر النحوية قليلة العدد . فهذه اللغات استغلت مرونة النغمات التي تحتملها اصواتها ، واتساعها وتنوعها للغايات [ النحوية ] خير استغلال . وتوجد هذه الظاهرة نفسها في بعض اللغات الافريقية . ففي اللغة الفهلية يمبر التنغيم عن النفي : [ فقي ] مجموعة مثل : مِي وَرَتَ mi warata معناها « سأقتل » ( أو « أقتل » في الحاضر الدال على العادة ) اذا نطقت الفتحة النهائية بنفس النغمة التي لباقي الجملة ، ويصير معناها « لن اقتل » اذا نطقت الفتحة النهائية بنغمة أعلى . فارتفاع الصوت له إذن من القيمة مالا ي [ مورفيم آخر ] (١) .

وقد رأينا في باب الاصوات ان الصينية تمير بكلمة ( فان ) عن ستة معانٍ لاعلاقة بينها ، هي ( نوم - يحرق - شجاع - واجب يقسم - مسحوق ) ، وليس من فرق هناك سوى النغمة الموسيقية في كل حالة .

فاذا كانت الصينية تستخدم التنغيم للتعبير عن مختلف الماهيات - كما رأينا - فما أجدرها ان تستعمل التنغيم للتعبير عن مختلف المقولات النحوية .

٧ - المورفيم الصفري : وهو ان لا يوجد في الكلمة اي

---

١ - فنديرس : اللغة ص ١٠٩ - ١١٠

مورفيم من الانواع المذكورة سابقاً ، فعدم وجود المورفيم هو في حد ذاته مورفيم يدل على مقولة نحوية . وليان ذلك فورد القائمة التصريفية الآتية :

أكلتُ  
أكلنا  
أكلتَ  
أكلتِ  
أكلنا  
أكلتم  
أكلن  
أكل →  
أكلت  
أكلا  
أكلنا  
أكلوا  
أكلن

فالذي دل على ان ( أكل ) حدثٌ وقع من مفرد مذكر غائب هو عدم وجود اي لاحقة في نهايته كالألواحق الموجودة في نهايات الصيغ الأخرى . اي انه تحمل - اذا صح التعبير - بلاحة الصفر التي دلت على وقوع الحدث من مذكر مفرد غائب .

على ان المورفيم الصفري ليس محصوراً في ميدان الاصوات فقط ، بل يوجد في ميدان التنميم ايضاً ، واليك مايقوله فندريس في



شأن المورفيم الصفري صوتياً ونظماً :

د من الثغرات المختلفة ذات القيمة [ النحوية ] نفمة لها أهمية في بعض اللغات ، وهي نفمة الصفر ، اي عدم وجود النفمة . ففي السنسكريتية مثلاً يكون الفعل منفعلاً او غير منفعم ، تبعاً لِمِضْ شروط الاستعمال في الجملة . ولكنه بالطبع في استعماله المختلفة يتميز تمايزاً واضحاً بغياب النفمة كما يتميز بوجودها .

د وهذا يؤدي بنا الى ان نضيف الى [ المورفيات ] المشار اليها فيما سبق نوعاً من هذه [ المورفيات ] اكثر من غيرها دقة ، ولكنها ليست اقل منها تمييزاً . ونهني تلك التي يصح ان نطلق عليها [ المورفيات ] الصفرية . ففي الميدان [ النحوي ] تلعب درجة الصفر دوراً هاماً . والقيمة التي تملكها هي قيمة تقابل على وجه الخصوص ، ولكن ذلك لا ينقص من خطرها . فكثيراً ما يكون للصمت في الموسيقى من التعبير المالميلودية التي يعترض طريقها ويقطع تدرجها . وفي الحديث لحظات من الصمت البليغ . في اللغة يعتبر [ المورفيم ] الصفري مورفياً كثيراً من المورفيات . فقد كان في الهندية الاوروبية بعض الاسماء التي لا يحمل مرفوعها اية لاصقة مميزة ، اي انها كانت تحمل في هذه الحالة لاصقة الصفر . فعدم وجود اللاصقة يكفي ، في مقابلة اللواحق المتنوعة التي تتمتع بها الحالات الاخرى ، لتمييز المرفوعات التي نحن بصددتها . بل ان هناك حالة من حالات الاعراب في الهندية الاوروبية تتميز دائماً بتلك الصورة ، في الفترة القديمة على الاقل : ألا وهي المنادى . وتقابلنا هذه الخاصة ايضاً في صيغة فعلية قريبة من المنادى . وهي صيغة الشخص الثاني المفرد في حالة الامر . فدرجة الصفر تلعب

دوراً لا يقل عن دور غيرها في تبادل الحركات في اللغات الهندية الاوروبية والسامية، (١) .

### ج - المورفيات الترتيبية :

واخيراً نصل الى نوع آخر من المورفيات أقل تشخصاً مما سبقه ، ويتكون فقط من المكان الذي يحتله كل واحد من السيمتيات .

وهذا النوع نادر في العربية ، لانها تعتمد في اداء معانيها النحوية على المورفيات الصوتية ، لاعلى الترتيب . ولهذا تتمتع كلماتها بحرية كبيرة من حيث مواقعها في الجملة ، وعلى الضد من ذلك ، نجد اللسان التي فقدت اعراب الحالات على وجه عام ، استعاضت في تأدية العلاقات التي كان يعبر عنها بالاعراب إما بكلمات مساعدة ( حروف جر ، أدوات ... الخ ) وإما بوضع كل كلمة بالنسبة للكلمات الاخرى (٢) .

فإذا قلنا في العربية ( ضرب زيد عمراً ) أو ( زيد ضرب عمراً ) أو ( ضرب زيد ) لم يختلف المعنى ، وبقي زيد هو الضارب وعمرو هو المضروب ، وذلك لان التعبير عن فاعلية زيد ومفعولية عمرو قامت بها الضمة التي في زيد والفتحة التي في عمرو ، لاموقع كل من الكلمتين في الجملة . اما لو قلنا في الفرنسية : ( Pierre frappe Paul ) ثم عكسنا قلنا Paul frappe Pierre لتغير

١ - اللفه ص ١١٠

٢ - المرجع نفسه ص ١١١

المعنى تماماً ، ولا يصبح الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً ، وذلك لان ما يحدد فاعلية كلمة في الفرنسية او مفعوليتها انما هو مكانها الذي تحتله من الكلمات الاخرى في الجملة .

من الالسن التي تشبه العربية في اعتمادها على الاعراب لتأدية المعاني النحوية لاعلى الترتيب اللسان اللاتيني . فاذا قلنا في اللاتينية ( Petrus caedit Paulum ) = ( بطرس يضرب بولص ) ، او ( Paulum caedit Petrus ) = ( بولص يضرب بطرس ) ، لم يتبدل المعنى ، لان الذي حدد فاعلية بطرس هو علامة الرفع (us) ، والذي حدد مفعولية بولص هو علامة النصب (um) .

أما ما يشبه الفرنسية في اعتمادها على الترتيب مورفياً لاداء المعاني النحوية فهي الامميات العربية . فهذه الامميات بعد ان فقدت الاعراب الذي كان يحدد وظيفة كل كلمة في الجملة دون النظر الى موقعها ، عوضت عنه بالترتيب الذي يحدد هذه الوظائف . فقولنا اليوم : ( سمير ضرب خالد ) يختلف في معناه عن قولنا : ( خالد ضرب سمير ) ، لان سميراً في الجملة الاولى فاعل ، وفي الثانية مفعول ، والذي أشار الى فاعليته في الاولى تصدره ، كما ان الذي دل على مفعوليته في الثانية تأخره .

## سؤال المورفيمات مع السيمنتيمات

بعد ان عرفنا الانواع الاساسية الثلاثة للمورفيات يجدر بنا ان نبحث مسلك هذه المورفيات بالنسبة للسيمنتيمات .

قلنا إن السيمنتيم هو العنصر الصوتي الدال على الماهية وحدها، وان المورفيم هو العنصر الصوتي الدال على المعاني النحوية أو ما سميناها بالمقولات النحوية . هذان العنصران لا يريان في العربية منفصلين ، بل هما متحدان اتحاداً قوياً في كل كلمة تقريباً . انظر كلمة ( قَتَلَ ) تر أنها مؤلفة من اصوات حبيسة ثلاثة ( ق ت ل ) تؤلف العنصر الصوتي الدال على ماهية القتل ، ثم تجد فيها ثلاث فتحات ( \_ \_ \_ ) تؤلف العنصر الصوتي الدال على ان القتل قد حدث في الزمان الماضي ، وأنه قد صدر عن مفرد مذكر غائب . وهكذا ترى ان هذه الكلمة الصغيرة ( قتل ) تشتمل على ماهية واحدة هي القتل ، وعلى مقولات نحوية عديدة هي الزمن الماضي والافراد والتذكير والغيبة . والآن انتساءل : هل يوجد في العربية سيمنتيم - أي عنصر صوتي دال على الماهية - مستقل لا يصحبه أي مورفيم - اي عنصر صوتي دال على مقولة نحوية - ؟ . وبمباراة أخرى : هل توجد الاصوات الثلاثة ( ق ت ل ) في العربية لتدل على القتل وحده

دون ان تصحب بحركات تدل على معان نحوية ؟ . إن هذا غير ممكن ،  
اذ لا وجود لهذه الاصوات وحدها إلا في تخيلة اصحاب علم الاشتقاق والمعجم .  
أما في الواقع اللغوي فالسيمنتيم مصحوب دائماً بالمورفيم .

المجرد اذن في العربية ، هذا الذي يعبر عن الماهية وحدها ، ليس  
له وجود في واقع الاستعمال اللغوي ، بل هو مصحوب دائماً باصوات  
طليقة قصيرة او طويلة تقوم بدور المورفيات للتمييز عن المعاني النحوية  
المختلفة . يقول ميه (١) : « الاصل في العربية لا يتميز إلا بحيساته ،  
أما عن الطليقات فكل حيس من حيسات الأصل يمكن ان يتبع بالفتحة  
القصيرة أو الطويلة ، او بالكسرة القصيرة او الطويلة ، او بالضمة القصيرة  
أو الطويلة ، او بالصدر ( يعني السكون ) ، فنحننا سبع صور ، وكل  
واحدة من هذه الصور السبع تستخدم للدلالة على الوظيفة ، مثل :  
قَتَلَ ( فعل ماض صادر عن مفرد مذكر غائب ) قَتِلَ ( فعل ماض  
مسند الي مفعول مفرد مذكر غائب ) قَتَلَ ( مصدر = اسم للحدث )  
قَاتِلَ ( اسم فاعل مذكر مفرد ) قَتِيلَ ( اسم مفعول مذكر أو مؤنث  
مفرد ) قِتَالٍ ( اسم حدث لقتل فيه مشاركة ) قَتُولٍ ( مبالغة لاسم  
الفاعل ) ... الخ .

ومع ذلك فان الأصل - اي الجرد - ولو لم يكن له وجود في  
واقع الاستعمال اللغوي ، فان له وجوداً وحقيقة حساسة بالنسبة للمتكلم ،  
وذلك من جهة انه الهيكل الذي ينتظم الحالات المختلفة لهذا التبادل بين  
الاصوات الطليقة ( الحركات ) . وحقيقة الأصل ترجع الى قبوله للتنوع .

ومبدأ التبادل يجعل هذه العناصر تلعب دور التعارض ، وهو لعب في غاية اللطف والدقة اعتادته عقول الساميين والمهندسين الأوروبيين (١) عن الفت السنتم هذه الطريقة في صياغة كلماتها .

إن تبادل الاصوات الطليقة مع الاصوات الجبسة ليس المسلك الوحيد للمورفيم مع السيمنتيم في العربية واخواتها الساميات والالسن الهندية الاوروبية ، بل يحدث - ويكثر ذلك في الهنديات الاورويات - ان يضاف الى تبادل الاصوات زيادات مورفيمية تلحق الاصل في اوله فتسمى صدوراً prefixes ، أو تلحقه في آخره فتسمى اعجازاً suffixes ، أو تلحقه في وسط فتسمى احشاءً infixes .

فمن الصدور همزة التعدية في ( أفعل ) ، مثل ( أدخل ) ، والهمزة والنون في ( انفعل ) ، مثل : ( انفتح ) والهمزة والسين والتاء في ( استفعل ) ، مثل : ( استخرج ) ، والميم في ( مفعول ) مثل : ( مأكول ) ، ومن الاعجاز الالف والتاء في ( شجرات ) ، والواو والنون في ( زيدون ) ، والالف والنون في ( ولدان ) ، ومن الاحشاء التاء في ( افتعل ) ، مثل ( اجتمع ) والواو في ( افمعل ) ، مثل : ( اخضوضر ) ... الخ .

هذه الواحق - صدوراً كانت ام اعجازاً ام احشاء - ليس لها وجود مستقل ، فهي مثل الاصوات الطليقة ( الحركات ) ترى دائماً مع الاصل لا تنفك عنه كما لا ينفك عنها . وهكذا تؤلف الواحق مع الحركات واصوات المجرّد كلاً واحداً لا يتجزأ .

هناك نوع آخر من الواحق لا يرى في الكلمة دائماً في جميع حالات استعمالها ، بل يرى في استعمال ، ويرى غيره في استعمال آخر . هذا النوع يسمى في الفرنسية désinenes ويسميه الدكتور السمران بالخوايم ( جمع خاتمة ) . ومن ذلك ما يلحق الافعال حين تصريفها الاشارة الى الاشخاص القائمين بالحدث . مثل :

ضرب

ضربت°

ضربا

ضربتا

ضربوا

ضربنَ

ضربتَ

ضربتِ

ضربتما

ضربتم

ضربتن

ضربتُ

ضربنا

فكل ما ورد بعد الباء هو من الخواتيم ، وليبان الفرق بين الخاتمة والصدر أو المعجز أو الحشو نقول إن الهمزة والتاء في ( اجتمع ) واولاهما صدر ، وثانيتهما حشو تريان في هذا الفعل في جميع استعمالاته ، اما تاء

التأنيث الساكنة ، وهي خاتمة ، فلا ترى إلا اذا اسند الفعل الى الفاعلة  
المفردة ، أما اذا اسند الى غيرها فانها تسقط وتأتي خاتمة أخرى .

لكن الخواتيم لا تأتي دائماً في نهاية الكلمة كما قد يفهم من اسمها (١).  
بل تأتي في بعض الاحيان في بداية الكلمة ، وتسمى عند ذلك بالواحق  
( جمع لاحقة ) (٢) ، كما تسمى في الفرنسية باسم *augments* .

وإليك مثلاً من العربية لحيثها في اول الكلمة :

أضرب

نضرب

تضرب

يضرب

فكل ما سبق الضاد من همزة ونون وتاء وياه هـ و من  
نوع اللواحق .

ومها يكن من امر هذه المورفيات ، وسواء أكانت من الصدور  
او الاعجاز والاحشاء او الخواتيم او اللواحق ، فانها تعطينا صورة عن

---

١ - اقترح الدكتور السرمان ، كما قلنا ، ان تترجم كلمة *desinence* بكلمة خاتمة ،  
( انظر كتابه : علم اللغة ص ٣٥ الحاشية ) لأن اشتقاق الكلمة في اللسان  
الأجنبية هو من كلمة لاتينية تعني الانتهاء . جاء في معجم لاروس :  
*désinence* : ( du lat. desinere finir )

٢ - هذا ايضاً من اقترح السرمان ، لكن معنى *augment* في اللسان  
الأجنبية لا يشير الى معنى اللحاق ، بل الى معنى الزيادة والنماء . جاء في لاروس :  
*augment* : ( du lat. augmentum, accroissement )



نوع واحد من انواع سلوك المورفيات في الكلام ، وهو سلوك تبدو فيه شديدة الارتباط بالسيمنتيات لا تكاد تفصل عنها ليكون لها وجود مستقل .

هذا هو سلوك اكثر المورفيات في العربية والساميات والهندديات الاوروبيات عموماً ، إلا ان طائفة اخرى من الالسن تربنا سلوكاً لمورفياتها يختلف عن هذا السلوك اختلافاً تاماً . فالصينية مثلاً ليس فيها زيادات تضاف الى الجرد للدلالة على المعاني النحوية . بل ان زياداتها - اذا صح التعبير - كلمات مستقلة كل الاستقلال عن الجردات . الكلمات في الصينية نوهان : كلمات تدل على الماهيات يسمونها بالكلمات المليئة ، وتقابل ما نسميه نحن بالسيمنتيم او الجرد ، وكلمات تدل على المقولات النحوية يسمونها بالكلمات الفارغة ، وتقابل ما نسميه نحن بالمورفيات او الادوات النحوية .

هذا الاستقلال الذي يتمتع به المورفيم ( الكلمة الفارغة ) في الصينية له ما يماثله في جميع الالسن . فكل ما في العربية من حروف الجر والوصل والمطف ، والافعال الناقصة ، والاحرف المشبهة بالفعل ، يمد من المورفيات المستقلة ، أو ما يسميه الصينيون بالكلمات الفارغة . بل ان النحاة العرب قد اشاروا الى مثل ما عناه الصينيون بالكلمات الفارغة والكلمات الملائى حين ميزوا بين الاسم والحرف بقولهم : إن الاسم ( والفعل معه ايضاً ) هو ما دل على معنى في نفسه ، وإن الحرف هو ما دل على معنى في غيره .

استقلال المورفيم اذاً ليس مسلكاً تتفرد به الصينية ، بل هو شيء تعرفه الالسن كلها . والفرق بين الصينية وغيرها ان الصينية جمات من هذا الاستقلال مسلكاً عاماً لجميع مورفياتها ، أما غيرها ، ولا سيما الساميات والهندديات الاوروبيات ، فانها ، على الرغم من وجود مورفيات مستقلة فيها ، تتألف

كلماتها دائماً من سيمنتيم واحد معه مورفيم واحد أو أكثر ، وليس بين هذا السيمنتيم ومورفياته أي تخلخل أو انفصام .

هذا التخلخل بين المورفيات والسيمنتيات يبدو في بعض الالسن على شكل حرية ممنوحة للمورفيم ليكون حيث يشاء من عناصر الجملة . ونعطينا التركية مثلاً واضحاً عنه في كلمتها sevmishlerdir ( احبوا ، التي يمكن ان ترتب عناصرها ترتيباً آخر sevmishdirler دون ان يتغير المعنى . ويمكن توضيح ما تفعله التركية بمثال من العربية :

في العربية تستطيع ان تقول : ( شجراتك ) ، واضعاً الالف والتاء ، وهما مورفيم الجمع ، بعد السيمنتيم ( شجرة ) مباشرة ، ثم خاتماً الكلمة بالخاتمة ( ك ) مورفيم التبعية للمخاطب المفرد . ولكنك لا تستطيع ان تمكس الآية فنقول : ( شجرتك ) ، ولكن التركية تفعل شيئاً شبيهاً بذلك :

معنى هذا ان العربية تفرض لكل مورفيم مكانه الخاص الذي لا يجوز ان يتجاوز الى غيره ، على حين ان السنأ اخرى تمنح مورفياتها حرية التنقل بين عناصر الجملة كيف تشاء .

تختلف الالسن ايضاً في شأن تكرار المورفيم او عدم تكراره . فبعضها يكرر المورفيم في كل كلمة ، مثل السويدية ( واحدة من السن البنوت ) التي اذا ارادت معنى الافراد في الجملة ذكرت المورفيم ذلك على الافراد مع كل كلمة ، فنقول ما يمكن تمثيله بما يأتي : واحد رجل واحد بيتي . اي رجل واحد بيتي . وعلى المنكس من ذلك نمائلاً ، نجد السنأ اخرى اذا اتفقت فيها كلمات متعددة في اداء وظيفة واحدة لم يذكر إلا مورفيم

واحد يلحق آخر هذه الكلمات . وتوضيح ذلك نورد المثال الآتي :

إذا وصفنا في العربية معرفة بصفات ممتددة أدخلنا مورفيم التعريف ،  
لاتمام المطابقة بين الموصوف وصفته ، على كل الصفات ، فنقول : جاء  
الرجل الطيب الصالح الطويل العالم .. الخ . أما في الجرية فانهم بدلاً من ذلك  
يقولون : جاء الرجل طيب صالح طويل العالم (١) .

وهناك مسلك للمورفيات في بعض اللسان أغرب من كل ما ذكر .  
فقد حدث بعض الباحثين ان بعض السن الهنود الحمر في امريكا تضع  
كل مورفيات الجملة في طرف ، وكل سيمنتياتها في طرف آخر . فاذا  
أرادت ان تقول : ذهبتم أمس الى المدرسة ، قالت : تم أمس الى  
الـ || ذهب مدرسة .

فكل ما تقدم الخطين الراسيين انما يشتمل على مورفيات ، أما السيمنتيات  
فلا تذكر إلا بعد .

ويقول فندريس (٢) : لا ينبغي ان ندهش من بنية على هذا  
النحو من القرابة . فلغة الكلام في الفرنسية فيها حالات من التركيب  
تقرب من تلك الحالات كل القرب . فنحن نسمع من الشعب :  
elle n'y a encore pas || voyage , ta cousine , en Afrique

---

١ - ليس هذا ما تفعله الجرية بالضبط ، ولكنه مثل لتوضيح طريقها في الاكتفاء ،  
بمورفيم واحد للكلمات المشتركة في وظيفة واحدة .

٢ - اللغة : ص ١٣١ ، وقارت كل ما جاء في هذا الفصل مع فندريس  
ص ١٠٤ - ١٢٢ .

فيها بعد || تسافر قرينتك الى افريقية ، أو attrapé || il l'a - ti jamais  
le gendarme, son voleur ؟ هو أم إطلاقاً || يسك الشرطي سارقه ؟  
فكل ما هو سابق على الخطئين لا يشتمل ايضاً إلا على مورفيات : اشارات  
الى الفاعل او الى المفعول ( مباشرأ كان او غير مباشر ) او الى النوع  
او الى المدد او الى الزمن او الى صفة الجملة اهي استفهام ، أم نفي :  
فلدينا هنا ، وقبل ان نعرف عن عمدًا يدور الأمر ، جميع العناصر  
النحوية للجملة ، فلا يبقى إلا تمييز الاشخاص والحدث الذي ساهموا فيه ،  
وبالاختصار الوقائع والفاعلين ، وهكذا توضع المعاني التجريدية في رأس الجملة ،  
والشخصات في ذيلها .

(١) **حمايتن الإعراب**

من المعروف ان للاسم في العربية ثلاث حالات : حالة الرفع  
وعلامته الضمة ، وحالة النصب وعلامته الفتحة ، وحالة الجر وعلامته الكسرة .

١ - لتوسع في موضوع هذا الفصل انظر المراجع الآتية :

احمد بن فارس : الصحاح . ص ١٦١

ابن جني : الخصائص ج ٢ ص ٣٢

ابراهيم السامرائي : دراسات في اللغة ص ٩٦ - ١٠٢

ابراهيم مصطفى : إحياء النحو

مهدي الخزومي : في النحو العربي . ص ٦٥ وما بعدها

ابراهيم انيس : من اسرار اللغة العربية ، الفصل الخامس ، قصة الاعراب .

يوهان فك : العربية . ص ٢ - ٦

السيوطي : الاشباه والتظاير ج ١ ص ٧٦ - ٧٩ ، ٧٦١

سيبويه : الكتاب ج ٢ ص ٣١٥

اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٥

Carl Brockelmann : Grundriss der Vergleichenden  
Grammatik der Semitischen Sprachen . Berlin 1908 .  
I. S. 5

مهدي الخزومي : مدرسة الكوفة ص ٢٨٣

علي عبدالواحدواقي : فقه اللغة

يقسم

برجستراسر : التطور النحوي . ص ٧٥

وقد اختلف الباحثون قديماً وحديثاً في امر هذه الحركات : فهي مورفيات تدل على مقولات نحوية ، ام هي مجرد تحريك لأواخر الكلمات لوصل بعضها ببعض كراهية التقاء السواكن ، وان العرب لم تكن تقصد منها الى شيء من المعاني النحوية ؟

وسنمعرض عليك فيما يلي بجملاً لأقوال كل من الفريقين ، بادئين بالفريق الذي نفى ان تكون هذه الحركات دوال على شيء :

١ - وزعم الخليل ان الفتحه والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم به .

( سيويه )

٢ - إنما اعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون ، فجعلوه في الوصل محرکاً حتى لا يطنوا في الادراج . وعاقبوا بين الحركة والسكون ، وجعلوا لكل واحد ألق الاحوال به ، ولم

---

تابع

Vollers : Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien. Strassburg 1960 .

Nöldeke : Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910 , 1 - 5

Kahle : The Cairo Geniza, London 1947, P. 78 - 84

Kakle : The arabic Readers of the Koran ( Journal of Near Eastern Studies 8, 1947, P. 65 - 71 .

Wright : Lectures of the comparative grammar of the Semitic languages, Cambridg 1890 .

يلتزموا حركة واحدة لانهم ارادوا الاتساع ، فلم يضيقوا على انفسهم وعلى المتكلم بحظر الحركات إلا حركة واحدة .

( محمد بن المستنير المعروف بقطرب )

٣ - ليس في اللغات السامية اثر لادغام كلمة في أخرى حتى تصير الاثنان كلمة واحدة تدل على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هي الحال في غير اللغات السامية ، وهذا هو سبب ظهور الاعراب في اللغة العربية . وهناك شيء من بقايا الاعراب في اغلب اللغات السامية .

( اسرائيل ولفنسون )

٤ - إن اصل لواحق الاعراب لا تعرف معرفة يقين ، ولكن يمكن ان يرى ان الفتحة اصلها ha ، وهي ضمير اشارة مستعمل في اللغات السامية ، ولم يزل في الحبشية يلحق بالاعلام في حالة النصب اذا وقع عليها فعل ذو اتجاه مثل : أقبل وقصد ، واصل معناها في هذا الاستعمال الاتجاه الى شيء او شخص معين . واذا صح هذا جاز ان نرى ان الضمة مشتقة من ho أي ( هو ) ، أما علامة الجر فظاهر مشابقتها لياء النسب ، وهي تفيد الكلمة معنى الوصفية . وفي اللغات الهندية الغربية نرى لواحق الخفض مشتقة من لواحق دالة على الوصفية . ويساعد على هذا في العربية ان الصفة تجيء بعد الموصوف ، فيقال : البيت الملكي . وبالتحديد الموصوف بالصفة في المعنى واللفظ بهامرة واحدة استغني عن اعراب التالي ، وخفضت الياء فنشأ الخفض ، وهو اعراب جديد .

( بروكلان ورايت )

٥ - كان القرآن يقرأ في بادىء الأمر بلسان محمد ، يعني بلهجة مكة الخالية من ظواهر الاعراب ، وهو يدين بأسلوبه العرب الذي وصل

إليتنا ، الى تنقيح خاضع للقواعد التي اعتمدت في العربية فيما بعد ، ولا سيما من حيث الاعراب .

( فولوز )

٦ - كان القرآن يقرأ في بادىء الامر بغير اعراب . ثم ان القراء الاولين في المدن الاسلامية الكبرى ، رحلوا لمخالطة عرب البادية النخمين في جوارم ، فصدوا الى دراسة رواياتهم عن شعراء البدو ، ووضع قواعد مستنبطة من لغة الشعر لقراءة النص القرآني على مثالها . وهذه الضرورات العملية هي التي اوجدت الباحث الى جمع شعر الجاهلية وكتابته في اوائل العصر الاسلامي . وعلى أساس هذه المادة التي تم جمعها ، وضعت لغة نموذجية ، كان الاعراب من مميزاتا ، ومن ثم ادخل الاعراب في قراءة القرآن .

( كاله )

٧ - ان هذه القواعد المتشعبة الدقيقة ، وخاصة قواعد الاعراب ، لم تكن مراعاة الا في اللغة الفصيحة الادبية ، أما لغة التخاطب فلم تكن معربة .

( مرسيل كوهين )

٨ - ليس للحركات الاعرابية مدلول ، وان الحركات لم تكن تحدد المعاني في أذهان العرب الاقدمين ، وهي لاتمدو ان تكون حركات يحتاج اليها في كثير من الاحيان لوصل الكلمات بعضها .  
ان النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الاعراب ، وقاسوا بعض



الاصول رغبة منهم في الوصول الى قواعد مطردة منسجمة .

ولعلمهم تأثروا بما رأوه حولهم من لغات كاليونانية ، ففيها يفرق بين حالات الاسماء التي تسمى cases . ويرمز لها في نهاية الاسماء برموز معينة .

ان الاعراب قصة . وما اروعها قصة ! لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية ، ثم حيكتم وتم نسجها حياكة محكمة في اواخر القرن الاول الهجري أو اوائل القرن الثاني ، على يد قوم من صنّاع الكلام نشأوا وعاشوا معظم حياتهم في البيئة العراقية . ثم لم يكده ينتهي القرن الثاني الهجري حتى أصبح الاعراب حصناً منيعاً ، امتنع حتى على الكتّاب والخطباء والشعراء من فصحاء العربية ، وشق اقتحامه الا على قوم سمو فيما بعد بالنحاة .

( ابراهيم انيس )

واليك الآن اقوال الفريق الثاني :

١ - ان الاسماء لما كانت تتورها المعاني ، وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ، ولم يكن في صورها وابنيها أدلة على هذه المعاني ، جعلت حركات الاعراب تبين عن هذه المعاني وتدل عليها ، ليتسع لهم في اللغة ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة .

( ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي )

٢ - ألا ترى ان من لا يعرب فيقول : ضرب أخوك لأبوك .

قد يصل باللام الى معرفة الفاعل من المفعول ، ولا يتجشم خلاف الاعراب  
ليفاد منه المعنى ؟

( ابو الفتح عثمان بن جني )

٣ - من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب - الاعراب التي  
هو الفارق بين المعاني التكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو  
أصل الكلام ، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منوع ، ولا  
توجب من استفهام ، ولا صدر من مصدر ، ولا نعت من تأكيد .

يقع ذلك ( يعني الافهام والفهم ) من وجهين : احدهما الاعراب ،  
والآخر التصريف . هذا فيمن يعرف الوجهين ، فأما من لا يعرفهما ،  
فقد يمكن القائل إفهام السامع بوجوه يطول ذكرها من اشارة وغير  
ذلك ، وانما الموقل على ما يقع في كتاب الله ، جل ثناؤه ، من الخطاب ،  
أو في سنة رسول الله ﷺ ، أو غيرها من الكلام المشترك في اللفظ .

فأما الاعراب فبه تميز المعاني ويوقف على اغراض التكلمين . وذلك  
ان قائلاً لو قال د ما أحسن زيد ، غير معرب ، أو د ضرب عمراً  
زيد ، غير معرب ، لم يوقف على مراده ، فاذا قال : د ما أحسن زيدا ،  
أو د ما أحسن زيد ، أو د ما أحسن زيد ، أبان بالاعراب عن المعنى  
الذي اراده . وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها : فهم يفرقون بالحركات  
وغيرها بين المعاني .

( أحمد بن فارس )

٤ - لقد تكفلت القواعد التي وضعتها النحاة العرب في جهد لا  
يمرف الكلل ، وتضعية جذيرة بالاعجاب ، بمرض اللغة الفصحى وتصويرها

في جميع مظاهرها ، من ناحية الاصوات ، والصيغ ، وتركيب الجمل ،  
ومعاني المفردات على صورة محيطه شاملة ، حتى بلغت كتب القواعد  
الأساسية عند مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد ، ولا تزال  
كتب القواعد الأساسية المذكورة تمد اللغة العربية لغة متصرفه بمعنى  
الكلمة ، محافظة على علامات الاحوال والتصريفات المختلفة ، مثل الضمة  
في حالة رفع الاسم والفعل ، والكسرة في حالة خفض الاسم ، والفتحة في  
حالة نصب الاسم والفعل الخ .

لقد احتفظت العربية الفصحى ، في ظاهرة التصرف الاعرابي ،  
بسيمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية - باستثناء  
البابلية القديمة - قبل عصر غوها وازدهارها الادبي .

( يوهان فك )

هـ - ان اللغة العربية لها منبج آخر مخالف لمناهج اللغات الغربية  
في الاعراب وفي التصريف . فان العربية تذل بالحركات على المعاني  
المختلفة من غير ان تكون تلك الحركات اثراً لقطع ، او بقية من أداة .  
ويكون ذلك في وسط الكلمة واولها وآخرها .

فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول في مثل :  
مكرم ومكرم ، ومستخرج ومستخرج . وبين فعل المعلوم وفعل  
المجهول ، نحو : كتب وكُتِبَ ، واستفهم واستفهم ، وبين الفعل  
والمصدر ، في مثل : علم وعلم ...

وهذا من الشبوع والكثرة في اللغة العربية بحيث لا نستطيع جمعه ،  
وبحيت زاه اصلاً من اصولها ، سارياً في كثير من تصرفاتها ، ظاهراً في

سبيل الاداء وتصوير المعاني . ومن العناء الضائع ، والتكلف المبعد عن الحق ان نلمس لكل حركة من هذه الحركات أصلاً ، لانا نحاول ان نكلفها نظام غيرها من اللغات . وانما هي صورة ألفها الباحثون في اللغات الاجنبية ، فقلبت عليهم حين يفكرون في فقه العربية .

فأما الضمة فانها عَلم الاسناد ، ودليل ان الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها ويُتحدث عنها .

واما الكسرة فانها عَلم الاضافة ، وشارة الى ارتباط الكلمة بما قبلها ، سواء كان هذا الارتباط بأداة او بغير اداة ، كما في (كتاب محمد) ، و (كتاب لمحمد) .

ولا تخرج الضمة ولا الكسرة عن الدلالة على ما اشرنا إليه ، إلا ان يكون ذلك في بناء وفي نوع من الاتباع .

اما الفتحة فليست علامة اعراب ولا دالة على شيء ، بل هي الحركة الحقيقية المستحبة عند العرب ، التي يراد ان تنتهي بها الكلمة كلما امكن ذلك ، فهي بمثابة السكون في لغة العامة .

( ابراهيم مصطفى )

٦ - والاعراب علامات تدل عليه ، وهي الحركات . والحركات في العربية ثلاث : الضمة والكسرة والفتحة . وقد اعتدت العربية بالضمة والكسرة اعتداداً خاصاً ، فجعلت الضمة عَلماً للاسناد ، والكسرة عَلماً للاضافة ، اما الفتحة فعملت لما ليس باسناد ولا اضافة .

( مهدي الخزومي )

٧ - ان رأي الاستاذ مصطفى في الفتحة ] وانها ليست دالة على شيء [ غريب في بابه ، ولا يستند الى سند علمي . فقد دلت المقارنات الى ان الفتحة وجدت في حالة النصب في كثير من اللغات السامية ، ولم يكن هناك سبب للفتحة المستحبة .

(إبراهيم السامرائي)

٨ - العرب ورثوا لغتهم معربة . وليس الاعراب قصة .

(صبحي الصالح)

★ ★ ★

بعد ان عرضنا عليك أقوال الفريقين يحسن بنا ان نعرض عليك ايضاً حجج كل منها .

واليك ملخصاً لحجج الفريق الأول<sup>(١)</sup> :

١ - إن الخلافات الاعرابية بين لهجة مكة ولهجات البادية كثيرة، وكذا الخلافات بين لهجات البادية فيما بينها . وكل هذا يدل على أن الحركات لم تكن تدل على معانٍ نحوية ، اذ لو كانت كذلك لما كان هناك خلاف فيها .

٢ - ان قراءة ابي عمرو امتازت دائماً بالادغام الذي يقع بين الكلمتين، ادغام آخر حرف من الكلمة الأولى بأول حرف من الكلمة الثانية . وهذا لا يتنبأ إلا اذا كانت الكلمات ساكنة الاواخر .

---

١ - سيلاحظ الفارسي - ولا شك - ان حجج هذا الفريق في غاية الوهن والضعف ، وان استدلالاتهم لا تختلف كثيراً عن استدلالات الصبيان .

٣ - اختلف القراء كثيراً في اعراب كثير من الآيات . فقد قرأ بعضهم : « انما يخشى الله من عباده العلماء (١) » برفع ( الله ) ونصب ( العلماء ) . ولو كانت حركات الاعراب دوال على معان نحوية لانقلاب معنى الآية بهذه القراءة ولاصبحت كقرأ .

٤ - ان القدماء اختلفوا في اعجاز القرآن : فقال بعضهم : هو في لفظه ، وقال آخرون : بل هو في معناه . والذي حمل الآخريين على ذلك ، انهم كانوا يرون كمال الفصاحة في لغة عرب البادية لا في القرآن . وهذا دليل على أن القرآن لم يكن يقرأ بالحركات الاعرابية كما كان الامر في لغة البادية .

٥ - رويت عن الرسول ( ص ) احاديث يفهم منها جواز قراءة القرآن بغير اعراب . فقد روي عنه أنه قال : « من قرأ القرآن باعراب فله اجر شهيد » ، وانه قال : « من قرأ القرآن ف يمر به وكيّل به ملك يكتب له كما انزل بكل حرف عشر حسنات ، فان احرب بعضه ولم يعرب بعضه وكيّل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة ، فان احربه كله وكيّل به اربعة املاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة » .

٦ - رويت عن الرسول ( ص ) احاديث يفهم منها ان اللحن وعدم التقيد بقواعد الاعراب كان امراً معروفاً مألوفاً لذلك العهد . فمن ذلك قوله : « انا من قريش ، ونشأت في بني سعد ، فأنت لي اللحن ! » .

٧ - ان قواعد هذا شأنها في التشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما

تطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض ، كل هذا غير ممكن في لغة التخاطب ، وإنما هو من اختصاص اللغة الفصيحة المهذبة .

٨ - ان العاميات العربية خالية جميعها من ظاهرة الاعراب ، ولو كانت العربية الفصحى معربة لبقى من هذا الاعراب شيء ولو يسير في العاميات .

٩ - يكفي للبرهنة على ان لا علاقة بين معاني الكلام وحركات الاعراب ان نقرأ خبراً في الصحف على رجل لم يتصل بالنحو أي نوع من الاتصال ، فسئى انه يفهم معناه تمام الفهم مما تممنا الخلط في اعراب كلماته ، برفع المنصوب ونصب المرفوع أو جره .

وهذه حجج الفريق الثاني :

١ - ليس الاعراب في العربية بدءاً حتى يظن به الاختلاق والاختراع ، بل هو شيء كان في السامية الأولى ، وقد احتفظت به العربية ، على حين فقدته أخواتها ، ولم يبق منه فيهن إلا آثار قليلة تدل على قدمه ، لقد اجمع المستشرقون تقريباً على ان الاعراب ظاهرة سامية عامة . فقد وجدوا في الاكديّة ضمة للرفع ، وفتحة للنصب ، وكسرة للجر ، لكن الاكديّة لم تحتفظ بهذه الحركات جميعاً كما احتفظت العربية بها ، بل انتهى بها الأمر الى ضمة للحالة الرفع ، وكسرة للحالتي النصب والجر ، ثم لم يبق فيها غير إمالة كسرية لجميع الحالات . ويرى المستشرق ليمان ان أواخر الكلمات في اللهجة النبطية قد يحدث فيها تغيير بحسب موضعها في الاعراب . كما ان الاعراب اثرأ في العبرية يبينه الباحثون في حالتي المفعول به ، وفي ضمير التبعية . على ان هذا الأثر ضئيل جداً ،

فقد اوشكت تخلو من الاعراب لغة المهد القديم . غير ان علامة النصب في العبرية القديمة هي الفتحة الطويلة التي نشأ عنها حرف الماء . والماء المتطرفة في هذه الامة تشبه الالف اللينة ، ومن أجل ذلك تعامل معاملة أحرف العلة . وتظهر هذه في آخر الاسم المنصوب بنزع الخافض ، كما تظهر في آخر الظرف المنصوب ( ليلا ) وتعني ( ليل ) و ( عتيا ) وتعني ( حين ) . وكما تلحق هذه العلامة الظروف فانها تلحق المصدر فينصب كما هي الحال في المفعول المطلق في العربية ، ولكنها في هذه الحالة تكون متلوة بيم زائدة ( للتميم ) الذي يقابل التنوين في العربية . مثال ذلك ( يومام ) وتعني ( يوماً ) و ( حنام ) وتعني ( مجاناً ) . والمتبع لشوارد النصوص في اللغة العبرية ربما وجد آثاراً تشير الى شيء يشبه الضمة والكسرة لملها بقايا لضمة وكسرة كانتا مستعملتين في العبرية القديمة .

٢ - إن اشعار عرب البادية ، في الجاهلية والاسلام ، تريبا علامات الاعراب مطردة كاملة السلطان ، فأوزان هذه الاشعار وقوافيها لا تستقيم إلا اذا كانت معربة .

٣ - هناك حقيقة تاريخية ثابتة ، وهي ان النحاة والفقهاء الاسلاميين كانوا ، حتى القرن الرابع الهجري على الأقل ، يختلفون الى عرب البادية ليدرسوا لغتهم . وهذا لا يدل إلا على ان التصرف الاعرابي كان بالنسبة أشده حتى ذلك المهد .

٤ - ان مواقع كلام القرآن الاختيارية لا تترك أثراً للشك في وجود الاعراب . انظر مثلاً الى قوله تعالى : انما يخشى الله من عباده العلماء<sup>(١)</sup> ، ،



وقوله : « ان الله بريء من المشركين ورسوله (١) » ، وقوله : « واذ ابتلى ابراهيمَ ربه (٢) » ، وقوله : « واذ حضر القسمة أولو القربى (٣) » ، فمثل مواقع الكلمات في هذه الآيات لا يمكن ان يكون إلا في لغة لا يزال الاعراب فيها حياً صحيحاً . يضاف الى ذلك شهادة القرآن نفسه ، مثل قوله : « وهذا لسان عربي مبين (٤) » . وصريح من هذا انه لم يقم عند محمد ( ص ) ومعهه فرق هام بين لغة القرآن وبين لغة العرب ، أي قبائل البدو .

٥ - لقد وصل القرآن إلينا معرباً بطريق التواتر ، ولا يكذب الخبر المتواتر الا كل احمق يجهل ابسط القواعد العلمية في التحقيق .

٦ - لقد وصل الحديث الشريف إلينا معرباً أيضاً . ونحن نعلم مقدار حرص رواته على نقله بضبط وأمانة .

٧ - أما ما قيل عن اختلاف القراء في اعراب بعض الآيات فسيبه ان القرآن نزل على سبعة احرف ، وأهم هذه الاحرف جميعاً هو اختلاف اللهجات .

٨ - اما الحديث الذي وردت فيه كلمة ( اللحن ) ، فليس فيه دليل على وجود اللحن لمهد الرسول ( ص ) ، لان هذه الكلمة لم يكن لها في ذلك المهد معنى الخروج على القواعد ، وكيف يكون ذلك ولم يكن

---

١ - سورة التوبة ٣

٢ - سورة البقرة ١٢٤

٣ - سورة النساء ٨

٤ - سورة النحل ١٠٣

النحاة قد وجدوا لا هم ولا قواعدم ؟ ان ( اللحن ) كما ورد في الحديث كان يقصد منه سوء النطق وعدم وضوحه .

٩ - ان ما ورد من الاحاديث التي فيها حض على اعراب القرآن ليس فيها دليل على شيء ، لان كلمة ( الاعراب ) التي وردت فيها لم تكن تعني تحريك اواخر الكلمات ، وكيف تعني ذلك ولم يكن الاعراب ولا النحو قد خلق بمد ؟ لقد عنى الرسول ( ص ) بكلمة ( الاعراب ) وضوح المنطق وظهور المخارج ، وخلق التلاوة من عيوب اللسان التي تذهب بالكثير من حلاوة القرآن .

١٠ - ومع ذلك فان كل هذه الاحاديث موضوعة ، واذن فلا يمكن اتخاذها شواهد على شيء .

١١ - اما ما قيل عن دقة القواعد الاعرابية وصعوبة تطبيقها في لغة الخطاب فليس بشيء ، لان دقة الاعراب ليست بمانمة احداً من المتخاطب بلغة معربة ، فهذه اللاتينية في المصور القديمة ، والالمانية في العصر الحاضر ، يشتمل كل منها على قواعد وإعراب ربما لا يقل في دقة وتنوعه عن إعراب العربية الفصحى . ومع ذلك لا تزال الالمانية لغة تتخاطب بين الالمان ، وظلت اللاتينية مدة طويلة لغة تتخاطب بين الرومان (١) .

١٢ - اما دعوى ان العاميات خالية من ظاهرة الاعراب ، واتخاذ

---

١ - حدثني صديق لي كان يدرس الهندسة في تشيكوسلوفاكيا أن حالات الاسم يبلغ في اللغة التشيكية في بعض الأحيان الثلاثين ، ومع ذلك لا يشعر القوم هناك بشيء من الصعوبة في التحدث بلغتهم على ما تقتضيه قواعدها .

ذلك دليلاً على خلو الفصحى القديمة منه ايضاً فردود ، لان اللهجات العربية الحديثة لم تنجرد كلها من آثار الاعراب ، فما تبرح هذه الآثار ظاهرة في اقوال البداءة في مواطن متفرقة من العالم العربي ، كأنها تجميد لبقايا يستحيل عليها الدم التام ، والاضمحلال المطلق ، أو كأن طبيعة هذه اللغة العربية تأبى عليها ان تفقد ظاهرة الاعراب الى الابد ، ويروي أحد الرحالة الانكليز ، في القرن التاسع عشر الميلادي ، انه سمع الحركات الاعرابية تلتزم في وسط الجزيرة على السنة الناس في المدن .

١٣ - اما الادعاء بان العامي يفهم الخبر الذي نقرؤه عليه مهما تممنا الخطأ في اعراب كلماته ، واتخاذ ذلك حجة على ان علامات الاعراب ليست دوال على معان نحوية ، فذلك مغالطة لا تحتمل ، لان الشخص المذكور عندما نفسد عليه اعراب الكلمات سيجد نفسه امام خليط من الالفاظ والتماير ليس عامياً كله فيفهمه فهم العامة ، ولا فصيحاً كله ، فيفهم منه بعضه على قدر استعداده ، وانما سيفهم الفكرة فهماً سقيماً مشوهاً ، فهو - على جهله التام بقواعد الاعراب - لا يستوعب جزئيات الفكرة ، ولا يلمح الترابط بين اجزائها إلا اذا قرئت عليه قراءة نحوية صحيحة ، ولذلك يسلك هذا الشخص في السمعين لا البصريين ، فهو يفهم الخبر الذي يتلوه المذيع وهو يستمع اليه اكثر مما يفهمه اذا قرأه بنفسه وهو ينظر في الصحيفة ، لان المذيع يراعي احكام الاعراب فيفصح ويبين ، اما قارئ الصحيفة فيفقد الروابط الحقيقية بين الفاظ يعرف بعضها عن طريق الالف والمادة ، ويجهل بعضها الآخر لانها لم تطرق سمعه ، فهذا القدر المحدود من الفهم - الذي يتفاوت بتفاوت الاشخاص والثقافات - ليس مصدره فقدان الحركات الاعرابية ، وإلا

لسكان يجب ان يكون فهماً تاماً من كل وجه ، وهو ما ينكره  
الواقع وبأباه .

★ ★ ★

انتهت حجج الفريق الثاني وردوده على الفريق الاول . وهي  
- كما ترى - حجج وردود كافية وافية شافية . ومع ذلك ، نحى ان  
نقول شيئاً في الموضوع :

١ - إن دعوى التعميد في القواعد العربية وصعوبة تطبيقها دعوى  
باطلة من جهتين : اولها ان بعض الالسن تبلغ من التعميد ما يجعل العربية  
تبدو بازائه لساناً في غاية البساطة والسهولة (١) ، وثانيها ان الفعل اللغوي  
فعل يأتيه الانسان بالسليقة والفريزة من غير ان يشعر بما يشتمل عليه من  
تعميد . شأنه في ذلك كشأنه في اكله وشربه ومشيه . التحليل وحده هو  
الذي يكشف عما في الافعال الانسانية من تعقيد عجيب ، أما الانسان  
نفسه فانه يقوم بهذه الافعال وكأنها امور في غاية البساطة والسهولة .  
حدثني احد اصدقائي - وهو من المختصين في علوم الرياضة - ان في خطوة  
واحدة يخطوها الانسان من التعميد الهائل ما يمجز علم الميكانيك عن وضع  
معادلة لها ، على الرغم من التقدم الكبير الذي احرزه هذا العلم اخيراً .  
فاذا صح هذا - وهو صحيح - فهل يمكننا ان نتخذة حجة لنقول :  
إن الناس لا يشون لصعوبة الشيء وتعذر تطبيق ميكانيكته ؟ .

٢ - إن الاخبار قد كثرت عن حوادث سوء التفاهم التي كانت  
تحدث بسبب خطأ احد المتخاطبين في قواعد الاعراب ، فمن ذلك ما ورد

---

١ - انظر الحاشية السابقة

في العقد الفريد (١) من انه و دخل على الوليد بن عبد الملك (٢) رجل  
من اشراف قريش ، فقال له الوليد : من خَتَنَكَ ؟ [ بفتح النون ]  
قال له : فلان اليهودي ، فقال : ما تقول ؟ ويحك ! قال : املك إنما تسأل  
عن خَتَنِي يا امير المؤمنين ؟ هو فلان ابن فلان (٣) .

فهذا الخبر وامثاله إن دلت على شيء ، فانما تدل على ان حركات  
الاعراب كانت هي المحددة للمعاني التي يقصد اليها التكلم . ولو لم تكن كذلك لما  
حدث سوء تفاهم عند التخليط فيما بينها .

٣ - ان الاخبار ~~كثرت~~ ايضاً عن ان العرب كانت تدرك ان  
الاختلاف في حركات الاعراب يؤدي الى اختلاف المعاني ، وان لم يكن هذا  
الادراك من نوع الادراك العلمي التحليلي .

قال ابن جنبي (٤) : « وسألت الشجري (٥) يوماً فقلت : يا ابا عبدالله،

---

١ - ج ٢ ص ٤٨٠ تحقيق احمد امين وزمبابه . القاهرة ١٣٧٥ ١٩٥٦ م .

٢ - وقد عرف الوليد باللعن .

٣ - ختن : فعل ماض ، ومعناه معروف . أما الختان ( بفتح الخاء ) فهو الصهر أو  
كل من كانت من قبل المرأة كالأب والابن . والجمع أختان ( عن القاموس  
المحيط ) . وظاهر من الخبر ان القرشي فهم من قول الوليد : ( من ختنك )  
الفعل ، أي فعل الختان ، على حين كان الوليد يقصد الصهر ، ولكنه لفساد لسانه  
فتصح حيث يجب ان يرفع فأفهم سامعه غير ما كان يقصد اليه .

٤ - الخصائص ج ١ ص ٢٥٠ . وورد الخبر نفسه في صفحة ٧٦ من الجزء نفسه ،  
ولكن في عبارة تختلف اختلافاً يسيراً .

٥ - هو ابو عبدالله محمد بن العساف العقبلي التميمي ، اعرابي وفد الموصل ، اخذ  
عنه ابن جنبي ، وكثيراً ما كان يتخذ منه مساعداً أو موضوعاً لتجارب لغوية  
كما ترى في الخبر أعلاه .

كيف تقول : ( ضربت أخاك ) ؟ فقال : كذاك . فقلت : أفقول :  
( ضربت أخوك ) ؟ فقال : لا أقول ( أخوك ) ابدأ . قلت : فكيف  
تقول : ( ضربني أخوك ) ؟ فقال : كذاك . فقلت : الست زعمت أنك  
لا تقول ( أخوك ) ابدأ ؟ فقال : أيش ذا ؟ ١٢ اختلفت جهتا الكلام .  
فهل هذا في معناه إلا كقولنا نحن : صار المفعول فاعلاً ، وإن لم يكن بهذا اللفظ  
البتة فإنه هو لا محالة ، انتهى كلام ابن جني .

فهل بعد هذا شك في ان حركات الاعراب كانت مورفبات تدل على  
مقولات نحوية ١٢

٤ - إن وجود الاقواء في القافية لأكبر دليل على أن العرب  
كانت تستعمل حركات الاعراب للدلالة على المعاني النحوية المختلفة ، فكانوا  
لحرصهم على المعنى الذي يريدون يثبتون الحركة الدالة عليه وإن خالفت  
حركة الروي لسائر أبيات القصيدة ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما ضحوا بالموسيقا  
التي تنتج من وحدة الحركة في كل الأبيات .

ولا بأس ههنا ايضاً من ايراد هذا الخبر الذي يدل على ان العرب  
كانوا حتى نهاية القرن الرابع يحرصون على حركات الاعراب ، ويلتزمونها  
للدلالة على ما تدل عليه ولو أدت الى الاقواء في الشعر وضياح موسيقاه :

قال ابن جني (١) :

وانشدنا ابو عبد الله الشجري يوماً لنفسه شعراً مرفوعاً (٢) ،  
وهو قوله :

١ - الخصائص . ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .

٢ - أي مضموم حركة الروي .

نظرت بسنجارٍ كمنظرة ذي هوى رأى وطناً فانهلّ بالماء غاليته  
لأونس<sup>(١)</sup> من أبناء سعد ظمائننا وزن الذي من نحوهن مناسبه

يقول فيها يصف البعير :

فقامت اليه خدلة الساق أعلقت به منه مسموماً دويبة حاجيه<sup>(٢)</sup>

قلت : يا أبا عبدالله ، أتقول ( دويبة حاجيه ) مع قولك ( مناسبه )  
( أشائيه ) ! فلم يفهم ما أردت ، فقال : فكيف أصنع ؟ أليس ههنا  
تضع الجرير على القرمة ، على الجرفه<sup>(٣)</sup> ! وأوماً الى أنفه ، قلت :  
صدقت ، غير أنك قلت ( أشائيه ) و ( غاليته ) ، فلم يفهم ، واعد اعتذاره  
الأول . فلما طال هذا قلت له : أحسن ان يقول الشاعر :

آذنتنا بينها أسماء ربّ ثورٍ يُمِلُّ منه الثّوّاءُ

- ومطلت الصوت ومكنته - ثم يقول مع ذلك :

ملك المنذر بن ماء السهائي ؟

فأحس حينئذ ، وقال : أهذا !! اين هذا من ذاك ! ان هذا  
طويل ، وذاك قصير .

١ - أونس : أبصر .

٢ - خدلة الساق : تمتتها ، وكأنه يريد بالمسموم الخظام تشده في أنفه . و ( دويبة )  
تصغير ( دون ) .

٣ - الجرير : سير من جلد يجعل على انف البعير ليذله . و ( القرمة ) - بفتح اقف  
وكسرها - من سمات الابل ، تكون فوق الانف ، وكذا الجربة ، إلا انها دون  
الانف . ولعل اماري لاحظ ان الاعرابي أبا عبدالله الشجري ظن ان ابن جنى  
معرض عليه لجعل الخظام ، أي الجرير ، على الانف تحت الحاجب ، ولم ينتبه ان  
ابن جنى يسترخ على الاقواء الذي جاء في ( دويبة حاجيه ) .

## المقولات النحوية

يراد بمصطلح المقولات النحوية المعاني التي يعبر عنها بواسطة المورفيات. فالنوع والمدد والشخص والزمن والحالة الفعلية والتبعية والغاية والآلة.. الخ، كلها مقولات نحوية في الألسن تسمى المورفيات الى التعبير عنها. وبستطيع كل منا أن يتصور ضخامة عددها ، وتنوع مذاهبها بالرجوع الى معارفه اللغوية . وكما يختلف عدد المورفيات تبعاً للألسن ، كذلك يختلف بطبيعة الحال عدد المقولات ، وكلما ضؤل نحو اللسان ، قلت المقولات فيه . ولكن بعض الألسن فيها عدد كبير منها (١) .

ان دراسة النحو العربي عن طريق المقولات النحوية ليس شيئاً جديداً ، فقد عرفه القدماء ومارسوه في كثير من ابواب النحو ، كالشرط والاستفهام وغيرها ، كما نجد في علم المعاني مقولات اخرى درست على هذه الطريقة ، كمقولة النفي والتوكيد وغيرها . غير ان بقية المقولات النحوية - وهي كثيرة - لم تحظ بهذا النوع من الدراسة ، وذلك إما لأنها لم تكن ، في رأي اللغويين القدماء ذات علاقة ( بمقتضى الحال ) الذي



كان محور الدراسة في علم المعاني ، وإما لأن مورفيمات - أو أدوات - كل مقولة ذات آثار اعرابية مختلفة ، أدى اختلافها في الاثر الاعرابي الى تفريقها على الابواب النحوية المختلفة ، وذلك هو شأن النفي وبيان السبب وغيرها .

وقد كان للباحثين المحدثين محاولات لدراسة النحو العربي كله على هذا المنهج الحديث في الدراسة ، ولكنها ظلت محاولات محدودة ، يمكن فقط ان تمد نماذج أو خطوات أولى في هذا الدرب الطويل (١) .

وسنقدم للقارئ دراستين لمقولتين نحويتين اثنتين فقط : اولاهما من فقه اللغة الوصفي ، وسننجز فيها المنهج الوصفي ، وسنتناول فيها مقولة خاصة باللسان العربي هي مقولة التوكيد . والغاية من هذه الدراسة اطلاع القارئ على هذا النمط من الدراسة اللغوية الذي يفضل اليوم . أما الثانية فهي من فقه اللغة العام وستجري على المنهج القارن ، وسنتناول فيها مقولة من اكثر المقولات النحوية شيوعاً في الالسن ، وهي مقولة الجنس . والغاية من هذه الدراسة اظهار ما بين المنطق العقلي والمنطق اللغوي من فروق جسيمة تجعل كل محاولة لتطبيق المنطق العقلي على الامور اللغوية محاولة عقيمة مصيرها الاخفاق الفاسد .

---

١ - من ذلك مثلاً رسالة جامعية للدؤاف تحت عنوان ( فصيحة الزمن في العربية ) الجامعة السورية ١٩٥٦ . ومنه أيضاً محاولة أوسع وأشمل قام بها الدكتور مهدي المنجزوي في كتابه ( في النحو العربي - نقد وتوجيه ) بيروت ١٩٦٤ .

## مقولات التوكيد في العربية

التوكيد : تثبيت الشيء في النفس ، وتقوية امره .

والفرض منه : إزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك ، وإمالة ما خالجه من شبهات (١) .

وقد اولمت العربية بهذه المقولة النحوية ولوعاً زائداً ، حتى لا تنكاد جملة من جملها تخلو من أداة من ادواتها ، أو صورة من صورها .

وللعربية في التوكيد طرائق مختلفة ، واساليب متعددة : فقد تؤكد الاسم وحده ، وقد تؤكد الفعل وحده ، وقد تؤكد مضمون الجملة كلها . ولها في كل ذلك سبل متنوعة : فقد تستعمل الاداة ، وقد تستعمل التكرار ، وقد تستعمل القسم ، وقد تستعمل غير ذلك .

وإليك تفصيل ما تقدم :

### ١ - التوكيد بالتكرار اللفظي :

ويكون بتكرار اللفظ الذي ظن المتكلم أن سامعه في غفلة عنه أو في شك من امره .

---

١ - مهدي المخزومي : في النحو العربي ص ٢٣٤ .

فان ظننتَ بِساممك الففلة عمن سافر قلت : سافر زيد زيد وكذا  
ان لاحظت في ساممك الشك فيمن سافر .

أما اذا ظننت بِساممك الففلة عما فعل زيد ، او الشك فيما فعله زيد ،  
قلت له : سافر سافر زيد .

أما اذا ظننت بِساممك الففلة عن كل ما قلته له ، كررت الجملة كلها ،  
فقلت له : سافر زيد سافر زيد .

#### ٢ - التوكيد بالتكرار المعنوي :

ويكون بأحد طريقتين : أولهما ان تكرر مفرداً من مفردات الجملة  
بلفظ آخر يؤدي معناه ، ويحصل ذلك باستعمال الكلمات الآتية : النفس ،  
والذات ، والمين ، وكلا ، وكلتا ، وكل ، وجميع ، وأجمع ، واكتع ،  
وأبصع ، تقول : جاء زيد نفسه ، ورأيت عمراً ذاته ، ومررت بخالد  
عينه ، وجاء الزيدان كلاهما ، ورأيت البنتين كلتيهما ، وسافر القوم  
كلشهم ، أو جميعهم ، أو اجمعهم ، أو أجمعون ، أو اكتبون ،  
أو أبصعون .

ومن هذا النوع ان تؤكد الضمير المستتر بضمير منفصل ، فتقول :  
أحفظ انت درسك ، او ان تؤكد الضمير المتصل بآخر منفصل ، فتقول :  
حفظت انت درسك .

وظاهر ان هذا النوع من التوكيد هو مثل التوكيد بالتكرار  
اللفظي ، ففي كليهما وجدنا اللفظ المؤكِّد ( بكسر الكاف ) يدل على  
ما دل عليه اللفظ المؤكِّد ( بفتح الكاف ) ، فالفاظ النفس والذات  
والمين رموز للذات المذكورة ، شخصاً كانت ام شيئاً ، اما أفاظ كلا  
وكلتا وكل وجميع واعمج واكتع وابصع ، فهي الفاظ تدل على شمول

الذات كلها ، ولا شك ان الشيء او الشخص يساوي مجموعه ، والامر واضح فيما يتعلق بالضائر . فكل من الضمير المنفصل المؤكّد ، وما يؤكده من ضمير مستتر او بارز متصل ، يدل على ذات واحدة .

الفرق إذن بين نوعي التكرار ان التكرار اللفظي هو اعادة ذكر المفرد بلفظه ، وان التكرار المعنوي هو اعادة المفرد بلفظ آخر دال عليه . وهناك فرق آخر : التكرار اللفظي يمكن تطبيقه في مجال الافعال والحروف والطروف ، فنقول : جاء جاء زيد ، وجلس زيد في البيت في البيت ، واجلس بين رفاقك بين رفاقك . الخ . ولا يمكن ذلك في التكرار المعنوي ، لان الفاظ هذا النوع اسماء تدل على ذوات فقط ، لا على افعال ، ولا على حروف .

الطريق الثاني من التوكيد بالتكرار المعنوي هو ما كان قائماً على تكرار مضمون الجملة الاولى بجملة اخرى ذات لفظ مختلف . ومن ذلك قوله تعالى : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » . ففي قوله تعالى : ( يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) تكرار المعنى المتحصل من قوله تعالى : ( يدعون الى الخير ) .

ويشترط في هذا النوع من التوكيد ان يفصل بين الجملة المؤكّدة ، والجملة المؤكّدة بالواو كما جاء في الآية اعلاه ، وإلا كانت الجملة الثانية في موقع التفسير للجملة الاولى ، او موقع البديلة ، او البيان .

وعلى كل فان هذا النوع من التوكيد لا يدخل في الدراسة النحوية ، لعدم وجود علاقة له بنظم الجملة وتركيبها ، ذلك النظم الذي هو الموضوع الوحيد للنحو . وانما يدخل في علم الاساليب ( الستلستيك ) .

وقد فطن الى ذلك علماءنا القدماء فجملوه في علم المعاني لا في علم النحو ،  
وافاضوا فيه هناك افاضة زائدة .

### ٣ - التوكيد بالفصل :

ويقوم على الفصل بين المبتدأ وخبره بضمير يدعى ضمير الفصل ، نحو :  
زيد هو المسافر ، والتوكيد ههنا - كما هو ظاهر ... للمبتدأ فقط .

ويمكن ضم هذا النوع من التوكيد الى النوع السابق ، وهو التوكيد  
بالتكرار المعنوي ، اذ واضح ان ضمير الفصل يعود على المبتدأ وهو  
هو نفسه .

### ٤ - التوكيد بالتقديم :

ويقوم على تقديم ما حقه التأخير لزيادة تمييزه في نفس السامع ،  
وإثارة الانتباه إليه . وينبغي هذا النوع من التوكيد على قضية نفسانية توجد  
عند كل الشعوب ، فلا شيء يثير الاهتمام والانتباه مثل مخالفة المؤلف وما  
جرت عليه العادة .

ومن امثلة ذلك ان تقدم المفعول على الفعل والفاعل ، فتقول : زيدا  
ضربت ، أو ان تقدم الظرف على متعلقه ، فتقول : في الغرفة اجلس .

هذا ويحسن التنبيه الى ما ورد في صدر هذه الفقرة من ان التقديم  
الذي يراد منه التوكيد هو تقديم ما حقه التأخير في نظام الجملة العربية ،  
فأما اذا قدم ما حقه ان تكون له الصدارة ، لم يكن في ذلك شيء من  
توكيد ، وذلك كتقديم أدوات الشرط والاستفهام التي لها دائماً الصدارة  
في الكلام ، مثل : من جاء ؟ واين أخوك ؟ وأيستم مسافر ؟ وماذا  
قرأت ؟ ومهما قرأ تستفد ، واينا تجلس تترشح .. الخ ، وكتقديم الخبر

الظرف على مبتدئه النكرة ، نحو : في الحديقة ازهار جميلة ، وكتقديمك المبتدأ ،  
نحو : زيد عالم ، والفعل ، نحو : جاء زيد .

فكل ما تقدم في هذه الأمثلة إما انه واجب التقديم كأدوات  
الشرط والاستفهام ، وإما ان حقه التقديم كما تنص على ذلك قواعد نظم  
الجملة العربية ، واذن فليس في كل ذلك توكيد ، لأنه جاء على مألوف  
المادة فلم يثر لدى السامع انتباهاً .

#### ٥ - التوكيد بالتعريف :

ويقوم على تعريف ما حقه أن يكون نكرة . ويجري ذلك في  
الخبر ، فنقول : زيد العالم . وأصل الكلام ( زيد عالم ) إلا انك أردت  
التوكيد ، وبيان ان زيداً هو العالم وحده دون غيره ، فعرفت الخبر  
لتصل الى ما تريد .

ويكثر في هذا الموطن حشر ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر  
لزيادة التوكيد من جهة ، ولدفع التباس الاخبار بالوصف ، فنقول :  
زيد هو العالم .

ويمكن رد هذا النوع من التوكيد الى النوع الذي سبقه ، أي  
التوكيد بالتقديم ، وذلك اذا اعتبرنا ( العالم ) هو المبتدأ المؤخر ، و ( زيد )  
هو الخبر المتقدم . والمعنى واحد في كلا وجهي الاعراب الجائزين .

#### ٦ - التوكيد بالمصدر :

وهو ما يسمى بالمصدر المؤكد لفعله ( نوع من أنواع المفعول المطلق ) ،  
نحو : مزقت الكتاب تمزيقاً .

ويكثر في أمثال هذه الجملة ان يوصف المصدر المؤكد بوصف

دال على الشدة ، نحو : مزقت الكتاب تمزيقاً شديداً ، أو قويساً ، أو  
عنيفاً . . الخ .

ويمكن رد هذا النوع من التوكيد الى نوع التوكيد بالتكرار اللفظي ،  
على اعتبار ان لفظ المصدر المؤكّد هو من لفظ الفعل المؤكّد إلا ان  
صيغة الأول اسمية ، وصيغة الثاني فعلية .

#### ٧ - التوكيد بالتضيف :

ويقوم على تشديد حرف من حروف الكلمة او على تكراره . ومنه  
( كسّر ) و ( احمرّ ) و ( احمارّ ) و ( اعشوشب ) و ( ادلمم )  
و ( علام ) و ( سكيّر ) . . . الخ . وهذا ما يسمى في الصرف بالمبالغة .  
ولست بالمبالغة إلا نوعاً من التوكيد وتقوية المعنى .

ويمكن ان يزد هذا النوع الى نوع التوكيد بتكرار اللفظ ، ولكنه  
ليس تكراراً للفظ كله ، بل هو تكرار لحرف واحد من حروفه .

#### ٨ - التوكيد بالنفي :

ويقوم على ان تنزع من حكمك كل ما تخشى على السامع ان يشركه  
فيه ، فمن ذلك العطف بالنفي في قولك : اقرأ الكتاب لا الجريدة .  
فأنت حين خفت ان يشرك السامع الجريدة في حكم القراءة نزعتها من  
هذا الحكم بوساطة النفي . وحصرت حكم القراءة في الكتاب وحده .  
فهذا إذن حصر ، وليس الحصر في واقعه إلا نوعاً من انواع التوكيد .

ويمكن أن نعد من هذا النوع كل الجمل الاعتراضية التي تأتي  
لتقوية الكلام ، نحو : أنت - وليس غيرك - من يعرف الواجب .

هذا ويمكن رد هذا النوع من التوكيد إلى نوع التوكيد بالتكرار  
المعنوي . إذ هو تكرار للشيء نفسه عن طريق الصلابة لا الايجاب .

## ٩ - التوكيد بالقسم :

وهذا لا يكون إلا بجملته تدعى جملة القسم . وتدعى الجملة التي تليها والتي هي موضوع التوكيد بجملته جواب القسم .

وجملة القسم على نوعين : فعلية ، واسمية .

والفعلية على اشكال : فاما ان يكتفي بفعل القسم وحده مع فاعله ، مثل قول النابغة :

حلقت فلم اترك لنفسك ربيبةً      وليس وراء الله للمرء مذهب  
لئن كنت قد بليت عني وشايةً      لمبلغك الواشي أغش واكذب

وإما ان يلحق بالجملة القسم به مجروراً بالباء ، مثل : أقسم بالله لأحفظن المهـد .

وقد يكتفي بالقسم مجروراً بأحد الحروف الثلاثة : الباء ، والواو والتاء ، مثل : بالله لاسافرن - والله لاسافرن - بالله لاسافرن . فأما الباء فيحذف معها فعل القسم جوازاً ، وأما الواو والتاء فيحذف فعل القسم معها واجب ، اذ لم يسمع عن العرب انهم قالوا : أقسم والله ، أو أقسم بالله .

واما جملة القسم الاسمية فعلى ضربين : إما أن يذكر المبتدأ فيجب حينئذ حذف الخبر ، واما ان يذكر الخبر فيجب عندئذ حذف المبتدأ . فمن الضرب الأول قول طرفة :

لعمرك إن الموت - ما أخطأ الفقى - لكالطولِ الرخى وثنياء في اليد

ومن الضرب الثاني قولك : في ذمتي لأكافئك .

فتقدير الأول ( عمرك قسمي ) ، وتقدير الثاني ( عهد في ذمتي ) .



هذا ، وجلة جواب القسم تلحقها بمض ادوات التوكيد في حالات خاصة مما سيأتي ذكره بمد قليل .

## ١٠ - التوكيد بالأداة :

وادوات التوكيد في العربية كثيرة ، منها ما يباشر الاسم ، ومنها ما يباشر الفعل ، ومنها ما لا يختص بأحدهما .

(إنّ) : حرف يستعمل للتوكيد ، يختص بالجمل الاسمية ، فلا يرى في الفعلية اطلاقاً . واذا دخل على الجملة الاسمية انتصب المبتدأ ، وبقي الخبر مرفوعاً . مثل : إن زيداً شاعر .

لا يباشر هذا الحرف إلا المبتدأ ، فنقول : إن زيداً شاعرٌ ، ولا يجوز ان تقول : إن شاعرٌ زيداً ، إلا اذا وقع الخبر ظرفاً ، فمندثذ يجوز تقدمه على المبتدأ ، فنقول : إن في الدار زيداً<sup>(١)</sup> .

لهذا الحرف الصدارة في جملته . ووظيفته تثبيت الشيء حين يكون المخاطب طالباً لذلك . كما يخفف في بعض الاحيان فنقول : إن زيداً لشاعرٌ .

(أنّ) : وهم القدماء فمدوها حرف توكيد وهي ليست كذلك . انما هي حرف وصل مثل (أنّ) الداخلة على المضارع والماضي ، والتفسيرية الداخلة على الأمر . فكل هذه في الواقع حرف وصل واحد يشدد ان دخل على الجملة الاسمية ، ويخفف ان دخل على الجمل الفعلية ، تقول :

١ - نقول هذا بقتضى المنهج الوصفي الذي اصطنعناه في هذه الدراسة . لكن لفتحة رأياً آخر . فهم يعلقون الظرف بخبر محذوف ، هو كون عام يقع في الرتبة بعد الاسم ، والتقدير عندهم : ان في الدار زيداً كائن . وهو تكلف ظاهر كما ترى ، ساقمهم إليه . حرصهم على طرد القاعدة القائلة : إن الخبر لا يتقدم المبتدأ في باب (إن) .

علمت أنك مسافر  
أريد أن تذهب معي  
سافر زيد بعد أن غربت الشمس  
كتبتُ إلى أبي أن أرسل لي مالا (١)

ففي كل عبارة جملتان : اولاهما ابتدائية ، والأخرى معمولة ربطت  
بالابتدائية باداء الوصل ( أن ° ) أو ( أن ° ) .

( ل ) : حرف للتوكيد . وله مواقع كثيرة : فيدخل على المبتدأ ،  
نحو : لانتم أشد قوة ، وبياتر المضارع المؤكد بالنون في جملة جواب  
القسم ، نحو قولك : والله لا كافئنك ، وقد يأتي في جواب قسم مقدر ،  
مثل :

لاستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

وقد يأتي مع قد لتوكيد الماضي كقوله : تالله لقد آثرك الله علينا . وقد  
يقع في جواب ( لو ) و ( لولا ) ، مثل : لو جئتني لأكرمتك ، ولولا  
المطر لهلك الزرع . وان دخلت على جملة اسمية مؤكدة ب ( إن ) تأخرت  
عنها ولحقت الطرف الثاني من الجملة ، فان كانت ( إن ) في المبتدأ كانت  
اللام في الخبر ، والعكس بالعكس ، مثل : إن الله لرفور رحيم ، وإن  
علينا لاهدي ، وان لنا الآخرة والاولى .

ولهذه اللام في كتب النحو أسماء كثيرة : فهي لام الابتداء إن

---

١ - انظر كتابنا : المنهاج في الفواعل والاعراب ( حرف أن ) ، وكتاب مهدي  
المخزومي : في النحو العربي . ص ٣١٧

دخلت على المتبدأ ، وهي المرحلة إن كانت مع (إن) المشددة ، وهي الفارقة ان كانت مع (إن) المخففة ، وهي الواقعة في جواب القسم ، وهي الواقعة في جواب ( لو ) و ( لولا ) وهي الموطئة للقسم مع ( إن ) الشرطية .

( قد ) : حرف توكيد يكثر دخوله على الماضي ، مثل :

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيلاً

ويقل دخوله على المضارع لافادة التوكيد ، مثل : قد يعلم الله السرائر .

( هل ) : حرف توكيد بمعنى ( قد ) . يدخل على الماضي لتوكيده ،

نحو قوله تعالى : هل أتى على الانسان حين من الدهر ، ونحو قول زهير :

ألا ابلغ الأحلاف عني رسالة وذيان هل أقسمت كلُّ مُقسم

( ن ) التوكيد : وهي على ضريين : مشددة ومخففة ، فان اردت

التوكيد الأقوى شددتها ، وان اردت غير ذلك خففها .

هذه النون مختصة بالأفعال : فاما دخولها على الامر فجاز ، مثل :

أكتبن درسك . واما دخولها على الماضي فشاذ ، مثل : داس فضلك ،

واما دخولها على المضارع فله ثلاثة احكام : الوجوب والجواز والامتناع .

فأما الوجوب فيكون اذا وقع المضارع جواباً لقسم متصل بلامه

مبتأ مستقبلاً مثل : والله لاحافظن على العهد . واما الامتناع فيكون اذا

وقع المضارع جواباً لقسم واختل شرط من الشروط الثلاثة الباقية ،

وهي الاتصال باللام ، والثبوت ، والاستقبال ، فنقول : والله اسوف أكافئك ،

ووالله لن تجد عندي ما يسؤوك ، ووالله لاسافر الآن . ففي كل هذه الامثلة

لا يجوز دخول نون التوكيد على المضارع . واما الجواز فيكون اذا سبق

المضارع باداء من أدوات الطلب ، مثل لام الامر ، و ( لا ) الناهية ،  
و ( ألا ) و ( هلا ) و ( هل ) ، وما شابهها ، أو اذا سبق بـ ( إن )  
الشرطية التي ادغمت بها ( ما ) الزائدة ، نحو قوله : فاما ترين من البشر  
أحداً فقولي ...

( ل ) الجحود : هي حرف لتوكيد النفي الواقع على كان في حال  
مجيء الخبر فعلاً مضارعاً ، مثل ما كنت لاخون المهدي . وهذا هو سبب  
تسميتها بلام الجحود ، لان الجحود هو النفي نفسه .

( إنما ) : حرف لتوكيد مؤلف من ( إن ) و ( ما )  
الزائدة .

يدخل هذا الحرف على الجمل الفعلية والاسمية على حد سواء ،  
نحو : إنما المؤمنون اخوة ، وانما حرّم عليكم الميتة .

( ما + إلا ) : حرفان يستعملان في فوع من التوكيد يسمى القصر .  
مثل ما زبد إلا شاعر . ويجوز أن يحل محل ( ما ) أي اداة من ادوات النفي  
الآخري ، مثل : إن هذا الا ملك كريم ، وليس الطيب إلا المسك ، وان  
اكتب إلا درسي ، وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان .

( ب ) : هو حرف يزداد في سياق النفي لتوكيده وتقويته . ويكثر  
دخوله على الخبر المنفي ، كقوله : لست عليهم بمسيطر . ويقال فيما سوى ذلك ،  
كدخوله على الحال المنفية ، نحو قول الشاعر :

فما رجعت بخائبة ركاب      حكيم بن المسيّب منهاها

ويمكن ان نلاحظ هنا ان ( خائبة ) شبيه بالخبر ، لان فعل ( رجعت )  
فيه شيء من رائحة الفعل الناقص .

هذا وتزاد الباء بعد اذا الفجائية ، نحو : خرجت فاذا يزيد ،  
وبعد ( كيف ) نحو : كيف بك اذا كان كذا وكذا .

( من ) : حرف يزداد للتوكيد في سياقين : سياق النفي ، وسياق  
الاستفهام . ويكون دخوله على المبتدأ أو الفاعل أو المفعول ، مثل :  
ما جاء من أحد ، وهل جاء من احد ؟ وما رأيت من أحد ، وهل  
رأيت من أحد ؟ وما من أحد عندنا ، وهل من احد عندكم ؟

( إن ) : حرف يزداد للتوكيد . واكثر ما يأتي بعد ( ما )  
النافية ، سواء أوليتها جملة فعلية ، كقوله :

ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطي إليّ يدي

أم جملة اسمية ، كقوله :

فما إن طبنا جبين ولكن مناينا ودولة آخرينا

وتقل زيادتها بعد ( ما ) المصدرية ، كقوله :

ورجّ الفتى للخير ما إن رأته على السن خيراً لا يزال يزيد

( أمّا ) : حرف شرط وتفصيل وتوكيد ، نحو : أما زيد  
فشاعر ، ولم يشر الى معنى التوكيد فيها من القدماء سوى اثنين هما ابن  
جني وابن هشام .

★ ★ ★

هذا ملخص سريع للمورفيات الكثيرة التي تستخدمها العربية للتعبير عن مقولة واحدة ، هي مقولة التوكيد . ولم نشأ التفصيل لان مكانه ليس هذا الكتاب . انما أردنا من هذه الدراسة ان تكون مثلاً فقط لنوع من الدراسة النحوية يعمد اللغويون المحدثون هو الامثل .

ولابد أنه قد وضع لك مما تقدم اننا لم نأت بشيء جديد لم يسبقنا النجاحا القديما اليه . بل كررنا ماقلوه ، ولكن في شكل آخر . نحن نظرنا الى المعنى فحشرنا كل مورفيات التوكيد في باب واحد قصرناه على مقولة التوكيد ، وم نظرنا الى الاثر الاعرابي ففرقوا هذه المورفيات على الابواب المختلفة : فلام الجحود في نواصب المضارع . والتوكيد اللفظي والمعنوي في التوابع ، ونون التوكيد في بناء المضارع ... وهكذا<sup>(١)</sup> .

---

١ - للتوسم في الادوات راجع كتاب المعنى لابن هشام ، اما فيما يتعلق بالتوكيد بالقصر والتقدم فراجع كتب علوم البلاغة ( علم المعاني ) .  
وقارن هذا الفصل بما جاء في كتاب مهدي المخزومي : في النحو العربي ص ٢٣٤ - ٢٤٥ .

## مقولة الجنس

تمد مقولة الجنس من اكثر المقولات النحوية شيوعاً في اللسان السامية والهندية الاوروبية . وهي في هذه اللسان قديمة جداً بحيث يعسر على الباحثين تعيين الزمن الذي نشأت فيه . وفي أقدم ما وصل اليها من نصوص نجد مقولة الجنس تفرض نفسها بدرجة من الصرامة تجعل العقل لا يكاد يستحضر اسماً - حتى يبدو الاسم أمامه مزوداً بجنسه الذي يميزه بجلاء . بل كثيراً ما تكون علامة الجنس هي المميز الوحيد الذي يملكه هذا الاسم ، بحيث اذا سقطت هذه العلامة فقد الاسم معناه تماماً ، أو تحول الى معنى آخر ، انظر الى الكلمات الآتية :

( داهية - مصيبة - فazole - نائبة ... ) تجدها كلها تحمل علامة التأنيث ، وتجدها كلها بمعنى البلاء . حاول الآن ان تنزع علامة التأنيث من كل منها ، وستجد انها فقدت معناها وتحولت الى معنى آخر : فالداهي هو الرجل المتصف بالدهاء ، والمصيب هو ضد الخطيء ، والنازل ضد الصاعد ، والنائب كل من ينوب عن غيره في امر من الامور . هذه الظاهرة ليست قاصرة على العربية الفصحى ، بل هي موجودة في كثير من اللسان ، فبالجنس وحده نميز في العامية بين ( الفرد ) بمعنى الواحد او السدس ، وبين ( الفردة ) بمعنى الكيس الضخم الممتلئ بالبضاعة ، وبالجنس وحده ايضاً نستطيع ان نميز في

الفرنسية بين ( le poids ) بمعنى الوزن ، وبين ( la poix ) بمعنى القار ، وبين ( le père ) بمعنى الاب ، و ( la paire ) بمعنى الزوج والشفع ، وبين ( le livre ) الكتاب ، و ( la livre ) بمعنى الواحدة القياسية في الوزن او الورقة النقدية ، وبين ( le poêle ) بمعنى بساط الرحمة ، و ( la poêle ) بمعنى الموقد او المقلاة .

وهكذا ترى ان علامة الجنس لا تكفي بأن تفرض نفسها بشكل صارم على جميع كلمات اللسان ، بل تكون في بعض الاحيان الوسيلة الوحيدة لتحديد معنى الكلمة وتمييزها عن غيرها من الكلمات التي تشترك معها في اللفظ . وليس هذا غريب ، فان سيطرة مقولة الجنس على الاسن التي توجد فيها تبدو بشكل آخر عندما نسمع احد الاجانب يخلط بين المذكر والمؤنث . هنالك نشعر ان غلط الاجنبي في الجنس اشنع الاغلاط التي يمكن ان يرتكبها ، ونحس من ذلك بنفور مابمده نفور ، بل ان التفاهم بيننا وبينه قد يصل الى درجة الانقطاع اذا ماتكررت اخطاؤه في موضوع الجنس النحوي .

ومع كل هذا تبدو مقولة الجنس ابعد المقولات النحوية عن المنطق العقلي ، فقد افهم ان تكون ( الاثنان ) مؤنثة ، وان يكون ( الحمار ) مذكراً ، ولكني لا استطيع ان افهم لمَ كانت ( الشمس ) مؤنثة ، وكان القمر مذكراً ؟ اذ لاشيء يميز احد هذين الجرمين السماويين عن صاحبه . ويزداد عجبك من أمر هذه المقولة النحوية عندما ترى شيئاً واحداً ينسب الى جنسين مختلفين في لسانين اثنين : فنحن في العربية نسمد كلاً من ( الباب ) و ( القمر ) مذكرين ، في حين تنظر الفرنسية اليها على انها مؤنثان : ( la porte , la lune ) . و ( الشمس ) في العربية مؤنثة ،



ولكنها في الفرنسية مذكرة : ( le soleil ) . ولو امسكت بمجم فرنسي عربي ، او فرنسي الماني ، او الماني عربي ، ثم رحت تتبع هذا التناقض في مقولة الجنس بين هذه الالسن لما انقضى عجبك .

واغرب من كل هذا وذاك ان يطلق لسان واحد على شيء واحد اسمين مختلفين في الجنس ، فهل نستطيع ان نفسر لم كان ( الشباك ) مذكراً (و النافذة ) مؤنثة ، مع ان الاثنين لايعنيان الا شيئاً واحداً ؟

يضاف الى هذا ان الجنس غير ثابت في اللغة . وقد لاحظ اللغويون الفرييون ان تغيرات الجنس خلال العصور كانت عديدة في تاريخ الالسن الرومانية والجرمانية والكلتية . ونحن في العربية نستطيع ان نجد كلمات كثيرة خضعت لظاهرة تغيير الجنس ، ( فالحرب ) تمد في العامية مذكرة بعد ان كانت في الفصحى مؤنثة ، على الرغم من كثرة ورود هذه الكلمة في الصحف والنشرات الاخبارية الاداعية موصوفة دائماً بصفات مؤنثة . و ( الحمام )<sup>(١)</sup> اصبحت مؤنثة في العامية رغم ان الكلمة لاتحمل اي علامة تأنيث .

حاول اللغويون ان يفسروا ظاهرة تغير الجنس بأن الكلمة التي تحمل علامة جنسية مخالفة لجنسها ينهي الامر بها الى ان تسلك في الجنس الذي تحمل علامته . بهذا فسروا لماذا تستعمل العامية الفرنسية كلمات : exercice ( تمرين ) و orage ( عاصفة ) ouvrage ( عمل ) ... الخ على انها مؤنثات مع ان الفرنسية الصحيحة تعدها في المذكرات<sup>(٢)</sup>.

- 
- ١ - عندما نطلق كلمة ( العامية ) بغير تخصيص نكون نفي بها عامية حاب .
  - ٢ - علامة التأنيث في الفرنسية هي حرف ( e ) في نهاية الكلمة .

وبه فسروا ايضاً سبب استعمال الكلمتين profète ( ني ) و pape ( بابا ) مؤنثين في العصور الوسطى ، على الرغم من دلالتها الواضحة على اشخاص ذكور . لكن هذا التفسير لا يشمل جميع الحالات . نعم نستطيع ان نفسر به سبب تذبذب الكلمات العربية ( سيلم - سوق - طريق ) بين الجنسين<sup>(١)</sup> ، ثم صيرورتها الى التذكير واستقرارها عليه في العامية ، كما نستطيع ان نفسر به سبب انتقال كثير من الكلمات من التأنيث الى التذكير في العامية ، مثل : قوس ، دلو ، بئر ، ضلع ... الخ فكل هذه الكلمات تحمل علامة التذكير التي هي الصفر في العربية<sup>(٢)</sup> ، ولعلنا نستطيع ان نفسر به لم تنتقل كلمة ( ماء ) من التذكير في الفصحى الى التأنيث العامية ، فلعل النهاية التأنيثية ( اء ) هي التي جرتها الى ذلك ، ولكننا لانستطيع ان نفسر لم تنتقل كلمة ( حمام ) من التذكير الى التأنيث في لهجة حلب على الرغم من عدم وجود اي مورفيم تأنيثي في الكلمة .

من مظاهر التناقض بين مقولة الجنس النحوي وبين منطلق العقل والواقع ، أننا نطلق كلمات مؤنثة نحويًا على أشخاص ذكور ، واننا نطلق كلمات مذكرة نحويًا على اشخاص اناث ، فكلمات ( رحالة - علامة - فهامة ) لا تقصد منها الا رجالاً ، كما ان كلمات ( ظئر - مرضع - حامل - حائض - طالق ) لانني بها الا نساء . قد تقول : ولكن التأنيث الذي لحق الطائفة الاولى من الكلمات كان القصد منه المبالغة لا التأنيث الحقيقي ، وان التذكير اللفظي الذي في كلمات الطائفة الثانية سببه

- 
- ١ - التذبذب بين الجنسين ، اي جواز التذكير والتأنيث في كلمة ما ، مرحلة متوسطة في انتقال الكلمة من جنس الى جنس آخر .  
٢ - انظر معنى المورفيم الصفري في فصل المورفيمات .

عدم الحاجة الى تأنيث كلمات لا يمكن ان يفهم منها الا النساء بالضرورة ،  
اذ لا يمكن للرجل ان يحبض او ان يحب ويحمل . هذا صحيح ،  
ولكنه لا ينقض مما قلناه شيئاً ، فنحن لم ندع بان اللغة تحول النساء  
الى رجال ، والرجال الى نساء كما يفعل بعض الجراحين اليوم ، وانما  
قلنا ان اللغة تطلق على ذكور حقيقيين اسماءً هي مؤنثة في مقاييسها  
اللغوية ، وانها تطلق على اناث حقيقيات كلمات هي مذكرة في عرفها  
النحوي . أما لماذا تفعل ذلك مخالفة للواقع فهذا ليس من شأننا . ثم  
ان الادعاء بأن تذكير ( الموضع والحائض ) كان لعدم الاشتراك  
بين ارجال والنساء في هذه الصفات ، وبالتالي لعدم الحاجة الى التفريق ،  
غير مقبول ، اذ هناك صفات كثيرة مما يشترك فيه الرجال والنساء ،  
ومع ذلك لا تحاول اللغة ان تفرق بينها في التأنيث والتذكير ، من ذلك  
مانرفة في العربية من ان كل ماجاء على ( فمول ) بمعنى فاعل ، او على  
( فمیل ) بمعنى ( مفعول ) استوى فيه المذكر والمؤنث ، مثل : ( عجزوز  
- غفور - قتول - ذمول - طموح - قتيل - جريح - ... الخ ) ،  
واذا قلت ان التاء المربوطة في ( رحالة وعلامة وفهامة ) للمبالغة للتأنيث ،  
فماذا تقول في الالف المدودة في كلمة ( حرباء ) التي تعامل معاملة  
المذكر ؟

الجنس النحوي عاجز في بعض الاحيان عن التعبير عن الجنس  
الطبيعي فاذا طلبت من النحو ان يؤنث لي كلمة ( طيار ) لأطلقها على  
المرأة التي تقود الطائرات لم يستطع ذلك ، لان كلمة ( طيارة ) التي  
هي المؤنث النحوي لكلمة ( طيار ) لاتعني المرأة التي تعمل في الطيران ،  
بل تعني الآلة التي تطير ، وكذا الشأن في السن أخرى غير العربية ،  
فكلمة ( médecin ) المذكورة تعني الطبيب ، لكن مؤنثها النحوي

( médecine ) لا يعني المرأة التي تراول الطب ، بل يعني فن الطب نفسه ، اي الطبابة .

قد تقول : ولكن عجز النحو هنا عن ان يعبر بمؤنثاته عن مؤنثات حقيقية طبيعية سببه ان هذه المؤنثات موجودة في اللغة لمانٍ اخرى .

وهذا حق . ولكن ماذا تقول في مذكرات ليست لها مؤنثات تطلق على معانٍ اخرى ومع ذلك لانستطيع تأنيثها للدلالة على المؤنث الطبيعي ؟ هل نستطيع في العربية ان نؤنث كلمات ( صقر - نسر - غراب ... ) فنقول ( صقرة - نسرة - غرابة ) ؟ لا . وكذا الامر في الفرنسية ، فأنت لاتستطيع ان تؤنث كلمة ( professeur ) = استاذ فتقول : ( professeuse ) = ( استاذة ) .

في مثل هذه الحالة تلجأ الالهة الى حيلة بارعة للتعبير عن المؤنث الطبيعي ، فتقول العربية : ( انثى الصقر - انثى النسر - انثى الغراب ) جاعلة من كلمة ( انثى ) مورفياً جديداً للتمير عن مقولة الجنس المؤنث ، وتقول الفرنسية : ( la femme professeur - la femme médecin ) = ( المرأة الاستاذ - المرأة الطبيب ) جاعلة ايضاً من كلمة ( femme ) مورفياً جديداً للتعبير عن المؤنث ، وهذا هو عينه ماتفعله الانكليزية ، لكنها لاتستعمل كلمة ( المرأة ) او ( الانثى ) كما تفعل العربية والفرنسية ، بل تستعمل للتفريق بين الجنسين ضميري المذكر والمؤنث ، فتقول للتعبير عن ( الجدي ) الذي هو الذكر من العنز : he - goat اي ( هو عنز ) ، وللتعبير عن العزة التي هي المؤنث من العنز : she - goat اي ( هي عنز ) . وهذا يذكرنا بما فعله في العربية عندما يعجز التذكير النحوي

عن التعبير عن الذكر الطبيعي في مثل : ( اوزة - بطة - حدأة ... الخ )  
فنقول : ( ذكر البط - ذكر الاوز - ذكر الحدأ ... الخ ) .

ليس الذكر والمؤنث الطرفين الوحيدين في مقولة الجنس ، ففي  
بعض الالسن طرف ثالث يسمى المحايد ، له معاملة خاصة تختلف عن  
معاملة كل من قسيميه الآخرين . وقد يظن القارئ ان المحايد في تلك  
الالسن مخصوص بما هو جامد ، او انه وضع ليحشر فيه كل اسم  
لا يدل على مذكر حقيقي أو مؤنث حقيقي . وليس الامر كذلك ، اذ تجد في قسم المحايد  
اسماء تدل على جوامد ، مثل ( معبد وبحر وجسم وقرن ) في اللاتينية ،  
كما تجد فيه ايضاً اسماء تدل على احياء ، مثل ( طفل ) في الاغريقية .  
ومن جهة ثانية ، تجد الجوامد نفسها قد وزعت اسمائها على الاقسام  
الثلاثة : الذكر والمؤنث والمحايد . على ان حصة المحايد من هذه الاسماء  
اقل من حصة كل من قسيميه الذكر والمؤنث . ويظهر ان هذا يشير  
الى كونه من فصيلة في سبيل الانقراض . وليس لها في هيكل النظام  
استقلال تام ، ويلمس في مقابلة الجنسين الآخرين دوراً تكميلياً من حيث  
انه يعبر عن بعض المعاني المستقلة في التقابل بين الذكر والمؤنث ، فهو  
مثلاً يدل في غالب الامر على اشياء تعتبر غير فاعلة ولا قابلة لان تزود  
بقدره شخصية . ويظهر انه في بعض الاحيان يعبر عن معنى جمعي<sup>(١)</sup> .

حاول بعض اللغويين البحث عن اصل الجنس النحوي في الهندية  
الاوروبية ، لكن محاولتهم لم تصل الى نتيجة مرضية ، ذلك بأن  
المسألة تتعدى نطاق النحو الهندي الاوروبي ؛ إذ انها مسألة من مسائل علم

١ - فندريس : اللغة ص ١٢٩ . أقول : ومن الممكن ان نعد الكلمات العربية ( نذل  
- بط - ذباب ... الخ ) من المحايد المعبر عن المعنى الجمعي .

اللغة العام ، وتتطلب البحث في مجموعات اخرى من اللغات . ومن علماء  
الانثروبولوجيا من زعم ، مثل فريزر ، بأنه حل المسألة بتصوره ان  
الخلاف بين الجنسين يتصل بلغة النساء الخاصة ؛ فمند هؤلاء العلماء  
ان الاسم كان على صيغتين : صيغة تتكلمها المرأة [ صارت فيما بعد  
الصيغة المؤنثة ] ، وصيغة يتكلمها الرجل [ صارت فيما بعد الصيغة  
المذكورة ] . وهذا تبسيط ماذج للمسألة : فالاجناس لا تنحصر في المقابلة  
بين المذكر والمؤنث فحسب ، اذ ان الهندية الاوروبية فيها جنس ثالث ،  
هو المحايد ، (١) .

بعض الاسن لا يقسم اسماءه بين مذكر ومؤنث ، بل يقسمها الى  
جنس حي ، وجنس غير حي . من هذا النوع بعض السن افريقية  
وامريكة . وهنا ايضاً يجب ان لا تنوم ان الاحياء الحقيقية وحدها  
هي التي تكون اسمائها في الجنس الحي ، فالواقع اللغوي يرينا  
ان هذه الاسن تدخل في الجنس الحي اسماء تدل على احياء واخرى  
تدل على جمادات ، فلفة الألوونكين تضع بين الاشياء المدلول عليها  
بالجنس الحي : الاشجار والاحجار والشمس والقمر والنجوم والرعـد  
والثلج والجليد والقمح والخبز والطباق والزحافة والولاعة ... الخ .

والظاهر ان التمييز بين ماهو حي وغير حي موجود في السن  
كثيرة ، فالعلماء يذكرون ان في السلافية جنساً خاصاً بالاحياء ، وان في  
الارمنية اتجاهها الى مقابلة المادة الحية بالمادة غير الحية ، وان الاسبانية  
تميز بمد الفعل بين ماهو حي وماهو غير حي ، وان الفرنسية القديمة

كانت تفعل الشيء نفسه بعد الاسم ، فكانت هذه الفرنسية اذا ارادت  
اضافة اسم الى آخر نظرت في المضاف اليه : فان كان مما يدل على  
حي ، جملت الاضافة بغير أداة ، فقالت : le bourg le roi ، وان  
كان مما يدل على غير حي ، جملت الاضافة بأداة ، فقالت :  
les maisons du bourg .

\* \* \*

وبعد ، فما معنى هذا ؟ لماذا تنظر اللغة الى هذه الجمادات  
فتؤنث بعضها وتذكر بعضها الآخر ، وليست هي مذكرة ولا مؤنثة في  
الواقع ؟ لماذا تنظر الى بعض الاشياء على انها حية ، والى بعضها الآخر  
على انها ليست بذات حياة ؟

يجب عن ذلك فندريس بقوله (١) : « اغلب الظن ان هذا  
التصنيف يقوم على التصور الذي كان في ذهن اسلافنا الغابرين عن  
العالم ، وقد ساعدت عليه بواعث غيبية ودينية . وقد احتفظ بهذا التقليد  
حتى بعد ان عجز من يستعملونه عن فهم علته » (٢)

---

١ - المرجع نفسه ص ١٣٣  
٢ - الأمثلة من اللسان الأجنبية التي وردت في هذا الفصل منقولة في أكثرها عن  
كتاب فندريس . قارن هذا الفصل بما جاء في كتابه : اللغة ص ١٢٦ - ١٣٣

## التبديل الصوتي

النظام النحوي في كل لسان حي ، هو مثل النظام الصوتي لا يثبت على حال . ونظرة سريعة الى العربية في حالاتها الفصحى وحالتها العامية تقفنا على التطور الكبير الذي أصاب نظامها النحوي خلال المصور . فما أكثر المورفيات التي ماتت ( كاسين وسوف ولماذا وماذا... وهلم جراً ) ، وما أكثر المورفيات التي خلقت ( مثل الهاء الدالة على الاستقبال في المصرية والشين الدالة على النفي ... الخ ) وما أكثر المقولات التي اختفت ( كمقولة التمجب ) وما أكثر المقولات التي استحدثت ( كمقولة الاستمرار في الحال وغيرها ) .

غير ان الطريقة التي يتم بها التبديل في النظام النحوي تختلف عن تلك التي يتم بها تبديل النظام الصوتي : التطور الصوتي عام شامل ، اذا اصاب صوتاً من اصوات النظام لم يصبه في كلمة ويتركه في أخرى ، بل هو يصبه في كل كلمات اللسان ، اما التطور النحوي فيندر ان يشمل جميع الحالات التي يؤثر فيها ، فهو يدع الى جانب الصيغ الجديدة التي يستحدثها عدداً كبيراً من الصيغ القديمة التي تستمر في الاستعمال، وهكذا تترك كل حلقة من حلقات التطور الصرفي بقايا لها . يتضح مانعته



بالامثلة الآتية : فكلمة ( مشروع ) كانت لاتجتمع الا على ( مشروعات ) قياساً لها على مصنوع ومصنوعات ومرفوع ومرفوعات ومنصوب ومنصوبات ، لكن التطور النحوي أصابها فاجاز لها ان تجتمع على ( مشاريع ) مثل ( عصفور وعصافير ) . هذا التبديل أصاب كلمة ( مشروع ) وحدها ، ولم يصب كل كلمة على وزن ( مفعول ) . فلا تزال حتى اليوم نجمع الكلمات التي من وزن ( مفعول ) على ( مفعولات ) لاعلى ( مفاعيل ) ، كذلك اصاب التبديل كلمة ( مدير ) فصرنا اليوم نجتمعها على ( مدراء ) قائسين اياها على ( علم ) و ( علماء ) ، ولكن هذا لانفعله بكل الكلمات التي من نوعها ، فلا تزال نجمع ( معيد ) على ( معيدين ) لاعلى ( معداء ) .

يسود التغيرات النحوية اتجاهاً عامان : الاول مبته الحاجة الى التوحيد ، ويميل الى اقصاء العناصر النحوية التي أصبحت شاذة ، والآخر مبته الحاجة الى التعبير ، ويميل الى خلق عناصر نحوية جديدة<sup>(١)</sup>

إقصاء العناصر النحوية الشاذة يكون بردها الى القاعدة ، اي ان الحاجة الى التوحيد تقنع بطريقة القياس . ويطلق القياس على العملية التي بها يخلق الذهن صيغة او كلمة أو تركيباً تبعاً لانموذج معروف<sup>(٢)</sup> . فالطفل الذي يقول لامة : ( إجو مرات ) ، بدلاً من ( جاءت نساء ) انما يخلق جمعاً جديداً لكلمة ( امرأة ) لانعرفه العربية . قد تكون هذه غلطة طفل لاتلبث ان تصحح ، لكن كثيراً من التبدلات التي تصيب

١ - فديرس : اللغة ، ص ٢٠٢ - ٢٠٥

٢ - المرجع نفسه ، ص ٢٠٥

الصيغ لانتجري الا على هذه الطريقة من الخطأ والا فبأي طريقة رددنا  
كلمة ( مسكن ) بالفتح الى القياس ، وقد جاء السماع بكسرها ؟

القياس لا يستطيع ان يمارس سلطته إلا على الكلمات القليلة  
الاستعمال ، اما تلك التي يكثر ورودها في الكلام ، فلها من شيوعها  
وتردادها قوة وحصانة ضد كل محاولة لردّها الى القاعدة : لقد استطاع  
القياس كما رأينا ان يرد كلمة ( مسكن ) الى القاعدة ، ولكنه لم  
يستطع شيئاً مع كلمة ( مسجد ) التي ورد السماع بكسر عينها  
خلافاً للقاعدة .



الحاجة الى التمييزية كالحاجة الى التوحيد من الحاجات التي لاتسد.  
ولكن العقل بسعيه الى سدها يصلح من البلى الذي يلحق بالصيغ ،  
وبالتالي يغير النحو .

ففي اثناء التطور الصوتي للسان من اللسان ، تتآكل بعض  
العناصر النحوية حتى تصبح غير صالحة للاستعمال ، بل قد تبتز في بعض  
الاحيان بترأ تاماً . وعندئذ يجب ترميمها ، او احلال غيرها محلها .  
فاذا كان اللسان من اللسان المرعبة كالعربية مثلاً ، وكانت الاصابة فيها  
واقعة على نهائياتها<sup>(١)</sup> ، وجب الترميم عما فقد ولو بطرق أخرى .

وهكذا عوضت العاميات عن الكسرة التي هي علم الاضافة في  
الفصحى بكلمات تشير الى الاضافة حشرتها بين المضاف والمضاف اليه ؛  
فالعصرية تقول : الكتاب بتاع الولد ، بينما تقول السورية : الكتاب تبع  
الولد ، وفي بعض قرى حلب تسمع من يقول : الكتاب تاع الولد ، اما  
الكويتية فلها طريقة أخرى اذ تقول : الكتاب مال الولد .

كل هذه الكلمات ( بتاع - تبع - تاع - مال ) صارت كلمات  
فارغة بالمعنى المعروف في الصينية ... ذلك ان النحو يستمض في الواقع  
عن خسائره بتحويل الكلمات المليئة الى كلمات فارغة . فالادوات النحوية  
التي تستعملها اللغات ليست الا بقايا من كلمات مستقلة قديمة ، افرغت من  
معانيها الحقيقية واستعملت مجرد موضحات ، اي مجرد رموز<sup>(١)</sup> . فما نسميه  
بمحروف الجر والمطف والوصل والنصب لم تكن في غير الازمان الا  
كلمات لها معان حقيقية مثل مالالكلمات ( باب ، وشجرة ، وأرض  
وسماء ) . واذا كنا اليوم نجعل ما كانت تدل عليه هذه الحروف قبل ان  
تصير أدوات نحوية اي مورفيات ، وذلك ليمد المهدي باصولها ، وعدم  
وجود وثائق قديمة تربنا كيف كانت ، وماذا كانت تعني ، فان عندنا اليوم  
كلمات مليئة تسير في اتجاه الحرفية . نعني بذلك ما نسميه بالافعال الناقصة  
( كان - صار - أصبح - امسى - بات - زال - انفك ... الخ )  
فاستعمال هذه الافعال تامة لايزال موجوداً حتى اليوم ، تقول : فلما كان  
الصبح استيقظت ، وسار الرجل حتى صار الى منزله ، تعني بلاولى  
( وجد واشرق ) ، وتعني بالثانية ( وصل وانتهى ) . لكن هذا

الاستعمال الذي يحفظ لهذه الافعال معانيها الحقيقية نادر جداً ، والاكثر هو ان تفرغ من معاني ( الوجود والوصول والدخول في المساء والصباح ، والبيات ، والزوال ، والانفكاك والانفصال ) وتعطي معنى الصيرورة والتحول ، ماعدا ( كان ) التي تعطي معنى الزمن الماضي ، ومازال وماانفك اللتين تعطيان معنى الاستمرار .

تفريع هذه الكلمات من معانيها واعطاؤها معاني نحوية مرحلة اولى في طريق انتهائها الى ان تصير مجرد رموز نحوية . ويظهر ان ( كان ) اسرع اخواتها الى هذا المصير الذي ينتظرها . ولعل ذلك راجع الى انها تتضمن معنى زمنياً تبدو العربية في أمس الحاجة اليه لتنويع أزمنة الفعل فيها .

\* \* \*

اللب والخبث

المفردات

1911

1912

## علم المفردات

مفردات اللغة هي موضوع الدراسة لكثير من العلوم اللغوية كالمعجم وعلم الدلالة ، وعلم الصرف ، وعلم أصول المفردات :

فأما المعجم فيهتم بالمفردات جمعاً وتحليلاً وشرحاً . فأما الجمع فأمره واضح ، وواجب المعجم فيه الا يفادر كلمة الا احصاها ، واما التحليل فهو بيان الفئة التي تنسب اليها كل كلمة : أمي من الافعال ، أم من الاسماء ، أم من الصفات ، أم من المصادر ؟ .. الخ ، واما الشرح فهو تحديد معناها العام ، وما يمكن ان تحمله من المعاني الفرعية في الاستعمالات المختلفة ، مع ضرب الامثلة ويراد الشواهد .

هذا ولا بد في كل معجم من ترتيب تصنف المفردات بـوجه ، والمعجم في هذا الشأن اسس مختلفة ، فمنها ما يرتب مفرداته بحسب الموضوعات ، مثل : المثلثات لقطرب ، والنبات والشجر للاصمعي ، واللبأ والابن لأبي زيد الانصاري ، وتهذيب الالفاظ لابن السكيت ، والمطر والسحاب لابن دريد ، والافعال لابن القوطية ، والمخصص لابن سيده ، وكشاف اصطلاحات العلوم للتهاوني ، وفتح اللغة للشعالبي ، والالفاظ الكتابية للهمداني ... الخ ؛ ومنها ما يرتب مفرداته بحسب الالفاظ ، مثل :

كتاب العين للخليل ، والجمهرة لابن دريد ، والصحاح للجوهري ،  
والمحكم والمحيط الاعظم لابن سيده ، والعياب للرضي الصفاني ، واساس  
البلاغة للزخشري ، ومقاييس اللغة لابن فارس ، والقاموس المحيـط  
لفيروزآبادي ، ولسان العرب لابن منظور المصري ... الخ .

واما الصرف فهو يهتم بصيغة الكلمة : أي مجردة أم مزيدة ؟ أو  
هي ثلاثية أم رباعية أم خماسية ؟ وماحروفها الاصلية ؟ وماحروفها  
الزائدة ؟ وما وزنها ؟ وهل هي جامدة أم هي مشتقة ؟ الى آخر ما هنالك  
ما يؤلف جزءاً مهماً من علم النحو يدعى بعلم الصرف .

واما علم الدلالة فهو على نوعين : علم دلالة وصفي لايهتم الابالغني  
الاجتماعي للكلمة في مرحلة معينة من تاريخ اللغة ، وعلم دلالة تاريخي  
يدرس تغير المعنى من عصر الى عصر .

واما علم اصول المفردات - ويدعى ايضاً بالايتمولوجيا - فهو كعلم  
الدلالة التاريخي الا انه اعم منه ، اذ لا يقصر دراسته على جانب المعنى  
وحدده ، بل يتتبع الكلمات خلال المصور ملاحظاً ما يطرأ عليها من  
تبدلات تصيها في الفاظها ومعانيها وطرق استعمالها .

ولا بد من التنبيه على ان حدود هذه العلوم غير واضحة ، وأن  
الموضوعات المشتركة بينها كثيرة جداً : فالاشتقاق الذي يدرس في الصرف  
على انه وضع الكلمة في صيغ مختلفة ، يدرس ايضاً في اصول المفردات  
باعتباره واحدة من الطرق المختلفة لتوليد الكلمات ، ولهذا السبب اخترنا  
ان نجعل كل الابحاث التي تتعلق بالمفردات في باب واحد من غير تمييز  
بين ما يتعلق منها بهذا العلم او بذلك .



## مَحَاوِلُ التَّمْيِيزِ اللفظي

يشتمل كل عمل لفظي - أي كل اتصال لفظي بين اثنين - على أربعة عناصر ، هي :

١ - الوجدان : وهو ما يجده المتكلم في نفسه من عواطف وافكار واحاسيس .

٢ - اللفظ : وهو المادة الصوتية المنبثقة من فم المتكلم في محاولة للتعبير عن وجدانه .

٣ - المعنى : وهو الصورة الذهنية المتحصلة في ذهن السامع من سماعه اللفظ .

٤ - المقصود : وهو الحقيقة الخارجية للصورة الذهنية .

فاذا قال رجل لآخر : ( احب منزلي ) ، كان حب الرجل لمنزله وصورة هذا المنزل كما هي في نفس صاحبه هو ما عبرنا عنه بكلمة ( الوجدان ) ، اما ( اللفظ ) فهو الاصوات المتحصلة من قول الرجل : ( احب منزلي ) ، واما ( المعنى ) فهو الصورة الذهنية الحادثة في نفس السامع لحب مخاطبه للمنزل ، ثم للمنزل نفسه ، واما ( المقصود ) فهو حقيقة كل من الحب والمنزل الخارجة عن ذات المتكلم وذات السامع على

حد سواء .

ولقد دار جدل طويل حول طبيعة العلاقات التي تربط هذه العناصر بعضها ببعض ، وحول مدى انطباق بعض هذه العناصر على بعضها الآخر ، جدل اشترك فيه رجال كثيرون من اختصاصات مختلفة ، منهم الفلاسفة ، وعلماء النفس ، وعلماء اللغة ، والادباء .

والجمال أضيق من ان يتسع لذكر كل ما قيل في هذا الشأن ، لذا سنكتفي بمعرض جانب منه محاولين التوسع فيما يتعلق منه بالمربية خاصة .

ويجس التنبيه ، قبل كل شيء ، على ان التمييز بين المعنى والمقصود والوجدان لم يكن معروفاً عند القدماء ، بل كانت كلمة (المعنى) تطلق على هذا العنصر حيناً ، وعلى غيره حيناً آخر ، وفي أحيان أخرى كانوا يفهمون من هذه الكلمة العناصر الثلاثة مجتمعة .

#### ١ - بين اللفظ والمقصود :

هل بين اللفظ والمقصود ، او بعبارة أخرى ، هل بين الاسم والمسمى علاقة ، أم لا ؟ واذا كان بينها علاقة ، فما طبيعة هذه العلاقة ، وما مداها ؟ أي ذاتية موجبة بحيث اذا ذكر الاسم أثار ، بالضرورة ، صورة المسمى في اذهان جميع الناس على اختلاف السننهم ؟ ام هي اصطلاحية اعتبارية بحيث اذا ذكر الاسم لم يثر صورة المسمى إلا في اذهان المصطلحين وحدهم ؟

قال بالاولى كثير من الفلاسفة القدماء ، اولهم هرقليطس الذي

ذهب الى ان بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية ضرورية ، وان الاسماء  
تستطيع بحروفها ان ترسم جواهر الاشياء المادية ، وان تنطق بماهيات  
الاشياء بأعيانها . وقد عبر أفلاطون عن هذه النظرية بقوله ، على  
لسان قراطيلس : يوجد ، بالطبيعة ، اسم صحيح لكل كائن في الحياة .  
إذ الكلمة ليست تسمية يطلقها البعض على الشيء بمد التواطؤ ... ولكن  
ثمة ، بالطبيعة ( لليونانيين والبرابرة ) طريقة صحيحة لتدليل على الاشياء ،  
هي ذاتها لجميع الناس ، (١) .

ويظهر ان هذه النظرية لقيت رواجاً كبيراً عند فلاسفة الاسلام  
والمسيحية في القرون الوسطى . فهؤلاء ، وقد ذهبوا الى توقيفية اللغة ،  
وجدوا في نظرية هرقليلس ما يؤيد مذهبهم ويدعم شواهدهم المستمدة من  
النصوص الدينية : ( وعلم آدم الاسماء كلها ) . ففندريس يقول عن  
القديس توماس الاكوييني إنه « كان يزعم ان الاسماء يجب ان تتفق  
وطبيعة الاشياء » (٢) ، كما يحدثنا السيوطي عن أهل أصول الفقه « انهم  
نقلوا عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة أنه ذهب الى ان بين  
اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على ان يضع » (٣) .

وقد تلمس هؤلاء براهينهم على صحة نظريتهم بوسائل شتى : فأما  
عباد هذا فقد قال : إنه اذا لم تكن هناك علاقة ضرورية وطبيعية بين  
اللفظ والمدلول حملت الواضع على ان يضع هذا الاسم لهذا المسمى لكان

---

١ - Cratyl عن فلسفة اللغة .

٢ - اللغة ، ص ٢٣٥

٣ - الزهر . ج ١ ص ٣١

« تخصيص الاسم المعين بالسمي المعين ترجيحاً من غير مرجح » (١) ، واما غيره فقد حاول إقامة الحجّة بالتجربة العملية ، فالسيوطي يحدثنا ان بعضاً ممن كان يرى رأي عباد كان يقول « إنه يعرف مناسبة الالفاظ لمانيها ، فسئل : مامسمى ( أذغاخ ) - وهو بالفارسية ( الحجر ) - فقال : أجد فيه يساً شديداً ، واره الحجر » (٢) .

الا ان اكثر الفلاسفة القدماء والمحدثين ، ومعهم علماء اللغة ايضاً ، يذهبون الى عكس ماذهب اليه هرقليطس تماماً ، اذ يرى هؤلاء ان العلاقة بين اللفظ ومدلوله اعتباطية اصطلاحية ، وان اللفظ لايستطيع ان يثير صورة مسماه الا في اذهان من اصطاحوا وتواطئوا على الربط بين هذا الاسم وهذا السمي فقط . ودليلهم على ذلك « أنه لو كان بين اللفظ ومايدل عليه علاقة ذاتية موجبة لاهتدى كل انسان الى كل لمة ، ولما صح وضع اللفظ للضدين ، كالفـراء للحيض والظفر ، والجون للابيض والاسود » (٣) ، ولما كان للشيء الواحد أسماء ممتددة ، وللسمي الواحد معانٍ كثيرة .

وأول قائل بهذه النظرية هو الفيلسوف اليوناني ديمقريطس . وقد عبر أفلاطون عنها بقوله ، على لسان هرموجينس : ان الاسم الذي نطلقه على الشيء ، هو الاسم الصحيح ، فاذا استعضنا عنه ، اتى الثاني صحيحاً كالاول . نغير اسماء عبيدنا ، بدون ان يكون الاسم الجديد اقل حظاً في الدقة من السابق . ذلك لان الطبيعة لاتأخذ على عاتقها أن تطلق

- 
- ١ - المرجع نفسه والصفحة نفسها .
  - ٢ - المرجع نفسه والصفحة نفسها .
  - ٣ - المرجع نفسه والصفحة نفسها .

أسماء خاصة . التسمية وليدة التكرار والمادة عند الذين زاولوا فعلها،<sup>(١)</sup>.

وبين هؤلاء وأولئك نجد طائفة من علماء اللغة ، ولاسيما القائلون منهم بنظرية المحاكاة في أصل اللغة ، يذهبون مذهباً وسطاً : فلا يقولون بالعلاقة الذاتية الموجبة كما قال هرقلطس والصيمري ، ولا يسلمون بالعلاقة التواطؤية الاعتيادية التي قال بها ديمقريطس ، بل يذهبون إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة إلا أنها ليست ذاتية ولا موجبة<sup>(٢)</sup> . ويستمدون شواهدهم على ذلك من كلمات كثيرة في السن مختلفة ، وكلها تشير بوضوح إلى مناسبة طبيعية بين اللفظ وما يدل عليه . يقولون : إن الكلمات الفرنسية ( vif = حي ، نشيط ، fin = دقيق ، ناعم ، net = واضح ، aigu = حاد ... ) تناسب الاحساس بالخفة والنعمومة الذي توقظته في السامع ؛ وإن الكلمات ( sourd = اصم ، lourd = ثقيل ، gros = ضخم ... ) توقظ احساساً مخالفاً<sup>(٣)</sup> ؛ وإن الكلمات العربية ( قطع ، قص ، قصف ، قضم ، قضم ) تناسب بأصواتها معنى القطع والاحساس بالقسوة ... الخ .

وأول من أشار إلى هذه المناسبة بين الالفاظ ومدلولاتها من علماء العربية هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ثم تلميذه سيبويه . يقول ابن جني : « أعلم أن هذا موضع شريف لطيف ، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته ، قال الخليل :

١ - Cratyle . ص ٥٠ عن فلسفة اللغة .

٢ - انظر الزهرج ١ ص ٣١

٣ - انظر Marouzeau : La Linguistique , P . 28

كانهم توهّموا في صوت الجندب استطلاعة ومداءً فقالوا : صرّ ، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا : صرصر . وقال سيويوه في المصادر التي جاءت على الفعلان : إنها تأتي للاضطراب والحركة ؛ نحو النقران ، والغليان ، والغنيان . فقابلوا بتوالي حركات النثال توالي حركات الافعال ، (١) .

وقد تحمس ابن جني لهذه النظرية حماسة بالغة ، فعقد في كتابه ( الخصائص ) ثلاثة أبواب تنطلق كل افكارها من مبدأ واحد ، وهو : أن أصواتاً معينة تدل على معانٍ معينة ، وإن بين ترتيب الاصوات ومراحل ما تدل عليه ، ان كان ما تدل عليه حدثاً ، مناسبة طبيعية ظاهرة . وقد سمى الباب الاول ( الاشتقاق الاكبر ) ، وسمى الثاني ( تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني ) ، ودعا الثالث ( اساس الالفاظ اشباه المعاني ) .

ويمكن تلخيص ما جاء في هذه الابواب بما يلي :

١ - ان اصواتاً معينة تأتي لمعانٍ معينة في العربية منها غيرت وبدلت في ترتيبها . د فن ذلك تقلاب ( ج ب ر ) فهي - اين وقعت - للقوة والشدة . منها ( جبرت العظم ، والفقير ) اذا قويتها وشدتها منها ، و ( الجبر ) : الملك ، لقوته وتقويته لغيره . ومنها ( رجل مجرب ) إذا جرّ مسننه الامور ونجّذته (٢) ، فقويت مسننه (٣) ،

---

١ - الخصائص . ج ٢ ص ١٥٢  
٢ - نجّذه الدهر ونجّده : عرفه وعلمه  
٣ - المنة : الشدة

واشتدت شكيمته . ومنه ( الجراب ) لانه يحفظ مافيه ، واذا حفظ الشيء وروعى اشتد وقوي ، واذا أُعقل وأهمل تساقط ورذي<sup>(١)</sup> ، ومنها ( الابجر والبجرة ) ، وهو القوي السرة ... الخ<sup>(٢)</sup> .

٢ - اذا تقاربت المعاني تقاربت الاصوات الدالة عليها . د من ذلك قول الله سبحانه : « ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزاً »<sup>(٣)</sup> اي تزعجهم وتقلقهم . فهذا في معنى تهزّهم هزاً ، والهمزة أخت الهاء ؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين . وكانهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لانها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز ؛ لانك قد تهز مالابال له ؛ كالجدع ، وساق الشجرة ، وغير ذلك<sup>(٤)</sup> .

٣ - إن الاصوات بصفاتهما الطبيعية تناسب ما تدل عليه من أحداث ؛ د من ذلك قولهم : خَضِمَ ، وقَضِمَ . فالخضم لاكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوها من المأكول الرطب . والقضم للصلب اليابس ؛ نحو : قضمت الدابة شميها ، ونحو ذلك ... فاختروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس ؛ حدوا لسموع الاصوات على محسوس الاحداث<sup>(٥)</sup> .

٤ - انهم قد يضيفون الى اختيار الحروف وتشبيه اصواتها بالاحداث

١ - رذي : اقله المرض .

٢ - ج ٢ ص ١٣٥

٣ - سورة مريم . آية ٨٣

٤ - ج ٢ ص ١٤٦

٥ - ج ٢ ص ١٥٧-١٥٨

المعبر عنها بها ترتيبها ، وتقديم ما يضاهاى اول الحدث ، وتاخير ما يضاهاى آخره ، وتوسيط ما يضاهاى أوسطه ؛ سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود ، والفرض المطلوب . وذلك قولهم : بحث . فالباء لفظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الارض ، والحاء لصحلمها<sup>(١)</sup> تشبه نخب الاسد وبرائن الذئب ونحوهما اذا غارت فى الارض ، والباء لانفت ، والبس للتراب<sup>(٢)</sup> .

وفى العصر الحاضر ذهب مذهب الخليل وسيويه وابن جنى طائفة من علماء العربية تذكر منهم على سبيل المثال لالحصر الاستاذ محمد المبارك ، والدكتور صبحى الصالح ، والاب مرمرجى الدومينيكي ، وجرجى زيدان ، وخير الدين الاسدي<sup>(٣)</sup> .

وكان من نتيجة الاستقراء الواسع نسبياً الذى قام به هؤلاء الباحثون ان كشفوا عن ظواهر فى العربية غريبة لافتة للنظر ، لا يستطيع الباحث ان يمر بها من غير ان يقف عندها ويتساءل ، فمن ذلك انهم وجدوا ان صوت العين اذا جاء فى اول الثلاثى العربي دل على الفموض والاستتار ، مثل : غاب ، غار ، غاص ، غام ، غمض ، غمر ، غمس ، غم ، غفل ، غرب ، غرق ، ، غدر ، ، غبر ، غص ، غبش ، غشي ، غش ... الخ ، وان صوت النون اذا جاء فى اول

---

١ - الصحل : البجة فى الصوت .

٢ - ج ٢ ص ١٦٢ - ١٦٣

٣ - انظر مؤلفاتهم بحسب الترتيب : فنه اللغة وخصائص العربية ، دراسات فى فقه اللغة ، اعمجية العربية على ضوء التنازية الاسنية ، الفلاسفة اللغوية والالفاظ العربية ، المحاضرات اللغوية : محاضرة ( السماء ) .



الثلاثي دل على الظهور ، مثل : نبع ، نبش ، نبز ، نفر ، نر ، نسا ،  
نسر ، نهز ... الخ ، وان صوت الراء اذا جاء في اول الثلاثي دل  
على الحركة ، مثل : ركب ، رجع ، راح ، ركض ، رفع ، رجيع ،  
راح ، ركض ، رفع ، رحل ، رقص ، ربا ... الخ ، وان الفاء  
يدل على الفصل والفتح ، مثل : فصل ، فتح ، فرق ، فرد ، فرج ،  
فرم ، فاح ، فسق ، فسر ، ققس ، فلق ، فلق ، فليح ، فليح ، فاه ، فر ،  
فصم ، فضح ... الخ .

بل ان بعضهم زاد على ذلك فقال : ان هذه الاصوات تدل  
على معانيها مما يمكن موضعها من الثلاثي ، وعلى هذا مضوا يناقشون  
الثلاثيات العربية كما فعل ابن جني من قبلهم في فعل ( بحث ) ، فقالوا  
في ( غرف ) : ان الفين تدل على الغموض ، وهي بذلك تناسب  
أول مرحلة من مراحل حدث ( الغرف ) عندما يفتب الغارف يده  
أو معرفته في السائل ، وان الراء تدل على الحركة ، وهي تناسب  
المرحلة الثانية من الحدث عندما يحرك الغارف معرفته في السائل  
قبل ان يرفهها ، وان الفاء تدل على الظهور والانفتاح والفصل ،  
وهذا يناسب آخر مراحل الحدث عندما يرفع الغارف معرفته فيفصلها  
عن السائل ويظهرها بعد ان كانت مستترة (١) .

واسرف بعضهم في هذا اسرافاً زائداً أخرجهم من دائره البحث

١ - هذا التحليل لفعل ( غرف ) حدثنيه الاستاذ ناصر الدن من بلدة كفر تخاريم من  
اعمال حن وهو احد المهتمين بالدراسات اللغوية ، ومن أكثر المتعمقين لنظرية  
التناسب بين النقط والمعنى .

العلمي المبني على الحقائق الى دائرة الخرافة المبنية على الاوهام . من هؤلاء الاستاذ عبد الله الملايلي الذي يزعم ان كل حرف من حروف الابجدية العربية يدل على معنى خاص ، وانه اذا عرفت معاني الحروف امكنت معرفة معنى الكلمة العربية ولو لم تكن معروفة من قبل . ثم يضيي فيجعل لهذه الحروف معاني فلسفية لانظن أنها خطرت يوماً على قلب الانسان العربي القديم . فلهمة ، كما يزعم ، تدل على الجوفية ، وعلى ماهو وعاء للمعنى ، وتدل على الصفة تصير طبعاً ؛ والباء يدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً ، ويدل على القوام الصلب بالتفعل ( .. ؛ ا ) ؛ والثاء يدل على الاضطراب في الطبيعة او الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديداً ؛ والثاء يدل على التعلق بالشيء تعلقاً له علامته الظاهرة سواء في الحس او المعنى ؛ والجيم يدل على العظم مطلقاً ... والواو يدل على الانفعال المؤثر في الظواهر : والياء يدل على الانفعال المؤثر في البواطن (١) .

وعلى هذا راح الاستاذ الملايلي يحلل الكلمات العربية زاعماً أنه يردها الى اشكالها الاولى التي كانت عليها . وإليك مثلاً واحداً لهذه التحليلات يطلعك على مقدار التكلف الذي وقع فيه هذا الباحث :

د عبي ؛ تحلل الى حروفها ، ع : وتدل على الحيوان الزئيري .  
ب ، وتدل على البيت .

د وكان المعنى الاولي : حيوان البيت القوي ، الذي هو كناية

---

١ - الدكتور اسعد علي : تهذيب المقدمة اللغوية للملايلي . ص ٦٣ - ٦٤

عن الرجل ، ثم اشتق منه بعد أطوار من الـترقي اللغوي اسم للباس  
الرجل الخاص به ، العباية . ثم غاب الاصل في معنى الفرع المشتق ،  
وأُمرت معنى الاصل بالنسيان أو بعدم الاحتياج ، حتى صار في معنى الفرع  
حقيقة وضعية ، (١) .

ولكن اذا طرحنا كل هذه الانواع من التكلف الذي وقع فيه  
العلايلي وغيره ، فانه يبقى لدينا كمية كبيرة من الشواهد لا يمكن تجاهلها ،  
وهي تشير ، بما لا يدع مجالاً للشك ، الى وجود مناسبة طبيعية بين  
اللفظ والمعنى .

ومع ذلك يصر بعض اللغويين على نفي العلاقة بين اللفظ ومدلوله .  
يقول فنديريس (٢) : من الحق ان نحكم بوجود علاقة ضرورية بين الحرفين  
( fl = ف ل ) مجتمعين وبين فكرة السيّان ، اذ ان الكلمات  
( ruisseau = مجرى - و rivière = جدول - و torrent = سبيل )  
التي تعبر أيضاً عن فكرة السيّان بقدر ما تعبر عنها كلمة ( fleuve = نهر )  
لا تتحدوي على مثل هذين الصوتين ، وان كلمة ( fleur = زهرة )  
التي لا تكاد تتكون إلا من هذين الحرفين أيضاً لا توقظ في الذهن  
اطلاقاً فكرة السيّان .

إلا ان هؤلاء النفاة لم يستطيعوا ان يتجاهلوا هذه الظاهرة  
تجاهلاً تاماً ، ظاهرة أن بعض الاصوات أقدر من بعضها الآخر على  
التعبير عن معانٍ معينة . فيعترف فنديريس نفسه (٣) : بأن من الحق

١ - المرجع نفسه . ص ٥٠

٢ - اللغة ص ٢٣٦

٣ - المرجع نفسه ص ٢٣٦ - ٢٣٧

أن كلمة ( fleuve = نهر ) معبرة ، لأن الاصوات التي تكونها صالحة تمام الصلاحية لاثارة الصورة التي تمثلها .

• فالواقع ان هناك بين الاصوات ومركبات الاصوات فروقا في القدرة التعبيرية ، وهذا هو سر الكلمات التي تعبر بأصواتها عن معناها ( onomatopées ) ؛ فالكلمة الالمانية ( Kladderadatsch = كلادراداتش ) تمثل جيدا مجموعة من الآنية بعضها فوق بعض وقد سقطت شظايا ؛ والكلمة الفرنسية ( patapouf = باتابوف ) تمثل كيسا محشوا باللباس يسقط على درج السلم ، وكلمة ( pan = بن ) تشير الصوت الجاف الذي يسمع من طلقة مسدس ، و ( poum = بوم ) ذلك الصدى الممتد الذي ينبعث من طلقة مدفع . وكل الموسيقيين يعرفون ان النغمات المختلفة تناسب التعبير عن الاحاسيس المختلفة إن قليلا وإن كثيرا ؛ فهذا السلم أليق من غيره ببساطة الحقول ، وذلك بالمذبذبة الرقراقة اللذيذة ، وذاك بجهد الرجولة الصارم . ونظرة المؤلف تجعله يختار في كل حالة النغمة اللائقة ، لذلك كان من الحق ان الانتقال بالقطعة من نغمة الى نغمة يشوه طابعها في بعض الاحيان . ولكن لا يستطيع انسان ان يقرر ان المؤلف العبقرى ليس في وسعه ان يعبر عن العاطفة التي يحسها بآية نغمة من النغمات . كذلك فان الشاعر يستطيع ان يحمل اصوات الكلمات كل تعبيرية تروقه ... فالشاعر في وسعه ان يحدث تأثيرات غير منتظرة بكلمات يظنها البعيد عن هذا الفن غير جديرة بمثل هذا الاستعمال ، وذلك بواسطة الوان من الاعداد والمقابلة محكمة التنسيق .

نلاحظ من كلام فندريس أنه على الرغم من اعترافه بوجود مركبات صوتية أقدر من غيرها على التعبير عن معانٍ مخصوصة يعود

فيسر على ان المعنى الواحد يمكن التعبير عنه تمبيراً جيداً بمدة أنواع من  
الركبات الصوتية . فكأنه لا يريد ان يخرج على رأي دي سوسير الذي  
يعد من أشهر المراضين لاصحاب الصلة بين اللفظ والدلول . والذي يرى  
ان هذه الصلة اعتباطية لاتخضع لمنطق او نظام مطرد ، ومع اعترافه  
بتلك الصلة في الالفاظ التي تمد بمثابة الصدي لاصوات الطبيعة ، والتي  
تسمى onomatopées يقرر انها من القلة في اللغات ، ومن الاختلاف  
والتباين باختلاف اللغات الانسانية ، بحيث لا يصح ان نتخذ منها أساساً  
لظاهرة لغوية مطردة او شبيهة بالمطرده . هي إذن في رأيه مجرد الفاظ  
قليلة تصادف ان اشبهت اصواتها دلالاتها<sup>(١)</sup> .

حاول بعض الباحثين تفسير ظاهرة الكلمات التي هي من نوع  
onomatopées ، مع الاصرار على نفي العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله ،  
بان فرقوا بين الصلة الطبيعية الذاتية ، والصلة المكتسبة . فقالوا ان  
الاصوات ليس لها في ذاتها قدرة على التعبير عن معانٍ معينة ، وانما  
هي رموز صالحة لأن تطلق على اي معنى من المعاني ، ولكن يحدث أنه  
اذا اطلقت اصوات لترمز الى معنى معين ، ثم أطلق مايشبهها على معنى  
يشبه الاول - يحدث ان يقوم في ذهن ابناء اللفه ربط بين نوع ما  
من التركيبات الصوتية ونوع من المعاني التشابهية . يقول الدكتور ابراهيم  
انيس في هذا المعنى<sup>(٢)</sup> : انه يجب التفرقة بين الصلة الطبيعية الذاتية  
والصلة المكتسبة . ففي كثير من الفاظ كل لغة تلحظ تلك الصلة بينها  
وبين دلالاتها ، ولكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الالفاظ أو تولد

١ - الدكتور ابراهيم انيس : دلالة الالفاظ . ص ٦٦ - ٦٧

٢ - المرجع نفسه ص ٦٧ - ٦٨

بمولدها ، وانما اكتسبتها اكتساباً بمرور الايام وكثرة التداول والاستعمال .

« وهي في بعض الالفاظ اوضح منها في البعض الآخر ، ومرجع هذا الى الظروف الخاصة التي تحيط بكل كلمة في تاريخها ، والى الحالات النفسية المتباينة التي تعرض للمتكلمين والسامعين في اثناء استعمال الكلمات . فاذا تصادف ان عني احد المتكلمين بأصوات لفظ من الالفاظ ، واسترعى انتباهه اكثر من غيره ، لا يلبث ان يعقد الصلة الوثيقة بينه وبين دلالاته ، ويتصور نوعاً من المناسبة بين تلك الاصوات وماتدل عليه ، ويحاول نقل شعوره الى غيره ما استطاع الى ذلك سبيلا . فاذا تصادف ان احس فريق من الناس بنفس الاحساس ، بدأت عملية ذهنية اخرى هي الربط بين هذه الاصوات واشباهها في الكلمات الاخرى ، لان الذهن الانساني يميل الى التجميع والتعميم . وتلتقي تلك العملية بعملية نفسية اخرى هي التي تسمى بتداعي المعاني ، اي ان المعنى حين يخطر في الذهن يدعو ما يشبهه او يقاربه . وهنا قد يخطر في الذهن فكرة الربط بين مجموعة من الالفاظ المتشابهة او المتقاربة بمجموعة من المعاني المتشابهة او المتقاربة ، ويترتب على هذا ان يشيع بين أبناء اللغة نوع من الوهم يشمرون منه بوثوق الصلة بين الالفاظ والدلالات .

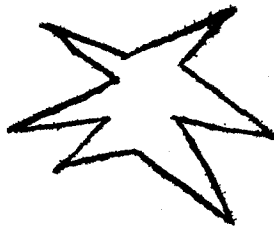
« فالالفاظ لاتعدو في حقيقتها ان تكون بمثابة الرموز على الدلالات ، وكل لفظ يصلح ان يتخذ في التعبير عن اي معنى من المعاني ، فما يسمى ( بالشجرة ) يمكن ان يسمى باي لفظ آخر متى اصطاح الناس عليه ، وتواضعوا على استعماله ، فليس في لفظ ( الشجرة ) ما يوحى بفروعها وجذورها واوراقها وخضرتها ،

والى مثل هذا يشير الاستاذ فيرث في احدى محاضراته . ولكنه

لا ينتهي الى ما انتهى اليه انيس من نفي الصلة الطبيعية بين اللفظ والمدلول ، بل على العكس يقرر انه ربما تكون هناك صلة طبيعية بين اللفظ والشكل على الاقل . لان الربط بين اشكال معينة وأصوات معينة يبدو عاماً بين كل الناس على اختلاف قومياتهم والسنتهم ، يقول : وهناك نوع من التقسيم أحس به ، ولا أصر عليه ، ألمه وراء الكلمات التي تبدأ بالحرفين sl ، مثل :

slink , slim , slight , slide , slick , slice , slince , slither  
 . slender , sleet , slip , sleek , slit

« ويستطيع المرء ان يسلي نفسه بجمع الكلمات التي تبدأ بالحرفين ( el ) أو ( str ) أو ( spr ) وهلم جراً ، وربما وجد شيئاً شائماً بينها لا يهمني هنا ان انص عليه . وتبدأ تسمون كلمة في الهولندية بالحرفين ( sl ) كلها للشتم والاهانة ، وقد استعير بعضها في اللغة الجاوية ، فبدأ بالحرفين ( se ) ، وهذا يستدعي الى الذهن ان تقسيم الكلمات بحسب اثرها الذهني شائع في اللغات الجرمانية . وربما كان هناك صلة بين الصوت والشكل كما ترى في المثالين الآتيين :



كبير كبي



او هوبر

هاتان الكلمتان ( اومبويو وكيكيريكي ) لاتدلان على معنى معين  
في اية لغة على ما اعلم . ولكن الطلبة من جميع الامم ينسبون الاسم الاول  
الى الشكل الاول ، والاسم الثاني الى الشكل الثاني (١) .



يمكننا الآن تلخيص الآراء في هذه المشكلة على الشكل الآتي :

١ - ان الاسماء تنطق بماهيات الاشياء عينها .

( المر قليطيون )

٢ - بين اللفظ ومدلوله علاقة ذاتية موجبة حاملة للواضع على ان  
يضع . والا لكان وضع الاسم المعين المسمى المعين ترجيحاً من غير  
مرجح .

( الصيمري وغيره )

٣ - ان الاسماء يجب ان تتفق وطبيعة الاشياء .

( القديس توماس الاكويبي )

٤ - ان الصلة بين اللفظ ومدلوله حاصلة ، ولكنها ليست موجبة .

( اكثر علماء العربية قديماً )

---

١ - عن كتاب : مناهج البحث في اللغة . ص ٢١٧



٥ - ان اللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الاشياء بوساطة الفاظ  
أثرها في الآذان يشبه اثر تلك الاشياء في الاذهان . وان الكلمات بدأت  
واضحة الصلة بين اصواتها ودلالاتها ، ثم تطورت تلك الاصوات او تلك  
الدلالات ، واصبحت الصلة غامضة علينا .

( هملت )

٦ - ان الصلة وثيقة بين اللفظ والمذلول في الكلمات التي هي  
من نوع الـ onomatopées . ولكن علينا ان نحذر من المغالاة في  
هذا الشأن .

( جيسبرسن )

٧ - ربما كان هناك صلة بين اللفظ والشكل ، لانه ثبت  
بالتجربة ان الناس على اختلاف السنتمهم ينسبون اصواتاً معينة الى  
اشكال معينة .

( فيرث )

٨ - من الحق أن نحكم بوجود علاقة ضرورية بين الاصوات  
ومذلولاتها . أما الكلمات التي تعبر بأصواتها عن معانيها ، او تكون  
اصواتها أقدر من غيرها على التمييز عن معانيها فهي من القليلة في اللغات ،  
ومن الاختلاف والتباين باختلاف اللغات الانسانية بحيث لا يصح ان تتخذ  
منها اساساً لظاهرة لغوية مطردة او شبيهة بالمطردة . انها مجرد الفاظ قليلة  
تصادف ان اشبهت اصواتها بدلالاتها .

( دي سوسير ، وفندريس ، ومدفغ وغيرهم )

٩ - ان الصلة بين اللفظ ودلالته واقمة ، ولكنها مكتسبة لاطبيعية ذاتية . ترمز اللغة لمعنى ما بمجموعة من الاصوات بطريقة اعتباطية ، ثم يحدث ان ترمز اللغة الى معنى آخر شبيهه بالأول بمجموعة من الاصوات شبيهة بالمجموعة الأولى ، فيظن الناس ان هذه الاصوات ذات علاقة ذاتية طبيعية مع تلك المعاني .

( ابراهيم انيس )

وهكذا ترى ان المشكلة لا تزال بغير حل . إنها ، كمثل المشكلات الانسانية الكبرى ، لا تقبل الحل النهائي ، انها حيرت عقول المفكرين منذ قرون صحيحة ، ولا تزال تحيرها حتى الآن ، وستظل تحيرها الى ما شاء الله . (١)

## ٢ - بين اللفظ والوجدان :

المشكلة هنا ليست مشكلة علاقة ذاتية طبيعية أو اعتباطية ، بل هي مشكلة مدى قدرة اللفظ على التمييز بدقة وامانة عن الوجدان . ويمكن توضيح ذلك بالسؤال الآتي : هل بإمكان اللفظ ان يصور تصويراً دقيقاً أميناً وجدان المتكلم ؟ اذا قلت لصديقي : ( أحب ولدي حباً جماً ) فهل تكون هذه العبارة قد نقلت الى صديقي صورة صحيحة غير مشوهة عن حبي لولدي بكل أبعاده وألوانه ، أم لا ؟ وبعبارة أعم ، هل اللغة قادرة على تصوير الوجدان ، أم هي مشوهة له قاصرة عن نقله كما هو الى الآخرين ؟

---

١ - قارن ما مر في هذا الفصل بالفصل الثالث من كتاب دلالة الالفاظ ص ٥٨ وما بعدها

هنا أيضاً اختلف المفكرون ، فدي بونالد يرى ان الفكر والكلمة  
جسم واحد . ولهذا لا يمكن ان يحصل فكر بدون ان تحدث لفة .  
ولا ان تحدث لفة لان تكون ذاتها فكراً (١) .

ويعبر الدكتور ابراهيم انيس عن هذا الرأي بشكل أوضح حيث  
يقول (٢) : من المجازفة ان ننظر الى الالفاظ الآن على انها مجرد رموز ،  
فقد ارتبطت بالفكر الانساني ارتباطاً وثيقاً ، واصبح من الصعب ان  
نتصور أي نوع من التفكير بغير هذه الالفاظ . فالانسان يفكر بوساطة  
هذه الالفاظ ، والدلالة التي ليس لها لفظ لاوجود لها إلا في تخيلة  
بعض الفلاسفة . بل حتى ما يسمى بالتفكير الصامت او التأمل لا يؤدي  
الا بعملية نظمية يقوم بها التأمل ، وان لم يسممها أحد ممن حوله .  
فعضلات نطقه تقوم بنفس الحركات اللسانية التي يقوم بها في الكلام  
السموع . وقد برهنت التجارب الكثيرة على هذه الحقيقة العلمية ، فالرء  
قد يشعر بارهاق في عضلات نطقه بعد سماعه لخطيب يخطب امامه لمدة  
طويلة ، وذلك لان عضلات نطق السامع تتحرك حركات خافتة تشبه  
ما تقوم به عضلات نطق الخطيب تمام الشبه .

د بل لقد لوحظ ان لاعب البيانو حين يستمع لعزف غيره مدة  
طويلة ، قد يشعر بعدها بتعب في أنامله او اصابه ، فكأنما قد مارس  
هو العزف بنفسه .

د وليس يمترض على هذا بأن يقال ان الذي يولد أصم يدرك  
الاشياء والحوادث دون ان يكون له اي نصيب من تلك الالفاظ

١ الحاج : فلسفة اللفة . ص ٢٧

٢ - دلالة الالفاظ . ص ٦٨ - ٦٩

اللغوية ؛ وذلك لان ادراك الاصم مولداً أدنى كثيراً من ادراك السامع ، فادراكه للامور ادراك ناقص ، ومع هذا لا يتم له هذا الادراك الناقص الا عن طريق رموز اخرى تحمل محل الرموز الصوتية كالاشارة ونحوها . بل ان مشاهد السينما الصامتة لم يكن يستطيع ادراك ما يراه إلا بعد ترجمته في ذهنه الى الفاظ يعرف دلالتها . ولو عرض عليه من الاشياء او الحوادث ما لا يستطيع ترجمته الى الالفاظ ، لمرت بذهنه مروراً عبراً غامضاً لا يترك أثراً ، ولا يثبت على تفكير او رغبة في مشاهدتها .

لكن آخرين يرون غير هذا ، يرون ان اللغة قاصرة عن تصوير مواجيد النفس كما هي في النفس ، وان الالفاظ لا تترجم العالم الداخلي الا ترجمة ناقصة مشوهة .

واكثر القائلين بهذا الرأي هم من الابهاء ، اولئك الذين مارسوا فن التعبير عن الوجدان فوجدوا اللغة في اكثر الاحياء اداة ناقصة لا تمكنهم من التعبير عن كل مكنوناتهم . ويستطيع القارئ ان يتذكر الآن كثيراً من الشكايات التي بدرت من الابداء ، والتي انصبت كلها على اللغة وقصورها وعجزها عن استيعاب كل ما في النفس من عواطف وافكار . من ذلك قول ميخائيل نسيمة في الغزال<sup>(١)</sup> : الفكر كائن قبل اللغة ، وال عاطفة قبل الفكر . فهو الجوهر وهي القشور . ومن تمس البشرية ان تفقد مقدرة قراءة الافكار والعواطف كما تثبت وتنمو في الارواح ، لا كما ينطق بها اللسان ، وان تراها في حاجة الى اشارات وعلامات مختلفة تصطلح عليها رموزاً لافكارها وعواطفها ، لان تلك الاشارات والعلامات ، مـمـها دقت ، ليست لتأتي الا بأشباح ضئيلة مهمة

من عالم الفكر المطلق والماطفة الحرة . ولم تعرف الانسانية بعد في كل تاريخها من تيسر له ان يسكب كل فكره ، او يجسم كل عاطفته ، في كلام أو خطوط او الوان او الحان . لذلك فهي أبداً تقرأ بين السطور . وما تقرأه بين السطور هو أفصح وابلغ واعمق وأوسع مما تقرأه في السطور . وذلك لانها تدرك بالفطرة أنه يستحيل على بشري كائناً من كان - شاعراً ام كاتباً ، رساماً ام فناناً ، مهندساً ام ملحناً - تسأدية فكر او عاطفة بكل ما فيها من تجرد و تلون .

وليست هذه الشكوى قاصرة على كتاب العربية فقط ، بل هي عامة عند كل الكتاب في كل اللسان ، فهذا لامارتين على الرغم من تمكنه من قياد البيان نراه لا يفتأ يردد الشكوى من قصور اللغة عن اداء ما في النفس من وجدان . يقول في كتابه ( روفائيل )<sup>(١)</sup> : ابدأ لا ينقطع تدفق نفسي ولا يبرد . فلو ان السماء كانت صحيفة ، ارادني الله على ان ارقم فوقها حيي ، لما وسعت هذه الصحيفة كل ما اردده في نفسي ، وما أريد ان اقله ! لقد كنت افرغ من نمنمة الصحائف الاربع ، وكأني لم أقل شيئاً . والحق اني لم أقل شيئاً . ان الاحاطة باللانهاية ، والتعبير عنها ، محال باطل ... لقد كنت اجاهد بلا امل فقر هذه اللغة وجودها وبرودها ، لاني مضطر الى استعمالها مادمت لاعرف لغة السماء . لقد كانت الجهود الخارقة التي بذلتها في اخضاعها ، وتليينها وبسطها ، ولها ، وتلوينها ... كل هذه الجهود مكنت لهذا القلم الكبير ان يجد احياناً الكلمة ، او الحيلة ، او العبارة ، او الصرخة التي يبحث

عنها ليظهر الخفي ، ويبرز العقلي ، ويصور المستحيل . لذلك اتذكر اني كنت كلما فرغت من رسالة أنهض من كرسيي كما اني خارج من معركة شعواء ، خصوصي فيها الكلمات ، والبراعة ، والطرس ، فأفتح الشباك واعرض وجهي لنسيم الشتاء البارد كي يجفف ما رفض عليه من عرق .

ويقول فولتير : « تعجز اللغة - اي لغة - عن التعبير الكامل عن آرائنا ومشاعرنا ، فالفروق بينها كثيرة لاتكاد تلمس ، فتضطرنا اللغة مثلاً ان نعبّر بلفظ الحب او البغض عن آلاف من ضروب الحب والبغض كلها مختلفة . وكذلك الحال في موضع آلامنا وملاذنا ، (١) .

على ان اكبر هجوم شنّه مفكر على اللغة كان هجوم برغسون الفيلسوف الفرنسي المعروف ، فقد اتهمها بالتصور ، وشنع عليها تشنيعاً لم يأتّه احد من قبله ولا من بعده ، حتى نوّدي به فيلسوفاً للمدرسة الارهاية ضد اللغة .

يرى برغسون ان اللغة ( مركّب ) ، وان الوجدان ( بسيط ) ، ولذا فمن غير الممكن ( للمركّب ) ان يصور ( البسيط ) بامانة ودقة . ويرى ايضاً ان الوجدان سيلان ( متصل ) ، وأن اللغة الفاظ ( منفصلة ) بينها فرج وفضائات ، واذن فليس بمقدور ( المنفصل ) ان يعبر عن ( المتصل ) . وايضاً فان الوجدان ( كيف ) ، واللغة ( كم ) ، واذن فليس بالمستطاع التعبير عن الكيف بالكم . واخيراً فان الحالات الوجدانية لاتمود ثانية الى الوجود ، متى عبرت صارت ماضياً ، فمالم الباطن

لا يرتكس الى الوراثة . ان الحب الذي احس به اليوم هو غير الحب الذي احسست به البارحة ، ومع ذلك لا تمتلك اللغة الا كلمة واحدة هي كلمة ( حب ) تقدمها لي لأعبر بها عن حالتين مختلفتين كل الاختلاف . يقول في كتابه ( رسالة في معطيات الوجدان البديهية ) : نعبر عن انفسنا اضطراراً بالفاظ ، ونفكر في الاغلب تفكيراً فضائياً . وبعبارة اخرى : ان اللغة ترغمنا على ان نجعل بين افكارنا الشقوق عينها ، والفوارق الجلية الدقيقة ذاتها التي نقيمها بين الاشياء المادية ،<sup>(١)</sup> ويقول في كتابه ( الضحك ) : ان الكلمة غير مصقولة ، تختزن من انطباعات البشر كل ما هو ثابت ومشترك ، اي غير شخصي . وتسحق او تنطفي على الاقل ، الانطباعات الدقيقة والمبارة من وجداننا الفكري ... ان الالفاظ - عدا الاعلام - تدل كلها على انواع . والكلمة ، وهي لاتسجل من الشيء المسمى الا وظيفته الاكثر اشتراكاً ، ووجهه المتدل ، تندس بينه وبيننا ... وليست الاشياء الخارجية وحدها هي التي نقلت منا بل حالاتنا النفسية الخاصة بنا في اخص ما فيها واكثره شخصية ، وما نحياه حياة ابداع . فنحن لانلتقط من مشاعرنا الا جانبها غير الشخصي ، ذلك الذي استطاعت اللغة تسجيله مرة واحدة نهائية لانه واحد بالنسبة الى جميع الناس في الاحوال نفسها ،<sup>(٢)</sup> .

١ - عن كتاب فلسفة اللغة للحاج ص ٤١

٢ - عن كتاب فقه اللغة للمبارك ص ٢٠٤

## الاشتراك والترادف

لو كان منطلق اللغة كمنطق العقل لوجب الا يكون للفظ الواحد سوى معنى واحد ، وألا يكون للمعنى الواحد سوى لفظ واحد ايضاً . ولكن اللغة ، كما رأينا في كثير من جوانبها ، لها منطلق خاص يبدو في اكثر الاحيان على جانب كبير من الغرابة . ويظهر ذلك واضحاً في مجال الالفاظ ودلالاتها حيث تجمل للفظ الواحد اكثر من معنى ، وللمعنى الواحد اكثر من لفظ . ويستطيع القارئ ان ينتزع من ذاكرته أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة العجيبة . خذ مثلاً كلمة ( العين ) ، وتذكر معي انها تدل على العين الباصرة ، وعلى الجاسوس ، وعلى الذات ، وعلى منبع الماء ، وعلى اشياء أخرى . ثم خذ مثلاً كلمات ( معلم - مدرس - استاذ - مرب - مؤدب ) وتذكر معي انها جميعاً تدل على شيء واحد . فاذا اشتركت المعاني المتعددة في لفظ واحد سمي ذلك اشتراكاً ، واذا تعددت الكلمات المعنى الواحد سمي ذلك ترادفاً ، واليك الكلام على كلٍ :

### ١ - الاشتراك :

قلنا ان الاشتراك هو ان تعدد المعاني للفظ الواحد . ويسمى الالفاظ



الذي تعددت معانيه بالمشترك . والسؤال الآن : لماذا يقع الاشتراك في اللفظة ؟

يجيب الاستاذ محمد المبارك عن ذلك بقوله (٢) : ان اكثر الاصول التي تشتق منها الالفاظ للدلالة على معانٍ جديدة ذات معانٍ عامّة ؛ لذلك فقد تستعمل الدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة أو ذلك المعنى العام . فكلمة ( دليل ) يقصد بها من يدل على الطريق او من يطوف مع السائحين في عصرنا ليدهم على الاماكن الجديرة بالزيارة ، ويراد بها الكتاب الذي تطبعه دوائر السياحة في كل بلد للدلالة القريب على معالمه وآثاره ، ويقصد بها كذلك الحجّة المنطقية والبرهان ، لان جميع هذه المسميات ينطبق عليها كونها دالة لقاصدها وان كانت هي في ذاتها مختلفة .

لكن هذا الجواب غير كاف ، فكثير من المشترك ليس فيه عمومية في الدلالة ، ومع ذلك يقصد به أمور متعددة ، بل يقصد به اشياء شديدة الاختلاف ليس بينها رابط ، مثل كلمة ( الخلال ) التي يقصد بها أخو الام ، والشامة في الوجه ، والاكمة الصغيرة ، ومثل كلمة ( الارض ) التي تعني الكرة الارضية ، كما تعني الزكام .

اكثر العلماء يملون وجود المشترك في اللفظة بالاستمارة والمجاز . فنجد هؤلاء ان اللفظ الواحد لم يكن له غير معنى واحد على سبيل الحقيقة ، ثم تضمن معاني أخرى على سبيل الاستمارة والمجاز ، فكلمة ( العين لم يكن يقصد بها غير العين الباصرة ، ثم استعملت لتبمع الماء

تشبيهاً له بتلك على سبيل الاستعارة ، ثم اطلقت على الذات وعلى الجاسوس من باب اطلاق الجزاء وارادة الكل .

والواقع ان هناك اسباباً كثيرة لوجود المشترك في اللغة ، منها العمومية التي ذكرها الاستاذ مبارك والتي تسمح للغة باطلاق الكلمة الواحدة على اشياء متعددة تشارك كلها في صفة واحدة ، ومنها الاستعارة والمجاز اللذان قال بهما اكثر العلماء ، ومنها امور تمود الى تطور الدلالة بتطور المدلول ، فمن هذا مثلاً كلمة ( ريشة ) التي تطلق على كل من ريشة الطائر ، وريشة الكتابة . فهذه الكلمة لم يكن لها غير معنى واحد هو ريشة الطائر سواء اكانت على جسم الطائر ام كانت منزعة منه لاستعمالها في الكتابة ، ثم ان الناس استعاضوا عن ريشة الطائر في الكتابة بآلة معدنية اخترعوها لهذه الغاية ، ولكن كلمة ( ريشة ) ظلت تطلق على آلة الكتابة اياً كان نوعها ، وهكذا اصبح للكلمة معنيان : ريشة الطائر ، والآلة المعدنية المستعملة في الكتابة .

هذا ، والعلماء مختلفون في امر المشترك توسيماً وتضييقاً : فالدكتور ابراهيم انيس لايسلم بالمشارك الا اذا دلت النصوص على ان اللفظ الواحد يعبر عن معنيين متباينين كل التباين . « اما اذا اتضح ان أحد المعنيين هو الاصل ، وان الآخر مجاز له ، فلا يصح ان يعد مثل هذا من المشترك اللفظي في حقيقة امره .

ويقول : « لقد كان ابن درستويه محقاً حين انكر معظم تلك الالفاظ التي عدت من المشترك اللفظي ، واعتبرها من المجاز . فكلمة ( الهلال ) حين تعبر عن هلال السه ، وعن حديدة الصيد التي تشبه في

شكلها الهلال ، وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها الهلال ، وعن  
هلال النمل الذي يشبه في شكله الهلال<sup>(١)</sup> ، لا يصح اذاً ان تعد من  
المشترك اللفظي ، لان المعنى واحد في كل هذا ، وقد لب المجاز دوره  
في كل هذه الاستعمالات ، ذلك لان المشترك اللفظي الحقيقي انما يكون  
حين لانلح اي صلة بين المعنيين ، كأن يقال لنا مثلاً ان الارض هي  
المكرة الارضية ، وهي ايضاً الزكام ، وكأن يقال لنا ان الخال هو أخو  
الام ، وهو الشامة في الوجه ، وهو الاكمة الصغيرة . ومثل هذه  
الالفاظ التي يختلف فيها المعنى اختلافاً بيناً قليلة جداً ، بل نادرة ولا تكاد  
تجاوز اصابع اليد عدداً ،<sup>(٢)</sup> .

اما فندريس فانه يرى ان المجاز وان كان هو السبب في خلق  
جزء كبير من المشترك اللفظي في اللغة ، الا انه سريعاً ما ينسى ، ويصبح  
المعنى الجليد الذي دخل اللفظ عن طريق المجاز لا يقل في حقيقته عن  
المعنى الاول الذي كان له . ونحن اذا اردنا ان نحدد معنى الكلمة  
أو معانيها فملينا ان ننظر الى استعمالاتها كما هي اليوم ، لا الى  
تاريخها . يقول<sup>(٣)</sup> :

« في التسليم بان للكلمات معنى اساسياً [ حقيقياً ] ومعاني ثانوية  
[ مجازية ] صادرة عن الاول اثاراً لمسألة وجهة النظر التاريخية . ووجهة  
النظر التاريخية تلك لاقيمة لها هنا . ربما رأى الشخص الذي يشمل اللغة

- 
- ١ - انظر الزهرج ١ ص ٢١٩
  - ٢ - دلالة الالفاظ . ص ٢٠٩ - ٢١٠
  - ٣ - اللغة . ص ٢٢٨ - ٢٢٩

بسرهما في تطورها واتساعها بنظرة واحدة ان الريشة التي من حديد  
جاءت من ريشة الاوزة ، فهي عنده كلمة واحدة اخذت دلالتين مختلفتين  
على مرور الزمن . لذلك يجدر بقاموس يفخر بتبعه نخط سير المصاني  
ان يضع تحت كلمة ريشة ، معنى الريشة التي من « حديد » بعد معنى  
ريشة « الاوزة » . ولكن الفرنسي الذي يتكلم لفته اليوم ، لا يرى في  
هذين الاستعمالين في الواقع الا كلمتين مختلفتين ، ولا يوجد شخص واحد  
يحاول ان يشكو من الغموض عند سماعه جملتين من قبيل « يعيش من  
كد ريشته » و « اجث له ريشة » . وكل واحد يفهم دون تردد ان  
الكلام في الجملة الاولى عن احد الكتاب ، وفي الثانية عن احد الطيور  
فالكلمتان مختلفتان كجميع المشتقات الاخرى ...

« قد يمترض معترض فيقول : بانه قد مرت لحظة كان يحس  
خلالها بأن كلمة ريشة استعارة . ولكن هذه اللحظة لم تطل ، فأية كلمة  
في اللغة الجارية ليس لها الا معنى واحد في الوقت الواحد . اذ لما كانت  
ريشة الاوزة تستعمل في الكتابة ، كان الذي قال : « آخذ ريشتي  
لأكتب كلمة » قد استعمل كلمة ريشة بمعنى اداة للكتابة ، ولم يقصد  
استعمال استعارة ؛ وسامه لم يقدر هذا التقدير . الاستعارة تشبيه مختزل ؛  
تقديرها يحتاج الى مجهود يستطيع الانسان ان يسلم به مؤثف يقرؤه  
عندما يتوفر له الوقت ، ولكنه في المحادثة لا يملك الوقت الكافي  
لهذا العمل . »

يمكننا الآن ان نتساءل : اذا كان للكلمة التي هي من نوع

المشترك اللفظي أكثر من معنى واحد ، فكيف يتبين لنا ان نفهم المقصود منها ؟

يجب لروا عن ذلك بان الكلمة المشتركة ليس لها في الوقت الواحد غير معنى واحد هو الذي نفهمه منها ، « واننا حينما نقول بأن لاحدى الكلمات اكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع الى حد ما . اذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص ،<sup>(١)</sup> « اما المعاني الاخرى جميعها فتمحي وتبدد ولا توجد اطلاقاً . فنحن في الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول « الخياط يقص الثوب » أو « الخبر الذي يقصه الفلام صحيح » أو « البدوي خير من يقص الاثر » ،<sup>(٢)</sup> .

« الذي يعين قيمة الكلمة اذن انما هو السياق . اذ ان الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً . والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها ان تدل عليها ، والسياق ايضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها ، وهو الذي يخلق لها قيمة « حضورية » ولكن الكلمة بكل المعاني الكامنة

---

١ - عن المرجع نفسه ص ٢٢٨

٢ - المرجع نفسه ص ٢٢٨

توجد في الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها مستعمدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التي تدعوها، (١) .

## ٢ - التضاد :

يرى بعضهم ان التضاد ليس الا نوعاً من الاشتراك (٢) ، اذ هو اشتراك المعنيين المتضادين في اللفظ الواحد ، كاشتراك الابيض والاسود في لفظ ( الجون ) ، والحيز والطهر في لفظ ( القراء ) ، والقوي والضعيف في لفظ ( القوي ) ، والكبير والصغير في لفظ ( الجلل ) . والرغبة والظوف في لفظ ( الرجاء ) ، وهم جراً .

ويرى آخرون بمن لا يسلون بالمشترك الا اذا دل على معنيين لارابط بينها - يرى هؤلاء ان التضاد ليس نوعاً من الاشتراك ، لان المتضادين تجمع بينهما صلة من نوع ما ، فالجامع بين الاسود والابيض أن كلاً منها لون ، والجامع بين الكبير والصغير ان كلاً منها حجم ... وهكذا . ولولا هذه الصلة لما كان المتضادان ضدین ، اذ ان الضدين شيئان اشتركا في صفة واختلفا في مقدارها .

ويحدثنا ابن فارس في كتابه ( الصاحي ) (٣) أن ناساً انكروا هذا

١ - المرجع نفسه ص ٢٣١ - ٢٣٢

٢ - انظر المبارك : فقه اللغة ص ١٩٨ ، والسيوطي : الزهر ج ١ ص ٢٢٨

٣ - ص ٦٦

المذهب ، وان تأتي العرب باسم واحد لشيء وضده . وحجة هؤلاء ان ان شرط اللغة الافهام ، وان اطلاق الاسم على الشيء وضده يوقع في اللبس والابهام ، وهذا يتنافى مع شرط اللغة المذكور ، أما ماورد من الاضداد فيفسرونه على انه من تداخل اللغات ، مثل كلمة ( وثب ) التي ليس لها غير معنى ( قفز ) في العربية الشمالية ، وغير معنى ( جلس ) في العربية الجنوبية . وعلى هذا يقولون : ان كلمة ( جون ) كانت لاتعني غير ( الابيض ) في لغة قبيلة ، ولا تعني غير ( الاسود ) في لغة قبيلة أخرى ، فلما جمع العلماء اللغة لم يفرقوا بين لغات القبائل فتوهوا ان لكلمة ( جون ) معنيين متضادين<sup>(١)</sup> .

على ان التضاد أمر مسلم به في جميع اللغات ، سواء في ذلك العربية والفرنسية وغيرها . وهذا ما حملنا على ان نتساءل : كيف يتأتى لغة ان تطلق اللفظ الواحد على الشئيين المتضادين ؟

يقول بعض العلماء : إنه لما كان يوجد دائماً بين كل ضدين صفة مشتركة فان احد الضدين اذا ذكر دعا ضده الى الثول في الذهن معه . وهذا ما يسمى بتداعي الالفاظ الذي يقضي بالتلازم في الذهن بين كل من الليل والنهار ، والكبير والصغير ، والارض والسما ، والايض والاسود ... وهلم جراً . وعلى هذا فانه من السهل ان ينزلق اسم احد الضدين الى الضد الآخر ليمر عنه ، فيصبح اللفظ بذلك من الاضداد .

غير ان هذا لا يفسر كل ما جاء من الاضداد في الالسن المختلفة ،

ويبدو انه من الضروري ألا نهمل الناحية النفسية في الموضوع ، فنحن كثيراً ما نمر عن الشيء باسم ضده زيادة في تقوية التعبيرية ، واثارة لاهتمام السامع . ألا ترانا اذا اعجبنا بشخص قلنا عنه « ابن كلب - شيطان - ملعون - قرد اشمط ... الخ » ؟ واذا استحسنا شيئاً قلنا عنه انه « فظيع » ؟ وقد حدثنا التاريخ ان احد خلفاء العرب في الاندلس سمي احدي جواربه ( قبحة ) لشدة حسنها وجمالها . ولعل من هذا القبيل ما ذكره علماء البلاغة مما سموه بالمدح في معرض الذم كما في قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم      بهن فلول من قراع الكتائب

بهذا نستطيع ان نفسر كثيراً من الاضداد ، ولا سيما تلك التي تعبر عن صفات لها في نفس المتكلم اهتمام خاص .

ويجب ألا ننسى ان تبدلات المعنى كثيراً ما تنتهي باللفظ الى ان يعبر عن عكس ما كان يعبّر عنه من قبل . ويحدث في بعض هذه الحالات ان يحتفظ اللفظ بالدلالاتين القديمة والحديثة فيصير من الاضداد . ولنا على ذلك مثالان جيدان أحدهما من العربية والثاني من الفرنسية :

فكلمة ( استهتر ) تدل على معنى ( أحب ) ، كما تدل عند بعضهم اليوم على معنى ( استهان ) . وتعليل ذلك أن هذه الكلمة كانت لا تقال الا اذا أحب انسان شيئاً او شخصاً حباً لا يبالي معه ما يقوله الناس عنه ، فكانوا اذا قالوا « استهتر زيد بالسفر » عنوا أن زيـداً مواع بالسفر ولو عاً شديداً يجعله لا يبالي ما يقوله الناس عنه في هذا الشأن ،



ثم انتقل معنى عدم البلاة هذا من قول الناس الى المحبوب ذاته ، فصرنا اذا قلنا اليوم « استهتر سعيد بالسفر » نفهم من ذلك انه لايبالي السفر ولا بهم له .

قد يقال : لكن معنى الاستهانة قد دخل لفظ ( استهتر ) عن طريق الوم أو الخطأ ، أو قد يقال : إن المعنيين لكلمة ( استهتر ) ليسا لها في وقت واحد ، وان احدهما كان لها في زمن ، وكان الثاني لها في زمن آخر ، وهذا من قبيل التبدل في المعنى ، وليس مما نحن فيه من الاضداد ، لان الاضداد لها معان متضادة في عصر واحد .

فمن القول الاول نجيب بأن الوم هو أحد أهم الاسباب لكثير من التطورات اللغوية ، وما اكثر الاخطاء التي فرضت نفسها وسلم بها حتى المتزمتون من اللغويين . وأما عن القول الثاني فأقول إن بعض الكتاب اليوم يستعمل كلمة ( استهتر ) للمعنيين معاً ، واذكر اني قرأت مرة كتاباً استعمل فيه صاحبه كلمة ( استهتر ) للمعنيين كليهما في صفحة واحدة . ومن المؤسف ان الذاكرة لاتسعفني لذكر اسم هذا الكتاب .

واما المثال الفرنسي فيذكره لنا (موريس شون) في كتابه ( حياة الكلمات وموتها ) حيث يقول ماملخصه<sup>(١)</sup> :

يؤكد علماء الاصوات اللغوية ان الكلمة الفرنسية ( tuer = قتل ) هي من الكلمة اللاتينية ( tutari ) التي معناها ( حفظ وصان ) . لكن

علماء الدلالة يحتجون قائلين : كيف يمكن لكلمة تمضي ( حفظ ) ان تأخذ معنى ( أمات ) ؟ وظل الامر محل أخذ ورد حتى جاء الجواب من أحد علماء اللغة : فقد حدث لهذا العالم انه زار في عطلة له إحدى تلك المقاطعات الفرنسية القديمة حيث لازال يحتفظ الناس بقدر كبير من الكلمات القديمة والاستعمالات القديمة للكلمات ، فسمع ربة المنزل تقول ذات مساء « je vais tuer le feu » = « سأقتل النار » فراقبها لسيرى ماتفعل ، فوجدتها تغطي ما يقي من الجمرات في الموقد بالرماد ، وهي تقول : « غداً صباحاً ، سأكون لأزال أملك جمرة حمراء تحت الرماد ، وقليل من الحطب مع بضع نفخات كافية لتميد ناري إلى اشتعالها الاول ، وهنا فكر العالم اللغوي قائلاً في نفسه : إن ( tuer ) معناها حفظ كما جاء على لسان ربة المنزل هذه ، لكن ( حفظ النار ) ادت الى معنى ( ستر الجمر ) ، وهذه انتهت الى معنى ( خنق الجمر ) ، وهذه الى معنى ( خنق وأمات ) . وهكذا تصبح كلمة ( tuer ) عند هذه الفرنسية من الاضداد اذ هي تمضي قتل وحفظ .

### ٣ - الترادف :

هو دلالة الالفاظ المختلفة على المعنى الواحد ، مثل : المسكن والمنزل والدار والبيت ، ومثل : ذهب ومضى وانطلق وغدا . . . الخ .

والترادف أمر معروف في كل اللسن ، إلا أنه في العربية اكثر منه في غيرها ، لذلك عده بعضهم من أبرز خصائصها . ويبدو ذلك معقولاً اذا تذكرنا ان من علماء العربية من وضع كتباً مخصوصة لأسماء شيء واحد ، فقد ألف ابن خالويه كتاباً في أسماء الاسد ، وكتاباً آخر في أسماء

الحية<sup>(١)</sup> . كما ألف العلامة مجد الدين الفيروزآبادي صاحب القاموس كتاباً سماه «الروض المسلوف فيما له اسمان الى ألوف»<sup>(٢)</sup> وكتاباً آخر سماه «ترقيق الاسل لتصفيق العسل» ذكر فيه للعسل ثمانين اسماً ، ومع ذلك لم يستوفها كلها ، كما يقول السيوطي ، بل فاته منها اثنان ، اولهما الصرخدي الذي ذكره القالي في أماليه ، والثاني السمايب الذي ذكره الزجاج في أماليه أيضاً<sup>(٣)</sup> .

وكما اختلف العلماء في امر المشترك اللفظي ، فكذلك اختلفوا في أمر المترادف ، فقد أنكروه بعضهم ، وأثبتته آخرون . ويمكن الاطلاع على دعوى كل من الفريقين وحججه بما ورد في (الصاحبي) لابن فارس حيث يقول في هذا الصدد :

« ويسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة ، نحو : السيف والمهند والحسام » .

« والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد ، وهو ( السيف ) وما بعده من الاقاب صفات . ومذهبنا ان كل صفة منها فمعناها غير معنى الاخرى .

« وقد خالف في ذلك قوم ، فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها ، فإنها ترجع الى معنى واحد . وذلك قولنا : سيف وعضب

١ - الزهر . ج ١ ص ٢٤٢

٢ - المرجع نفسه ج ١ ص ٢٤١

٣ - المرجع نفسه ج ١ ص ٢٤٢

وحسام .

« وقال آخرون : ليس منها اسم ولاصفة إلا ومعناه غير معنى الآخر . قالوا : وكذلك الافعال ، نحو : مضى وذهب وانطلق ، وقعد وجلس ، ورقد ونام وهجج . قالوا : ففي « قعد » معنى ليس في «جلس» وكذلك القول فيما سواه .

« وبهذا نقول ، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب .

« واحتج أصحاب المقالة بأنه : لو كان لكل لفظ معنى غير معنى الاخرى لما أمكن ان يعبر عن شيء بغير عبارته . وذلك أنا نقول في « لاريب فيه » : « لاشك فيه » ، فلو كان « الريب » غير « الشك » لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ . فلما عبر عن هذا بهذا علم ان المعنى واحد .

« قالوا : وانما يأتي الشمر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيداً ومبالغة ، كقولهم :

وهند أتى من دونها التأني والبُعد<sup>(١)</sup>

« فقالوا : فالتأني هو البعد . قالوا : وكذلك قول الآخر : ان الحبس هو الأصر<sup>٢</sup> .

« ونحن نقول : ان في ( قعد ) معنى ليس في ( جلس ) . ألا

---

١ - البيت للحطيفة . وصدده : ألا حيناً هند وارض بها هند .

ترى انا نقول : ( قام ثم قعد ) و ( أخذ المقيم والمقيم ) و ( قعدت المرأة عن الحيض ) ، ونقول لناس من الخوارج ( قعد ) ثم نقول : ( كان مضطجماً فجلس ) فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس ، لان ( الجئس : المرتفع ) . فالجلوس ارتفاع عما هو دونه . وعلى هذا يجري الباب كله .

« واما قولهم : ان المعنيين لو اختلفا لما جاز ان يعبر عن الشيء بالشيء . فانا نقول : إنما عبر عنه من طريق المشاكلة ، ولسنا نقول ان اللفظين مختلفتان ، فيلزمنا ماقلوه ، وانما نقول ان في كل واحدة منهما معنى ليس في الاخرى » (١) .

ويظهر أن إنكار الترادف ، والقول بالبيان كان مذهب أبي علي الفارسي أيضاً . فقد نقل السيوطي عن العلامة عز الدين بن جماعة ان الشيخ القاضي أبا بكر بن العربي قال : كنت بمجلس سيف الدولة بجلب ، وبالخرصة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه . فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسماً ، فتبسم ابو علي ، وقال : ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف . قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي : هذه صفات . وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة » (٢)

وعلى الرغم مما في قول أبي علي وابن فارس من جانب من الحق

١ - الصاحي . ص ٦٥ - ٦٦

٢ - المزهري . ج ١ ص ٢٤٠

لا يمكن دحضه ، فان إنكار الترادف إنكاراً تاماً مذهب لا تؤيده النصوص والشواهد الكثيرة ، فالترادف شيء ثابت في العربية كما هو ثابت في غيرها من اللسان ، ومحاولة التكرين إيجاد فروق بين المترادفات هي محاولة مخففة يبدو عليها التكلف والتمسف ، وذلك كتفريقهم بين الصمم والطرش والصلح وبين الانسان والبشر ، وبين الخندريس والعقار ... الخ (١) .

وأما ما عناه أبو علي بالصفات فان بعضه وإن كان قد لحظ فيه معنى الصفة أول الامر ، إلا انه ، بكثرة الاستعمال ، نقل من الوصفية إلى الاسمية ، وأصبح لا يعني أكثر مما يعني الاسم الصريح للذات . وقد تنبه الى ذلك بعض المتأخرين واقترح ان تسمى ( بالتكافئة ) الالفاظ التي كانت صفات في أصل وضعها ، ثم صارت مساوية لاسم الذات في دلالتها على الذات ، مثل : الغفور ، والرحيم ، والتقدير التي يفهم منها ذات الله سبحانه وتعالى (٢) .

هذا ، ويقترح الكيا في تعليقه في الاصول تقسيماً غريباً للترادف تكون الالفاظ فيه على نوعين : متواردة . ومترادفة . فالتواردة كما تسمى الحجر عقاراً وصبياء وقهوة ، والسبع اسداً وليثاً وضرغاماً ، والترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظ لمان متقاربة يجمعها معنى واحد ، كما يقال : أصلح الفاسد ، ولم الشعث ، ورتق الفتق وشعب الصدع . (٣)

وظاهر كلام الكيا أنه يعني بالتوارد دلالة الالفاظ المختلفة على الذات الواحدة ، وأنه يعني بالترادف دلالة العبارات المختلفة على المعاني المتقاربة .

١ - انظر المزهري . ج ١ ص ٢٢٩ ، ودلالة الالفاظ . ص ٢١٢ - ٢١٣

٢ - انظر المزهري . ج ١ ص ٢٤٠

٣ - المرجع نفسه . ج ١ ص ٢٤١

وعلى كل حال ، فإن للترادف في اللغة سببين : أحدهما ان يكون من واضعين ، وهو الاكثر ، وذلك بأن تضع إحدى القبيلتين احدا الاسمين ، وتضع الاخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد ، من غير ان تشعر إحداها بالآخرى ، ثم يشتهر الوضمان ويخفي الواضمان ، او يلتبس وضع احدهما بوضع الآخر .<sup>(١)</sup> ومن هذا القبيل ما يكون من الترادف بين الفاظ عدة لمسمى واحد ، يكون بعضها اصيلاً ، والبعض الآخر دخيلاً ، وهذا كثير في العربية ، كالدلفين والبال ، والدخس والحوت ، فالاولان دخيلان من الرومية ، والثانيان عريان اصيلان ؛ واما السبب الثاني فهو ان يلحظ في المسمى الواحد صفات متعددة ، فيشتق له اسماء تشير الى صفاته ، ثم تصبح هذه الصفات كأنها اسماء له ، مثل : الدار والمسكن والمنزل والمأوى ... الخ .

---

١ - المرجع نفسه . ج ١ ص ٢٤١

## تبدل اللفظ المفرد والجمع

كما لاحظناه علماء اللغة ، حتى القدماء منهم ، أن مفردات اللغة لا تثبت على حال واحدة ، بل هي في تبدل وتغير مستمرين ، إذ كثيراً ما تهمل بعض الالفاظ لتتوارى عن الاستعمال ، وتقبـع في بطون المعاجم على انها من الغريب ، كما ان بعضها الآخر يظهر بعد خفاء ، ويلتـمـع نجمه بعد خفوت . بل كثيراً ما يحدث أن الفاظاً تموت نهائياً لعدم الحاجة اليها ، وان الفاظاً اخرى تتخلق من العدم لان الحاجة دعت الى خلقها . ويمكن التثبت من ذلك بمقارنة سريعة لما نستعمله اليوم من الفاظ العربية الفصحى بما في بطون المعاجم الضخمة القديمة من هذه الالفاظ . ويجب ألا ندهش اذا تبين لنا ان آلافاً من الكلمات قد ماتت فلم تعد مسموعة على الشفاه ، ولا سيما تلك التي تتعلق بمسميات من البيئـة البدوية الصحراوية بما ليس له وجود في حياتنا المعاصرة ، مثل اوصاف الابل والخيـل ، واسماء النباتات والحيوانات الصحراوية المختلفة ، كما يجب الا ندهش اذا رأينا ان هذه المعاجم تخلو من آلاف من الكلمات الجديدة التي استحدثناها للتعبير عن المخترعات والافكار الحديثة ، مثل الطيارة والباخرة والدبابة والطراد والاشتراكية والديمقراطية وغيرها .

متن اللغة اذن مثل بحيرة نهرية : ترفدها دائماً مياه جديدة ، كما تفقد دائماً بعضاً من مياهها التي كانت فيها ، وبعبارة اخرى : ان التطور



يصيب متن اللغة مثلما يصيب اصواتها ونحوها . غير ان هناك فرقاً بين التطور الذي يصيب الصوتيات والنحو ، وذلك الذي يصيب المفردات :

« فالنظام الصوتي يستقر منذ الطفولة ، ويستمر طول الحياة ؛ فالانسان يحتفظ حتى آخر حياته بمجموعة الحركات التي تموت عليها اعضاءه الصوتية منذ طفولته ، اللهم إلا ان يحدث له عارض ناتج من التعليم ، وذلك في حالة ان يتلقن نطقاً اجنبياً يحمل محل النطق القومي . والنظام النحوي ثابت ايضاً . نعم ان استقراره يتطلب وقتاً اطول ؛ ولكنه بعد ان يستقر لا يعتربه تغير يذكر . ذلك بأن النحو لا يتغير في اثناء جيل واحد ؛ بل هو ، كالصوتيات ، انما يتغير في الانتقال من جيل الى جيل . فالنظام الصوتي والنظام النحوي اذا ما اكتسبا مرة بقيا طول العمر ، ويدينان باستقرارهما الى استقرار ذهنية المتكلم .

« اما المفردات فعلى العكس من ذلك لا تستقر على حال ، لانها تتبع الظروف . فكل متكلم يكون مفرداته من اول حياته الى آخرها بدوامته على الاستمارة بمن يحيطون به . فالانسان يزيد من مفرداته ، ولكنه ينقص منها ايضاً ، ويغير الكلمات في حركة دائمة من الدخول والخروج (١)

وهنا يمترضنا سؤالان لا بد من الاجابة عنهما :

اولهما : لماذا تبدل اللغة مفرداتها ؟

وثانيها : ما وسائل اللغة في خلق مفرداتها الجديدة ؟

## الأسباب تبدل المفردات

### ورسائل توليدها

ان الاسباب التي تحمل اللغة على تبديل مفرداتها معقدة جداً ،  
واحياناً تند عن كل بحث . ذلك لان حالات الكلمات جـد غريبة ،  
تتوقف على عوارض يستحيل ان تتنبأ بها قبل وقوعها ، كما يستحيل  
ان نتخيلها بعد وقوعها اذا لم يدنا التاريخ بما يدل عليها . ومع ذلك  
فهناك اسباب عامة لتجديد المفردات تستطيع ان تفسر الجزء الاعظم من  
حالاتها . ويمكننا ان نرد هذه الاسباب الى نوعين : اسباب فردية ترجع  
الى سيكولوجية المتكلم نفسه ، واسباب اجتماعية ترجع الى تقاليد المجتمع  
واعرافه . (١)

### ١ - الاسباب الفردية :

١ - يحدث لبعض الكلمات ان تصاب بعوارض صوتية تقصر من  
طولها . وفي هذه الحالة يميل المتكلم الى التخلص منها ، والاستعاضة عنها

---

١ - انظر المرجع نفسه . ص ٢٧١ - ٢٧٢

بكلمات أكثر طولاً ، لان الكلمات القصيرة يتقصها التعبير غالباً . لهذا السبب لم يمد في الفرنسية ولا في أي لسان روماني آخر أثر للكلمة اللاتينية ( os = فم ) ، ولهذا السبب أيضاً أهملت العاميات العربية بعض الكلمات الفصحى التي لم تمد لشدة قصرها وافية بالفرض ، ولا كافية للتعبير عن المعنى الذي ينيط بها التعبير عنه .

فمن ذلك ( الباء ) الجارة التي أهملها السوريون لشدة قصرها ، ولاسيما اذا كان مجرورها ضميراً متصلاً ، واستعاضوا عنها بكلمة ( جواءة ) ، فقالوا : ( جواءة البيت ) بدلاً من ( باليت ) ، و ( جواءتو ) بدلاً من ( به ) . أما المتكلم المصري فالظاهر أن هذا القصر بالباء لايزعجه كثيراً ، لذلك احتفظ بها مع اطالة كسرتها في بعض الاحيان ، أو تضعيف مجرورها ان كان هذا المجرور ياء المتكلم ، فقال : ( بيك ) في ( بك ) ، و ( بي ) في ( بي ) . وانما فعل ذلك للتمويض عن القصر الشديد الذي تتميز به الباء .

ومن ذلك أيضاً كلمة ( فو ) التي استعاض عنها المصريون بكلمة ( بق ) - بالتشديد - ، وكلمة ( حم ) التي استعاض عنها الحلبيون بكلمة ( عم ) ، مع احتفاظهم بمؤنثها ( حماة ) ، لان هذه اطول من تلك بسبب وجود التاء المربوطة فيها .

ومع ذلك ، ينبغي الا نبالغ في اهمية هذا السبب الصوتي . اذ من النادر ان يستطيع وحده تفسير كل شيء في قضية هجر الكلمات القصيرة . فالكلمات التي هجرها الاستعمال لقصرها كانت تحتوي أحياناً على دواع أخرى لهذا الهجر . ثم ان اللغة نفسها كثيراً ماقاوم ، فتروض عن

البلى الصوتي الذي يمتري بعض الكلمات بأمر متبوع في محاولة للاحتفاظ بهذه الكلمات : فقد تضيف الى الكلمات القصيرة عناصر صوتية تزيد من طولها ، وهذا ما فعلته الاماميات العربية حين شددت الكلمات ( يد ، أخ ، أب ، دم ) ، وما فعلته اللبنانية حين أضافت نون الوقاية بين الباء والحارة وياء التكلم ( بي = بي ) ، وما فعلته الفرنسية من نطق الكاف المتطرفة في كلمة ( Bourg = بور ، اسم مدينة ) فقالت : ( بورك ) . وقد تلجأ اللغة في محاولة حمايتها للكلمات القصيرة وتمضيدها إلى اسنادها بكلمات أخرى بصورة دائمة : « فالصفتان الفرنسيتان ( Sain = سليم ) و ( Sauf = معافى ) ، لا توجد إحداهما بمزل عن الأخرى ، بل تتحدان معاً ، وبهذا تأتتى لهاتين العاجزين أن تقويا على المقاومة : فيقال ( Sain et Sauf = سليم معافى )<sup>(١)</sup> . وفي العربية لا ترى كلمة ( شذر ) إلا ومها كلمة ( مذر ) ، فيقال : ( تفرق القوم شذر مذر ) . وكذلك يتمذر عليك أن تمثر على عبارة تشتمل على كلمة ( حيص ) وحدها . وستجدها دائماً متبعة بكلمة ( بيص ) في قولهم : ( وقع القوم في حيص بيص ) .

٢ - وليس البلى المعنوي أقل خطورة من البلى الصوتي ، فكثرة الاستعمال تبلي الكلمات في معناها . ولا سيما اذا كانت من الكلمات المعبرة ، لأن قيمتها التعبيرية تتضاءل بسرعة في الاستعمال ، فتصبح الكلمة معتمة بالية . وفي حالة التعبير عن انفعالات النفس مثلاً ، نرى أقوى الكلمات تخطو نحو الجمول شيئاً فشيئاً حتى تنتهي بالاهمال ، لأنها لم تعد معبرة . ويمكننا تحقيق هذه الحقيقة في حالة التعبير عن الكمية ولا سيما الكمية

الكبيرة (١) . فكل الألسن تملك عدداً من الكلمات للدلالة على هذه الكمية ، فتقول العربية ( كثير - ووافر - وجم - وغزير - وطيس... الخ ) ، وتقول الفرنسية ( beaucoup = كثير - و un grand nombre = عدد كبير - و une foule = جمهور - و des quantités كميات - و des tas = اكوام - و des flottes = اساطيل... الخ ) .

٣ - كل الكلمات التي لها قوة تعبيرية أياً كانت ، ممرضة لضعف قيمتها ، وهذا بدوره يبعث على التجديد . وكم في كل لسان من عبارات تدل على شيء كرهه ثقيل ؟ يقال في الفرنسية وحدها : ( ennuyant = مسئم - embétant = مزعج - fatigant = متعب - crispant = مشننج - espuintant = خانق - etreintant = مضيق - assommant = قاتل - tuant = قاتل - rasant = حالق - arbant = قاس - canulant = حاقن (٢) . ) ويقال في العربية ( كرهه - شنيع - سمج - مجوج - بغيض... الخ ) .

٤ - إذا كانت الفكرة أو الشيء من الافكار أو الاشياء التي تثير الى جانب قيمتها الأساسية قيماً ثانوية تبعاً للأوساط والظروف ، وجدنا عنها في اللغة عبارات متنوعة . وتدخل النقود في هذه الاشياء ، فلها في كل لسان عبارات عديدة . فيقال عنها في الفرنسية : ( de la galette = كعك - de la braise = حجر - du beurre = زبد - de l'os = عظم... الخ (٢) ) . ويقال في العربية : ( نقود - فلوس - الابيض والاصفر... الخ ) . وبالطبع يسبر عن فعل ( نقد ) بصور مختلفة

١ - نفسه . ص ٢٧٤

٢ - نفسه . ص ٢٧٥ - ٢٧٦

٣ - نفسه . ص ٢٧٣

تبعاً للاسقاط . فتقول العامية السورية : ( نقد - نقف - كبس - أدمي  
- فاول ... الخ ) .

قد يمتج بأن الكلمات التي ذكرت هنا ، كلها من العامية ، ولكن  
هذا احتجاج مردود ، لان العامية تنتج من ظروف طبيعية للغة ؛ والعامية  
ليس معناها لساناً اصطناعياً بأية حال . فمسالك العامية مسالك طبيعية لاغبار  
عليها . واذا كانت الحاجة الى التجديد أظهر في العامية منها في غيرها ،  
فمرجع ذلك الى استعمال هذه العامية لسان تخاطب ، والتمييزية في الخطاب  
ضرورة دائمة (١) .

• - فكرة التكلم ايضاً تختلف بدورها باختلاف المواطن التي  
تثيرها . والافعال التي معناها « تكلم » تبلى بسرعة . فها نحن نقول :  
( قال - تكلم - حدث - روى - دردش - كرى - نقش - حكى -  
هرتم - زهير ... الخ ) .

٦ - واحياناً يرجع التجديد الى الرغبة في المخالفة . فهناك اشياء  
تسلك أزواجاً وبصر الذهن على التفريق بين افرادها الى حد انه اذا  
تشابه اسما فردين من هذه الاشياء نتيجة مصادفة ما ، اختفى احدهما ،  
وحل غيره محله ليقى التمييز بين السمين واضحاً . هذه هي الحال مع  
التمييز بين الجنسين في بني الانسان وفي الحيوان . والزواج الاساسي  
الذي اتخذ مثلاً يحتذى في كل ماعداه ، هو الاب والام اللذان لهما في  
كل الحالات ، وفي كل الاماكن اسمان مختلفان . ووفقاً لهذا المثال

---

١ - انظر فديريس : اللغة . ص ٢٧٦ و ٣٠٩ - ٢٢٥

سمي عدد آخر من الأزواج بأسماء مختلفة<sup>(١)</sup> : الاسد واللبوة ، والحمار والأتان ، والجل والناقة ، والثور والبقرة ، والظلم والنعامة . الخ .  
وجرياً على ذلك تميل المربية اليوم الى استبدال الفاظ متنوعة بكلمة « جدت » . فتقول الحليية « نانة » وتقول غيرها « ست » . وأغلب الظن أن الاحتفاظ بهذه المخالفة على هذا النحو من العناية يرجع الى ميل عام في الذهن .

### ب - الأسباب الاجتماعية

لا تستطيع السيكولوجية ، حتى في الامثلة السابقة ، ان تفسر لنا كل شيء . فالبلى الذي يصيب الكلمات يرجع دائماً ، ولو بمقدار قليل الى البيئة الاجتماعية التي تستعملها . وادن ، يجدر بنا ان نناقش مسألة تجديد المفردات من الوجهة الاجتماعية .

١ - فالاسباب الاجتماعية واضحة جداً في تغير الكلمات مراعاة للباقة . إذ ليس من اللائق أن يتكلم في أحد المجتمعات عن أفعال معروفة بالفظاظة ، أو بأنها مما يجرح الحياء ، وتستعمل الألفاظ التي تعبر عنها من بين المفردات التي يستعملها الأشخاص المهذبون . فللتعبير عن هذه الأفعال عبارات متنوعة تبقى مستعملة حتى تصير بدورها خشنة وجارحة للاذن<sup>(٢)</sup> . ولهذا السبب استعضنا عن « تقياً » بكلمات كثيرة ، مثل « طش » و « راجع » و « استفرغ » ، وعن « نكح » بكلمة « زوج » ، وعن « بال » بكلمتي « شخ » و « فر » ، وغيرهما ، وعن « تقوط » ب « طلوع لبرا » . الخ .

١ - نفسه . ص ٢٧٨

٢ - نفسه . ص ٢٨٠

وقد تنبه الى ذلك علماؤنا القدماء ، وبه فسروا كثرة الألفاظ العربية للدالة على الفعل الجنسي ، وما يتصل به من الأعضاء الجنسية . فقد ذكر أبو حيان التوحيدي في كتابه (مثاب الوزيرين) ما يلي (١) :

« حدثني ابن فارس : جرى بين يديه (٢) أسماء الفرج وكثرتها ، فقال بعض الحاضرين : ماذا أرادت العرب بتكثيرها مع قبحها ؟ فقال : لما رأوا الشيء قبيحاً جملوا يكونون عنه ، وكانت الكناية عند فشوها تصير الى حد الاسم الأول ، فينتقلون الى كناية أخرى ، فاذا اتسعت ايضاً رأوا فيها من القبح مثل ما كثوا عنه من أجله ، وعلى هذا فكثرت الكنايات ، وليس عرضهم تكثيرها . »

٢ - شأن الكلمات الفاسية الجارحة للمواطف كشأن الكلمات القذرة والجارحة للحياء . لهذا تسمى اللفظة دائماً الى استبدال غيرها بها . وعلى هذا استغنيانا عن كلمة (اعمى) بكلمات كثيرة ، مثل (بصير) و(كفيف) و(ضري) ، وعن كلمة (مات) بكلمات (ارتحم) و(توفي) و(اعطاك عمره) .

٣ - تلمب الخرافة دوراً مهماً في تمييز المفردات ، ففي المجتمعات التي يسودها الاعتقاد أن ذكر الشيء باسمه الصريح يؤدي الى حضوره ، يتحاشى الناس التللفظ بالكلمات الدالة على أشياء مخوفة مستعصين عنها بالكنايات ، فالنسوة في حلب يهربن عن مرض السل بقولهن : (هداك المرض = ذلك المرض) ، وعن الشياطين بقولهن (بسم الله الرحمن الرحيم) .

٤ - تقضي الأعراف والامتدادات الدينية في بعض الاحيان بتحريم بعض الشتائم لصلتها بالاخلاق أو بالدين . وفي هذه الحالة تلجأ اللفظة الى تشويه

١ - ص ٢٥٤ - ٢٥٥

٢ - أي بين يدي الوزير ابن العميد



لفظ الشتيمة المحرمة لتتحاشي المنع العرفي او الديني ، فيكون من كل ذلك خلق الفاظ جديدة بدلاً من الالفاظ القديمة . من ذلك مثلاً قول العامة عندنا : ( يفضح حريشك ) بدلاً من ( يفضح حريمك ) ، وقولهم : ( يلعن سبطينك ) بدلاً من ( يلعن دينك ) .

٥ - كلما تحقق تقدم في الصناعة الانسانية ترجم عن نفسه باستعمال آلات واجراءات جديدة يقابلها خلق كلمات جديدة بقدرها .

فالتغيرات التي تطرأ على الآلات تنعكس في المفردات بطبيعة الحال ، فالخذاء ، وقد غداله اشكال مختلفة ، أخذ كلمات مختلفة بقدر هذه الاشكال : فهو ( حذاء ، وقنطرة ، وبوط ، وشبشب ، وصرماية ، ومشاية ، وسكريينة . وكلاشة ، وصندل ، وشحاطة ، وجزمة ، وغير ذلك ) ، و ( الرغيف ) لا يقال إلا لقطعة الخبز المرقوقة المستديرة ، أما إن كانت متطاولة فهي ( شبطية ) ، فان كانت مستديرة مع سمك فهي ( صمنة ) ، فان تطاولت مع سمك فهي ( صندويشة ) .

٦ - اذا تعددت وجوه الاستعمال لحيوان ما تعددت اسمائه ، وهذا سبب كثرة اسماء الجمل في العربية . فاذا اريد ذبحه فهو ( الجزور ) ، واذا أعد لحم الاتقال فهو ( الذلول ) ، واذا استخدم للركوب فهو ( القعود ) . الخ .

٧ - اذا كان لشيء الواحد صلة بطبقات اجتماعية مختلفة ، كانت له اسماء متعددة ، فما يدفع للاعجير يدعى ( أجرة ) ، وما يؤدي المحامي يسمى ( اتعاباً ) ، وما يتقاضاه الموظف يسمى ( راتباً أو مرتباً أو معاشاً ) وما يقبضه الطبيب يسمى ( كشفية ) . أما ما يدفع لمعلم الصبيان في الكتاب

فهو ( خميسية ) ، وأما الحلاق وصاحب المقهى والحماي فيتقاضون ما يسمى ( شكلة ) .

★ ★ ★

حان الوقت للاجابة عن السؤال الثاني ، وهو :

مالوسائل التي تتوسل بها اللغة لتلبية حاجتها الدائمة الى المفردات ؟

وفي الاجابة عن ذلك يقال :

إن العمليات اللغوية التي بها تتجدد المفردات يمكن ارجاعها بسهولة الى بضعة أنواع عامة ، منها :

١ - التركيب :

وهو ان تركب كلمتان من كلمات اللغة ، فيكون لهما في حالة التركيب معنى لم يكن لهما في حالة الافراد ، مثل بعلبك وحضرموت .

هذه الوسيلة في توليد المفردات ليست معتمدة بدرجة واحدة في جميع اللسن ، فعلى حين نجد الهنديات الاوروبيات - ولاسيما الالمانية - يؤثرنها على غيرها من الوسائل ، نرى الساميات لايلجأن إليها إلا في القليل النادر ، وتبدو العربية بخاصة أزهد اخواتها فيها ، والكلمات العربية التي ولدت بهذه الوسيلة قليلة جداً ، بل لعلها لا تزيد عن اثنتين ، اولاهما

« شَقَّحَطَب » ، على وزن « مفرجل » ، وهي اسم للكبش الذي له قرنان كل منهما يحكي « شقَّ حَطَب » ، وثانيتها : « حَبَقْر » ، اسماً للبرَد وهي مصنوعة من كلبي ( حب ) و ( قر ) بمعنى البرَد .

## ٢ - النحت :

وهو ان تأتي الى كلمتين أو اكثر ، فنحت من كل واحدة حرفاً أو اكثر ، ثم تصنع من هذه الحروف كلمة جديدة ، مثل : « حوقل » المنحوتة من عبارة « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وهذه الوسيلة نادرة الاستعمال في العربية ، الا ان الكلمات العربية التي صنعت بها اكثر نسبياً من الكلمات التي صنعت بطريقة التركيب .

هذا وبعد النحت اليوم من الوسائل المفضلة لصنع الكلمات الكثيرة التي تحتاج اليها الحضارة ، ولاسيما في مجال الادوية والشركات والمؤسسات والمخترعات والمستنبطات الكيماوية وغيرها . ومن الكلمات المشهورة التي صنعت عن هذا الطريق : الرادار والتابلون واليونسكو والسيمكس والنازي ... وغيرها (١) .

١ - يعد النحاة والفويون العرب كلا من التركيب والنحت شيئاً واحداً يسمونه ( النحت ) . إلا اننا فضلنا ان نخص مصطلح ( التركيب ) بالعملية اللغوية التي ليس فيها إسقاط لشيء من مادة المفردات التي تدخل في تركيب الكلمة الجديدة ، ومصطلح ( النحت ) بالعملية التي يجري فيها هذا الإسقاط .

هذا ويعد النحاة العرب النحت نوعاً من الاشتقاق كما سترى في الفصل القادم .

### ٣ - النقل من العملية الى الاسمية :

وهو ان تسمي شيئاً جديداً باسم مخترعه او مروه او بائه او الشركة التي اشتهرت بصنعه ، مثل : « شينكو » التي يطلقها أهل حلب على الآنية الحديدية المطلية باليناء . والاسم كان علماً للشركة اليابانية التي كانت اول من باع هذا النوع من الآنية . ومثل : « بوتغاز » التي تطلق اليوم على آلة الطهي الغازية المعروفة . وكان الاسم اول الامر علماً لاول شركة لتوزيع الغاز .

### ٤ - النسب :

وهو ان تسمي شيئاً جديداً بأن تنسبه الى مخترعه او الى البلد الذي جاء منه ، مثل : ( الكوفية ) المنسوبة الى ( الكوفة ) ، وهي غطاء معروف للرأس ، و ( المامونية ) المنسوبة الى ( المأمون ) ، وهي طعام مصنوع من سميد وسمن وسكر .

### ٥ - المحاكاة :

وهي ان تسمي صوتاً او شيئاً بمحاكاة أو محاكاة ما يصدر عنه من اصوات بالاصوات اللغوية ، مثل : ( بم ) حكاية صوت الانفجار ، و البقرة اسماً للثليان .

ومن اللغويين من يرى ان المحاكاة كانت الوسيلة الاولى لدى الانسان في انشاء اللغة بجميع مفرداتها<sup>(١)</sup> .

---

١ - من هؤلاء ابن جني . راجع الفصل الخاص بنشأة اللغة من الباب الثاني من الكتاب .

والكلمات العربية المتولدة بهذه الطريقة كثيرة ، منها : الخبز والحفيف والتقيق والازيز والشبيق والنهيق والصهيل والمواء والمواء والخوار... وغيرها .

## ٦ - الاختراع :

وهو ان تلجأ اللغة الى صنع الكلمات من أساسها بتركيب مجاميع من الأصوات اللغوية بعضها مع بعض ، مثل gaz «غاز» التي اخترعت في القرن الثامن عشر ، و rococo « نوع من الزخرفة » . ومن ذلك اسماء بعض المستحضرات والسلم والآلات ، مثل كلمة Kodak «كوداك» التي خرجت كما هي من دماغ مخترعها ، وكلمة «خنفشار» التي تذكر الأخبار انها كانت من صنع ستة من الاشخاص وضع كل واحد منهم حرفاً من حروفها .

وأنكر بعضهم طريقة الاختراع ذاهبين الى أنه لا شيء أصعب من صنع كلمة دون الاهتداء بوسائل الاشتقاق والتركيب المعتادة في اللسان الذي يتكلمه الصانع . وردوا الكلمات المخترعة الى وسائل أخرى في توليد المفردات : فقالوا إن كلمة gaz فيها صدى كلمة geist «روح» ، وعلى هذا نكون امام حالة تشويه لكلمة موجودة بالفعل ، لا أمام حالة اختراع من العدم . اما الكلمات التي من قبيل Kodak و rococo فلها قيمة تميرية لا تنكر ، ذلك انها كلمات أشبه باسماء الأصوات . فكلمة «كوداك» تصور لنا صورة ، هي صورة سمعية ، حتى كأننا نسمع صوت المفتاح الذي يفتح الآلة لالتقاط الصورة ويطلقها . فهل أحس مخترع الكلمة هذه القيمة واراد التمييز عنها؟ إن هذا لجائز ، ولكنه غير ضروري . غير ان هناك دائماً انقاساً غير شعوري يقوم بين الأصوات والأشياء . فالانطباع الذي تحدثه كلمة غير

معروفة يمكن ان يختلف من سامع إلى آخر ، ولكن هناك انطباعاً على كل حال ، إن قليلاً وإن كثيراً . وإنما يقاس الفرق بدرجة حساسية السامع ، أو خياله ، أو مجرد حالته العصبية . فالذي يطلق اسماً مصنوعاً من اوله الى آخره على شيء ، أياً كان ، قد يكون مستهدياً بتوافق نفسي بين الاصوات والشئ نفسه . هذا الى ان كلمة ( كوداك ) متمشية مع قواعد اللغة التصويرية : فالجيسات تحتوي على نفس الحركة الصوتية ، والطلائع فيها نفس الجرس الذي قرره الاستاذ غرامون . وهذه الكلمة تعد على درجة من حسن الصياغة تجعلنا نتساءل عما اذا كان في الامكان صياغتها على غير ما هي عليه .

واعن القدرة على خلق الكلمات ليست الا نوعاً من الخداع . وهذه النتيجة تؤدي بنا الى القاعدة اللغوية الكبرى التي تقول : ان اللسان يسير على تموير العناصر الموجودة ، لاعلى الخلق والاختراع .<sup>(١)</sup>

#### ٧ - الاشتقاق :

هو نزع لفظ من لفظ آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيباً ، وتغايرها في الصيغة ، كاشتقاق ( عالم ) من ( علم ) و ( مكتوب ) من ( كتب ) . والاشتقاق من أم الوسائل لتوليد المفردات لدى جميع اللسان ، وهو في المرية أهمها على الاطلاق . وله فيها قواعد مرسومة وطرائق مخصوصة سنأتي على ذكرها ان شاء الله في الفصل القادم .

#### ٨ - الاقتباس :

ويسمى الاقتراض او الاستعارة emprunt أحياناً . ويقوم على

---

١ - فندريس . اللغة ص ٢٩٢ - ٢٩٤

أخذ كلمة من لسان إلى لسان آخر . وإذا كان هذا الأخذ من غير العربية إليها سمي تعريباً . ومنعقد للتعريب فصلاً خاصاً إن شاء الله .

وتختلف الألسن في أمر الاقتباس اختلافاً كبيراً : فمنها ما يقصر اقتباسه على الرطانات ، ومنها ما يعتمد على اللهجات الخاصة أو الإقليمية ، ومنها ما يجعله على اعتاده على الألسن الأجنبية . وفي هذا الشأن كانت العربية خلال عصور عديدة المين الذي لا ينضب لتجديد مفردات كل من الفارسية والتركية . وكانت اللاتينية في كل العصور مصدراً لتجديد المفردات في ألسن أوروبا الغربية ، وآسيا الفرنسية . كما كانت اللاتينية نبماً فياً للأنكليزية ، والألمانية ولكن بصورة مصفرة ، لأن الألمانية تكتفي بنفسها ، بفضل ما فيها من لهجات عديدة غنية ، وبفضل نظام التركيب الذي يسمح لها بزيادة مفرداتها زيادة واسعة (١) .

والأغريقية كانت مميناً للألسن السلافية ، وخصوصاً الروسية التي كان لها ممين آخر دائم لتجديد مفرداتها يتمثل في اللهجات السلافية القديمة التي ظلت متصلة بعضها ببعض تحت تأثير الكنيسة (٢) .

---

١ - نفسه . ص ٢٩١

٢ - نفسه . ص ٢٩٢

## الاشتقاق في العربية

يعد الاشتقاق في العربية أهم وسيلة لتوليد الألفاظ . ولهذا عني به لغويو العرب قديماً وحديثاً ، وافردوه بالتأليف في كتب مستقلة ، أو في فصول طوال من مؤلفاتهم ، منهم قديماً : الاصمعي ، وقطرب ، وأبو الحسن الأحمش ، وأبو نصر الباهلي ، والمفضل بن سلمة ، والمبرد ، وابن دريد ، والزجاج ، وابن السراج ، والرماني ، والنحاس ، وابن خلوويه (١) ، وابن جني (٢) ومنهم حديثاً : الاستاذ محمد المبارك (٣) ، والاستاذ سعيد الافغاني (٤) ، والشيخ عبد القادر المغربي (٥) .

واليك ملخصاً لما قيل في هذا الموضوع :

### ١ - تعريف الاشتقاق :

هو اخذ لفظ من آخر مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ ، كأخذ «عالم» من «علم» و«مكتوب» من «كتب» .

- 
- ١ - السيوطي : ازهر . ج ١ ص ٣٥١
  - ٢ - انظر كتابه : الخصائص .
  - ٣ - انظر كتابه : فقه اللغة وخصائص العربية . ص ٦٩ - ١١١
  - ٤ - انظر كتابه : في اصول النحو . ص ١٠٤ - ١٢١
  - ٥ - انظر كتابه : الاشتاق والتعريب .



## ٢ - أنواع الاشتقاق :

حضر اللغويون العرب عدة اشياء تحت اسم الاشتقاق ، ثم عادوا ففرعوه ، فكان عندهم على اربعة انواع :

### آ - الاشتقاق الصغير أو الأصغر :

وهو ما في ايدي الناس ، وما ينصرف إليه لفظ الاشتقاق عند اطلاقه ، كاشتقاق ( ضارب ومضروب ) من ( ضرب ) و ( كاتب ومكتوب وكتاب ) من ( كتب ) .. وهلم جرا .

ويشترط في هذا النوع من الاشتقاق ان يتفق المشتق والمشتق منه في الاحرف الاصلية وفي ترتيبها . وفصائل الكلمات الناتجة منه عشر : الفعل الماضي ، والفعل المضارع ، وفعل الأمر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة باسم الفاعل ، واسم التفضيل ، واسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة .

وقواعد هذا النوع وشروطه مشروحة شرحاً وافياً في كل كتب النحو والصرف .

### ب - الاشتقاق الكبير :

ويسمى بالقلب ايضاً . وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المعنى ، واتفاق في الاحرف الاصلية دون ترتيبها ، مثل : ( جذب وجذب )<sup>(١)</sup> . فان الحروف في المشتق هي عينها في المشتق منه ، والمعنى

---

١ - قال ابن فارس : ومن سنن العرب القلب . . كقولهم ( جذب وجذب ) و ( بلى ولبك ) وهو كثير وقد صنفه علماء اللغة . الصاحبي . ص ١٧٢

ففيها متناسب ، وانما الفرق بينها ان الباء في الاول بمد الذال ، على عكس الثاني . وهذا ما عنوه بالقلب في هذا المقام .

ولما لم يكن معروفاً على جهة اليقين أي اللفظين أسبق على صاحبه في هذا النوع من الاشتقاق ، ليكون السابق هو المشتق منه ، واللاحق هو المشتق ، فقد اصطالحوا على ان الكلمة الاكثر شيوعاً وتداولاً تجعل الاصل المشتق منه ، والاخرى الاقل شيوعاً تجعل مشتقاً : فمن ثمة كان الجذب هو الاصل ، وجذب هو الفرع المشتق ، لان ( جذب ) دائر على السنتهم اكثر من ( جبد )<sup>(١)</sup> .

وامثلة هذا النوع في العربية كثيرة . منها :

( الشوب ) اي الخلط . يقولون : شاب الرجل اللبن بالماء ، اذا خلطه به .

فاذا قدمت الواو على الشين وقلت : ( وشب ) ، ثم جمعتها ، صارت : ( اوشاب ) ، وهم الاخلاط من الناس ، واذا قلت : ( وبش ) ، ثم جمعتها ، صارت : ( اوباش ) ، وهم الاخلاط من الناس ايضاً . و ( اوبشت الارض ) : انبتت واختلط نباتها . واذا قلت : ( بوش ) - مقلوب ما تقدم - كان معناها القوم المختلطين من قبائل شتى . ( والبوبش ) ايضاً طعام بمصر من حنطة وعدس يجمع ويفسل في زبيل ويجعل في جرة وبطن ويجعل في التنور ، وقد سمي بذلك لما فيه من الاختلاط . وتركبهم

---

١ - المغربي : الاشتقاق والتعريب . ص ١٠٠

( هوشاً بوشاً ) : مختلطين . و ( بوشوا تبوشاً ) : اختلطوا .

ومن ذلك :

( خرشب عمله ) : اذا لم يحكمه . فاذا قدمت الشين على الراء  
وقلت : ( خشرب عمله ) ، كان معناه ايضاً أنه لم يحكم العمل .

ومنه ايضاً :

( طفا ) فوق الماء : علا عليه . فاذا قدمت الالف على الفاء  
صارت : ( طاف ) . فطاف مقلوب طفا ، ومعناها متناسب متقارب ، وذلك  
لان من طفا على وجه الماء قلما يثبت في موضع ، وانما هو طائف متنقل  
على سطحه . ومنه ( الطوف ) : وهو قَرَبٌ تُنْفِخُ ويشد بعضها الى  
بعض ، ثم تركب ويحمل عليها في البحر<sup>(١)</sup> .

لعم اللغة الحديث في هذا النوع من الاشتقاق رأي يخالف رأي  
اللغويين العرب القدماء . فهذا العلم لا يرى بين ( جذب وجذ ) علاقة  
اشتقاقية ، بل يرى ظاهرة صوتية يسميها بظاهرة الانتقال المسكاني ، حيث  
تبادل الاصوات امكنتها في الكلمة الواحدة . وهي احدى ثلاث ظواهر  
في التبدلات الصوتية : ( التماثل ، والتخالف ، والانتقال )<sup>(٢)</sup> لكنه من  
الانصاف للغويين العرب ايضاً ان نقول : ان علم اللغة الحديث اذا نجح  
في تفسير مجموعة مثل ( جيد - جذب ) بظاهرة الانتقال المسكاني ، فانه  
يمجز عن تفسير مجموعات كثيرة من مثل ( طاف - طفا ) و ( خرشب

١ - انظر المرجع نفسه . ص ١١ - ١٢

٢ - راجع باب الاصوات .

- خشرب - خربش ) بهذه الظاهرة . فالمعروف ان الانتقال المكاني بين اصوات الكلمة لا يؤدي الى تغيير أو تحوير لمعنى الكلمة كما يفعل الاشتقاق .  
وإذن ، فان العلاقة بين ( طاف وطفأ ) هي علاقة اشتقاقية لانها ليسا بمعنى واحد ، بل هما بمعنىين متناسبين متقاربين ، خلافاً للحال مع مجموعة ( جبد - جذب ) .

بل لقد ذهب ابن جني الى ابرد مما ذهب اليه غيره من اللغويين العرب ، فقرر وجود معنى مشترك بين تقاليد الفعل الثلاثي الستة ، وسمى ذلك بالاشتقاق الاكبر .

يقول (١) :

« هذا موضع لم يسمه أحد من اصحابنا (٢) ، غير ان أبا علي رحمه الله كان يستعمل به ، ويخلد إليه مع اعواز الاشتقاق الأصغر ، لكنه مع هذا لم يسمه ، وانما كان يمتاده ويستروح إليه ويشمل به ، وانما هذا التلقب لنا نحن ، وسترأه فتعلم أنه لقب مستحسن ، وذلك ان الاشتقاق عندي على ضربين : كبير وصغير . فالصغير ما في ايدي الناس وكتبهم : كأن تأخذ أصلاً من الاصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغه ومبانيه . وذلك كتركيب ( س ل م ) فانك تأخذ منه معنى السلامة

---

١ - انظر باب الاشتقاق الاكبر من كتابه : الخصائص .

٢ - نقل الاستاذ سعيد الافغاني عن كتاب الفهرست لابن النديم ص ٩٥ ( المطبعة ارحمانية بمصر ) ان للرماني كتاب : ( الاشتقاق الصغير ) وكتاب ( الاشتقاق الكبير ) . والرماني من اتراب الفارسي واقراءه . وكان الفارسي شيعياً لابن جني . ومعنى ذلك ان ابن جني لم يكن السابق الى القول بالاشتقاق الكبير . انظر حاشية الصفحة ١١٠ من كتاب : في اصول النحو .

في تصرّبه ، نحو : سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم . .

واما الاشتقاق الاكبر فأن تأخذ اصلاً من الاصول الثلاثية  
فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما  
يتصرف من كل واحد منها عليه .

ثم مضى ابن جني بضرب الامثلة على قاعدته . وهذا واحد منها :

( ق و ل ) في جميع تراكيبها الستة تدل على الاسراع والحركة :

( ق و ل ) وهو القول ، وذلك ان اللسان والغم يخفان له . . وهو  
بضد السكوت الذي هو داعية الى السكون .

( ق ل و ) : القليو : حمار الوحش ، وذلك لخفته واسرعه ،  
ومنه : ( ق ل و ) البسر والسويق ) ، وذلك لان الشيء اذا قلبي جف  
وخف ، وكان اسرع الى الحركة والطف .

( و ق ل ) : الوقتل الوعل ، وذلك لحركته ، وتوقل في الجبل :  
اذا صعد فيه . وذلك لا يكون إلا مع الحركة والاعتمال .

( و ل ق ) : ولقي يلقى : اذا اسرع .

( ل و ق ) : في الحديث : ( لا آكل من الطعام إلا ما لوق لي )  
اي ما خدم واعملت اليد في تحريكه ، ومنه اللوقة : الزبدة ، وذلك  
لخفتها واسراع حركتها وانها ليست لها مسكة الجبن .

( ل ق و ) : اللقوة للعبة اب ، قيل لها ذلك لخفتها وسرعة  
طيرانها .

لا شك ان الفارسي قد لاحظ عظم التكلف الذي وقع فيه ابن

جني وهو يرد كل هذه التقليل إلى معنى واحد هو الاسراع والحركة . بل ان ابن جني نفسه كان قد لاحظ ذلك ، لكنه اعتذر منه بان التباعد في المعنى بين المشتق والمشتق منه قد يحصل حتى في الاشتقاق الاضمر ، وانه اذا حصل هذا التباعد عن المعنى المشترك في الاشتقاق الكبير لزم رد التباعد بلطف الصنعة والتأويل اليه ، كما يفعل الاشتقائيون ذلك في التركيب الواحد . لكن ابن جني نسي ان هذا التكلف الذي يسميه ( لطف الصنعة والتأويل ) لا يحتاج اليه من اشتقائي الاشتقاق الاضمر إلا كل من يتوهم وجود علاقة اشتقاقية بين كل كلمتين اشتركتا في اصول واحدة ، وهو ما حدث لابن جني نفسه عندما توهم وجود اشتقاق بين فمل ( امسك ) وكلتي ( المسك والميسك ) ( الاولى بفتح فسكون ، ومعناها الجلد ، والثانية بكسر فسكون ، وهي اسم لعطر معروف ) ، فقال : انما سمي الجلد مسكاً لانه يمسك ماتحته من اللحم وعظامه ، كما سمي الميسك مسكاً لانه يجذب الانسان اليه فكأنه يمسكه (11) والمعروف ان كلاً من المسك والميسك من الدخيل الذي لاعلاقة له بالمريية .

تحمس لنظرية ابن جني كثير من العلماء ، وقاموا بعملية استقراء واسعة في محاولة لجمع اكبر عدد ممكن من الادلة والبراهين على صحتها ، ومع ذلك ، لا يزال فيها جوانب ضعف كثيرة ، فهي في اغلب الاحيان تطالبنا بالتسليم بان العرب الاولين ادركوا بالبداة وحدها ما لم يدركه غيرهم بالروية واعمال الفكر : استمع معي الى هذا الفيلسوف وهو يرد كلمة ( الجراب ) الى معنى ( القوة ) قائلاً : وانما سمي الجراب جراباً لانه يحفظ ما فيه ، والشئ اذا حفظ كان اقوى . والطلوب منك الآن

ان تصدق ابن جني في ان العرب لحظت هذه السلسلة من المعاني قبل ان تسمي الجراب جراباً .

وعلى كل حال ، فان ماجاء به ابن جني لايزال في مجال النظريات التي تحتل الكثير من الاخذ والرد ، ولم يخرج بعد الى مجال الحقائق العلمية التي لا يختلف فيها اثنان .

### ج - الاشتقاق الاكبر :

ويسمى الابدال ايضاً<sup>(١)</sup> . وهو ان يكون بين اللفظين تناسب في المعنى ومخارج الحروف المختلفة ، مثل : ( نطق ونطق ) ، فالعنى متقارب اذ هو في كل منها الصوت المستكره . وليس بينهما تناسب في اللفظ ، لان في كل من الكلمتين حرفاً لا يوجد نظيره في الاخرى . غير ان الحرفين اللذين اختلفا فيها ( العين في الاولى والهاء في الثانية ) متناسبان في المخرج ، فان مخرجها جميعاً الخلق<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا النوع من الاشتقاق - كما في سابقه - لا يمكن معرفة الاصل المشتق منه ، والفرع الذي هو المشتق ، كما ان العلماء لم يقرروا مبدأ يميزون به بين الاثنين كما فعلوا في الاشتقاق الكبير .

هذا والمدققون من علماء اللغة لم يشترطوا في الاشتقاق الاكبر وجود التناسب في المخارج بين الاحرف المختلفة ، بل توسعوا في تعريف

١ - انظر الصاحي . ص ١٧٣

٢ - انظر الاشتقاق والتعريف . ص ١٣

هذا الاشتقاق ومفهومه ، وجملوه بحيث يتناول ابدال حرف من آخر مطلقاً ، واقفه في الخرج او لم يوافقه فيه بشرط حصول التناسب المعنوي بين اللفظين .

فمن امثله ولا تناسب في المخارج بين الحروف المختلفة :

( صرير ) البكرة و ( صريف ) الباب والقلم - و ( انخرق ) و ( انخرب ) و ( انخرت )<sup>(١)</sup> - و ( هـديل ) الحمام و ( هدير ) البعير - و ( الجمجمة ) و ( المهمة ) .

ومنه وقد ابدل الحرف الثاني في المضعف حرفاً آخر :

( كدّ وكدح ) - ( رصّ وورصف ) - ( زح وزحـل ) -  
( رج ورجف ) - ( ضم وضمـد ) - ( ردّ ووردد ) .

ومنه وقد ابدت ألف الناقص حرفاً آخر :

( رسا وورسب ) - ( سما وسمق ) - ( زجا وزجر ) -  
( هذي وهذر ) - ( محا ومحق ) - ( احتفى واحتفل ) - ( أسا  
واسف ) - ( حصا وحصب ) .

ومنه وقد حول المضاعف الى اجوف :

( ضر وضار ) - ( كعّ عن لقياه وكام ) اذا نكص<sup>(٢)</sup> .

د - الاشتقاق الكبار :

١ - الحرب كل ثقب - مستدير . والحرب ثقب الاذن وغيرها .

٢ - انظر المرجع السابق . ص ١٢ - ١٤ .



وجهور العلماء يسمونه النحت<sup>(١)</sup> . وهو ان تعمد الى كلمتين أو جملة فتزعم من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها<sup>(٢)</sup> . مثل : حوقل ( اى قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ) .

وقد ارجع العلماء النحت الى اربعة اقسام : فِعْلِي ، ووصْفِي ، واسْمِي ، ونَسْبِي .

( فالنحت الفعلي ) ان تنحت من الجملة فعلاً يدل على النطق بها ، او على حدوث مضمونها . مثل بأباً ( قال : بأبي أنت ) - جمعفد ( قال : جعلت فداك ) - سبجل ( قال : سبحان الله ) - حوقل ( قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ) - دممز ( قال : ادام الله عزك ) - سمعل ( قال : السلام عليكم ) - فذلك ( قال : فذلك العدد قد بلغ كذا ) - لانشي ( صيره لاشيء ) - بمثر ( بمث واثار ) .

( والنحت الوصفي ) ان تنحت من الكلمتين كلمة واحدة تدل على صفة بمعناها او بأشد منه . مثل الضبطر ( الرجل الشديد ، من ضبط وضبر ) - الصللم ( الشديد الحافر ، من الصلد والصدوم ) - الصمصلق ( الشديد من الاصوات ، من سهل وصلق ) .

( والنحت الاسمي ) ان تنحت من كلمتين اسماً ، مثل : الجلود ( الصخر القاسي ، من جلد وجمد ) - الشقحطب ( الكبش العظيم القرنين ، من شق الحطب ) - الجبقر ( البرد ، من حب القر ) - العقاييل ( البثور

١ - انظر الصاحبي . ص ٢٢٧

٢ - الاشتقاق والتعريب . ص ١٣

التي تظهر على الشفة عقبي الحمي ، من عقبي الحمي ، أو عقبي العلة).

( والنحت النسبي ) ان تنسب شيئاً أو شخصاً الى مدينتين او رجلين فتنتح من اسمي المنسوب اليهما اسماً منسوباً واحداً ، مثل : طـبرخزي ( نسبة الى طبرستان و خوارزم ) - شفعمتي ( نسبة الى الشافعي و ابي حنيفة ) - حنفلتي ( نسبة الى ابي حنيفة والمعتزلة ) (١) . وقد يحدث النحت النسبي عند النسبة الى علم واحد يتألف من كلمتين ، ومنه : عبشمي ( نسبة الى عبد شمس ) - عبـدري ( نسبة الى عبد الدار ) - مرقسي ( نسبة الى امرئ القيس ) تيملي ( نسبة الى تميم اللات ) (٢) .

### ٣ - حول قياسية الاشتقاق :

ذهب بعضهم الى ان الاشتقاق قياسي ، بمعنى أنه يجوز لنا ان نشق ما لم يشتقه العرب من اسم فاعل أو اسم مفعول او اسم مكان او اسم زمان اذا كان هذا الاشتقاق جارياً على سننهم وطرائقهم ، وان ما يتحصل عن هذا الطريق من كلمات هو من كلام العرب ولو لم يكونوا قد تلفظوا به أو عرفوه . قال ابو عثمان المازني : ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . ألا ترى انك لم تسمع انت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول ، وانما سمعت بمضها ، فقسمت عليه غيره ؟

وقال ابن جني - بعد ان سرد امثلة من اسم المكان والمصدر

١ - الاشتقاق والتعريب . ص ١٣ - ١٤

٢ - في اصول النحو . ص ١٠٩

الواردين على اسم المفعول : هذا كله من كلام العرب ، ولم يسمع منهم  
ولكنك سمعت ماهو مثله وقياسه<sup>(١)</sup> .

وقال ابن درستويه في شرح الفصيح : إنما أهمل استعمال ودع  
ووذ لان في اولهما واوا ، وهو حرف مستثقل ، فاستغني عنها بما خلا  
منه ، وهو ( ترك ) . ثم قال : واستعمال ما أهملوا من هذا جائز صواب ،  
وهو في الاصل ، وهو في القياس الوجه ، وهو في الشعر أحسن  
منه في الكلام<sup>(٢)</sup> .

غير ان ابن فارس يرى في هذا الشأن رأياً مخالفاً ، فقد عقد في  
كتابه الصحاحي<sup>(٣)</sup> باباً للقول على لغة العرب هل لها قياس ، وهل يشتق  
بعض الكلام من بعض ؟ فقال :

اجمع اهل الامة - إلا من شذ منهم - ان لغة العرب قياساً ، وان  
العرب تشتق بعض الكلام من بعض ، وان اسم الجن مشتق من  
الاجتنان ، وان الجيم والنون تدلان ابدأ على الستر . تقول العرب للدرع :  
حُجَّة . واجنه الليل . وهذا جنين ، اي هو في بطن أمه أو مقبور .  
وأن الانس من الظهور . يقولون آنتت الشيء : ابصرته . وعلى هذا  
سائر كلام العرب . علم ذلك من علم ، وجهله من جهل . قلنا : وهذا  
أيضاً مبني على ما تقدم من قولنا في التوقيف ، فان الذي وقفنا على ان  
الاجتنان الستر هو الذي وقفنا على ان الجن مشتق منه . وليس لنا

---

١ - عن كتاب دراسات في العربية وتاريخها للمحمد خضر حسين . ص ٧٠-٧١

٢ - المزهري . ص ٢٥

٣ - ص ٣٣

اليوم ان نخترع ، ولا ان نقول غير ما قالوه ، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه ، لان في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها ، ونكتة الباب ان اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن ، انتهى .

ومن المحدثين من حاول التفريق بين نوعين من الالفاظ التي لم يتصرف بها العرب : نوع كثر وروده في كلامهم من غير تصرف ، فدل ذلك على قصد لابقائه على هيئته ، واذن فلا يجوز لنا نحن ان نتصرف فيه ، ونوع قل وروده في كلامهم فلم يعرف قصد فيه ، فيجوز لنا اذن ان نتصرف فيه :

يقول الاستاذ محمد الخضر حسين (١) :

إن الافعال والمصادر التي لم يسمع لها فروع في الاشتقاق على ضربين :

( احدها ) ما يكثر استعماله في موارد كلام العرب من غير ان يتصرفوا فيه ، مثل : ويل وويح ونم ويدر وما يائلها ، وعدم تصريفهم لها مع كثرة ترددها في محاوراتهم ومخاطباتهم دليل على قصد لابقائها على هيئتها . فمن تصرف فيها ، فقد أتى بها على وجه قصد العرب الى تركه ، والناطق بما يقصدون الى اهماله ناسج على غير منوالهم ، وناطق بغير لهجتهم . هذا مذهب جمهور اهل العربية .

( ثانيها ) ما لا يكثر في مخاطباتهم حتى يستفاد من وروده بهيئة واحدة انهم قصدوا إلى ترك تصريفه . وهذا هو الذي تعمل به على طبق

---

١ - دراسات في العربية وتاريخها . ص ٧٠

القاعدة وان لم يبلغنا أو يبلغ الواضعين للقواعد ان العرب تلفظوا فيه على وفق القاعدة . فيصح لنا ان نجري قاعدة الاشتقاق في هذا النوع وان لم ندر أن العرب تصرفوا فيه على هذا الوجه من الاشتقاق .

#### ٤ - مصدر المشتقات :

اختلف النحاة واللغويون قديماً في اصل المشتقات : فذهب الكوفيون إلى ان الاصل هو الفعل ، وذهب البصريون الى ان الأصل هو اسم الحدث ، اي المصدر . وساق كل فريق من الادلة ما ظن انه كاف لتدليل على صحة ما ذهب اليه (١) . ولا نجب ههنا ان نعرض الى هذه الادلة بشيء ، فكلمها من النوع الفلسفي المنطقي الذي لا يتفق والمنطق اللغوي في شيء . بل نجب ان نقرر امرين :

( أولهما ) ان كل بحث في شأن من شؤون العربية لا يمكن ان يصل الى نتائج يقينية ما لم يصطنع المنهج المقارن ويوسع من دائرته حتى تشمل الالسن السامية كلها . ذلك ان الالسن التي تنتمي الى اسرة لغوية واحدة يلقي بعضها الضوء على بعضها الآخر في مثل هذه الامور الغامضة .

( ثانيها ) ان قضية أصل المشتقات تشبه في اعتبارها قضية نشأة اللغة الانسانية . ويفضل علم اللغة ارجاء الجواب عن هذه المسائل الى

---

١ - انظر تفصيل هذه الادلة في كتاب ابن الانباري : الانصاف في مسائل الخلاف ، في المسألة الثامنة والعشرين . هذا وقد ذهب مذهب الكوفيين من المحدثين المستشرقين اسرائيل ولفنسون . انظر كتابه : تاريخ اللغات السامية . ص ١٤

وقت نملك فيه من الدلالة ما يمكن الاطمئنان اليه .

هذا ، والثابت ان العرب لم تحجم احياناً عن الاشتقاق من غير الفعل او اسم الحدث ( المصدر ) :

- فقد اشتقوا من الاعداد ، وهي اسماء معانٍ جامدة ، فقالوا :  
وحد وتوحد : بقي وحده . وثنيته ثنية : جملته اثنين ، وثلاثتهم :  
جملتهم ثلاثة ، وربمتهم ، وخمستهم . . الى عشرتهم .

- واشتقوا من اسماء الازمنة ، وهي ايضاً اسماء معانٍ جامدة ،  
فقالوا : اخرف القوم : دخلوا في الخريف ، وشتوت بموضع كذا ،  
وتشتيت : أقت به في الشتاء ، واربعوا : دخلوا في الربيع ، وتربعوا  
الموضع : أقاموا فيه بالربيع ، واصافوا : دخلوا في الصيف ، وصافوا  
بمكان كذا . وأفجروا : دخلوا في الفجر ، ومثلها : اصبحوا واشرقوا :  
دخلوا في وقت الشروق ، وأظهروا وأعصروا وآصلوا .

- واشتقوا من اسماء الذوات كأعضاء الانسان ، فقالوا : أذنه  
ورآه وسره ورجله ومعدة وصدرة ، اي : ضرب أذنه ورثته وسرته  
ورجله ومعدته وصدرة . ومن غير اعضاء الانسان قالوا : أبرته العقرب :  
لسمته بآبرتها ، وأبّل الرجل : كثرت ابله ، وازرته : ألبسته إزاراً ، واستأسد :  
صار كالأسد ، واستنوق الجمل : صار كالناقة . وقالوا : اوراق الشجر ،  
وعقرب الصدغ ، وفلفل الطعام . . الخ

- واشتقوا من اسماء الأصوات ، فقالوا : صليل السيوف والكلمة من  
( صلّ ) التي يحكى بها صوت شيء يابس اذا تحرك . وعلى هذا لا  
يعد ان يكون الازيز والطنين والأنين والحفيف والخريز وغيرها مشتقات

من اسماء اصوات أميتت ، هي : ( از ) و ( طن ) و ( ان )  
و ( حف ) و ( خر ) .

- واشتقوا من حروف الماني افعالاً ومصادر ، فقالوا : انعم  
الرجل : قال : نعم ، وسوف الحاجة : اذا ماطل وقال مرة بمد مرة :  
سوف أفضيها ، وقالوا سألتك حاجة فلوليت لي : قلت لي : لولا .

- واشتقوا من الاعجمي كما يشتقون من كلامهم ، فقالوا : درهت  
الخبازي : صارت كالدرهم ، والدرهم اعجمي من الاغريقية .

- بل لقد اشتقوا من المشتق نفسه ، فقالوا : تمسكن الرجل ،  
فاشتقوا الفعل من الاسم ( مسكين ) الذي هو مشتق من السكون ،  
ومثل ذلك : تمسكن الرجل ، فهي من المكان ، والمكان من الكون (١) .

#### ٥ - النظرية التنايمة :

رأيت قبل قليل نوعاً من الاشتقاق يسمى ( الأكبر ) ، وفيه  
يتفق طرفا الاشتقاق - المشتق والمشتق منه - في بعض الحروف ،  
ويختلفان في بعضها الآخر . هذه الظاهرة ، ظاهرة تناسب المعنى بين كلتي  
انفتتا في بعض الحروف ، تنبه إليها عدد كبير من قدماء اللغويين منهم  
الخليل وسيبويه وابو على الفارسي وابن جني وغيرهم . إلا ان ملاحظاتهم  
الكثيرة التي ابدوها حول هذا الموضوع لم تعد الاشارة إلى وجود التناسب  
المنوي فقط .

أما بعض المحدثين من اللغويين فقد ابدوا حتى وصلوا الى حد

---

١ - عن كتاب في اصول النحو . ص ١١٦ - ١٢١ بقصرف .

القول بنظرية لغوية مفادها : أن جميع كلم العربية ترجع إلى اصول ثنائية هي في أغلبها حكاية اصوات طبيعية .

اشهر القائلين بهذه النظرية : جرجي زيدان في كتابه ( الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ) والاب انستاس الكرملي في كتابه ( نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها ) والشيخ عبد الله العلابي في كتابه ( مقدمة لدراسة لغة العرب ) والاب مرمرجي اللومينيكي في كتابه ( المعجمية العربية على ضوء الثنائية والالسنية السامية ) .

واليك ملخصاً لما قالوه في هذا الشأن :

١ - يقرر الصرفيون القدماء ان كلم العربية ترجع في أغلبها الى اصول ثلاثية منها اشتقت ، وعنها صدرت : ف ( أضرب ، وضرب و ضارب ، واضطرب ، وتضرب ، وتضارب ، واستضرب ) ترجع كلها الى اصل ثلاثي مؤلف من الحروف الثلاثة ( ض . ر . ب ) ؛ و ( ففتح ، وفتح ، وانفتح ، وتففتح ، واستفتح ) ترجع كلها إلى أصل ثلاثي مؤلف من الحروف الثلاثة ( ف . ت . ح ) ؛ وقس على ذلك سائر كلم العربية . وانما حمل الصرفيين القدماء على تقرير ما قرروه أنهم لحظوا بين كلمات كل مجموعة نيتين مشتركين ، أولهما المعنى ، وثانيها الحروف . إذ إن كلمات المجموعة الأولى تشترك كلها في معنى عام واحد هو معنى الضرب ، وفي حروف ثلاثة هي الضاد والراء والباء ، وكذلك كلمات المجموعة الثانية ، ففيها كلها معنى عام واحد مشترك هو معنى الفتح ، وحروف ثلاثة لا تتخلو واحدة منها ، هي الفاء والتاء والحاء .

لكن الصرفيين القدماء وقفوا عند حد الحروف الثلاثة فلم يتجاوزوه . أما نحن - المحدثين - فلو أوغلنا في تطبيق منهج القدماء ، وسرفا في تطبيقه



مسافة أبعد ، لتبين لنا ان هذه الثلاثيات ليست هي الأصول النهائية ، وانها فروع ومشتقات من أصول أبعد يتألف كل واحد منها من حرفين اثنين فقط . إذ يظهر لنا ان كل مجموعة من هذه الثلاثيات إذا اشترك أفرادها في حرفين اثنين فقط اشتركت كلها في معنى عام واحد مدلول عليه بالحرفين المشتركين . ومعنى ذلك ونتيجته أن الأصل الاشتقاعي في العربية ثنائي وليس ثلاثياً .

وإليك بعض الأمثلة :

- الثلاثيات التي تشترك في النون والفاء تتضمن كلها معنى الخروج والانتقال أو الإخراج :

نفت ، نفع ( نفتجت الفروجة : خرجت من بيضتها ) ، نفع ، نفع ، نقد ، نفذ ، نفر ، نفرز ( نفرز الظبي : وثب ) ، نفس ، نفس ، نفص ( نفص الكرم : فتحت عناقيده ) ، نفق ، نفى .

- والثلاثيات التي تشترك في النون والباء تتضمن كلها معنى الخروج أو الإخراج ، ولكن الى اعلى غالباً :

نبأ ( النابىء : المكان المرتفع ) ، نب ، نبت ، نبث ( نبث : نبش ) ، نبج ، نبذ ، نبر ، نبز ، نبس ، نبش ، نبض ، نبع ، نبغ ، نيك ( النابك : المرتفع ) ، نيه ، نبا .

- والثلاثيات التي تشترك في الغين والميم تتضمن كلها معنى الاخفاء : غمر ، غمس ، غمص ، غمض ، غمط ، غم .

- وكذا الثلاثيات التي تشترك في الغين والألف : غاب، غار ، غاص ، غام .

- اما الثلاثيات التي تشترك في الفاء واللام فتتضمن كلها معنى

الشق : فلج ، فلح ، فلع ، فلق ، فل .

- وكذا الثلاثيات التي تشترك في الفاء والراء ، والراء واللام كما نعلم من مخرج واحد :

فرث ، فرج ، فرد ، فر ، فرز ، فرش ، فرص ( فرصة :  
قطعه وخرقه وشقه ، والمفراص : الحديد يقطع به الحديد ) فرض ، فرط ،  
فرع ، فرغ ، فرق ، فرك ، فرم ، فره ، فرى .

- والثلاثيات التي تشترك في القاف والطاء تدل كلها على معنى  
القطع والفصل :

قط ، قطع ، قطف ، قطل ، قطله : قطعه . وعنقه : ضربها .  
ونخلة قطيل : قطعت من اصلها . وكمكنسة : حديدة يقطع بها .

- وكذا الثلاثيات التي تشترك في القاف الصاد ، وكلا الصاد والطاء  
من مخرج واحد :

قصر ، قصف ، قصم ، قص .

- الثلاثيات التي تشترك في الميم والالف تفيد الحركة والاضطراب :  
ماج ، ماد ، مار ، ماس ، مال .

- والثلاثيات المشتركة في الجيم والميم تدل على معنى الجمع والضم :  
جمع ، جمل ، جم ، جمر ( تجمر القوم : تجموا ، و جاؤوا  
جمارى أي باجمعهم . والجدير : مجتمع القوم ) (١) .

٢ - الثلاثي إذن يرتد الى اصل ثنائي . واما الحرف الثالث فزائد  
من أجل تنويع المعنى العام المدلول عليه بالحرفين الاصليين .

---

١ - نقلت هذه الامثلة كلها من كتاب فقه اللغة لمحمد المبارك ص ٨٨ - ٩١

٣ - هذا الحرف الثالث الزائد يقع في آخر الكلمة كما رأيت في الامثلة السابقة ، وهذا هو الأغلب . إلا انه قد يكون في الوسط ، اي بين الحرفين الأصليين ، كشلق من شق ، وفرق من فق ، وقرط من قط ، وقرص من قص ، وقرض من قض ، وشرق من شق ؛ وقد يكون في أول الكلمة كما في المجموعة التالية : ترم ، جرم ، حرم ، خرم ، شرم ، صرم ، عرم ، غرم .

٤ - الغالب في الحرف الزائد ان يكون واحداً من هذه ( ل . م . ن . ر ) .

٥ - من اين جاء هذا الحرف الثالث الزائد ؟ والجواب عن هذا أحد امرين : فان كان هذا الزائد واحداً من ( ل . م . ن . ر ) فزيادته اعتباطية ، وربما توهم الواضع في هذه الزيادة شيئاً من المبالغة او تنوع الفعل بما يطابق قصده ، نحو فض ورفض ، وهب ولهب ، وشق وشلق ؛ وان كان غير ذلك فهو بقيه من ثنائي آخر كان مركباً مع الثنائي الاول ، ثم حدث من الاصلين الثنائيين ثلاثي واحد على طريقة النحت ، نحو ( قطف ) ، ويفيد القطف والجمع ، والاصل فيه ( قط لف ) : الاول قطع والثانية جمع ، وبلاستعمال اعملت اللام ونقلت حركتها الى ما قبلها فصارت ( قطف ) .

٦ - ان الاصل الثنائي هو في الغالب حكاية للصوت الطبيعي المقارن للحدث الذي يدل عليه هذا الثنائي : ( فالقط ) حكاية للصوت المقارن لحدث القطع ، و ( القص ) حكاية للصوت المقارن لحدث القص والقصر وغيرها (١) .

٧ - هذا ملخص القول في امر الثلاثي . أما ما يسمى بال مجرد الرباعي

---

١ - لعل القارىء يتذكر ان هذا هو رأي ابن جني ايضاً الذي اوضحه في باب ( تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني ) من كتابه الخصائص .

فأمر رده الى الثنائي يبدو أيسر اذا كنا بصدد ما يدعى بالرباعي المضعف ، مثل : وسوس ، وسقسق ، وززلزل ، وحججج ، ومصمصص ، وصلصل ، وجججج ، ورجرجج ، وهدهدد ، ودندند ، وغيرها . اذ من الواضح ان كل واحد من هذه الرباعيات إنما هو ثنائي كرر قصد البالغنة والتوكيد . أما الرباعيات غير المضعفة ، مثل : دحرج ، فهي نجت من ثلاثين : دحر ، وجرى . ثم ان كل ثلاثي من هذين يمكن رده الى ثنائي هو اصل له (١) .

٨ - ان الاصل الثنائي كان الشكل المستعمل للكلمة العربية في مرحلة من مراحل تطورها التاريخي ، ثم وفي مرحلة تالية ، جاء الحرف الثالث منوعاً للمعنى العام المدلول عليه بالثنائي . فالكلم وضعت في اول امرها على هجاء واحد متحرك فساكن محاكاة لاصوات الطبيعة ، ثم فتمت ، اي زيد فيها حرف او اكثر ، في الصدر ، او القلب ، او الطرف ، فتصرف بها المتكلمون تصرفاً يختلف باختلاف البلاد والقبايل والاهوية (٢) .

غير ان الاستاذ مبارك لا يجب ان يذهب الى هذا الحد من الخيال والتصوير ، بل يحاول ان يفسر ظاهرة الثنائية في العربية بالقوانين المعروفة في تبدل الاصوات ، وان كان يعترف بان هذه القوانين لاتسعمفه في تفسير كل المجموعات الثنائية . يقول : يمكن ان نقول ان الاصل في اللغة هو المجموعات الثلاثية [الثنائية] . فالمادة الاصلية في الكلمات العربية تتألف من حروف ثلاثة ، ولكن قد يمتري أحد هذه الحروف تبدل صوتي بتوالي الازمان ، او باختلاف القبايل والبيئات ، ومن ذلك تتكون هذه المجموعات

١ - القول بان مازاد على الثلاثة فهو منحوت قول سبق اليه ابن فارس .  
انظر معجمه (مقاييس اللغة) ، وكتابه (الصاحبي) ص ٢٢٧

٢ - الكرملية : نشوء اللغة العربية . ص ١

الثنائية ويكون هذا الاشتراك بين المجموعات الثلاثية في حرفين دون الثالث ، ولكن هذا القول لا يمكن تعميمه ، فان في الامثلة التي قدمناها وفي غيرها حالات ليس فيها اي تقارب بين الحروف الثوالت في الالفاظ ، ولم يجر التبدل الصوتي في اللغات على هذا السنن ، ولم يقع تبادل بين حروف متباعدة كالغاء والعين في قطع وقطف ، والراء والضاد في غار وغاض . على ان هذا الرأي يمكن ان يقبل بالنسبة لبعض الالفاظ مثل (قد وقط) و (وسم ووشم ووضم ) و (مت ومد ومط) ، ولكن من المسير تعميمه على جميع الامثلة ، فلا يمكن ان نقيم من هذا التعليل نظرية عامة في اصول الالفاظ العربية (١) .

## التعريب

كان التعريب يمد في الماضي المصدر الثاني للمفردات التي تحتاج اليها العربية ، اما اليوم ، فيبدو انه غدا المصدر الاول لسد حاجة العربية الى المفردات ، هذه الحاجة التي تنفد يوماً بعد يوم .

والتعريب ، كما يدل عليه اسمه ، اقتباس كلمة من لسان اعجمي وادخالها في اللسان العربي . وقد جرى سيويه على تسميته « إعراباً » (١) كما سمي الخفاجي وغيره الكلمات المربة بالدخيل .

### ١ - شرط التعريب :

اختلف اهل اللغة قديماً في شرط التعريب : فذهب جمهورهم الى انه لا يشترط فيه سوى الاستعمال ، فتمت استعملت العرب الكلمة الاعجمية صارت مربة ، سواء ألحقوها بأوزان كلماتهم ام لم يلحقوها . والى هذا ذهب الشهاب الخفاجي حيث يقول : « واعلم ان التعريب نقل

---

١ - انظر كتاب سيويه ج ٢ ص ٣٤٢

اللفظ من الاعجمية الى العربية ،<sup>(١)</sup> وهو المفهوم ايضاً من عبارة سيويه حيث يقول : « هذا باب ما عرب من الاعجمية : اعلم انهم بما يغيرون من الحروف الاعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما ألحقوه ببناء كلامهم ، وربما لم يلحقوه »<sup>(٢)</sup> .

أما الجوهري وغيره فقد ذهبوا الى ان التعريب هو ان تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية على نهجها واسلوبها<sup>(٣)</sup> .

وقد نتج عن هذا الاختلاف في الشرط اختلاف آخر في اعتبار الكلمات التي ينطق بها العرب : فهذه الكلمات عند سيويه ومن ذهب مذهبه على رتبين : عربية اصيلة ، مثل ( ضرب وكتب ورجل وفرس ) ، ومعربة دخيلة ، مثل ( درم وبهرج وفيرند وآجر ) ، وهي عند الجوهري والقائلين بمقالته على رتب ثلاث : عربية اصيلة ، مثل ( رجل وفرس ) ، ومعربة ، وهو ما نطقت به العرب من الكلام الاعجمي على نهجها واسلوبها والحقته بأبنيتهما ، مثل ( درم ) الملحق ببناء ( هيجرج ) ، و ( بهرج ) الملحق ببناء ( سلب ) ، واعجمية وردت في كلام العرب وهو ما نطقت به العرب من غير ان تلحقه بأبنيتهما ، مثل ( خراسان وإهليلج وآجر ) ، إذ ليس في اوزانهم فمالان ولا إفمبل ولا فاعل .

١ - شفاء الغليل . ص ٣

٢ - الكتاب . ج ٢ ص ٣٤٢

٣ - انظر مادة ( عرب ) في الصحاح .

## ٢ - اقسام الدخيل :

قسموه الى ثلاثة اقسام :

١ - معرب : وهو مناطق به الجاهليون ومن يحتج بلقمتهم من الكلام الاعجمي . وهو اصغر الاقسام جميعاً ، بسبب عزلة العرب في الجاهلية وعدم احتكاكهم بالامم المجاورة ، اللهم الا ما كان من اتصال القرشيين بالروم في الشام في رحلة الصيف ، وما كان من اتصال اهل اليمن بالاحباش والفرس في مناسبات عسكرية وتجارية ، ثم ما كان من اتصال عرب الخليج ومشارف العراق مع الفرس والهنود في علاقات اكثرها تجاري واقلها عسكري .

واكثر ما نقله العرب الجاهليون ينحصر في اسماء المقابر والادوات او المصنوعات او المادان او نحوها مما كان يحمل الى بلاد العرب من بلاد الفرس او الروم او الهند او غيرها ولم يكن للعرب معرفة به من قبل ، او في بعض الاصطلاحات الدينية او الادبية ، واكثر ذلك منقول عن العبرانية او الحبشية لان اليهود والاحباش من اهل الكتاب<sup>(١)</sup> .

واكثر ما نقله العرب في هذه الفترة كان من الفارسية ، واقله كان من الرومية ، واقل من ذلك كان من الحبشية :

فما اقتبسوه من الفارسية ( الكوز والجرة والابريق والطشت والخوان والطبق والقصة والسكرجة والسمور والسنجاب والقاقم والفنك

---

١ - جرجي زيدان : تاريخ اللغة العربية . ص ٦



والدقاق والخز والذبياج والتاخيخ والسندس والياقوت والفيروزج والبلور  
والكمك والدرمك والجسردق والسميد والسكباج والزيرباج والاسفيداج  
والطياهيخ والفالودج والاوزينج والجوزينج والبغرينج والجلاب والسكنجين  
والخلنجين والدارصيني والفلفل والكرويا والزنجييل والخلونجان والقرفة  
والترجس والبنفسج والنسرين والخيري والسوسن والمزنجوش والياسمين  
والجلنار والمسك والمنبر والكافور والصندل والقرنفل ) .

ومما اقتبسوه من الرومية ( الفردوس والقسطاس والبطاقة  
والقرسطون والقبان والاسطراب والقسطل والقنطار والبطريق والترياق  
والقنطرة وغيرها ) .

واما ماقلوه عن الحبشية فينحصر ، كما هو معروف عند جمهور  
اهل العربية ، في ثلاثة ألفاظ ، هي ( كفلين ، والشكاة ، والهرج ) .  
إلا ان جرجي زيدان يرى ان « منبر » أيضاً معربة « ومبر » الحبشية  
بمعنى كرسي او مجلس او عرش . وان « التفاق » هو من الحبشية  
باللفظ نفسه وبمعنى المهترقة او البدعة او الضلال في الدين ، ومثل ذلك  
« الحواري » بمعنى الرسول ، و « البرهان » بمعنى النور او الايضاح  
مشتقة من « بره » الحبشية بمعنى اضاء واتضح .

كما يرى هذا الباحث ان كلمات ( الحج والكاهن والماشوراء  
وغيرها ) منقولة عن العبرانية ، وان ( الصبح والبهاء والسفينة ) منقولة  
عن السنسكريتية<sup>(١)</sup> .

---

١ - المرجع نفسه . ص ٧ - ٨

٢ - مولد : وهو ما عربيه المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم (١).  
والمولدون هم الاجيال الاولى التي ولدت في صدر الاسلام .

هذا ، والمولد في العربية اكثر كثيراً من العرب ، وذلك بسبب  
اختلاط العرب بشقى الامم بمد الاسلام ، واخذهم عنهم الكثير من العلوم  
والفنون والآداب والامادات وغيرها .

فما اقتبسوه من اسماء المقاقير ( الافستين والبقدونس والزيزفون  
والسقمونيا والقنطاريون والمسطكي ) من الرومية .

و ( الباونسخ والبورق والبنج وخيارشبر والراتنج والزرجون  
والزرنيسخ والزاج والسرقين والاسفيداج والشاهترج والشيرج والمرداسنج )  
من الفارسية .

ومن اسماء الامراض ونحوها من الاستمالات الطبية ( القولنج  
والسترياق والكيموس والكيلوس وقيفال ولومان وملنخوليا ) من الرومية  
و ( سرسام ومارستان ) من الفارسية .

ومن المصنوعات والادوات ( الاسطراب والانيق والصابون ) من  
الرومية ، و ( البركار والبوتقة والحجازر والدمسكرة والاسطوانة ) من  
الفارسية .

---

١ - انظر المزهر : ج ١ ص ١٧٧ وما بعدها . هذا والمولد معنى اعم مما ذكرنا  
فهم يعنون به كل ماحدثه المولدون في اللغة مما لم يعرفه العرب ، سواء  
في الاشتقاق والتعريب والحجاز . انظر كتاب « الاشتقاق والتعريب »  
ص ٦٢ وما بعدها .

ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها ( الهيولي والاسطقس والفلسفة والطلسم والنفطيس والاقليم والقاموس والقانون ) من الرومية .

ويضيق المقام عن استيفاء آلاف الكلمات التي نقلها المولدون الى العربية وأغلبها من الفارسية وهي تتعلق في اكثرها بأنواع الاطعمة والاشربة والالبسة والادوات والنباتات مما لم يكن للعرب عهد به من قبل .

٣ - محدث أو عايجي : المحدثون هم من عاشوا بمد المولدين الى ايامنا هذه . ويسمى الكلام الذي عربيه هؤلاء « بالمحدث » تمييزاً له من المولد ، ونسبته نحن اليوم « عامياً » . غير ان تمييز المولد من المحدث يبدو في اكثر الاحيان على جانب من الصعوبة ، اولاً لعدم الاتفاق على سنة معينة ينتهي عندها عصر المولدين ويبدأ بها عصر المحدثين ، وثانياً لصعوبة معرفة الوقت الذي ظهرت فيه الكلمة المولدة او المحدثه .

ومع ذلك فهناك الفاظ كثيرة لاشك في كونها من المحدث ، وذلك لثبوتنا من الزمن الذي ظهرت فيه ، وهو عصر الاحتطاط التفق على حدائته .

واكثر الالفاظ المحدثه هي من الفارسية او التركية او الكردية . وكلها ادارية من اصطلاحات الحكومة . واليك امثلة منها :

( الاستادار ) هو من يتولى قبض مال السلطان أو الامير وصرفه . ويمثل اوامره فيه .

( الجوكاندار ) لقب من يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة

( الطبردار ) الذي يحمل الطبر .  
( السنجقدار ) الذي يحمل السنجق وهو العلم .  
( البندقدار ) وهو من يحمل جـراوة البندق خلف السلطان او  
الأمير .

( الجمدار ) الذي يتصدى لالباس السلطان او الامير ثيابه . واصله  
« جامادار » .

( البشمقدار ) من يعمل نعل السلطان .  
( الهمندار ) الذي يهتم بالرسل والمرابن الواردين على السلطان ،  
وينزلهم الضيافة .

( الزنان دار ) وهو « الزمام دار » ، من يتحدث مع السلطان  
وهو من الخدم او الخصيان .

( الجاشنيكر ) من يتصدى لذوق المأكول خوف التسمم .

( السراخور ) المتحدث عن علف الدواب .

( أمير آخور ) صاحب الاسطبل (١) .

### ٣ - حكم الدخيل :

قال ابو منصور الجواليقي في المغرب (٢) : وهذه الحروف [ يعني  
الكلمات العربية ] بغير لسان العرب في الأصل . . . . . ثم لفظت به العرب  
بألسنتها فمررت فصار عربياً بتمريها إياه .

١ - عن كتاب : تاريخ اللغة العربية لرجي زيدان . ص ٤٧ .

٢ - ص ٥ .

وقد تبع الجواليقي الامام ابن الجوزي وغيره ، وصرحوا بأن  
الكلمات الأعجمية إذا عربت صارت عربية ، وجرى عليها من الاحكام ما  
يجري على الكلمات العربية الأصلية : فتتوارد عليها علامات الاعراب إلا في  
بعض الأحوال ، وتعرف بأل ، وتضاف ويضاف إليها ، وتثنى ، وتجمع ،  
وتذكر وتؤنث ، بل قد يشتق منها كما يشتق من الاصول العربية ،  
فقد اشتقوا من « فيلسوف » فلسفة ، وتفلسف ؛ ومن « سوفسطائي »  
سفسط وسفسطة ؛ ومن « طراز » تطرز تطريزاً ، وهو مطرّز ، والثوب  
مطرّز ؛ ومن « ديوان » ديوان تديوناً ؛ ومن « دهقان » دهقنوه دهقنةً ،  
وتدهقن ؛ ومن « خاقان » خقنوه على أنفسهم ، أي ملكوه ؛ ومن  
« اسقف » أسقفوه على ابناء طائفته اذا جملوه اسقفاً عليهم . واهدي  
الى علي رضي الله عنه خبيص في النوروز فقال : نوروزا لناكل يوم .

وقال الشاعر :

نورز الناس ونورز ت ، ولكن بدموعي  
وذكت نارهمو والنار ما بين ضلوعي

وذلك انهم في يوم النوروز كانوا يشعلون النيران ، ويرشون المياه  
أمام بيوتهم . ذكر ذلك المقرئ وغيره (١) .

#### ٤ - طوائفهم في التعريب :

١ - ربما تركوا الاسم العرب على حاله في لفته اذا كانت حروفه  
من حروفهم ، سواء اكان على بناء من ابنية كلامهم أم لم يكن ، نحو :

١ - من كتاب الاشتقاق والتعريب . ص ٤٨ - ٤٩

خراسان ، وخرم .

٢ - وربما الحقوا الاسم المررب بابنتهم ، نحو : درهم ، ودينار .

٣ - وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم ، نحو : فرند

وآجر .

وقد اطرء ابدالهم في الالفاظ الفارسية على الشكل الآتي :

١ - ابدلوا من صوت ال ( g ) الفارسي جياً عربية لقرها منه ،  
فقالوا : الجربز ، مكان gurbuz . وربما ابدلوا القاف لأنها قريبة أيضاً ،  
فقالوا : قربز ، بل ربما ابدلوا الكاف ايضاً فقالوا : 'كربتق' ، مكان  
. gurbah

٢ - وابدلوا من الهاء الفارسية المتطرفة جياً عربية ، فقالوا :  
كوسج ، مكان كوسه ، وذلك ان هذه الهاء لا تثبت في كلام الفرس  
اذا وصلوا ، بل تبدل وتمحذف همزة مرة ، وباء مرة أخرى (١) ، ولما  
كانت الجيم العربية أقرب الاصوات الى الباء جعلوها مكانها . وربما ابدلوا  
من هذه الهاء المتطرفة قافاً ، وقد قالوا : كوستق ، مكان كوسه .

٣ - وابدلوا من صوت ال ( P ) الفارسي فاءً مرة وباء مرة  
أخرى لأنها قريبتان منها ، اذ من المعروف ان لا فرق بين ال ( P )  
والباء سوى ان الأول مهموس والثاني مجهور ، كما ان كلا ال ( P )  
والفاء حرف شفوي ، سوى او الأول انفجاري ، والثاني احتكاكي .

---

١ - انظر كتاب سيويه : ج ٢ ص ٣٤٢ - ٣٤٣

ولهذا كله قالوا مكان ( Pirind ) : فرنداً مرة وبرنداً مرة أخرى .

٤ - وابدلوا من صوت ( O ) ضمةً عريية صريحة ، فقالوا : زور ،  
وأشوب ، مكان Zor و ashob .

هذا ومن عادة العرب ان يفخموا اصوات ما يعربونه من الكلمات ،  
فيجملون مكان السين صاداً ، ومكان الكاف قافاً ، ومكان التاء طاءً . .  
وهلم جرا ، نحو : قسطنطين ، وافلاطون ، وصراط ، وقرطبة ، وغيرها .

٥ - هل كان التمهيب عن مجرد الحاجة ؟ :

نعم ، في اكثر الاحيان . لكن العرب كانوا يصطنعون التمهيب  
في أحيان اخرى ولا حاجة تدعوم الى ذلك ، لوجود مقابلات عريية  
تغني عما يعربون . وانما كانوا يعربون مع ذلك ايثاراً اللاطف من الالفاظ  
او حياً في التطرف واتأنق .

فما عربوه وله في العريية مقابل :

- البدَج - وعرييته الحروف .
- البرَق - وعرييته الحَمَل
- الذلفين - = الدُخَس .
- البال - = الحوت العظيم .
- الانكليس - = جيرِث ( نوع من السمك يسمى اليوم جري )
- البيِر - = الاسد .
- الزندفيل - = الكلثوم ( وهو الفيل العظيم )

الباذنجان - وله في العربية عشرة أسماء ، هي : المفد ، والوعد ،  
والككب ، والكهم ، والأتب ، والحیصل ، والحَدَق ، والقمّاح ،  
والشرجبان ، والانفحة . وقيل إن الثلاثة الأخيرة لثمر يشبه الباذنجان  
وليس إياه .

اللوباء - وله في العربية أربعة أسماء : الدَجْر ، واللباء ، والحُنبل ،  
والأحبل .

- الاسفناخ - وعريته الرحا .
- التوت - = الفرصاد .
- الطوخ - = الفرسك .
- الخيار - = القشَد .
- الزرنخت - = القيقبان .
- الأترج - = المَثَك .
- البندق - = الجلوز على وزن سنور .
- السرو - = المرعر .
- الكزبرة - = الثِقْدَة .
- الزرجس - = القَهَة ، والقَهْد ، والمبهر .
- الآبنوس - = السَّاسم .
- البنج - = الشيكران .
- السكباج - = الصمغصة : ( لحم يطبخ بخل ) .
- الرصاص - = الصرفان ، والآنك ، والامسرب .
- المهاون - = المنحاز ، والمهراس .
- السجنجل - = المرآة ، والوذيلة .



الصولجان - وعريته الطبطابة ، والميجار .

## ٦ - طريقة تحقيق المعرب :

لتمييز الاصيل من الدخيل طرائق مختلفة إليك أهمها :

١ - التحقيق التاريخي - وهو أنجع الطرق وأصحها وأهمها. ولكن التاريخ قد لايسعفنا في أغلب الاحيان ، وذلك في الكلمات التي دخلت العربية في أزمئة متقدمة .

٢ - الطريقة الصوتية - فاذا اجتمع في الكلمة اصوات لايتجمع بينها العربية في كلمتها دل ذلك على انها دخيلة ، وذلك كاجتماع الجيم والقاف في نحو : منجنيق ، والنون والراء ، في نحو : نرجس ... الخ (١) .

٣ - الميزان الصرفي - اذا كانت الكلمة على غير ابنية العرب دل ذلك على عجمتها ، مثل : خراسان وآجر\* .

٤ - الاشتقاق - اذا لم يكن للكلمة أصل اشتقاقي عربي دل ذلك على عجمتها ، مثل : تنور . « قال ابو منصور : وهذا يدل على ان اسم التنور في الاصل اعجمي فمررتها العرب فصار عربياً على بناء فَعُول والدليل على ذلك ان اصل بنائه ( تنر ) . قال : ولا نعرفه في كلام العرب لانه مهمل ، انتهى تاج .

---

١ - انظر الصفحات الاولى من كتابي : المعرب للجواليقي ، وشفاء الغليل للخفاجي .  
وراجع باب الاصوات من هذا الكتاب .

٥ - دراسة الاجتماع والاقتصاد - اذا تنازعت العربية والاعجميات كلمة واحدة نظر الى مدلول الكلمة ، فان دلت على شيء يختص به العرب كانت عربية ، وان دلت على شيء يختص به الاعاجم كانت دخيلة : فالقهوة والجل والجزال والزرافة والكندر ( نوع من الصمغ ) كلها عربية وان وجدت في السن أخرى ، لان هذه الكلمات تدل على محصولات او حيوانات اختص بها العرب واشتهروا بها من دون سائر الامم . والمسك والفلفل هنديان ، لانها يدلان على نوعين من محصولات التي لا توجد الا في الهند . والكافور ملق الاصل لان منشأه من جزيرة ملقا ... وهكذا (١) .

٦ - المقارنة - اذا تنازعت العربية وغيرها كلمة ما ، ولم تسمفنا الطريقة السابقة في تعيين أصلها ، لجأنا الى مقارنة العربية بأخواتها الساميات ، فان وجدت هذه الكلمة فيها دل ذلك على عربيتها ، وإلا فهي دخيلة ، مثل كلمة ( بلاط ) بمعنى قصر الملك ، فهذه الكلمة تدعيها اللاتينية ، وهي منها لسبين ، لان الرومان يرجعون بأصلها الى تل كان في رومية باسم Palatium نزل عليه أوغسطس قيصر واقام فيه فسعي قصره به ، ولان هذه هذه الكلمة لاوجود لها في أخوات العربية من الساميات (٢) .

#### ٧ - حول قياسية التعريب :

ليس في كلام اهل اللغة من القدماء مايشير صراحة الى سماعية

١ - انظر تاريخ اللغة العربية : ص ٨ وما بعدها

٢ - انظر المرجع نفسه . ص ١٠

التعريب ، بمعنى انه لا يجوز لعرب غير العرب من المتكلمين بالعربية ان يربوا الكلمات الاعجمية ، كذلك ليس في كلامهم ما ينص صراحة على قياسته ، بمعنى انه يجوز لعرب غير العرب المحتج بلغتهم ان يرب . لكن الاستاذ عبد القادر المغربي يورد في كتابه « الاشتقاق والتعريب » كلاماً متناقضاً حول هذا الموضوع . فبعد ان يقول في الصفحة ( ٤٤ ) إنه لم يثر على رأي العلماء في التعريب ، ويرجح قياسته بدليل كثرة الكلمات الاعجمية التي نقلت الى العربية في القرون الاسلامية الاولى واستعملها جمهور الادباء في منشورهم ومنظومهم بلا نكير ، يورد نيقول في الصفحة ( ٨٣ ) مانصه : وهل للمولدين الذين جاؤوا بعد الحرب ممن يتكلم بلغتهم ان يرب ؟ اي ان يدخل كلمة اعجمية في كلام العرب فتصبح عربية ؟ . قالوا : لا . وانما التعريب خاص بالعرب ، وهو حقهم وملك ألسنتهم ، والكلمات التي يربونها يجوز لنا نحن المولدين استعمالها كسائر كلمات لغتهم . . . الى ان يقول : هذا ما خص ما يقوله كتابنا الاقدمون في هذا البحث ، بحث التعريب وفي تحديد موقفه من اللغة الفصحى .

ومع ذلك فاللوضوع لا يزال في حاجة الى مزيد بحث وتحقيق .

## ٨ - القرآن والدخيل :

اختلف القدماء في هذه المسألة اختلافاً كبيراً ، فذهب الشافعي وابو عبيدة والقاضي ابوبكر الباقلاني وغيرهم الى انه ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب . فقد روي عن ابي عبيدة أنه قال : من زعم ان في القرآن لساناً سوى العربية فقد اعظم على الله القول . واحتج بقوله تعالى :

إنا جملناه قرآناً عربياً(١) .

وقال الشافعي في كتاب الرسالة(٢) : وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ماتكمم فيه منه لكان الامسك اولى به وأقرب من السلامة له ان شاء الله . فقال منهم قائل إن في القرآن عربياً واعجمياً . والقرآن يدل على ان ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب . ووجد قائل هذا القول من قبيد ذلك منه تقليداً له وتركاً للمسألة له عن حجة ومسألة غيره من خالفه . وبالتقليد أغفل من أغفل منهم . والله يفر لنا ولهم .

لكن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم خالفوا في ذلك وقالوا بشتال القرآن على كلمات اعجمية ، مثل : سجيل ، والمشكاة ، والميم ، والطور ، وابريق ، واستبرق ، وغير ذلك .

فأما الجواليقي وابو عبيد وغيرها فقد حاولوا التوفيق بين المذهبين . قال الجواليقي في المغرب(٣) : قال ابو عبيد : وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم في احرف كثيرة أنه من غير لسان العرب مثل : سجيل والمشكاة ... فهؤلاء أعلم بالتأويل من أبي عبيد ، ولكنهم ذهبوا الى مذهب ، وذهب هذا الى غيره ، وكلاهما مصيب ان شاء الله تعالى . وذلك ان هذه الحروف [ الكلمات ] بغير لسان العرب في الاصل ،

١ - المغرب للجواليقي . ص ٤

٢ - ص ٤١ وما بعدها .

٣ - ص ٥ ، وانظر شفاء الغليل ص ٣

فقال اوائك على الاصل ، ثم لفظت به العرب بالسنتها فمربته ، فصار عربياً بتمريبها اياه . فهي عربية في هذه الحال ، اعجمية الاصل . فهذا اقول يصدق الفريقين جميعاً .

#### ٩ - مواقف المعاصرين من التعريب :

ان ازمة العربية في المفردات تزداد تفاقماً يوماً بعد يوم ، وذلك بسبب ما تقدفنا به الحضارة الغربية كل يوم من عشرات الاسماء مما يتعلق بالعلوم والفنون والآداب والفلسفة والنظم الاجتماعية والسياسية والآلات والمخترعات والمستحضرات الصناعية والصيدلانية وغيرها وغيرها .

امام هذا الطوفان الهائل من الكلمات كان لابد لاهل اللغة من اتخاذ موقف معين من مسألة التعريب . وقد اختلفوا في ذلك فكانوا على طوائف :

١ - المنطرون : ويذهب هؤلاء الى وجوب تعريب الالفاظ الاعجمية كيفما اتفق ، ثم استعمالها من دون قيد ولا شرط إلا ذوق الكاتب . وقد عبر عن رأيهم واحتج لمذهبهم الاستاذ يعقوب صروف بما جاء في مجلة المنقطف<sup>(١)</sup> :

س - لماذا تستعملون كلمة ( مكروسكوب ) ولا تستعملون كلمة

---

١ - جزء ٤ مجلد ٦٤ في باب الاسئلة والاجوبة تحت عنوان ( المكروسكوب والمجهر ) .

( مجهر ) التي وضعت حديثاً لهذه الآلة ؟

ج - اننا نستعمل كلمة ( مكروسكوب ) للسبب الذي لاجله  
استعمل فلكيو العرب كلمة ( اسطرلاب ) واستعمل فلاسفة العرب كلمة  
( ايساغوجي ) واستعمل اطباء العرب كلمة ( كيموس ) ومثات من  
الكلمات الطبية اليونانية ، واستعمل نباتيو العرب مثات من اسماء النباتات  
اليونانية والفارسية . وكان في امكان هؤلاء جميعاً ترجمة هذه الكلمات  
الاعجمية ، او وضع كلمات عربية لها بالاشتقاق او بالنحت ، ولكنهم  
اقتبسوها كما هي ، وحسناً فملوا ، تسهيلاً لنقل العلوم واشتراك العلماء ،  
وجاراهم الجوهري والفيروزآبادي وابن سينا وغيرهم من جامعي متن اللغة  
ولم يروا معرفة على العربية ان تدخلها كلمات اعجمية . ولانقول إنه  
يستحيل علينا ان نضع لبعض الكلمات العلمية الفاظاً عربية إما بالنحت  
او بالاشتقاق كما وضعت كلمة ( ماهية ) وكما وضعنا كلمة ( غواصة ) ،  
ولكننا لانرى من الحكمة ان نحاول ذلك اذا سبقنا غيرنا الى تعريب الكلمة  
الاعجمية ، او اذا رأينا الكلمة الاعجمية سهلة اللفظ والاستعمال ، مثل  
كلمة ( مكروب ) ، او اذا كان للفظ العلمي دلالة معنوية اصطلح عليها  
علماء الفن ككلمة المصطلحات الكيماوية والجيولوجية والنباتية والجغرافية ،  
او اذا كانت خاصة باصحاب فن كاسماء الادوية الجديدة . وهي كثيرة  
تعد بالمئات كالكينا والانسولين والانتيبيرين والفيناستين والحامض  
الكاربويك واليود والاستركينين وماشبهه .

٢ - التعمصون : ويذهب هؤلاء الى عدم جواز التعريب ، وان  
علينا ان نسد حاجتنا الى المفردات بطرق أخرى كالاشتقاق والنحت

والإبدال وغيرها .

منهم الشيخ أحمد الاسكندري الذي يقول بوجوب الاعتقاد بخطئنا حين نستعمل لفظاً أعجمياً لمرادف من العربية له ، ووجوب بحثنا عن مرادف عربي له يقوم مقامه (١) .

ومنهم الاستاذ مصطفى صادق الرافعي الذي ينمى على اصحاب المذهب الجديد في الادب حشوههم كتاباتهم بالالفاظ الاعجمية المستكرهة . يقول : من الخير لانصار المذهب الجديد ان يولدوا من جديد ، وان يتعلموا الادب العربي من جديد ، وليأخذوا منه بالحظ الوفور فيسلكوا فيه سبيل القدماء . ذلك خير لهم من ان ينتحلوا مذهبهم الجديد ، ولغتهم الجديدة ، فيدخلوا في اللغة والادب ما ليس في حقهم ان يدخلوه ؛ ذلك لان اللغة موروثه ، وهي ملك الملايين من الاعمار ، ولطائفة طويلة من العصور ، فيجب ان تتكلمها كما ورثناها دون ان ندخل فيها شيئاً من عند أنفسنا (٢) .

ومنهم الاستاذ عز الدين التنوخي الذي يرى ان في العربية من اساليب الاشتقاق والابدال ما يفي بحاجتنا المتجددة الى المفردات . يقول : وعلى هذا الاسلوب المفيد ( اسلوب الابدال ) أرى ان نسمي كسارة الجوز Casse - noix ( مرضخة ) ، وكسارة اللوز Casse - noisette ( مرضخة ) بالحاء المهملة ، والعكس جائز . وارى ان سلفنا العربي

١ - الاشتقاق والتعريب . ص ١٤٩

٢ - من مناقشة لغه حين يناقش بها الرافعي . نقلاً عن الاشتقاق والتعريب .

الصالح عرف كيف يستعمل لفته فخصص ( الغبن ) بالثوب ، و ( الخبن ) بالمروض ، وهما في الاصل بمعنى متشابه . وما كان آباؤنا على عهد الترجة العباسية بجامدين ، (١) .

٣ - المعتدلون : ويذهب هؤلاء الى جواز الاستمانة بالتمريب لسد حاجة العربية الى المفردات بشرط ألا يفسد هذا العرب اصلاً من أصول اللغة أو يخرج بها عن طريقها المألوفة . وهؤلاء كثر فنذكر منهم طه حسين والشيخ محمد الخضري والشيخ عبد القادر المغربي وأحمد أمين وماري زيادة وأحمد زكي باشا .

---

١ - من مقدمة النونخي في تحقيقه لكتاب ( الابدال ) لابي الطيب القنوي الحلبي .  
ص ٤٢ .



## تبدلات الترادف

دلالة الكلمة ليست ثابتة في كل الازمان ، بل هي في تغير مستمر لا يتوقف ، شأنها في ذلك شأن النظام الصوتي والنظام التحوي . ولكي يستوثق القارئ من ذلك يكفيه ان يتصفح احد معاجم العربية ليرى الفروق الكبيرة بين ما كان يفهمه العربي الجاهلي من كلمات لسانه وبين ما يفهمه منها الآن . فالقاموس المحيط يقول لنا ان ( المجون ) هو الصلابة والفاظ ، ولكننا نعلم اليوم ان هذه الكلمة لاتعني في اذهان من يستعملونها او يسمعونها إلا ( التهتك وعدم البلاة بما تواضع الناس عليه ) ، وهو المعنى الذي اخذته منذ عهد المولدين . وكنا اليوم لانفهم من كلمة ( انهزم ) العدو إلا معنى ( فر ) ، ولكن القاموس يقول إنها لاتعني إلا ( انكسر ) فقط ، لان ( هزم الرجل فلاناً ) معناه ضربه فدخل مابين وركبه وخرجت سرته . بل إن الزمخشري قد وجه كل همه في معجمه ( اساس البلاغة ) الى ايراد المعاني الحقيقية للمفردات العربية ثم ايراد ما دخلها من المعاني المجازية . وبالطبع ، فان المعنى الحقيقي للكلمة هو المعنى السابق الذي كان لها في القديم ، والمعنى المجازي هو المعنى الذي صارت اليه فيما بعد .

قد يقال . ولكن المجاز لا يعنى تبديلاً في دلالة الكلمة ،  
ولما يعنى إكسابها - فوق معناها الحقيقي - معنى آخر عن طريق التشبيه  
او غيره من مسالك المجاز .

هذا القول يظل صحيحاً ما بقي المعنى الحقيقي حياً في الازهان ،  
وما ظل المجاز واضح الملاحة محسوسها ؛ لكن الذي يحدث في اغلب  
الاحيان هو ان المعنى الحقيقي يتوارى من ساحة الشعور ويترك الميدان  
للمعنى المجازي وحده ، فاذا بالكلمة وقد فرغت من معناها القديم الذي  
كان لها لتأخذ المعنى الجديد الذي قد يختلف اختلافاً يسيراً أو كبيراً عن  
سابقه . ولنا في كلمة ( منوال ) خير مثال على هذه الظاهرة ، فلو  
سألت تسمية وتسمين بائنة من ابناء العربية اليوم عن معنى هذه الكلمة  
لقالوا لك : ( المنوال ) هو الطريقة او الاسلوب أو مافي معناها ، ولما  
خطر ببال أحدم ان يقول لك ان المنوال هو خشبة الحائك ، لانه  
في الواقع لا يعرف لها هذا المعنى الذي هو معناها الحقيقي ، ولو قلته له  
لعدك جاهلاً ، ولاستشهد لك على صحة رأيه بعبارة ( نسج على منواله )  
التي تساوي في معناها ( سار على طريقته ) ، بل لاتقدم من بين  
الكتاب من يكتب ( سار على منواله ) ، فكان هذا الكتاب ، وقد فهم  
كلمة المنوال على انها الطريقة او النهج ، لم يجد كلمة ( نسج ) مما  
يألف مع المنوال ، فابدل بها كلمة ( سار ) . وما قلناه عن كلمة ( منوال )  
يقال مثله عن كلمة ( غط ) ، فإكاد أجزم بأن كل متكلمي العربية  
اليوم لا يفهمون منها الا ( الهيئة والشكل ) ، اما معناها الحقيقي ، وهو  
( البساط ) ، فلا يكاد يعرفه إلا المتخصصون بالامور اللغوية .

وهنا اعتراض آخر ، فقد تقول : ولكن تبدل الدلالة لكلمتي  
النوال والنمط كان عن خطأ سببه جهلنا بحقائق العربية ومعاني  
كلماتها . وأقول لك : ان هذا ليس خطأ ، بل هو مسلك لغوي  
طبيعي ، يجري في العربية كما يجري في غيرها من اللسان . إنه فقط  
مجرد نسيان للمعنى الحقيقي للكلمة ، واعطائها معنى جديداً لم يكن لها  
من قبل .

\* \* \*

إن دراسة التطور الدلالي المفردات جزء من مهمة علم  
الايتمولوجيا . وهو فرع من أم فروع فقه اللغة . وتنحصر مهمته في  
اخذ الفاظ القاموس كلمة كلمة ، وتزويد كل واحدة منها بما يشبه  
ان يكون بطاقة شخصية يذكر فيها من اين جاءت ، ومتى ،  
وكيف صيغت ، والتقلبات التي مرت بها . . . من جهة المعنى ، او من  
جهة الاستعمال (١) .

ولا يظن القارئ من هذا الكلام أننا بسبيل ان تقدم له  
دراسة ايتمولوجية لالفاظ العربية . ان هذا يخيب للأمل ولاشك .  
ولكن لا بد منه لسببين : أولهما ان مثل هذا العمل ليس في مقدورنا

ولا مقدور المشتراة من امثالنا . بل حتى المثات من المتبحرين لا يستطيعون شيئاً في هذا الشأن قبل ان يطبع وينشر كل ماكتب بالعربية خلال القرون . وكلنا يعلم ان مايطبع من التراث العربي حتى اليوم لايمد شيئاً مذكوراً بالقياس الى مايزال مطوباً في بطون المخطوطات .

وثانها اننا في ميدان فقه اللغة العام - وهذا الفصل يجري في ميدانه - لايهمنا كثيراً ان نعرف تاريخ بضع كلمات قد اخذت على انفراد فايتمولوجية الالفاظ منفردة لافائدة منها في حد ذاتها . ذلك ان الحالة الخاصة مها ثبتت علمياً ليست الا ملهاة يتسلى بها اذا لم يستخرج منها مبدأ عام يستطاع تطبيقه على حالات أخرى (١) .

اذن فهمنا هنا ان نبحث عن القوانين العامة التي بمقتضاها تتطور دلالة المفردات ، وسبيلنا الى ذلك ان نجمع اكبر عدد من العمليات المعنوية المتشابهة بقصد ان نستخرج منها القانون الذي يحكمها .



وإليك أم ماوصل اليه فقه اللغة في هذا الشأن :

١ - الكلمات في الذهن ليست على شيء من الفوضى ، بل يميل الذهن الى ان يرتبها في نوعين من المجموعات : مجموعات يربط بين افراد كل منها معنى عام واحد ، مثل مجموعة : ( كتب - كاتب - مكتوب -

كتابة - مكتب - استكتب مكاتبة ( ... ) ، ومجموعات يربط بين افراد كل منها صيغة صرفية معينة ، مثل مجموعة : ( كاتب - قائل - عالم - ذاهب - راجع ... ) . وعلى ذلك يكون لسكل كلمة نسبان : نسب يربطها باسرتها المنوية ، وآخر يربطها باسرتها الصيفية .

والذي يمسك على الكلمة معناها انما هو انتسابها الى اسرة معنوية ، فكلمة حاول معناها ان ينحرف رده بقية افراد الاسرة . فاذا حدث لكلمة ان فقدت افراد اسرتها لم يبق شيء يمنع المعنى من ان يضل الطريق . ويكثر ذلك في حالة الكلمات الدخيلة ، فهذه الكلمات تدخل اللسان الجديد وحدها في المادة ، غير مصحوبة بأفراد اسرتها ، وحينئذ تصبح عرضة لتغير معناها في هذا اللسان . ومن الامثلة الجيدة على ذلك كلمة ( آمين ) . فنحن نعرف الآن ان هذه الكلمة من السريانية ، وانها تعني هناك ( الابد ) أو ( ابدأ ) أو ( الى الابد ) ، وهو المعنى الذي لا يزال لها في السريانية حتى اليوم ، وانما حفظ معناها ان لها في ذلك اللسان اسرة معنوية تتألف من ( امن ) بمعنى ( خلد ) و ( آمينوتا ) بمعنى الابدية . أما عندما دخلت العربية وحدها فقد تهيأت لها الفرصة لتتحرف بمعناها في هذا اللسان الى معنى ( استجب ) او ( كذلك فليكن ) ، وهذا المعنى الاخير ذكره لها القاموس المحيط ، وهو نفس المعنى الذي انتهت اليه في الفرنسية ، فقد جاء في معجم ( لاروس ) : ( Amen : mot qui signifie ainsi soit-il ) ، وفي الكنائس السورية التي تجري طقوسها بالعربية اليوم تنتهي الادعية دائماً بعبارة ( الى الابد آمين ) ، فكأنهم بعد ان ترجموها بمعناها الاصلي ابقوها الى جانب

الترجمة بقصد التبرك .

وماحدث لكلمة ( آمين ) حدث مثله لكلمة ( أسكي ) . فهذه الكلمة لاتعني في لسانها التركي إلا القدم ، لكنها حين دخلت عامية حلب لم تعد تعني الا المهارة والجودة ، فاذا قيل عندنا ( صانع أسكي ) او ( معلم أسكي ) او ( قطن أسكي ) فهمنا منها ان المعلم والصانع ماهران ، وان القطن جيد ، ولم نفهم منها ان المعلم قديم وان القطن عتيق رديء .

رأينا في المثالين السابقين ان فقد الاسرة المنوية كان سببه وجود الكلمة وحدها في لسان غريب عنها . ولكن هذا ليس شرطاً لازماً ، فقد يحدث لكلمة ما ان تفقد افراد اسرتها وهي لاتزال في لسانها . وحينئذ لاتختلف النتيجة عن سابقتها . فحين فقدت ( تقاعس ) في عربيتنا الحديثة أختها ( أقمس ) و ( إقمسس )<sup>(١)</sup> ، لم نعد نفهم منها الارتفاع وانتساجي ، بل معنى التهاون والكسل .

قد يحدث للكلمة ان تنحل أواصر قرباها مع أفراد أسرتها بسبب عوارض صوتية أصابها ، وحينئذ تصبح العلاقة بينها وبين شقيقاتها غامضة أو مفقودة في ذهن المتكلم او السامع . والنتيجة لكل ذلك لاتختلف عن نتيجة الكلمة التي فقدت افراد اسرتها . هذه هي حالة الكلمة ( سي ) . فبعد ان فقدت هذه الكلمة علاقتها مع اخواتها

---

١ - الأقمس : الرجل الذي برز صدره ، واقمنسس : ارتفع ، ومثلها تقاعس . قال الراجز : تقاعس العز بنا فاقمنسا .

( السواء - ساوى - المساواة - التساوي . . . ) بسبب الاعلال الذي  
اصابها (١) ، كانت النتيجة انها فقدت معنى التساوي ، واخذت معنى عدم  
المبالاة . فما اكثر الاشخاص الذين لا يفهمون الآن من عبارة ( سيان  
عندي ) إلا معنى ( لأبالي ) . بل ان بعضهم لا ينتبه الى التثنية في كلمة  
( سيان ) فيفتح نونها وكأئها نوع من الظروف أو المفعولات المطلقة ،  
او كأئها اسم فعل مثل وشكان وسرعان .

٢ - وعلى العكس من ذلك تماماً ، فقد ينفق لكلمة ان تشابهه  
أصواتها مع أصوات أسرة معنوية لاعلاقة لها بها ، ولكن الذهن - وقد  
خدعه هذا التشابه - يضم الكلمة الى هذه الاسرة ، ويعطيها معناها .  
هذا ما حدث بالضبط لكلمة ( خلاق ) في قول حافظ ابراهيم :

لاتحسبن العلم بفتح وحده      ما لم يتوج ربه بخلاق

فقد اعطاها الشاعر معنى ( الاخلاق ) في حين نعلم ان معناها  
الاصلي هو ( النصيب من الخير ) كما في قوله تعالى : أولئك لاخلاق لهم  
في الآخرة .

مثل هذا يقال في كلمة ( مازن ) التي يعتقد الكثير من الناس  
أنها من المزن والمزنة وما يتصل بها من معاني السحاب المطر في حين  
تقول لنا المعاجم ان معناها هو ( بيض النمل ) أو ( المشرق  
الوجه ) .

---

١ - الاصل في ( سي ) ( سوي ) بكسر فسكون . فلما اجتمعت الواو  
والياء والاولى ساكنة قبت الواو ياء وادغمت في الياء .

٣ - قلنا قبل قليل إن الكلمات ترتب في الذهن في مجموعات تجمع بين افراد كل منها صيغة صرفية معينة ، مثل ( كاتب - قارئ - ضارب ... الخ ) . والواقع ان هذه المجموعات لا ترتبط فيما بينها بهذا الرابط اللفظي وحده ، ذلك ان صيغة ( فاعل ) تحمل في ذاتها معنى نحويًا هو معنى الفاعلية . وعلى هذا تؤلف الكلمات التي على وزن ( فاعل ) أسرة صيغية معنوية في الوقت نفسه ، إلا ان المنى هنا هو معنى نحوي فقط . في مثل هذه الحال ، اذا انصبت كلمة في قالب ( فاعل ) اعطاها الذهن معنى الفاعلية ولو لم تكن من اسماء الفاعلين ، فمن ثم لا يفهم اغلب الناس من كلمة ( فاعل ) إلا معنى ( الآخذ ) مع انها لا تعني في المعاجم إلا ( المطاء ) والشيء ( المنول ) .



رأينا في الامثلة السابقة أثر تجمع الكلمات في الذهن في تطور الدلالة ، لكن هذا ليس هو الأثر الوحيد . ذلك ان الكلمات ليست مكنوزات ذهنية ، بل هي بضاعة لتداول والاستعمال . واثر السياق في تطور الدلالة للكلمات وهي في حالة الاستعمال اقوى من أثر الكلمات بمضنها في بعض وهي في الذهن في حالة سكونية .

ويتجلى اثر الاستعمال في تطور الدلالة في صورتين : الاستعمال الثابت ، والاستعمال المتكرر :

١ - الاستعمال الثابت يبدل دلالة الكلمة .

وما نعنيه بالاستعمال الثابت هو ورود الكلمة دائماً في عبارة مخصوصة . وقبل أن نذكر الأمثلة على ذلك نرمي من الأجدى ان نبين كيف يتأني لهذا النوع من الاستعمال ان يغير معنى الكلمة .



من المعروف ان معنى الكلمة لا يتحدد في الذهن بصورة دقيقة إلا بعد سماع هذه الكلمة في عبارات مختلفة ، واستعمالات متنوعة . فكل استعمال يلقى شعاعاً على جانب من جوانب المعنى . وعن طريق المقارنة يتيسر للذهن ان يهتدي الى المعنى الحقيقي الدقيق للكلمة : فانا وان لم نفهم بالضبط معنى كلمة ( الباب ) إلا بعد ان سمعناها في عبارات مختلفة مثل : ( افتح الباب - اغلق الباب - صنع النجار باباً - ادخلوا البيوت من أبوابها - هذا باب خشبي . الخ الخ ) أما لو قدر لنا ألا نسمع كلمة الباب إلا في عبارة واحدة دائماً ، ولتكن : ( هذا الرجل باب الله ) ، لسهل علينا ان نخطيء فنفهمها على انها مساوية لكلمة ( الولي ) .

وفي كل لسان كلمات محدودة الاستعمال لا تظهر مطلقاً إلا في صيغة بعض الكلمات الأخرى . وفرصة الخطأ في هذه الكلمات أوسع . لأن الاستعمال لا يقدم لنا الوسيلة لتحديد قيمتها . وفي هذه الحال كثيراً ما تبعد الكلمة عن دلالاتها الأصلية بسبب المعنى الزائف الذي يضاف إليها (١) .

بسبب هذا الاستعمال الثابت إذن صرنا نفهم من كلمة ( النوال ) معنى ( الطريقة ) ، لا معنى ( خشبة الحائك ) ، وذلك لاننا لم نجد لها إلا في عبارة ( نسج على منواله ) . وبسببه ايضاً صرنا نفهم من كلمة ( النمط ) معنى ( الهيئة ) ، لا معنى ( البساط ) ، لاننا لم نسمعها إلا في عبارة ( هؤلاء على نمط واحد ) . وبسببه كذلك غدا العرب حتى الاوائل منهم يفهمون من كلمة ( العقيرة ) معنى ( صوت المغني أو الباسكي ) ، لا معنى ( الرجل المقطوعة ) ، لانها ثبتت منذ زمن مسكر في عبارة ( رفع

عقبرته بالصياح أو النناء ) .

٢ الاستعمال التكرار يدل معنى الكلمة .

وعلى العكس مما سبق ، نلاحظ أن الكلمة اذا زاد استعمالها زيادة كبيرة ، واعتمدت اللغة عليها في عباراتها المختلفة تعرض معناها للتبدل ، لأن الذهن يوجه في كل استعمال في اتجاه مخالف ، وذلك يوحى إليه بخلق معان جديدة . ومن هنا ينتج ما يسمى بالتأقلم ، اي قدرة بعض الكلمات على على اتخاذ دلالات متنوعة تبعاً للاستعمالات المختلفة التي تستعمل فيها ، وعلى البقاء في اللغة مع هذه الدلالات (١) . وعندنا في العربية مثال جيد على التأقلم في كلمة ( فصل ) . فهذه الكلمة لم يكن يفهم منها إلا ( القطع والزل ) . ثم استعملها المؤلفون القدماء كإشارة الى انتقالهم من موضوع الى موضوع آخر في مؤلفاتهم ، وكانت عندهم في تقاليد كتابتهم تساوي تماماً ما نفعله في تقاليد كتابتنا من بدء من اول السطر أو اول الصفحة . ثم استعملت بمعنى الجزء من اجزاء الكتاب . وفي عصرنا الحاضر اطلقناها على الجزء من المسرحية أو الرواية ، وعلى الفترة الدراسية التي تستغرق ثلاثة اشهر أو اربعة ، وفي مصر يطلقونها على قاعة الدرس . وعامتنا تقول : ( هذا فصل من فصولك ) أي ( هذه خدعة من خدعك ) . ويقولون ( سمع فلان من فلان فصلاً ) اي ( تعرض لتقريبه وتوبيخه ) ... الخ .

وما قيل في كلمة ( فصل ) يقال مثله في كلمات اخرى كثيرة ، مثل كلمة ( رأس ) فهناك الرأس الذي هو جزء من الجسم ، ورأس القوم أي كبيرهم ، والرأس من الماشية اي الواحد منها ، ورأس السنة أي

مبدأها ، ورأس العين اي منبعها ، ورأس الحكمة أي جماها . . . الخ الخ .  
وفي حالة التأقلم ليس من الضروري ان يقضي المعنى الجديد على ما  
سبقه من المعاني ، بل يمكن لكل المعاني ان تبقى حية في اللغة . وتصبح  
الكلمة التي تأقلمت مع كل المبارات من نوع المشترك اللفظي (١) .



ترجع اكثر التبدلات التي تصيب الدلالة الى ثلاثة أنواع :

١ - التخصيص . ٢ - التعميم . ٣ - الانتقال

فأما التخصيص فهو الانتقال بالكلمة من معنى عام واسع الى معنى  
اخص منه وأضيق . وذلك كالتخصيص الذي حدث للكلمات ( الصلاة ،  
والصوم ، والحج ، والزكاة ، والوضوء ، وغيرها ) . اذ كانت ( الصلاة )  
تعني كل ( صلة ) بين اثنين ، ثم خصصت بالصلة بين العبد وربّه في  
حركات معلومة مخصوصة . وكذا ( الصوم ) الذي كان يعني الانقطاع عن  
كل شيء ، ثم خصص بالانقطاع عن الطعام والشراب والمنكاح في اوقات  
مخصوصة . ومثل ذلك ( الحج ) ، وكان يعني القصد عامة وإلى كل مكان ،  
ثم خصص بزيارة مناسك مخصوصة في اوقات مخصوصة . اما ( الزكاة )  
فكانت تعني النهاء عامة ، ثم اصححت لا تعني إلا ضريبة معلومة على المال  
اذا حال عليه الحول . وكان ( الوضوء ) يعني النظافة عامة ، ثم اصبح  
لا يعني إلا غسل اعضاء مخصوصة . . . الخ .

واما التعميم فهو انتقال بالكلمة من معنى ضيق الى معنى اوسع منه .

---

١ - راجع فصل الاشتراك والترادف من هذا الباب .

وذلك كالتميم الذي حدث لكلمة ( نتج ) . اذ المعروف ان هذه الكلمة لم تكن تعني إلا إلقاء الرجل لناقته لتلد له فصيلاً ، ثم استعملت - وفي صيغة ( انتج ) - لكل إحداث لشيء ، سواء اكان المحدث من نوع الابل أم كان من غيره .

وأما الانتقال فهو تحول الكلمة من معنى إلى آخر يختلف عنه كل الاختلاف ، فلا هو أضيقت منه ولا أوسع ، وذلك كانتقال كلمة ( قلب ) من معناها المعروف لها في الفصحى الى معنى ( البطن ) في عامية حلب .

تجري عمليات التخصيص والتميم والانتقال بصورتين : شعورية ، وغير شعورية .

فأما الشعورية فتقع من العلماء والشرعيين والمخترعين وغيرهم عند حاجتهم الى التعبير عن اشياء جديدة في القانون او العلوم او الفنون او الصناعات المختلفة . وهذا النوع من العمليات لا يهتم له فقه اللغة كثيراً ، اذ هو تابع لنزوات الأفراد ، وليس حالة عامة .

وأما غير الشعورية فتقع من الناس جميعاً لدواع نفسية لا سلطان لنزوات الافراد عليها . وهذه هي التي يهتم لها فقه اللغة محاولاً الكشف عن الاسباب التي تؤدي إليها :

#### ١ - حالة التخصيص :

في كل لسان كلمات عامة ذات دلالة عامة مثل : عملية ، وموسم ، ودابة ، وغيرها . ولكن الناس لا يستعملون هذه الكلمات بمانها العامة - إلا اذا استثنينا الفلاسفة منهم - بل يفهم منها كل امرئ ما يتعلق به وحده . فالموسم عند مربي الماشية هو زمن ولادة الإناث منها ، والموسم عند بائع

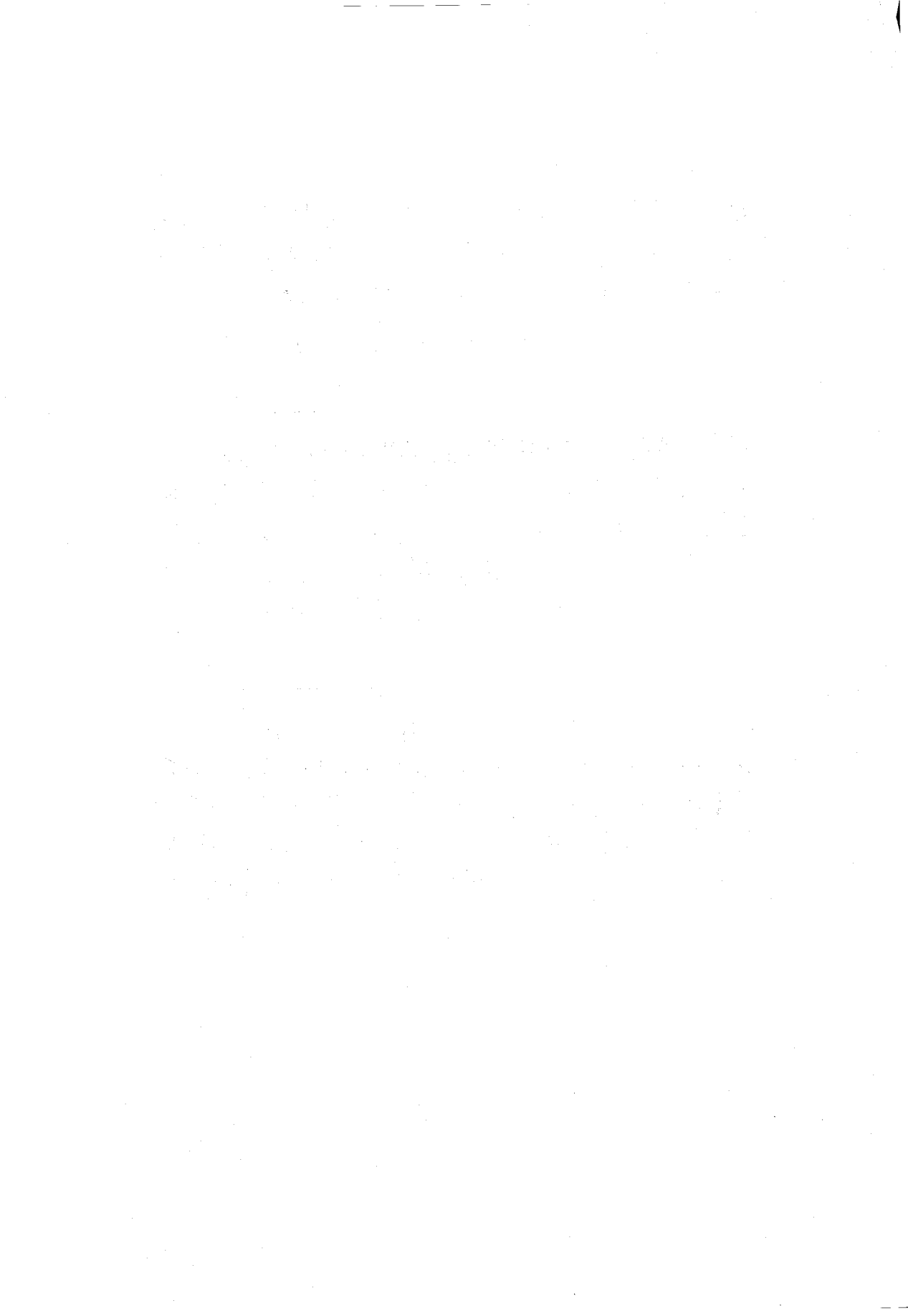
المخاطف هو الشتاء ، والموسم عند المزارع هو وقت الحصاد . واما العملية فهي بالنسبة الى الطبيب قطع عضو من الاعضاء ، وهي بالنسبة الى العسكري معركة من المارك . وكذا الدابة ايضاً ، فهي لا تعني عند الفلاح إلا البغل أو الكديش ، ولا تعني عند الجزار إلا الواحدة من الفم . . . . وهكذا . فمن ثم ينشأ التخصيص غير الشعوري .

### ٢ - حالة التعميم :

وهي اندر من حالة التخصيص ، إلا أنها واقعة في كل لسان . وتحدث عندما يخفى على المتكلم الفروق الدقيقة بين النوع والجنس . فيسهل عليه ان يطلق اسم الجنس الخاص على النوع الذي هو اعم منه . هذا هو الذي يحدث عندما يطلق الناس اليوم كلمة ( الورد ) على نوع الازهار كلها ، ما كان منها ورداً أو فلاً أو قرنفلاً أو غير ذلك .

### ٣ - حالة الانتقال :

وتجري عادة بين الاشياء التي هي من فصيلة معنوية واحدة ، كاسماء الالوان ، واعضاء الجسم واسماء الحواس وغير ذلك . وهذا يفسر اطلاق العامة عندما كلمة ( الذقن ) على ( الاحية ) و ( الجبين ) على ( الجهة ) و ( القلب ) على ( البطن ) و ( الساق ) على ( الفخذ ) و ( الحس ) على ( الصوت ) وغير ذلك .



## فهرس الأعلام

تنبيه : حرف ( ح ) يشير الى ورود العلم في الحاشية .

	<u>الألف</u>
٣٥٥-٣٥٤-٣٥٢-٣٥١-٣٢٧-	
ح ٣٩٨-٤٠٢-٤٠٦-ح ٤٠٦-	ابراهيم (حافظ ابراهيم الشاعر) : ٤٤٩
٤١٢-٤٠٩-٤٠٨-٤٠٧-	ابراهيم (النبي ابراهيم الخليل) : ٨١
٤١٧-ح ٤٢١-	ابن الأعرابي : ١٦٨
ابن الجوزي (الامام) : ٤٣١	ابن الانباري (ابو البركات) :
ابن الحاجب : ٣٣	٣٤ - ح ٤١٥
ابن خالويه :	ابن الجزري : ١٩٥ - ١٩٧
٣٣ - ٣٨٠ - ٣٨٣ - ٤٠٢	ابن جماعة (عز الدين) : ٣٨٣
ابن درستويه : ٣٧٢ - ٤١٣	ابن جني :
ابن دريد : ٣٥ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٤٠٢	٣٣ - ٣٤ - ٣٦ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٧
ابن السراج : ٤٠٢	ح ١٠٢-ح ١٦٢-١٦٦-١٨٩-
ابن السكيت : ٣٣ - ٣٥ - ٣٤٥	١٩٧ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤-
ابن سلام : ٣٣	ح ٢٠٥-٢٠٩-ح ٢١١-ح ٢١٨-
ابن سيده : ٣٥ - ح ١٠٢-٣٤٥-٣٤٦	٢٢٠-ح ٢٢٠-ح ٢٩٥-٣٠٠-
	٣١١-ح ٣١١-٣١٢-ح ٣١٣-

- ابن سنا : ٤٤٠  
ابن عباد (الصاحب ابن عباد) : ٣٥  
ابن عباس (عبد الله) : ٤٣٨  
ابن العربي (القاضي ابو بكر) : ٣٨٣  
ابن العميد (الوزير) : ح ٣٩٤  
ابن فارس :  
٣٥ - ٣٦ - ٥٢ - ح ١٠٢ - ح ٢٩٥  
- ٣٠٠ - ٣٤٦ - ٣٧٦ - ٣٨١  
٣٨٣ - ٣٩٤ - ح ٤٠٣ - ٤١٣  
- ح ٤٢٢  
ابن القوطية : ٣٤٥  
ابن مالك : ٣٢ - ٣٤  
ابن مجاهد (ابو بكر) : ١٧٠ - ١٨٠  
ابن المعتز : ٣٤  
ابن معطي : ٣٤  
ابن منظور : ٣٥ - ٣٤٦  
ابن النديم : ح ٤٠٦  
ابن هشام : ٣٤ - ٢٠٤ - ٣٢٧ - ح ٣٢٨  
ابن يمش :  
ح ١٦٢ - ١٦٨ - ١٧٠ - ح ١٧١  
- ح ١٧٧ - ح ١٧٩ - ح ١٨٣  
- ح ١٨٥ - ح ١٨٧ - ح ١٩٠  
ابو البقاء : ٣٦  
ابو حاتم : ٣٥  
ابو حنيفة (الدينوري) : ٣٥  
ابو حنيفة (الامام الفقيه) : ح ١١٦  
ابو حيان (النحوي الاندلسي) :
- ٣٤ - ١٨٥ - ٢٧٣  
ابو زيد (الانصاري) :  
٣٥ - ٣٤٥  
ابو صالح (عبد الرحمن) : ١٠  
ابو الطيب (اللقوي الحلبي) : ح ٤٤٢  
ابو عبيد (علي بن الحسين بن حرب) :  
٤٣٨  
ابو عبيدة (معمار بن المثنى) :  
٣٤ - ٤٣٧ - ٤٣٨  
ابو عمرو بن الملاء :  
٣٣ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٦  
- ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ٣٠٣  
أبو منصور (الأزهري) : ٣٥  
ابو يوسف (صاحب ابى حنيفة الفقيه) :  
ح ١١٦  
الأخفش الأكبر : ٣٣  
الأخفش الاوسط : ٣٣ - ٤٠٢  
آدم (ابو البشر) :  
٢٨ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٣٤٩  
اذينة (ذو الأكتاف زوج الزباء) :  
٨٦ - ٩٦  
الاسدي (خير الدين) : ٣٥٤  
الاسكافي : ٣٥  
الاسكندري (الشيخ أحمد) : ٤٤١  
الأصمعي :  
٣٥ - ٣٦ - ١٦٦ - ٣٤٥ - ٤٠٢  
أغسطس قيصر : ٤٣٦



- الافغاني (سميد) : ٤٠٢ - ح ٤٠٦  
 افلاطون : ٥١ - ٣٤٩ - ٣٥٠  
 الأقرن (ميمون الاقرن) : ٣٣  
 الاكويبي (القديس توماس) :  
 ٣٦٢ - ٣٤٩  
 الآمدي (سيف الدين) : ح ٥٣  
 امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب : ٩٧  
 امرؤ القيس (الشاعر) : ح ٨٨ - ١٠٣  
 آمون حوظف الرابع : ٧٧  
 أمين (احمد امين) : ح ٣١١ - ٤٤٢  
 الانباري (محمد بن القاسم) : ٣٦  
 أنيس (الدكتور ابراهيم أنيس) :  
 ٣٦ - ح ١٠٢ - ح ١٢٨ - ح ١٤٦  
 ح ١٥٩ - ١٨٣ - ١٨٤ - ح ١٨٧  
 ح ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٦ - ١٩٩ - ٢٠٧  
 ح ٢١١ - ح ٢٢٣ - ٢٢٨ - ح ٢٣٢  
 ح ٢٣٧ - ح ٢٥٠ - ح ٢٦٠ - ح ٢٨٠  
 ح ٢٩٥ - ٢٩٩ - ح ٣٥٩ - ٣٦١  
 ح ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٧٢  
 الباء  
 الباقلائي (القاضي أبو بكر) : ٥٣ - ٤٣٧  
 بانيني : ٣٠  
 الباهلي (أبو نصر) : ٤٠٢  
 بختنصر : ٨٢  
 براشيه : ٣٨  
 برافان : ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٦  
 برجستراسر : ح ٢٩٥
- برد بن اصلح بن أنجر : ٩٦  
 برغسون : ٣٦٨  
 بروديكوس : ٣٠  
 بروكلان (كارل) : ح ٢٩٥ - ٢٩٧  
 بطليموس : ٩٣  
 بليينوس : ٩٣ - ٩٤  
 بهاء الدين : ٢١١ - ٢١٢ - ح ٢١٢  
 بوب : ٣٨  
 بيرو : ح ٧ - ح ٩ - ح ٢١ - ح ٢٩  
 ح ٣٩ - ح ٤١  
 التاء  
 تسنير : ٦٢  
 التنوخي (عز الدين) : ٤٤١ - ح ٤٤٢  
 التهاوني : ٣٦ - ٣٤٥  
 التوحيد (أبو حيان) : ٣٩٤  
 تيلور : ٤٦  
 التاء  
 الثمالي : ٣٥ - ٣٤٥  
 ثعلب (أبو العباس) : ٣٣ - ٣٨٢  
 الثقفى (عيسى بن عمر) : ٣٣  
 الجيم  
 الجاحظ : ٣٤ - ٨٨  
 الجرجاني : ٣٦  
 الجزري (ابن الاثير) : ٣٥  
 جيسرسن : ٣٦٣  
 جلارر : ٩٤

- الجواليقي : ٣٦ - ح ٢١١ - ٤٣٠ -  
 ٤٣١-٤٣٥-٤٣٨-٤٣٨ح-٤٣٨  
 جوز (وليام) : ٣٧  
 الجوهري : ٣٥ - ٣٤٦ - ٤٢٥ - ٤٤٠  
 الحاء  
 الحاج (كمال يوسف) : ٥٠ - ح ٥٢  
 - ح ٥٦ - ح ٣٦٥ - ح ٣٦٩  
 حسان (الدكتور تمام) :  
 ح ٢٧ - ح ٣٦ - ح ١٣٨ - ح ١٤٦ - ح ١٥٩  
 - ح ١٦٩ - ١٨٧ - ١٩٤ - ١٩٥ -  
 ١٩٦ - ١٩٧ - ٢٣٧ - ح ٢٥٠ - ح ٢٧٥  
 حسين (الدكتور طه حسين) :  
 ح ١٠٣ - ح ٤٤١ - ٤٤٢  
 حسين (محمد الخضر) : ح ٤١٣ - ٤١٤  
 الحضرمي (عبدالله بن اسحق) : ٣٣  
 الحضرمي (يعقوب بن اسحق) :  
 ٣٥ - ١٦٨ - ١٧٩  
 الحطيئة : ح ٣٨٢  
 حكيم بن سيرا : ٨٣  
 حكيم بن السيب : ٣٢٦  
 الحموي (ياقوت) : ح ١١٧  
 الحاء  
 الحضرمي (الشيخ محمد) ٤٤٢  
 الخفاجي (شهاب الدين) :  
 ٣٦ - ح ٢١١ - ٤٢٤ - ح ٤٣٥
- الذال  
 داوود (النبى) : ٨٢  
 الذن (ناصر) : ح ٣٥٥  
 الدواخلى : ح ١٤٦ - ح ٢٧٤  
 دوتي : ٩٤  
 الدؤلبي (ابو الاسود) : ٣٣  
 الدومينيكي (الاب مرمرجي) :  
 ١٠ - ٣٥٤ - ٤١٨  
 دي بونالد : ٥٥ - ٣٦٥  
 دي سوسير : ٣٥٩ - ٣٦٣  
 ديمقريطس : ٥٠ - ٣٥٠ - ٣٥١  
 ديز : ٣٨  
 الذال  
 الذياني (الناينة) : ٣٢٢  
 ذو نواس : ٩٩  
 الزاء  
 الرافعي (مصطفى صادق) :  
 ٤٤١ - ح ٤٤١  
 رايت : ح ٢٩٦ - ٢٩٧  
 الرماني : ٤٠٢ - ح ٤٠٦  
 الرؤاسي (ابو جعفر) : ٣٣  
 رثبة : ١١٧  
 روسلو : ح ٢٦١ - ٢٦٤  
 الزاي  
 الزجاج (ابو القاسم) :

سليمان ( النبي ) : ٨٢ - ٩٠  
 سيويه : ح ٢٧ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٦  
 ح ١٠٢ - ح ١٠٦ - ح ١٦٢ - ١٦٦  
 ١٧٣ - ١٧٨ - ١٧٩ - ح ١٧٩ - ١٨٩  
 ١٩١ - ح ١٩١ - ١٩٧ - ح ٢٠٥  
 ح ٢٥٦ - ح ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٣٥١  
 ٣٥٢ - ٣٥٤ - ٤١٧ - ٤٢٤  
 ح ٤٢٤ - ٤٢٥ - ح ٤٣٢  
 السيراتي : ١٨٥  
 سيس : ٣٨  
 سيف الدولة : ٣٨٣  
 السيوطي : ٣٦ - ح ١٠٢ - ح ٢١١  
 ح ٢١٢ - ح ٢٥٥ - ح ٢٩٥ - ٣٤٩  
 ٣٥٠ - ح ٣٧٦ - ٣٨١ - ٣٨٣ - ح ٤٠٢

### الشيخ

شاد : ١٩١  
 الشافعي ( الامام ) : ٤٣٧ - ٤٣٨  
 شاول : ٨٢  
 الشجري : ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ح ٣١٣  
 شلنأ سر الاول : ٧٦  
 شلوتسر : ٧١  
 شليفل : ٣٨ - ٦٢ - ٦٣  
 شون ( موريس ) : ٣٧٩  
 الصاد  
 الصالح ( الدكتور صبحي ) :  
 ح ٨ - ح ٩ - ح ١١ - ح ٣٦ - ح ١٠٢

٣٣ - ٢٩٩ - ٣٨١ - ٤٠٢  
 زكي باشا ( أحمد ) : ٤٤٢  
 الزمخشري : ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ح ١٦٢  
 ١٦٦ - ١٧٦ - ١٩٠ - ١٩٧  
 ح ٢٠٥ - ٣٤٦ - ٤٤٣  
 الزنجاني : ٣٤  
 زنوبيا ( ملكة تدمر ) : ٨٦ - ٩٦  
 زهير بن ابي سلمى : ٣٢٥  
 الزيات ( احمد حسن ) : ح ٣٦٧  
 زيادة ( ماري أومي ) : ٤٤٢  
 زيدان ( جرجي ) : ١٠ - ٣٥٤ -  
 ٤١٨ - ح ٤٢٦ - ٤٢٧ - ح ٤٣٠

### السين

ساسيتي : ٣٧  
 سام ( ابن نوح ) : ٧٢  
 السامرائي ( الدكتور ابراهيم ) :  
 ح ١٣١ - ح ٢٩٥ - ٣٠٣  
 سترايو : ٩٢  
 السجستاني : ٣٣  
 سركون ( الآشوري ) : ٧٦ - ٩٤  
 سركون الاول ( البابلي ) : ٧٤  
 السمران ( الدكتور محمود ) :  
 ١٠ - ح ١١ - ح ١٩ - ح ٢١ - ح ٢٢  
 ٣٦ - ح ١٤٦ - ٢٢٨ - ٢٨٩ - ح ٢٩٠  
 السقا ( مصطفى ) : ٢٠٤  
 السكاكي : ٣٤

الفاء  
 الفارسي ( ابو علي ) :  
 ٣٣-٣٨٣-٣٨٤-٤٠٦-ح ٤٠٦-٤١٧  
 الفراء : ٣٣ - ١٨٠  
 الفراهيدي ( الخليل بن احمد ) :  
 ٣٣-٣٦-٢٠٩-٢٩٦-٣٤٦-  
 ٣٥١-٣٥٤-٤١٧  
 فريرز : ٣٣٦  
 فك ( يوهان ) : ح ٢٩٥-٣٠١  
 فندريس : ح ١٩-ح ٢٢-ح ٤٥  
 ح ٤٩-٥٧-ح ٥٩-٦٠-١٥٢  
 ح ١٥٩-١٦١-ح ٢٤٠-ح ٢٥٥  
 ح ٢٦١-٢٦٤-ح ٢٧٤-ح ٢٧٥  
 ح ٢٧٨-٢٨١-ح ٢٨٢-ح ٢٨٧  
 ح ٢٨٨-٢٩٣-ح ٣١٤-ح ٣٣٥  
 ح ٣٣٧-٣٣٧-ح ٣٣٩-٣٤٩  
 ح ٣٥٧-٣٥٨-٣٦٣-٣٧٣-ح ٣٨٧  
 ح ٣٩٠-ح ٣٩٢-ح ٤٠٠-ح ٤٤٥  
 ح ٤٥١  
 فولتر : ٣٦٨  
 فولرز : ح ١٢٨-ح ٢٩٦-٢٩٨  
 فيرث : ح ٢٦-ح ٢٧-٣٦٠-٣٦٣  
 الفيروز آباري :  
 ح ٣٥-ح ١١٧-٣٤٦-٣٨١-٤٤٠  
 الفاف  
 الفالي : ٣٨١

ح-١٠٣-١١٤-ح-١١٦-٣٠٣-٣٥٤  
 صروف ( يعقوب ) : ٤٣٩  
 الصغاني ( الرضى ) : ٣٤٦  
 الصيمري ( عباد بن سليمان ) :  
 ٣٤٩-٣٥٠-٣٥٢-٣٦٢  
 الطاء  
 طرفة بن العبد : ٣٢٢  
 المسين  
 عبد الرحمن بن هرمز الاعرج : ٣٣  
 المعجاج : ١١٧  
 المسكري ( ابو هلال ) : ٣٤  
 عكرمة ( البربري ) : ٤٣٨  
 الملايلي ( عبدالله ) : ٣٥٦-٣٥٧-٤١٨  
 علي ( اللهكتور اسمع ) : ح ٣٥٦  
 علي بن ابي طالب : ٣٣-٤٣١  
 عمر بن ابي ربيعة : ١١٥-١٧٠  
 عمرو بن كلثوم : ١٠٩  
 عمرو بن هند : ١٠٩  
 عنبسة الفيل : ٣٣  
 النين  
 غاردز : ١٩١-١٩٢-١٩٦  
 غرامون : ٤٠٠  
 غريفور يوس ( القديس ) : ٥٢  
 غريم : ٣٨  
 غويدي : ح ٧٣-ح ٩٩-ح ١٠٨-١١٣  
 ح-١١٨-ح-١٢٢

الميم

ماروزو : ٩ ح - ٩ ح - ١٠ ح - ١٧ ح  
- ٢٢ ح - ٢٨ ح - ٣٩ ح - ٤١ ح  
- ٦١ ح - ١٥٩ ح - ٣٥١ ح  
الملازني ( ابو عثمان ) : ٣٣ - ٤١٢  
المبارك ( محمد ) : ١١ - ٣٦ - ٢٣٠ ح  
- ٢٦٧ ح - ٣٥٤ ح - ٣٦٨ ح - ٣٦٩ ح  
- ٣٧١ - ٣٧٢ ح - ٣٧٦ ح - ٤٠٢ ح  
- ٤٢٠ ح - ٤٢٢ ح  
المبرد ( ابو العباس ) : ٣٣ - ٤٠٢  
مجاهد ( بن جبر ) :  
٤٣٨  
محمد ( رسول الله ) : ١١٧ - ١٢٣  
- ٢٩٧ - ٣٠٠ - ٣٠٤ - ٣٠٧ - ٣٠٨ ح  
الحزومي ( الدكتور مهدي ) :  
ح ٢٩٥ - ٣٠٢ - ٣١٥ ح - ٣١٦ ح  
- ٣٢٤ ح - ٣٢٨ ح  
مدفيغ : ٣٣٦  
مصطفى ( ابراهيم ) :  
٣٦ - ٢٠٤ - ٢٩٥ ح - ٣٠٢ - ٣٠٣  
المعري ( ابو العلاء ) : ٨٨ - ١٠٧ - ١٠٨  
المعري ( الشيخ عبد القادر ) :  
٤٠٢ ح - ٤٠٤ - ٤٣٧ - ٤٤٢  
المفضل بن سلمة : ٤٠٢  
المقريزي : ٤٣١  
النذر بن ماء السماء : ٣١٣

قدامة بن جعفر : ٣٤

القرظيني ( الخطيب ) : ٣٤  
انقصاص : ح ١٤٦ - ح ٢٧٤  
قطرب : ٢٩٧ - ٣٤٥ - ٤٠٢  
القيص بنت عبد مناة : ٩٤  
الكاف

كاله : ح ٢٩٦ - ٢٩٨

كانتينو : ح ١٥٩ - ح ١٩١ - ١٩٢  
- ١٩٤ - ١٩٦ - ١٩٩ - ح ٢١٦  
- ح ٢١٧ ح - ٢١٨ ح - ٢٥٠ ح  
كرب ( الملك ) : ٩٩  
الكرملي ( الاب انستاس ) :

٤١٨ - ح ٤٢٢

الكسائي : ح ٢٧ - ٣٣ - ١٧١ - ١٨٠  
كوليتس : ٢٥٩  
كوهين ( مرسيل ) : ح ١٢٨ - ٢٩٨  
الكيان : ٣٨٤  
كيلر ( هيلين ) : ٥٩  
اللام

لامارتين : ٣٦٧

لورا : ٣٧٥

لوك : ٥٤ - ٥٥

لينتز : ٥٥

ليتسبرسكي : ٩٧ - ١١٠ - ح ١١٢

ليمان ( انو ) :

٩٦ - ١٠٤ - ١١٣ - ح ١١٣ - ٣٠٥

هو ميروس : ٣١  
 هيروتوت : ٩٢  
 الواو  
 الوافي ( الدكتور علي عبد الواحد ) :  
 ح ٨ - ١١ - ح ٢١ - ح ٢٢ - ح ٢٧  
 ح ٣٦ - ح ٣٩ - ح ٤٦ - ح ٤٩ - ح ٥٩  
 ح ٦٧ - ح ٦٩ - ح ٢٩٥  
 وتني : ٥٦ - ح ٢٦٢  
 ولفنسون ( اسرائيل ) :  
 ح ٧٢ - ح ٧٩ - ح ٨١ - ح ٨٣ - ح ٨٥  
 ح ٨٧ - ح ٩٠ - ح ٩١ - ح ٩٢ - ح ٩٤  
 ح ١٠٥ - ح ١٠٥ - ح ١٠٨ - ح ١١٠  
 ح ١١٣ - ح ١١٣ - ح ١٢٣ - ح ٢٩٥  
 ح ٢٩٧ - ح ٤١٥  
 الوليد بن عبد الملك : ٣١١ - ح ٣١١  
 اليباء  
 يحيي بن يمر : ٣٣  
 اليزيدي : ١٨٢  
 يوسف ( المؤرخ اليهودي ) : ٨٣

مولري ( كولونيل ) : ٤٦  
 مولار ( ماكس ) : ٥٨ - ٥٧ - ٣٨  
 ح ٦٢ - ح ٦٥ - ح ٢٦٢  
 ميه : ٢٦٤ - ٢٨٧  
 النون  
 النحاس : ٤٠٢  
 نصر بن عاصم : ٣٣  
 نصيمة ( ميخائيل ) : ٣٦٦  
 فوح ( النبي ) : ٧١  
 فولدكه : ٧٢ - ٧٣ - ح ٢٩٦  
 الهباء  
 الهراء ( ابو مسلم معاذ ) : ٣٣  
 هرقلطس :  
 ٣٥١ - ٣٥٠ - ٣٤٩ - ٣٤٨ - ٥٠  
 هبلت : ٣٦٣  
 الهمداني ( عبد الرحمن بن عيسى ) :  
 ٣٤٥ - ٣٥  
 هند : ١١٥  
 هومل : ح ٩٤ - ٩٨

## المراجع بالعربية

- ١ - الابدال لابي الطيب النفوي ، دمشق ١٣٧٩ هـ .  
١٩٦٠ م
- ٢ - الاحكام في اصول الاحكام لسيف الدين الآمدي ، مصر ١٩١٤ م
- ٣ - إحياء النحو لابراهيم مصطفى ، القاهرة ١٩٥١ م
- ٤ - ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لابي حيان النحوي ، مخطوط في الاحدية بحلب رقم ٨٩٩
- ٥ - الاشياء والنظائر للسيوطي ، الهند ١٣٥٩ - ١٣٦١ هـ
- ٦ - الاشتقاق والتعريب لعبد القادر المغربي ، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م
- ٧ - الاصوات اللغوية لابراهيم أنيس ، مصر
- ٨ - الانصاف لابن الأنباري ، القاهرة ١٣٧٤ هـ  
١٩٥٥ م
- ٩ - البيان والتبيين للجاحظ ، مصر ١٩٤٨ - ١٩٥٠ م
- ١٠ - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري
- ١١ - تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون ، مصر ١٣٤٨ هـ  
١٩٢٩ م
- ١٢ - تاريخ اللغة العربية لجرجي زيدان ، مصر ١٩٠٤ م
- ١٣ - التطور اللغوي التاريخي لابراهيم السامرائي ، القاهرة ١٩٦٦ م

- ١٤ - تهذيب المقدمة اللغوية لأحمد علي ، بيروت ١٣٨٨ هـ م ١٩٦٨
- ١٥ - الخصائص لابن جني ، القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م
- ١٦ - دراسات في العربية وتاريخها لمحمد الخضر حسين ، الطبعة الثانية دمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م
- ١٧ - دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ، الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م
- ١٨ - دراسات في اللغة لابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٦١ م
- ١٩ - دلالة الالفاظ لابراهيم انيس ، القاهرة ١٩٥٨ م
- ٢٠ - الرسالة للامام الشافعي ، مصر ١٩٣٨ م
- ٢١ - روفائيل للامرتين ، ترجمة الزيارات . مصر لابن جني ، مصر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م
- ٢٢ - سر صناعة الاعراب لابن يعيش ، مصر للخفاجي ، مصر ١٣٢٥ م
- ٢٣ - شرح المفصل لابن فارس ، القاهرة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م
- ٢٤ - شفاء النليل ليوهان فك ، القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م
- ٢٥ - الصاحبي لابن عبد ربه ، القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م
- ٢٦ - العربية لملي عبد الواحد وافي ، مصر ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م
- ٢٧ - المقدم الفريد لمحمود السمران ، مصر ١٩٦٢ م
- ٢٨ - علم اللغة لميخائيل نعيمة ، مصر ١٩٤٦ م
- ٢٩ - علم اللغة لملي عبد الواحد وافي ، مصر ١٩٤٤ م
- ٣٠ - الغربال لفقهاء اللغة
- ٣١ - فقه اللغة لفقهاء اللغة وخصائص العربية لمحمد المبارك ، الطبعة الثالثة بيروت ١٩٦٨ م



- ٣٣ - فلسفة اللغة  
٣٤ - الفلسفة اللغوية  
٣٥ - في أصول النحو  
٣٦ - في النحو العربي  
٣٧ - القاموس المحيط
- ٣٨ - الكتاب  
٣٩ - اللغة  
٤٠ - اللهجات العربية  
٤١ - مثالب الوزيرين  
٤٢ - المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ، لاغناطيوس غويدي رومية
- ١٩٣٨ م  
١٣١٦ هـ ، بولاق ، لسيويه  
١٩٥٠ م ، القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م ، لفندريس  
١٣٧٠ هـ ، مصر ، لبراهيم انيس  
١٩٦١ م ، دمشق ، لابي حيان التوحيدي  
١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م ، لاغناطيوس غويدي رومية
- ١٣٢٥ هـ ، مصر ، للسيوطي  
١٩٣٧ م ، القدس ، لمرجعي الدومينيكي  
١٩٤٢ م ، القاهرة ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م ، للجواليقي  
١٣٧٢ هـ ، القاهرة ، لابن هشام الانصاري  
١٣٦٦ هـ ، القاهرة ، لابن فارس  
١٩٥١ م ، مصر ، لبراهيم انيس  
١٩٥٥ م ، القاهرة ، لتام حسان
- ٤٣ - الزهر  
٤٤ - المعجمية العربية  
٤٥ - العرب  
٤٦ - مفتي اللب  
٤٧ - مقاييس اللغة  
٤٨ - من اسرار اللغة  
٤٩ - مناهج البحث في اللغة

## المراجع بالفرنسية

- 1 — Cantineau ( Jean ) : Cours de Phonétique Arabe .  
Paris, 1960 .
- 2 — Cantineau ( Jean ) : Etudes de Linguistique Arabe .  
Paris. 1960 .
- 3 — Marouzeau ( J ) : La Linguistique ou Science du  
Langage. 3e édition. Paris, 1950.
- 4 — Perrot ( Jean ) : La Linguistique. Paris, 1953 .
- 5 — Schöne ( Maurice ) : Vie et Mort des Mots. Paris, 1951.

## فهرس النخطأ والقواب

الصواب	النخطأ	المطر	الصفحة
السمياتيك	السميانك	٧	١٦
الستيليستيك	الستيليسستيك	٢١	١٦
حظوة	حظوه	١٧	١٧
الطبيعة	الطبيعية	٨	٢٠
اللغة	اللغة	١٩	٢٣
احناك	أحناك	٢٣	٢٥
الانشاء	الانشأة	٨	٤٥
عند	عند	٦	٥٠
فلسفة اللغة	الفلسفة اللغوية	١ حاشية	٥٦
يكتسب الانسان اللغة	يكتسب الانسان	٦	٦٠
Flexionnelles	Flexiomelles	٤	٦٣
المختلفة	الجديدة	١٥	٦٤
عاصمته	عاصمة	٢١	٧٤
ف	ب	١٣	٧٧
غزالي	عزالي	٨	٩٦

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٤	١	حاشية	الشاوية
١١٨	١٩	هفلة	هفالة
١١٨	١٩	إفلة	إفالة
١٢٤	١٩	ترنوا	ترنو
١٣٨	٨	اسمة	اسمه
١٣٩	١٥	الأصواب	الأصوات
١٦١	١١	كما كا	كما كان
١٦٢	٨	ما نعرف	مما نعرف
١٧٠	٦	الحديثة	الحديثة
١٧٢	١٠	من بير	من بين
١٨٤	١٠	نصل	فصل
١٨٩	٧	فالمجورة	فالمجهور
١٩١	١١	يأنه	بأنه
١٩٦	١٢	فاتهموا	فاتها
١٩٩	٣	قراءنا	قرائنا
٢٠١	١٣	Grammaika	Grammatika
٢١٠	٤	حاشية	حديداً كان خشباً
٢١٦	٥	نقطه	نقطة
٢٩٦	٧	Kakle	Kahle
٢٩٩	١٨	الزجاجي	الزجاج

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣١٣	٦	وأشانه	وأشانه
٣٢٢	١١	بالمقسم	بالمقسم به
٣٣٢	١٠	التأنيث العامية	التأنيث في العامية .
٣٦٩	٢ حاشية	للمبارك	للمبارك
٣٧٠	١٣	تردافاً	ترادفاً
٣٧١	٣	بقوله	بقوله
٣٧٢	٢	الجزء	الجزء
٤٢٠	١١	في القاف الصاد	في القاف والصاد
٤٢٨	٨	البابونج	البابونج
٤٢٨	٩	والسرقين	والسرقين
٤٣٠	٥	ثيابه	ثيابه
٤٣٦	١٦	هذه	هذه
٤٤٦	٤	ما يزال	ما لا يزال

## فهرس المواد

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٤٢ - ٥	الباب الاول : فقه اللغة
٧	أفقه ام علم
١١	فروع فقه اللغة
١٩	فقه اللغة والعلوم الاخرى
٢١	قوانين فقه اللغة
٢٣	مناهج البحث في فقه اللغة
٢٨	تاريخ الدراسات اللغوية
٣٩	اوهام حول فقه اللغة
٤٣ - ١٣٤	الباب الثاني : اللغة والالسن
٤٥	انواع التعبير الانساني
٤٨	لغة الحيوان
٤٩	اصل اللغة

٦١	الالسن في العالم
٦٢	نصنيف الألسن
٧٠	الساميون والالسن السامية
١٠٣	شبهات حول العربية
٢٧٠ - ١٣٥	الباب الثالث : الاصوات
١٣٧	علوم الاصوات اللغوية
١٤٠	الجهاز الصوتي
١٤٣	كيف يحدث الصوت اللغوي ( الجهر والهمس )
١٤٦	تصنيف الاصوات اللغوية
١٤٧	تصنيف الاصوات الحيسية
١٦٠	الحيسيات في العربية
١٨٨	حكاية الاصوات الثلاثة : الهمزة والطاء والقاف
٢٠٦	نسب الحيسيات العربية
٢٠٩	انواع النسخ الصوتية في العربية
٢١٣	تصنيف الاصوات الطليقة
٢٢٢	الطليقات في العربية
٢٢٧	الطليقات المركبة
٢٣٢	مدة الصوت اللغوي
٢٣٥	شدة الصوت اللغوي
٢٣٦	حدة الصوت اللغوي
٢٣٨	المقطع

٢٤٢	اشكال المقطع في العربية
٢٤٣	النسيج المقطعي
٢٤٦	النبر
٢٤٨	النبر في العربية
٢٥١	الايقاع
٢٥١	التبدلات الصوتية
٢٥٢	التبدلات التركيبية
٢٥٨	التبدلات التاريخية
٢٦٧	حول ثبات اصوات الفصحى
٣٤٢ - ٢٧١	الباب الرابع : النحو
٢٧٣	المورفيات
٢٧٦	انواع المورفيات
٢٨٦	سلوك المورفيات مع السيمنتيات
٢٩٥	حكاية الاعراب
٣١٤	المقولات النحوية
٣١٦	مقولة التوكيد في العربية
٣٢٩	مقولة الجنس
٣٣٨	التبدلات النحوية
٤٥٦ - ٣٤٣	الباب الخامس : المفردات
٣٤٥	علوم المفردات



٣٤٧	عناصر العمل اللغوي
٣٧٠	الاشتراك والترادف
٣٨٦	تبدلات المفردات
٣٨٨	اسباب تبدل المفردات ووسائل توليدها
٤٠٢	الاشتقاق في العربية
٤٢٤	التعريب
٤٤٣	تبدلات الدلالة
٤٥٧	فهرس الاعلام
٤٦٥	المراجع العربية
٤٦٨	المراجع الفرنسية
٤٦٩	جدول الخطأ والصواب
٤٧٢	فهرس الموضوعات

# مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ



رابطہ بديیل  
lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



المطبعة الحديثة - حلب - العبارة الجديدة  
مكاتب ٢٥٩٦٦ - ص.ب ٤٦٥